

تاريخ  
الحزب الشيوعي  
في الاتحاد السوفياتي  
(حزب البلشفيك)



منشورات  
دار الفخارابي  
بيروت ١٩٥٤





# تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي (حزب البلشفيك)

موجز وضعته هيئة من  
اللجنة المركزية للحزب الشيوعي  
في الاتحاد السوفياتي

•

صادقت عليه اللجنة المركزية  
للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي  
في عام ١٩٣٨

•

منشورات  
دار الفكر العربي  
بيروت ١٩٥٤



جميع الحقوق محفوظة  
حزيران ١٩٥٤

## توطئة

سار الحزب الشيوعي ( البلشفي ) في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية سيرة مديدة مجيدة ، بدأت في الحلقات والفرق الماركسية الصغيرة التي ظهرت في روسيا حوالي العقد التاسع من القرن الماضي ، ثم آلت الى الحزب البلشفي الكبير الذي يقود ، في ايامنا هذه ، اول دولة اشتراكية في العالم ، دولة العمال والفلاحين .

نشأ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي — على اساس حركة العمال في روسيا قبل الثورة — من الحلقات والفرق الماركسية التي كانت مرتبطة بحركة العمال ، والتي ادخلت الوعي الاشتراكي في تلك الحركة . كذلك فان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي قد استوحى ولا يزال ، التعاليم الماركسية اللينينية الثورية . لكن زعماء الحزب توسعوا في شرح تعاليم ماركس والمجلس مجارة للظروف الجديدة التي يتميز بها هذا العهد ، عهد الاستعمار والحروب الاستعمارية والثورات البروليتارية ، ورفعوا تلك التعاليم الى مستوى اعلى .

وكبر الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي واشتد ساعده في نضاله المبدي ضد الاحزاب البورجوازية الصغيرة التي قامت وسط حركة العمال ، اي: ضد الاشتراكيين الثوريين ( واسلافهم الشعبيين من قبل ) وضد المنشقين والقوضيين والقوميين البورجوازيين على اختلاف الوانهم ، وكذلك في مكافحة التيارات الغريبة عن مبادئه داخل الحزب نفسه ، اي ضد التيارات المنسقية الانتهازية : التروتسكية وحركة البوخارينيين ومثيري الانحرافات القومية وسائر الفرق الاخرى المخالفة لمذهب لينين .

وعظم شأن الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، بتمرسه بالشدائد ومغالبته الصعاب في كفاحه الثوري ضد اعداء الطبقة العاملة جميعاً : اعداء الشغيلة ، نعي كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين والكولاك والمخربين والجواسيس وجميع مرتزقة الدول الرأسمالية التي تحيط بالاتحاد السوفياتي .

فتاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي هو تاريخ ثورات ثلاث : ثورة ١٩٠٥ الديمقراطية البورجوازية ، وثورة شباط ١٩١٧ الديمقراطية البورجوازية ايضاً ، وثورة تشرين الاول ( اوكتوبر ) ١٩١٧ الاشتراكية .

ان تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي هو تاريخ القضاء على القيصرية ، وتاريخ القضاء على سلطة كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين ، وتاريخ سحق التدخل الاجنبي المسلح خلال الحرب الاهلية ، وتاريخ بناء الدولة السوفياتية والمجتمع الاشتراكي في بلادنا .

فمن دراسة تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي نجني ثمار جميع التجارب التي اجتازها الحزب في ميادين نضاله ، اي نضال عمال بلادنا وفلاحينا في سبيل الاشتراكية .

وفي درس تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وهو درس نضال حزبنا ضد اعداء الماركسية اللينينية واعداء الشغيلة جميعاً ، عون لنا على حسن فهم البلشفية وغذاء ليقظتنا السياسية .

وبدرس تاريخ الحزب الشيوعي الحافل بآثر البطولة في الاتحاد السوفياتي ،  
نتزود من معرفة قوانين التطور الاجتماعي والكفاح السياسي ، اي معرفة القوى  
المحركة في الثورة .

ان درس تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، يوطد يقيننا بالنصر  
النهائي ، بفوز القضية العظمى ، قضية حزب لينين وستالين ، بانتصار الشيوعية  
في العالم كله .

وهذا الكتاب يعرض بإيجاز تاريخ الحزب الشيوعي ( البلشفي ) في اتحاد  
الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية .



## الفصل الأول

•

النضال لانشاء حزب العمال  
الاشتراكي الديموقراطي في روسيا

١٨٨٣ - ١٩٠١

•

١ - الغاء نظام القنانة وتقدم الرأسمالية  
الصناعية في روسيا - نشوء البروليتاريا  
الحديثة - حركة العمال وخطواتها الاولى

لقد تأخرت روسيا القيصرية عما سواها من البلدان في سلوك طريق التطور الرأسمالي ، ولم يكن في روسيا ، حتى العقد السابع من القرن الماضي ، الا عدد زهيد من المصانع والمعامل . وكان نظام الاقتصاد الاقطاعي ، نظام طبقة النبلاء ملاكي الاراضي ، هو السائد عهد ذاك . ولم يكن بوسع الصناعة ، في ظل عهد القنانة ( ١ ) ، ان تنهض نهضة حقة . كذلك في الزراعة ، كان العمل غير

---

( ١ ) عهد القنانة : عهد كان فيه الفلاح المدمم ( القن ) مرتبطاً بارض الاقطاعي يعمل فيها طول حياته مع افراد عائلته مقابل جمالة يعيش منها . ولم يكن للقن حق ترك الارض التي يعمل عليها ، فاذا انتقلت ملكيتها من سيد الى آخر ، انتقل معها .  
( هيئة التمرير )

الحر ، اي عمل القن ، ضعيف الانتاج . وهكذا فان سير التطور الاقتصادي كان حافزاً الى الغاء نظام القنانة ، فاضطرت الحكومة القيصرية الى الغائه عام ١٨٦١ اذ فت في عضدها انكسارها العسكري في القرم ، واستولى عليها الذعر من جراء « تمردات » الفلاحين على كبار ملاكي الاراضي .

ولكن ملاكي الاراضي استمروا ، حتى بعد الغاء القنانة ، على ارهاق الفلاحين . فلم « يعتقدوهم » الا وقد جردوهم من قسم كبير اقتطعوه لانفسهم ، من الاراضي التي كان الفلاحون يستثمرونها في الماضي . وهذا القسم من الاراضي اطلق عليه الفلاحون اسم « اوتريزكي » او « القطع » ( من لفظة « اوتريزات » بالروسية ومعناها : قطع ) . ولم « يعتق » الفلاحون الا بعد ان ادوا لملاكي الاراضي ما يناهز ملياري روبل ، فدية او ثناً لحريتهم .

على ان الفلاحين ظلوا ، حتى بعد الغاء القنانة ، مكرهين على استئجار الارض من الملاكين ، بافدح الاعباء . فالملاك ، عدا بدل الايجار الذي كان يتقاضاه نقداً ، كثيراً ما كان يرغب الفلاحين على العمل بجنا بادواتهم وخيلهم في جزء من ارضه الخاصة ، وهو ما يسمونه : « العمل بلا أجر » ، او « السخرة » . وفي الكثير الغالب كان الفلاح مضطراً ان يؤدي الى الملاك اجر الارض عيناً ، اي ما يقارب نصف محصولها ، وهو ما يسمونه : « ايسبولا » ( اي العمل « بالمتناصفة » ) . فالحالة اذن استمرت على ما كانت عليه ، زمن القنانة ، لا فرق سوى ان الفلاح اصبح الان حر التصرف بشخصه ، لا يمكن بيعه ولا شراؤه كمتاع من الامتعة .

كانت اصول الزراعة وادواتها عند الفلاحين متأخرة ، وفوق ذلك كان كبار ملاكي الاراضي لا ينفكون يزيّدونها ضعفاً على ضعف ، بشتى وسائل الاغتصاب ( كالكراء والغرامات ) . كذلك فان نير كبار الملاكين الذي يشغل كاهل الفلاحين في معظمهم ، كان حائلاً بين هؤلاء وبين تحسين انتاجهم ، وهذا هو السبب في السقوط المروع الذي منيت به الزراعة في روسيا قبل الثورة ، والذي كان من نتائجه توالي المواسم الرديئة وسني القحط .

ان بقايا الاقتصاد الاقطاعي ، والضرائب المرهقة ، وبدلات العتق التي كانت تؤدي لكبار الملاكين ، والتي كانت تربو في الكثير الغالب ، على ريع الفلاح ، كل هذه العوامل كانت تسبب فقر جماهير الفلاحين وخراب بيوتهم ، فيضطر الفلاح الى هجر قريته طلباً للارتزاق في مكان آخر . فكان الفلاحون يلجأون الى المصانع والمعامل للاستغال فيها ، وهكذا كانت اصحاب المعامل يحصلون على يد عاملة باجر بخس .

وكان كاهل العمال والفلاحين ينوء بمجيش جرار من « الايسبرافنيك » و « الاوريادنيك (١) » والدركيين والشرطيين والحراس الذين انما وجدوا لحماية القصر والرأسماليين وكبار ملاكي الاراضي من الشغيلة ، اي من المستثمرين . وبقي القصاص الجسدي نافذاً حتى سنة ١٩٠٣ . فكان الفلاحون ، رغم الغاء القنانة ، يجلدون بالسياط لاقفل هفوة او لعدم تأدية الضرائب ، ورجال الشرطة والقوزاق ينهالون على العمال ضرباً بالعصي ، ولا سيما اثناء الاضرابات ، حينما ينقطع هؤلاء عن العمل ، وقد ضاقوا ذرعاً بجور اصحاب المعامل . ولم يكن للعمال والفلاحين اي حق سياسي في روسيا القيصرية : لقد كانت اوتوقراطية القصر الدخوص الشعب .

سجن الشعوب ! : هكذا كانت روسيا القيصرية . فمختلف القوميات غير الروسية كانت محرومة حقوقها ، تعاني ابدأ كل انواع الاهانة والتحقير والشتية ، وكانت الحكومة القيصرية تعود الاهالي الروس النظر الى سائر الاقوام واعتبارهم عروفاً منحلة وتسيهم رسمياً « ابناء العرق الآخر » لتبث في روع الروسي شعور الاحتقار لهم والضعفة عليهم . وهكذا كانت الحكومة القيصرية تؤجج عن عمد ، نار الاتحاد القومية ، وتثير شعباً على آخر ، وتنظم مذابح اليهود ، وتدبر الفتن الدامية بين التتر والارمن ، عبر التفقاس .

---

(١) ايسبرافنيك : مفوض شرطة في القضاء . واوريادنيك : مأمور شرطة .

( هيئة التعريب )

كانت وظائف الدولة في المناطق غير الروسية مسندة كلها او جلها ، الى موظفين من الروس . وكانت جميع القضايا لدى المحاكم ودواوين الحكومة تعالج باللغة الروسية . وكان نشر الصحف والكتب باللغات القومية محرماً ، وكذلك التعليم بها كان محظوراً ، تريد الحكومة بهذا كله ان تطمس على معالم الثقافات القومية جميعاً ، متبعة سياسة «روسنة» القوميات غير الروسية ، بالقوة . لقد كان الحكيم القيصري جلاد الشعوب غير الروسية ، واداة تعذيبها .

بعد الغاء نظام القنانة تقدمت الرأسمالية الصناعية في روسيا بشيء من السرعة ، رغم بقايا ذلك النظام الذي ظل يعرقل تقدمها . ففي مدة ٢٥ سنة ، من ١٨٦٥ الى ١٨٩٠ ، ارتفع عدد العمال في المصانع الكبيرة والعمال وسكك الحديد وحدها من ٧٠٦،٠٠٠ الى ١،٤٣٣،٠٠٠ اي انه زاد عن ضعفه .

وانسعت الصناعة الرأسمالية الكبرى حوالي سنة ١٨٩٠ بسرعة اعظم . ففي اواخر هذا العقد بلغ عدد العمال المشغلين في المصانع والعمال الكبيرة وصناعة المناجم وسكك الحديد في خسين مقاطعة من روسيا الاوروية ٢،٢٠٧،٠٠٠ عامل ، وفي انحاء روسيا كلها ٢،٧٩٢،٠٠٠ : بوليتاريا صناعية حديثة تختلف اختلافاً تاماً عن عمال المصانع في عهد القنانة ، وعن عمال الصناعة الحرفية الصغرى وغيرها ، سواء أمن حيث تجمعها في المشاريع الرأسمالية الكبيرة ام من حيث اهليتها للتضال الثوري .

كانت النهضة الصناعية في العقد العاشر ناجمة بالدرجة الاولى عن عظم اتساع السكك الحديدية . فخلال الاعوام العشرة من ١٨٩٠ الى ١٩٠٠ انشئ ما يربو على ٢١ الف فرسخ ( يعادل الفرسخ الروسي ١٠٦٧ متراً ) من السكك الحديدية . فكانت السكك الحديدية بحاجة الى مقدار كبير من المعادن ( لمد الخطوط وصنع الشاحنات والقاطرات ) تستهلك من الوقود والفحم الحجري والنفط كمية متزايدة ، الامر الذي ادى الى غو صناعتي التعدين والوقود .

وكان يعقب سنوات النمو الصناعي في روسيا قبل الثورة ، شأنه في سائر البلدان الرأسمالية ، سنوات ازمة صناعية وجود تطحن الطبقة العاملة بكملها ،



وتقذف بمئات الالوف من العمال في مهاوي البطالة والبؤس .  
لذلك بقيت روسيا ، رغم غو الرأسمالية فيها بشيء من السرعة منذ الغاء  
القنائة ، متأخرة في طورها الاقتصادي عن سائر الاقطار الرأسمالية بصورة  
محسوسة ، وظل السكان بأكثريتهم العظمى منقطعين الى الزراعة .

وقد اورد لينين في كتابه المشهور : **تطور الرأسمالية في روسيا** ، ارقاماً  
بليغة مستمدة من الاحصاء العام الذي تم سنة ١٨٩٧ تثبت ان نحواً من خمسة  
اسداس الاهلين كانوا يعملون في الزراعة ، ونحواً من السدس فقط يشتغلون  
في الصناعة الكبرى والصناعات الصغيرة والتجارة وسبك الحديد والملاحة  
( الشحن المائي ) والبناء واستثمار الاحراج وهم جراً .

وقد نتج عن ذلك ان روسيا ، رغم غو الرأسمالية فيها ، بقيت بلداً زراعياً  
متأخراً في اقتصادياته ، بلد بورجوازية صغيرة ، نعني : ما زالت تغلب فيه الملكية  
الصغيرة ، اي الاستثمار الزراعي الفردي الصغير القليل الانتاج .

ولم يقتصر التقدم الرأسمالي على المدن وحدها ، بل تعداها الى الريف ايضاً .  
لقد كانت طبقة الفلاحين ، وهي اكثر الطبقات عدداً في روسيا قبل الثورة ،  
آخذة في التفسخ ، سائرة نحو التباين او التفاوت : اي انه في ظهرا في القسم  
الميسور من جماعة الفلاحين اخذت في البروز طبقة عليا ، هي طبقة الكولاك (١)  
او البورجوازية الريفية ، بينما كانت تبنى بالخراب اغلبية الفلاحين ويزداد في  
الريف عدد الفلاحين المدقعين والبروليتاريين واشباه البروليتاريين . اما  
الفلاحون الوسط فكان عددهم يتناقص عاماً فعاماً .

كان في روسيا سنة ١٩٠٣ عشرة ملايين عائلة قروية . وقد اثبت لينين في  
كتيب عنوانه : **الى الفلاحين الفقراء** ، ان من هذا العدد ثلاثة ملايين ونصف  
المليون لا تملك الواحدة منها حصاناً . فكان الفلاحون الفقراء يبذرون عادة في

---

(١) كولاك : لفظة روسية كانت تطلق في عهد القيصرية على المزارعين الاغنياء  
في الارياف .

قطعة من ارضهم صغيرة جداً ، ويؤجرون القسم الاكبر من الكولاك ، ثم يمضون سعيًا وراء الرزق في مكان آخر . وهكذا كان الفلاحون الفقراء ، بحكم هذا الوضع ، يقتربون من البروليتاريا اكثر من اية فئة اخرى . لذلك كان لينين يسميهم بروليتاريا الريف او اشباه البروليتاريين .

وكان في الجهة الثانية ، مليون ونصف مليون اسرة من المزارعين الاغنياء او الكولاك ( من مجموع ١٠ ملايين بيت زراعي ) قد استأثروا بنصف اراضي الفلاحين الصالحة للحراث . وقد اخذت هذه البورجوازية الزراعية ثثري بارهاق الفلاحين الفقراء والوسط ، وباستغلال عمل الفلاحين المأجورين والعمال اليوميين ، متحوالة الى طبقة رأسماليين زراعيين .

ومنذ العقد الثامن ولا سيما التاسع من القرن الماضي ، افافت الطبقة العاملة في روسيا من سباتها وبدأت في مناضلة الرأسمالية . لقد كانت حالة العمال في روسيا القيصرية ضعبة جداً . فلم يكن العمل اليومي بين ١٨٨٠ و ١٨٩٠ ينقص عن ١٢ ساعة ونصف الساعة ، وقد يبلغ ١٤ — ١٥ ساعة في صناعة النسيج .

وكان عمل الاولاد والنساء يستثمر استثماراً واسع النطاق . فالاولاد كانوا يشتغلون عدداً من الساعات مساوياً لساعات الرجال ، لكن يتناولون — وكذلك النساء — اجراً اقل جداً ، من اجر الرجال . على ان الاجور ، بوجه العموم ، كانت طفيفة جداً ، يربح القسم الاعظم من العمال بين سبعة وثمانية روبلات (١) في الشهر . ولم يكن اكثر العمال اجراً ، في المصاهر ومصانع التعدين ، ليكسبوا اكثر من خمسة وثلاثين روبلاً في الشهر . ولم يكن للعمال اي حماية في العمل ، فكان ينتج عن ذلك كثير من حوادث البتر والاصابات المميته . كما انه لم يكن لهم اي ضمان ، فيؤدون كلفة الاسعاف الطبي من اجرهم الزهيد . اما شروط السكن فكانت بما لا يطاق ، اذ يتكدس في كوخ واحد

---

(١) روبلات : جمع روبل وهو وحدة النقد الروسي ويساوي مئة كوبك .

( هيئة التعريب )

من الاكواخ الخشبية ، عشرة عمال او اثنا عشر عاملاً . وكثيراً ما كانت اصحاب المصانع يسرقون عملهم بارغامهم على شراء المنتجات من مخازنهم بثلاثة اضعاف ثمنها ، ويرهقونهم بما يفرضون عليهم من غرامات .

بدأ العمال يتشاورون فيما بينهم ويقدمون لصاحب المعمل مطالب مشتركة . تستهدف تحسين حالتهم التي لا تطاق ، ثم اخذوا يترككون شغلهم معلنين الاضراب . وكانت حوادث الاضراب الاولى ، في العقدين الثامن والتاسع ، مسببة عن الغرامات الباهظة والسرقات التي كانت تنكب بها اجور العمال يوم الدفع ، او عن خفض معدل هذه الاجور .

فكانت العمال اثناء الاضرابات الاولى يحطون ، وقد عيل صبرهم ، الآلات احياناً ، ويكسرون الزجاج في المصانع ، ويقلبون مكاتب اصحابها ومخازنهم رأساً على عقب .

لكن ما لبث العمال المتقدمون حتى ادر كوا ان التجاح في مكافحة الرأسماليين يتطلب التنظيم ، فظهرت جمعيات العمال .

وفي عام ١٨٧٥ اسس في اوديسا « اتحاد عمال روسيا الجنوبية » . فعملت هذه الجمعية ، وهي باكورة منظمات العمال ، طوال ثمانية او تسعة اشهر ، ثم حطمتها الحكومة القيصريّة .

وفي عام ١٨٧٨ تأسس في بطرسبرج « اتحاد العمال الروس في الشمال » وعلى رأسه النجار خالتورين والمحكم الآلي ( اجيستر ) اوبنورسكي . وقد نص برنامجهم على ارتباط اهداف الاتحاد باحزاب العمال الاشتراكية الديموقراطية في الغرب الاوروبي ، وعلى ان هدفه الاخير هو : الثورة الاشتراكية ، و « قلب نظام الدولة السياسي والاقتصادي ، ذلك النظام الجائر الى اقصى حد » . وكان ابنورسكي ، احد منظمي الاتحاد ، قد عاش رديحاً من الزمن في الخارج ، وتمرّس بنشاط الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الماركسية والاممية الاولى التي كان يقودها ماركس ، وألف العمل في هذا الميدان ، وكل هذا ترك اثره على برنامج « اتحاد العمال الروس في الشمال » . فان الاتحاد فرض على ذاته مسعى مباشراً

هو الحصول على حرية الشعب واعطاؤه حرياته السياسية ( حرية الكلام والكتابة والاجتماع الخ ... ) وكان ايضاً من مطالبه المعجلة تحديد ساعات العمل اليومي .

كان الاتحاد يضم مئتي عضو وما يقارب هذا العدد من المحبذين . فاخذ يساهم في اضرابات العمال وفي قيادتها ، فقصت الحكومة القيصرية عليه ايضاً . لكن حركة العمال ما فتئت تنمو وتكبر وتضم اليها مناطق جديدة . وقد امتاز العقد التاسع بعدد كبير من الاضرابات . ففي مدة خمس سنوات ( ١٨٨١ — ١٨٨٦ ) وقع ثمانية واربعون اضراباً ونيف اشترك فيها ثمانون ألفاً من المضربين .

وكان للاضراب العظيم الذي انفجر عام ١٨٨٥ بمصنع موروزوف في اورينغوف وزويفو ، اهمية خاصة في تاريخ الحركة الثورية .

ان هذا المصنع كان يضم ثمانية آلاف عامل ، وكانت شروط العمل تزداد فيه سوءاً ، من يوم الى يوم . فمن ١٨٨٢ حتى ١٨٨٤ انزلت الاجور خمس مرات . وفي ١٨٨٤ خفض معدها ٢٥ بالمئة دفعة واحدة . وزاد في الطين بلة ان موروزوف صاحب المصنع كان يرهق عماله بالغرامات . وثبت في المحاكمة التي عقبت الاضراب انه كان يحسم من اجر كل عامل ، عن كل روبل ، بين ثلاثين وخمسين كوبك ، غرامة تذهب الى جيب صاحب المصنع . فلما ضاق العمال ذرعاً بهذه السرقة اعلنوا الاضراب في كانون الثاني ١٨٨٥ ، وقد اعدوا له العدة . وتوفر على قيادة الاضراب عامل مجرب يدعى موييزانكو الذي كان فيما مضى عضواً في « اتحاد العمال الروس في الشمال » فافاد من ماضيه تجربة ثورية ذات شأن . وكان موييزانكو في اليوم الذي سبق الاضراب ، قد وضع بالاشتراك مع فريق من رفاقه النساجين الاكثر وعياً ، بياناً بمطالبهم وافق عليه العمال في اجتماع عقدوه سراً . وقد طلبوا فيه ، بالدرجة الاولى ، الكف عن سلبهم بفرض الغرامات عليهم .

لقد قمع الاضراب بقوة السلاح ، واعتقل ما ينيف على ستاية عامل اهيل  
عشرات منهم الى القضاء .

وقامت اضرابات بمائة سنة ١٨٨٥ في مصانع ايفانوفو — فوزنيسانسك.  
وفي السنة التالية ، رأت الحكومة القيصرية ، وقد راعها تعاظم حركة  
العمال ، ان لا مندوحة لها عن تشريع يتناول قضية الغرامات . فنص هذا  
القانون على ان المبالغ التي تجمع من فرض الغرامات ، لا يسوغ ان  
يستخدمها صاحب المصنع ، بل يجب ان ترصد لسد حاجات العمال انفسهم .  
وادرك العمال من تجارب اضراب موروزوف وسائر الاضرابات ، ان  
يوسعهم الحصول على كثير من حقوقهم ، عن طريق النضال المنظم . ونبغ في  
وسط حركة العمال قادة ومنظمون ذوو كفاءة دافعوا بحزم عن مصالح  
الطبقة العاملة .

وفي الوقت نفسه ، اخذت طلائع المنظمات الماركسية ، بفضل صعود حركة  
العمال في روسيا ، وبتأثير حركة العمال في الغرب الاوروي ، تظهر في البلاد .



## ٢ - الشعبية والماركسية في روسيا - بليخانوف وفرقته « تحرير العمل » - نضال بليخانوف ضد الشعبية - انتشار الماركسية في روسيا

قبل ظهور الفرق الماركسية ، كان النشاط الثوري يقوم به الشعبيون  
خصوصاً الماركسية .

نشأت الفرقة الماركسية الاولى عام ١٨٨٣ وهي فرقة « تحرير العمل »  
التي نظمها ج . ف . بليخانوف في الخارج ، بجنيف التي لجأ اليها مضطراً ، كي  
ينجو من اضطهاد الحكومة القيصرية اياه ، بسبب نشاطه الثوري .  
وكان بليخانوف نفسه قبلئذ شعبياً . لكن عندما تعرف الى الماركسية في

هجرته ، ترك الشعبية واصبح وجهاً بارزاً بين دعاة الماركسية .  
لقد بذلت فرقة « تحرير العمل » جهداً كبيراً لنشر الماركسية في روسيا ،  
فترجمت عدة مؤلفات لماركس وانجلس الى اللغة الروسية امثال بيان الحزب  
الشيوعي ، والعمل المأجور والرأسمال ، والاشتراكية الطوباوية والاشتراكية  
العالمية وهلم جرا . وطبعتها في الخارج كي تنشر في روسيا سراً . وكذلك الف  
بليخانوف وزاسوليتش واكسلرود وغيرهم من اعضاء « فرقة تحرير العمل » سلسلة من  
الكتب بسطوا فيها مذهب ماركس وانجلس ، اي مبادئ الاشتراكية العالمية .  
كان ماركس وانجلس ، معلما البروليتاريا الكيران ، هما السابقين الى اثبات  
هذا الرأي وهو ان الاشتراكية — خلافاً لما ادعاه الاشتراكيون الطوباويون —  
ليست من اختراع الحالمين ( الطوباويين ) ، بل انها نتيجة محتومة لتطور  
المجتمع الرأسمالي الحديث . وقد برهننا على ان النظام الرأسمالي سينهار كما انهار  
من قبله نظام القنانة ، وان الرأسمالية تخلق بيديها حصار قبرها ، في شخص  
البروليتاريا . واطهر ان انتصار البروليتاريا على البورجوازية كفيل وحده  
بعق الانسانية من الرأسمالية ، وبعبارة اخرى : من الاستعمار .

لقد علم ماركس وانجلس البروليتاريا كيف تفقه قواها ومصالحها الطبقية ،  
وكيف تتحد في مناجزة البورجوازية النضال الحاسم الذي يقود الى النصر .  
ولقد كشف ماركس وانجلس عن سنن تطور المجتمع الرأسمالي ، فبرهننا علمياً  
على ان غو المجتمع الرأسمالي والنضال الطبقي في هذا المجتمع سيؤديان الى انهيار  
الرأسمالية ، اي الى انتصار البروليتاريا والى ديكتاتورية البروليتاريا .

وكان ماركس وانجلس يذهبان في تعليمها الى ان الانعقاد من سلطان  
الرأسمال ، وتحويل الملكية الرأسمالية الى ملكية اجتماعية ، لا يمكن ان يتحققا  
بالطرق السلمية ، وان الطبقة العاملة لن تستطيع بلوغ هدفها إلا باستعمال العنف  
الثوري ضد البورجوازية ، اي بالثورة البروليتارية ، وبفرض سلطانها السياسي ،  
او ديكتاتورية البروليتاريا التي ينبغي عليها القضاء على كل مقاومة من  
المستثمرين وخلق مجتمع جديد ، هو المجتمع الشيوعي بلا طبقات .

كان ماركس والمجلس 'يعلمان ان البروليتاريا الصناعية هي الطبقة الثورية اصلاً ، وبالتالي اكثر الطبقات تقدماً في المجتمع الرأسمالي ، وان ما من طبقة خلا البروليتاريا تستطيع ان تكتل حولها جميع القوى النافذة على الرأسمالية ، ثم تقودها الى مهاجمة الرأسمالية . لكن لا بد ، للتغلب على العالم القديم وخلق مجتمع جديد من غير طبقات ، ان يكون للبروليتاريا حزبا الخاص : حزب للعمال وهو الذي كان يسميه ماركس والمجلس بالحزب الشيوعي .

نشر آراء ماركس والمجلس : تلك هي المهمة التي اضطلعت بها الفرقة الماركسية الروسية الاولى ، فرقة بليخانوف : « تحرير العمل » .

لما بدأت فرقة « تحرير العمل » نضالها في سبيل الماركسية ، في الصحف الروسية المطبوعة في الخارج ، لم تكن الحركة الاشتراكية الديمقراطية قد وجدت في روسيا . فكان ضرورياً قبل كل شيء ، شق الطريق لهذه الحركة في الميدان النظري او الفكري . وكان اول الحواجز التي تحول في الميدان الفكري دون انتشار الماركسية وغو الحركة الاشتراكية الديمقراطية عهد ذاك ، النظريات التي جاء بها دعاة الشعبية التي سيطرت على اذهان العمال المتقدمين ، والمتقنين المشبعين روحاً ثورية .

وبنمو الرأسمالية في روسيا ، اخذت الطبقة العاملة تتحول الى قوة طليعية ذات وزن ، قادرة على القيام بنضال ثوري منظم . لكن الشعبين لم يكونوا يدركون مهمة الطبقة العاملة من حيث هي طليعة . كانت الشعبون الروس يذهبون خطأ الى ان القوة الثورية الرئيسية هي جماهير الفلاحين لا طبقة العمال ، وان في الامكان ذلك سلطان القيصر وكبار ملاكي الاراضي ، بحركات « التمرد » يقوم بها الفلاحون وحدهم . لم يكن الشعبون يعرفون الطبقة العاملة ، او يدركون ان ليس بوسع الفلاحين وحدهم التغلب على القيصرية وعلى كبار ملاكي الاراضي ، ما لم يحالفوا الطبقة العاملة ، وينضوا تحت لوائها . لم يفتن الشعبون الى ان طبقة العمال ، هي اشد طبقات المجتمع ثورية ، واسبقها في مضمار التقدم .

عمل الشعيون بادىء بدء على جر الفلاحين الى مناضلة الحكومة القيصريّة .  
لهذا اخذ الشباب المثقف الثوري يرتدي ملابس الفلاحين ويؤم الارياض «آتياً  
الى الشعب» كما كانوا يقولون يومذاك . ومن هنا الاسم الذي دعوا به وهو  
«الشعيون» . سوى ان الفلاحين لم يتبعوهم ، لانهم لم يكونوا هم انفسهم  
يعرفون الفلاحين او يفهمونهم . وقد اعتقلت الشرطة اكثر الشعيين . فقرر  
الشعيون مواصلة النضال ضد الاوتوقراطية القيصريّة بقواهم وحدها ، دون  
الاعتماد على الشعب ، الامر الذي ادى بهم الى الوقوع في اخطاء افدح .

اعدت الجمعية السرية «نارودنايا فوليا» (اي : ارادة الشعب) العدة لاغتيال  
القيصر . وفي اول آذار ١٨٨١ قتل اعضاء الجمعية القيصر اسكندر الثاني بقتلة .  
لكن هذا العمل لم يعد على الشعب باي جدوى ، اذ لم يكن من المستطاع ذلك  
الاوتوقراطية القيصريّة ، ولا القضاء على طبقة كبار ملاكي الاراضي ، بقتل  
بعض الافراد . فقد قام مقام القيصر المقتول قيصر آخر هو اسكندر الثالث  
الذي اصبحت حياة العمال والفلاحين في عهده امرّ واسوأ حالا .

ان الطريق التي اختارها الشعيون لمكافحة القيصريّة ، طريق الاغتيال الفردي  
والارهاب الفردي ، كانت طريقاً غير رشيدة ، مضرّة بالثورة . وكانت سياسة  
الارهاب الفردي هذه مستوحاة من نظرية الشعيين الفاسدة : نظرية «الابطال  
الفاعلين» و «الجماهير المنفعلة» التي تترقب مآثر اولئك «الابطال» المجيدة .  
وكان اصحاب هذا الرأي يزعمون ان الاشخاص المختارين او الممتازين هم وحدهم  
يصنعون التاريخ بينما الجمهور ، او الشعب ، او الطبقة ، او «السواد الاعظم» ،  
على حد تعبير الكتاب الشعيين المفعم ازدياءاً ، عاجزة عن اتيان اعمال تقوم  
على الوعي والتنظيم ، فلا يسمها الا ان تنقاد «للابطال» انقياداً اعمى . لذلك  
عدل الشعيون عن عملهم الثوري الجماهيري بين الفلاحين والطبقة العاملة ،  
وانصرفوا الى طريقة الارهاب الفردي . وقد جر الشعيون احد كبار الثوريين  
عهد ذاك ، وهو اسطفان خالتورين ، الى ترك عمله التنظيمي في اتحاد العمال  
الثوري ، لينصرف بكيّته الى خطة الارهاب .



ان الشعبين كانوا يصرفون أذهان العمال عن مكافحة طبقة المضطهدين ، باغتيال افراد ممثين لهذه الطبقة ، دون اي جدوى للثورة . فكانوا بذلك يعيقون نمو المبادرة الثورية والنشاط لدى طبقة العمال و جماهير الفلاحين . كان الشعبون يحولون بين الطبقة العاملة وبين ادراك المهمة التي يجب ان تضطلع بها هذه الطبقة في الحركة الثورية . وكانوا ايضاً يعيقون المساعي الرامية الى ايجاد حزب مستقل لطبقة العمال .

ورغم ان الحكومة القيصرية حطمت منظمة الشعبين السرية فالاراء التي بثها الشعبون ظلت مدة طويلة راسخة في افهام المتقين ذوي الروح الثوري . واستمرت البقية الباقية من الشعبين على مقاومة نشر الماركسية في روسيا ، والحيولة بين الطبقة العاملة وبين تنظيم صفوفها . لهذا لم يكن بوسع الماركسية ان تنمو وتقوى في روسيا الا بمكافحة الشعبية . وان فرقة « تحرير العمل » هي التي تولت دحض نظريات الشعبين الخاطئة ، والكشف عن الاضرار التي ينزلها مذهبهم واساليب نضالهم ، بحركة العمال .

واوضح بليخانوف في ردوده على الشعبين ان آراءهم لا تمت باية صلة الى الاشتراكية العلمية ، رغم اتعالمهم اسم الاشتراكيين . كان بليخانوف اول من انتقد آراء الشعبين انتقاداً ماركسياً . وقد بسط ، وهو ينزل بها ضرباته الصائبة ، دفاعاً باهراً عن الآراء الماركسية .

فما هي اخطاء الشعبين الرئيسية التي انزل بها بليخانوف ضرباته القاسية ؟  
اولاً : ان الشعبين اكدوا ان الرأسمالية في روسيا حادت « عرضي » وانها لن تنمو . وعلى هذا فالبروليتاريا هي ايضاً لن يعظم شأنها ولن تتطور في هذه البلاد .

ثانياً : لم يكن الشعبون ينظرون الى الطبقة العاملة على انها طليعة الحركة الثورية ، بل كانوا يحملون بتحقيق الاشتراكية بدون البروليتاريا . ان القوة الرئيسية في الثورة هي في نظرهم جماهير الفلاحين يقودها اهل الثقافة ، و « المشاعة » الزراعية التي كانوا يعدونها نواة النظام الاشتراكي واساسه .

ثالثاً : ان الشعبين كانوا يذهبون مذهباً خاطئاً وضاراً ، في سير التاريخ الانساني . فقد كانوا يجهلون قوانين التطور الاقتصادي والسياسي للجموع ، ولا يفهمونها . كانوا من هذه الناحية اناساً متأخرين جداً . فالتاريخ في نظرهم لم يكن من صنع الطبقات ونضال الطبقات ، بل من صنع نخبة من الشخصيات الممتازة او « الابطال » الذين يتبعهم الجمهور ، او « العامة » او الشعب ، او الطبقات بعيون مغبضة .

لقد وضع بليخانوف ، وهو يناضل الشعبين ويفضح اخطاءهم ، سلسلة من المؤلفات الماركسية عادت بالنفع الجليل على الماركسيين في روسيا . وان بعض هذه المؤلفات ، امثال الاشتراكية والنضال السياسي ، واختلافاتنا ، ودراسة حول تطور المفهوم الواحداني للتاريخ ، قد مهدت السبيل لظفر الماركسية في روسيا .

لقد بسط بليخانوف في تلك المؤلفات ، قضايا اساسية في الماركسية وادى كتابه : دراسة حول تطور المفهوم الواحداني للتاريخ المنشور سنة ١٨٩٠ ، مهمة خطيرة جداً . قال لينين ان هذا الكتاب « تقف جيلاً بكامله من الماركسيين الروس . » ( لينين — مجموعة تآليفه ، المجلد ١٤ ص ٣٤٧ من الطبعة الروسية ) .

اثبت بليخانوف في ردوده على الشعبين ان من الخطل في الرأي طرح السؤال كما يطرحونه : ايجب ام لا يجب ان تتطور الرأسمالية في روسيا ؟ فكأن بليخانوف يقول مستشهداً بالوقائع : « الحقيقة هي ان روسيا قد دخلت منذ زمن ، في طريق التطور الرأسمالي ، وليس بوسع اية قوة ان تحولها عنه . »

لم تكن مهمة الثوريين اعاقا التطور الرأسمالي في روسيا ، على انهم لو حاولوا ذلك لما وجدوا اليه سبيلاً . لقد كانت مهمة الثوريين الاستناد الى القوة الثورية التي تولدها الرأسمالية في مجرى تطورها ، اي الى الطبقة العاملة ، وتغذية الوعي الطبقي فيها ، وتنظيمها ومساعدتها على ايجاد حزبها الخاص ، حزب العمال .

دحض بليخانوف رأياً أساسياً آخر ليس أبعد عن الخطأ من سائر الآراء التي جاء بها الشعيون، هو إنكار دور البروليتاريا من حيث هي طبيعة في النضال الثوري، فكان الشعيون يعتبرون ظهور البروليتاريا في روسيا ضرباً من «الكبات» التاريخية، ويسمون في كتاباتهم «القرحة البروليتارية». فاثبت بليخانوف في دفاعه عن الماركسية وفي اظهار موافقتها لروسيا، ان من الواجب على الثوريين، رغم تفوق الفلاحين عدداً وقلة عدد العمال نسبياً، اناطة املمهم الرئيسي بالبروليتاريا وبنموها.

ولماذا بالبروليتاريا خاصة ؟

لان البروليتاريا، رغم قلة عددها في الحاضر، هي الطبقة الكادحة المرتبطة باكثر الاشكال الاقتصادية تقدماً، اي انها مرتبطة بالانتاج الكبير، الامر الذي يجعل لها في المستقبل الشأن الاول.

ولان البروليتاريا تنمو كطبقة، عامماً بعد عام، وتتطور سياسياً، وتتقبل التنظيم في سر، بحكم ظروف العمل في الانتاج الكبير، ولانها ثورية اصلاً وبالدرجة الاولى لمجرد وضعها البروليتاري، اذ انها لن تحسر في الثورة الا السلاسل والقيود.

وليس هذا شأن الفلاحين.

فجماهير الفلاحين (وكانت عهد ذاك مؤلفة من مزارعين منفردين) هي رغم كثرة عددها، الطبقة الكادحة المرتبطة باشد اشكال الاقتصاد تأخراً، وهو الانتاج الصغير. وعلى هذا لم يكن لها ولا يمكن ان يكون لها، مستقبل عظيم.

ولم تكن جماهير الفلاحين عاجزة عن النمو كطبقة فحسب، بل كانت ايضاً تتجزأ، عامماً فعاماً، الى بورجوازية (كولاك) والى فلاحين فقراء (بروليتاريين وانصاف بروليتاريين). ثم ان الفلاحين، لعلة عدم تكتلمهم، وبحكم وضعهم كلاكين صغار، لا يتقبلون التنظيم بمثل السهولة التي تتقبله البروليتاريا، ولا يتبعون الحركة الثورية بمثل السرعة التي يتبعها العمال.

كان الشعيون يزعمون ان الاشتراكية في روسيا لن تتحقق على يد ديكتاتورية البروليتاريا ، بل بواسطة المشاعة الفلاحية التي كانوا يعدونها نواة الاشتراكية واساسها ، لكن هذه المشاعة لم تكن ، وليس بالمستطاع ، جعلها اساس الاشتراكية ونواتها ، مادام المسيطرون فيها هم الكولاك الذين كانوا حقاً كالمخافيش ، يستثمرون الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين وصغار الملاكين ، ويمتصون دمائهم . ان الملكية المشاعة التي كان يقرها القانون عندئذ ، واعادة توزيع الارض التي كانت تحصل زمناً بعد زمن وفقاً لعدد الانفس ، لم يكن من شأنها ان يبدل الحالة في شيء . فالذين كانوا يستغلون الارض ، بين اعضاء المشاعة ، هم الذين يملكون حيوانات للعمل وآلات زراعية وبذاراً ، اي الفلاحون الميسورون والكولاك . اما الفلاحون الذين لا خيل عندهم ، او الفلاحون الفقراء ، وصغار الفلاحين بصورة عامة ، فكانوا مضطرين الى تسليم ارضهم للكولاك ، ثم يذهبون ليؤجروا انفسهم ويشغلوا بالمياومة . لقد كانت المشاعة الفلاحية في الحقيقة شكلاً مناسباً تتستر وراءه سيطرة الكولاك وكانت ، في يد الحكم القيصري ، وسيلة قليلة الكلفة لحل الفلاحين على تأدية الضرائب على قاعدة التكافل والتضامن . لهذا كانت القيصرية تتورع عن التعرض للمشاعة الفلاحية بسوء . ولهذا ايضاً كانت من المضحك اعتبار تلك المشاعة نواة للاشتراكية واساساً لها .

ودحض بليخانوف رأياً اساسياً ثالثاً لا يقل خطلاً عن سواه من اراء الشعيين ، وهو رأيهم في الشأن العظيم الذي يعزى لـ «الأبطال» او لصفوة من الافراد الممتازين في التطور الاجتماعي ، والاثر الذي تحدثه افكارهم ، ومقابل ذلك ، الشأن التافه الذي يعزى للجماهير او « العامة » او الشعب او الطبقات . وكان بليخانوف يتهم الشعيين بالمثالية ، مثبتاً ان الحق ليس بجانب المثالية ، بل بجانب مادية ماركس وانجلس .

بسط بليخانوف المادية الماركسية ودافع عن وجهة نظرها ، وبرهن بوحى هذا المذهب على ان تطور المجتمع لا ينشأ في النتيجة عن امباني طائفة من

الافراد الممتازين ولا عن آرائهم ، وانما ينشأ عن تطور الشروط المادية لوجود المجتمع ، وعن التغير في اسلوب انتاج المقتنيات المادية الضرورية لوجود المجتمع ، وعن تبدل العلاقات بين الطبقات في ميدان انتاج المقتنيات المادية ، وعن النضال بين الطبقات حول دور كل منها ومكانه في ميدان انتاج المقتنيات المادية وتوزيعها . فليست الافكار هي التي تسبب حالة البشر الاقتصادية والاجتماعية ، بل ان حالة البشر الاقتصادية والاجتماعية هي التي تسبب افكارهم . وان الافراد الممتازين قد لا يكون لهم شأن مطلقاً اذا جاءت امانيتهم وافكارهم على عكس تطور المجتمع الاقتصادي وعلى عكس ضرورات الطبقة التي تؤلف طليعة الحركة التقدمية . اما اذا كانت افكار هؤلاء الافراد وامنيتهم تفصح حقاً عن ضرورات التطور الاقتصادي في المجتمع ، وعن ضرورات الطبقة التقدمية فيه ، فبوسعهم ان يكونوا اشخاصاً ذوي اثر .

كان الشعيون يزعمون ان الجماهير «رعاع» وان الابطال وحدهم يضعون التاريخ ، ويحيلون الرعاع امة او شعباً . فرد عليهم الماركسيون قائلين : ليس الابطال هم الذين يصنعون التاريخ ، بل ان التاريخ هو الذي يصنع الابطال ، وبالنتيجة ليس الابطال الذين يخلقون الشعب ، بل ان الشعب هو الذي يخلق الابطال ويدفع التاريخ في سبيل التقدم . ولن يكون للابطال وللافراد الممتازين شأن يؤبه له ، في حياة المجتمع ، الا بقدر ما يسهم اكتناؤه شروط التطور في المجتمع ومعرفة طرق تحسينها ، اكتناؤها صحيحاً ومعرفة حقة . قد يكون اولئك الابطال او الافراد الممتازون اناساً فاضلين جديرين بالسخرية والاستفراق ، ولا خير منهم يرجى ، اذا لم يستطيعوا فهم شروط تطور المجتمع فهماً صحيحاً ، فوقفوا في وجه ضرورات المجتمع التاريخية ، واهين بانهم هم «صانعو» التاريخ .

وبالواقع ، الى هذا الفريق من اصحاب البطولة الفاشلة كان ينتمي الشعيون .

لقد نال بليخانوف ، بكتابات ونضاله ، من نفوذ الشعيين في اوساط المثقفين

الثوريين . لكن لم يلحق بالشعبية كمذهب فكري الهزيمة القاضية . وبقيت هذه المهمة ، مهمة الاجهاز على المذهب الشعبي ، كخصم للماركسية ، من نصيب لينين .

ان اغلبية الشعبين ، بعد سحق الحزب المعروف بنارودنايا فوليا بقليل ، اعتزلت النضال الثوري ضد الحكومة القيصرية ، واخذت تبشر بضرورة الاتفاق والتفاهم واياها ، حتى امسى الشعبيون في العقدين التاسع والعاشر من القرن الماضي هم المتكلمون باسم الكولاك والمدافعون عن مصالحهم .

وقد وضعت فرقة « تحرير العمل » مشروعي منهاج للاشتراكيين الديموقراطيين الروس ( المشروع الاول سنة ١٨٨٤ والثاني سنة ١٨٨٧ ) فكان ذلك خطوة هامة جداً نحو انشاء حزب اشتراكي ديموقراطي ماركسي في روسيا .

لكن فرقة « تحرير العمل » ارتكبت هي ايضاً اخطاء جسيمة . ففي مشروع برنامجها الاول بقايا من آراء الشعبين . فهو يوافق على خطة الارهاب الفردي ، عدا ان بليخانوف لم يدرك ان البروليتاريا في الحركة الثورية ، تستطيع ويتحتم عليها ان تجر وراءها طبقة الفلاحين ، وان البروليتاريا باتحادها فقط مع الفلاحين ، يمكنها ان تنتصر على الحكم القيصري . ثم ان بليخانوف كان يعتبر البورجوازية الحرة قوة من شأنها مد يد المعونة الى الثورة وإن بصورة عارضة . اما طبقة الفلاحين فلم يكن لها في بعض كتاباته اي شأن . كان يقول مثلاً :

« لسنا نعرف ، فيما خلا البورجوازية والبروليتاريا ، قوى اجتماعية اخرى يمكن الاستناد اليها في الاتفاقات لاجل المعارضة او الثورة » ( بليخانوف : المؤلفات الكاملة . المجلد ٣ ص ١١٩ من الطبعة الروسية ) .

فآراء بليخانوف الخاطئة هذه كانت تم عن جرثومة نظرياته المنشيفية المقبلة . كذلك لم يكن لفرقة « تحرير العمل » ولا الحلقات الماركسية في ذلك العهد ، اي اتصال فعلي بحركة العمال . فقد كانت روسيا بعد ، في مرحلة ظهور

واثبت المذهب الماركسي والآراء الماركسية ومبادئ المنهاج الاشتراكي الديمقراطي . وفي خلال السنوات العشر ١٨٨٤ - ١٨٩٤ لم يكن للاشتراكية الديمقراطية وجود الا في شكل فرق وحلقات صغيرة غير مرتبطة مطلقاً ، او ضعيفة الارتباط بحركة جماهير العمال . كانت الاشتراكية الديمقراطية - كطفل لما يولد لكن ينمو في بطن امه - تتجاز ، على حد قول لينين « طور النمو الرحيمي » .

ويشير لينين الى ان فرقة « تحرير العمل » لم تؤسس الاشتراكية الا نظرياً ، ولم تخط الا خطوة اولى نحو حركة العمال .

فلينين هو الذي سيضطلع بمثل مشكلة اندماج الماركسية بحركة العمال في روسيا ، كما انه هو الذي سينهض بعبء اصلاح الاخطاء التي اقترفتها فرقة « تحرير العمل » .



### ٣ - طلائع نشاط لينين الثوري - « اتحاد النضال

#### لتحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرج

ولد فلاديمير ايليتش لينين (اوليانوف) ، مؤسس البلشفية ، في سيمبرسك (وتدعى اليوم اوليانوفسك) سنة ١٨٧٠ . والتحق لينين بجامعة قازان سنة ١٨٨٧ ، لكن ما لبث حتى اعتقل وطرد من الجامعة لمساهمة في حركة الطلاب الثورية . وكان لينين قد انضم في قازان الى حلقة ماركسية انشأها فيدوسايف . ولم يكد يستقر بلنين المقام في سمارة حتى جمع حوله اول حلقة ماركسية في المدينة ، ومنذ ذلك العهد كان موضع دهشة الناس جميعاً لجودة فهمه الماركسية .

وفي ختام عام ١٨٩٣ ذهب لينين الى بطرسبرج ليقم بها ، فحدث في نفوس اعضاء الحلقات الماركسية ببطرسبرج ، منذ تدخلاته الاولى ، ابلغ اثر . ان تعمقه في فهم المذهب الماركسي ، وكفاءته في تطبيق الماركسية

على الحالة الاقتصادية والسياسية في روسيا الحديثة ، وإيمانه الراسخ بانتصار قضية العمال ، ومواهبه البارزة للتنظيم ، كل هذه المزايا جعلت من لينين زعيم الماركسيين في بطرسبرج ، وقائدهم غير منازع .

كان لينين محبوباً جداً من عمال الطبقة الذين كانوا يرتادون الحلقات التي يعلم فيها . قال بابوشكين في صدد محاضرات لينين في حلقات العمال :

« لقد كانت دروسنا تمتاز بالاهتمام الذي تثيره في النفوس . وكنا جميعاً مسرورين جداً لهذه المحاضرات ، معجبين دائماً بذلكاء محاضرينا . »

وفي سنة ١٨٩٥ ضم لينين جميع حلقات العمال الماركسية في بطرسبرج ( وكان عددها يقارب العشرين ) في « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » وهكذا مهد لتأسيس حزب للعمال ثوري ماركسي .

كان لينين يوجب على « اتحاد النضال » القيام بمهمة الاتصال بحركة العمال الجماهيرية اتصالاً وثيقاً ، والاضطلاع بقيادتها السياسية ، ذاهباً الى ضرورة الانتقال من طور الدعوة الى الماركسية بين نفر قليل من العمال المتقدمين المجتمعين في حلقات دعاية ، الى طور التحريض السياسي في صدد الشؤون الجارية ، بين الجماهير الغفيرة من الطبقة العاملة . وقد كان لهذا الانعطاف نحو التحريض الجماهيري شأن كبير في تطور حركة العمال في روسيا .

بعد عام ١٨٩٠ دخلت الصناعة في دور نهوض ، وازداد عدد العمال وامتد جبركتهم . فبين عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٩ اضرب عن العمل ، كما يستدل من معلومات غير مستوفاة ، ٢٢١.٠٠٠ عامل ونيف . واصبحت حركة العمال قوة ذات وزن في حياة البلاد السياسية ، واثبت الاختبار صواب الآراء التي كان الماركسيون يدافعون عنها ، في مناضلتهم الفرقة الشعبية ، حول المهمة الملقة على عاتق الطبقة العاملة باعتبارها طليعة الحركة الثورية .

وبقيادة لينين كان « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » يربط نضال العمال من اجل المطالب الاقتصادية — تحسين شروط العمل وتخفيض ساعات العمل اليومي وزيادة الاجور — بالنضال السياسي ضد الحكم القيصري . وهكذا



اخذ « اتحاد النضال » في تثقيف العمال سياسياً .

كان « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرج بقيادة لينين اول من حقق في روسيا اندماج الاشتراكية بحركة العمال . فكان « اتحاد النضال » اذا قام اضراب في معمل ما ، مطلعاً اوفى اطلاق على حالة المعامل ، بواسطة اعضاء حلقاته . ولذلك كان يبادر الى طبع النشرات والنداءات الاشتراكية ، كاشفاً الستار عما يلقاه العمال من ضروب الاضطهاد من جانب اصحاب المعامل ، شارحاً كيف يجب ان يناضلوا دفاعاً عن مصالحهم ، باسطاً مطالبهم ، وكانت هذه النشرات تظهر مجلاء ، مساوئ الرأسمالية ، وبؤس العمال ، وعلمهم المضي ١٢ - ١٥ ساعة ، وحالتهم التي لا تميز عن حالة المنبوذين . وكانت تتضمن ايضاً مطالبهم السياسية الملائمة : وفي آخر سنة ١٨٩٤ كتب لينين بالاشتراك مع العامل بابوشكين ، اولى تلك النشرات التحريضية ، وفيها نداء الى العمال المضربين في معمل سيميانيكوف ببطرسبرج . وفي خريف ١٨٩٥ وجه لينين نداء الى العمال والعمالات المضربين في مصنع ثورنتون . كان هذا المصنع يخص اناساً من الانكليز وكانوا يربحون الملايين . وكانت ساعات العمل اليومي بالغة ١٤ ساعة ، ولا تريد اجرة النساج الشهرية على ٧ روبلات ، وقد انتهى الاضراب بفوز العمال . وفي خلال مدة قصيرة طبع « اتحاد النضال » عشرات من هذه المنشائر الى عمال مصانع متعددة . فكان كل منشور منها يقوي معنويات العمال الى حد بعيد ، وكان هؤلاء يشعرون بان الاشتراكيين يساعدونهم ويدافعون عنهم .

وفي صيف ١٨٩٦ قام في بطرسبرج ، بقيادة « اتحاد النضال » ، اضراب اشترك فيه ثلاثون الف عامل من عمال النسيج . وكان مطلبهم الرئيسي انقاص ساعات العمل . فسنت الحكومة القيصرية ، مدفوعة بهذا الاضراب ، قانون ٢ حزيران ١٨٩٧ الذي يحدد يوم العمل باحدى عشر ساعة ونصف الساعة ، ولم يكن قبل هذا القانون ، ليوم العمل بوجه العموم ، حد ما .

وفي كانون الاول سنة ١٨٩٥ اعتقلت الحكومة القيصرية لينين ، فتابع

نضاله الثوري حتى من السجن ، اذ كان يمد « اتحاد النضال » بنصائحه وارشاداته ، ويرسل الكراريس والنشرات من حبسه . وفي ذلك العهد كتب كراسه : **في الاضرابات ومنشوره : الى الحكومة المصرية** الذي فضح فيه استبداد الحكومة الفظيع . وفي السجن ايضاً كتب لينين مشروع منهج (برنامج) الحزب (كتبه بالجليب بين سطور مؤلف طبي) .

ولقد ساعد « اتحاد النضال » في بطرسبرج مساعدة فعالة في جمع حلقات العمال في الاتحادات بمائة له ، في مدن روسيا ومناطقها الاخرى . وفي اواسط العقد العاشر ظهرت منظمات ماركسية عبر القفقاس . وسنة ١٨٩٤ انشئ « اتحاد العمال في موسكو » وفي اواخر العقد العاشر انشئ « الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي » في سيبيريا . وخلال العقد العاشر ظهرت في «ايفانوفو فوزنيسانسك» ، و «ياروسلاف» ، و «كوستروما» فرق ماركسية تألف منها فيما بعد « اتحاد الشمال للحزب الاشتراكي الديمقراطي » . ومنذ عام ١٨٩٥ اخذت تتنظم فرق واتحادات اشتراكية ديمقراطية في «روستوف على الدون» وفي «بيكاترينوسلاف» ، و «كييف» و «تقولايف» ، و «تولا» ، و «سامارا» ، و «قازان» ، و «اوريجوفو زوففو» ومدن اخرى .

وتقوم اهمية « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرج على كونه ، كما قال لينين ، اول نواة جديده لحزب ثوري مستند الى حركة العمال .

ومن التجربة الثورية التي اجتازها «اتحاد النضال» في بطرسبرج سيستوحي لينين خطته فيما بعد ، عاملاً على تأسيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الماركسي في روسيا .

بعد اعتقال لينين واقرب رفاقه بالسلاج ، حدث تغيير ملحوظ في اتجاه «اتحاد النضال» في بطرسبرج . فظهر اناس جدد تسموا بـ «الشباب» ناغتين لينين ورفاقه في النضال بكلمة «الشيوخ» . واخذ هؤلاء «الشباب»

يتبعون خطة سياسية خاطئة ، قائلين انه يجب ان لا يُدعى العمال الا الى النضال الاقتصادي ضد ارباب العمل . اما النضال السياسي فهو من خصائص البورجوازية الحرة ، وعليها هي ، ان تتولى قيادته .  
وقد اطلق على هؤلاء الاناس اسم « الاقتصاديين » ومن هذا الفريق نجحت في صفوف المنظمات الماركسية في روسيا ، اول جماعة من دعاة التفاهم ، او الانتهازين .

•  
٤ — نضال لينين ضد الشعبية و « الماركسية  
المشروعة » — رأي لينين في تحالف الطبقة  
العاملة والفلاحين — المؤتمر الاول لحزب العمال  
الاشتراكي الديمقراطي في روسيا

على الرغم من ان بليخانوف انزل خلال ١٨٨٠ — ١٨٩٠ ضربة قاسية بمجموعة الآراء والمبادئ الشعبية ، فقد ظلت تلك الآراء والمبادئ متمتعة حتى بعد سنة ١٨٩٠ بعطف بعض الشباب الثوري . كان بين الشباب من لا يزال يعتقد بان في وسع روسيا تجنب طريق التطور الرأسمالي ، وان الدور الرئيسي في الثورة سيكون للفلاحين ، لا للطبقة العاملة . وكان من بقي من الشعبين يعملون بكل وسيلة ، على منع انتشار الماركسية في روسيا ، فشهروا المقاومة على الماركسيين وحاولوا تسويد صفحاتهم بمختلف السبل . واذاً ، فكان من المهم تحطيم الشعبية تحطيماً نهائياً في الميدان الفكري لتوكيد انتشار الماركسية ، ولتمكين من ايجاد حزب اشتراكي ديمقراطي .  
وان لينين هو الذي قام بهذه المهمة .

وفي الكتاب الذي نشره سنة ١٨٩٤ بعنوان : من هم « اصدقاء الشعب » وكيف يحاربون الاشتراكيين الديمقراطيين ؟ ، كشف لينين القناع عن وجه الشعبين « اصدقاء الشعب » الزائفين ، الذين كانوا يعملون في الواقع

ضد الشعب .

ذلك ان شعبي ١٨٩٠ - ١٩٠٠ كانوا في الحقيقة قد اعتزلوا منذ امد بعيد ، كل نضال ثوري ضد الحكومة القيصرية واخذ الشعبيون الاحرار يدعون الى التفاهم مع الحكومة القيصرية فقال لينين في كلامه عن شعبي ذلك العهد :

« انهم يعتقدون بكل بساطة ان بوسع الحكومة تسوية كل الامور على ما يرام ، اذا طلب منها ذلك بالحسن وبشيء من اللطف » ( لينين : مجموعة مؤلفاته . المجلد ١ ص ١٦١ من الطبعة الروسية ) .

كان شعبيو ١٨٩٠ - ١٩٠٠ يغمضون عيونهم عن حالة الفلاحين الفقراء في الريف ، وعن النضال الطبقي في القرية حيث يستثمر الكولاك الفلاحين الفقراء . وكانوا يتغنون بازدهار الاستثمار الكولاكي . فصار موقفهم يزداد في الواقع وضوحاً ، باعتبار انهم يمثلون مصالح الكولاك .

وكانوا في الوقت نفسه يحملون في مجلاتهم على الماركسيين فيزعمون ، في تحريفهم وتشويههم اراء الماركسيين الروس عن عمد ، ان الماركسيين يريدون خراب الريف ، يريدون ان « يجتاز كل موجيك (١) اتون العمل » . وقد فضح لينين هذا الانتقاد « الشعبي » المغرض وظهر ان القضية ليست قضية « رغبات » او اماني الماركسيين وانما هي حقيقة سير التطور الرأسمالي في روسيا ، التطور الذي يؤدي حتماً الى ازدياد عدد البروليتاريا ، وان هذه البروليتاريا تحفر قبر النظام الرأسمالي .

واظهر لينين ان اصدقاء الشعب حقاً ، الذين يريدون القضاء على ظلم الرأسماليين وكبار ملاكي الاراضي ، ومحو القيصرية ، انما هم الماركسيون لا الشعبيون .

وفي كتابه : من هم اصدقاء الشعب بسط لاول مرة فكرة التحالف

---

(١) - الموجيك : اي الفلاح الروسي

( هيئة التعريب )

الثوري بين العمال والفلاحين ، وهي الوسيلة الرئيسية لقلب حكومة القيصر وكبار ملاكي الاراضي والبورجوازية .

وكذلك انتقد لينين في كثير من مؤلفاته في ذلك العهد طرق النضال السياسي التي كان يسلكها جماعة الفرقة الشعبية الرئيسية وهم «نارودو نولتسي» ، ( اي اعضاء نارودنايا فوليا — « ارادة الشعب » ) والتي سيسلكها فيما بعد ، الاشتراكيون الثوريون ، خلفاء الشعبين . وانتقد بنجاسة ، خطة الارهاب الفردي . فان لينين كان يعد هذه الخطة ضارة بالحركة الثورية اذ انها كانت 'تحل كفاح الابطال الفرديين محل نضال الجماهير ، فتم بذلك عن فقد الايمان بالحركة الثورية الشعبية .

وعين لينين في مؤلفه : **من هم اصدقاء الشعب** الاهداف الاساسية للماركسيين الروسين ، قال : ان على الماركسيين الروسين باديء بدء ان ينظموا من الحلقات الماركسية المبعثرة حزباً للعمال اشتراكياً ديمقراطياً موحداً . ثم اوضح لينين ان الطبقة العاملة في روسيا هي التي ستقضي بتحالفها مع الفلاحين على الاوتوقراطية القيصرية . وبعدئذ تتبع البروليتاريا الروسية ، بالتحالف مع الجماهير الكادحة والمستثمرة ، الى جانبها البروليتاريا في الاقطار الاخرى ، الطريق المباشر للنضال السياسي الصريح ، نحو فوز الثورة الشيوعية . وهكذا اظهر لينين ، منذ اربعين سنة ونيف ، على الوجه الاكمل ، الطريق الذي يجب ان تسلكه الطبقة العاملة في نضالها وحدد مهمتها باعتبار انها الطبقة الثورية في المجتمع . ثم حدد مهمة جماهير الفلاحين باعتبار انها حليفة الطبقة العاملة .

منذ ١٨٩٠ — ١٩٠٠ ادى نضال لينين وانصاره ضد الشعبية الى اندحارها في الميدان الفكري ، اندحاراً نهائياً .

وكذلك كان لنضال لينين ضد « الماركسية المشروعة » اهمية عظيمة . وكما يتبع دائماً في سياق التاريخ ، فان بعضاً من « رفاق الدرب » يتعلقون ، لكن الى حين ، باذيال الحركات الاجتماعية الكبيرة . ومن « رفاق الدرب » هؤلاء

كان الذين اطلق عليهم اسم **الماركسيين المشروعين**. فان المثقفين البورجوازيين اخذوا، عندما انتشرت الماركسية انتشاراً واسعاً في روسيا ، يتجلبون بثوب الماركسية، ويطبعون مقالاتهم في المجلات والصحف المشروعة، اي في المجلات والصحف التي تسمح الحكومة القيصرية بصورها. ومن هنا اشتق اسم «الماركسيين المشروعين» .

اجل ، لقد كانوا يجاربون الشعبية على طريقتهم ، لكن هذه المحاربة ،.. وذلك التلويح باللواء الماركسي ، انا استخدم لاختراع حركة العمال لصالح المجتمع البورجوازي ، لمنفعة البورجوازية . فكانوا يجردون تعاليم ماركس من جوهرها الاساسي ، اي من تعاليم الثورة البروليتارية ، ودكتاتورية البروليتاريا . وكان بيوتر ستروفه وهو ابرز الماركسيين المشروعين يشيد بالبورجوازية ، وبدلاً من الدعوة الى النضال الثوري ضد الرأسمالية كان يدعو الى «الاعتراف بنقص ثقافتنا ، والى وجوب اجتياز المدرسة الرأسمالية .»

وكان لينين في مكافحته الشعبين يوافق على اتفاقات موقتة تعقد والماركسيين المشروعين للاستفادة منهم ضد الشعبين ، كأن ينشر ، مثلاً ، بالاشتراك معهم كتاباً ضد الشعبين . لكنه في الوقت نفسه ، ينتقد «الماركسيين المشروعين» انتقاداً شديداً ، ويكشف الستار عن حقيقة نزعتهم كاحرار بورجوازيين .

ان كثيرين من «رفاق الدرب» هؤلاء أصبحوا فيما بعد من جماعة «الكاديت» (١) — الحزب الرئيسي للبورجوازية الروسية — وفي خلال الحرب الاهلية من اقحاح الحرس الابيض .

الى جانب «اتحاد النضال» في بطرسبرج، وموسكو، وكييف، وسواها، اخذت تتألف منظمات اشتراكية ديموقراطية في مناطق الاقوام الاخرى ، في اطراف روسيا من الجهة الغربية. وبعد سنة ١٨٩٠ انسحبت العناصر الماركسية من الحزب القومي البولوني كي تنشئ «الحزب الاشتراكي الديموقراطي

(١) كاديت: كلمة تمثل اللفظ الصوتي لحرفي ك - د وهما في اللغة الروسية الحرفان الاولان من اسم «الدستوريين الديموقراطيين» الذين كانوا يمثلون البورجوازية الحرة في روسيا القيصرية .  
( هيئة التمريب )

في بولونيا وليتوانيا». وحوالي سنة ١٩٠٠ تألفت المنظمات الاشتراكية الديمقراطية الليتوانية. وفي تشرين الاول من سنة ١٨٩٧ انشئ في الولايات الغربية من روسيا حزب «البوند» اي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي.

وفي سنة ١٨٩٨ قام عدد من «اتحادات النضال» — اتحادات بطرسبرج وموسكو، وكييف، وبيكاترينوسلاف — ومعها البوند بمحاولة اولى للتجمع في حزب اشتراكي ديمقراطي واحد، ولهذا الغاية عقدوا في منسك في اذار ١٨٩٨ المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا (ح.ع.ا.د.ر).

ان المؤتمر الاول لـ «ح.ع.ا.د.ر» لم يضم سوى تسعة مندوبين، ولم يتمكن لينين من الحضور اذ كان عهدئذ منفياً في سيبيريا. كذلك لم تلبث لجنة الحزب المركزية التي انتخبها المؤتمر حتى اعتقلت. وكان البيان الذي صدر باسم المؤتمر يتضمن نقاط ضعف عديدة: فهو يلزم الصمت عن ضرورة استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية وعن زعامة البروليتاريا. كما انه لم يذكر شيئاً عن حلفاء البروليتاريا في مناضلتها القيصرية والبورجوازية.

واعلن المؤتمر في قراراته وبيانه، تأليف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا.

وفي هذا الصك الشكلي الذي سيكون له شأن عظيم في ميدان الدعاية الثورية، تمثل اهمية المؤتمر الاول لـ «ح.ع.ا.د.ر».

على ان انشاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي لم يتم بصورة فعلية في روسيا، رغم اجتماع هذا المؤتمر الاول. فالمؤتمر لم يتمكن من جمع الحلقات والمنظمات الماركسية، ولا ربطها بصلات تنظيمية. ولم يكن هناك خطة واحدة في مسعى المنظمات المحلية، ولا برنامج للحزب، ولا نظام داخلي له، ولا قيادة صادرة عن مركز موحد.

لهذه الاسباب ، ولاسباب اخرى ، ازداد الارتباك الفكري في المنظمات المحلية ، مما ادى الى ايجاد شروط مؤاتية لتقوية تيار انتهازية ، هو تيار « الاقتصادية » في صميم حركة العمال .

وسيضطر لينين وجريدة ايسكرا ( الشرارة ) التي أسسها ، الى بذل جهد كبير ، خلال عدة سنين ، لقمع ذلك الارتباك ، والتغلب على التموجات الانتهازية ، ولاعداد الاسباب لتكوين حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا .



## هـ - نضال لينين ضد « الاقتصادية » -

### لينين يؤسس جريدة « ايسكرا »

لم يتمكن لينين من حضور المؤتمر الاول لـ « ج.ع.ا.د.ر. » . لقد كان اذ ذاك في سيبيريا ، منفياً في قرية « شوشينسكوية » حيث ارسلته الحكومة القيصرية ، بعد ان ابقته مدة طويلة في السجن ببطرسبرج ، في قضية « اتحاد النضال » . ولكن لينين تابع نشاطه الثوري حتى في المنفى . فهناك اتم مؤلفه العلمي الكبير : تطور الرأسمالية في روسيا الذي اجهر على الشعبية في الميدان الفكري . وهناك ايضاً كتب كراسه الشهير : واجبات الاشتراكيين الديمقراطيون الروسين .

ورغم انزال لينين عن النشاط الثوري العملي والمباشر ، بقي محتفظاً حيث كان في منفاه ، بصلاته ببعض المناضلين ، فكان يكتبهم ويستطلع اخبارهم ، ويفدق عليهم ارشاداته .

والقضية التي كانت تشغل بال لينين في ذلك العهد هي قضية « الاقتصاديين » . اذ كان يدرك اكثر من اي انسان سواه ان « الاقتصادية » هي « النواة المركزية لسياسة التفاهم ، اي الانتهازية ، وان انتصار « الاقتصادية » في حركة العمال معناه القضاء على حركة البروليتاريا الثورية وانهازم الماركسية .



لهذا حمل لينين على «الاقتصاديين» منذ ذر قرنهم .  
كان «الاقتصاديون» يزعمون ان العمال مطالبون فقط بالنضال الاقتصادي .  
اما النضال السياسي فينبغي ان يترك امره للبورجوازية الحرة التي يجب على  
العمال ان يؤيدوها . فكان لينين يعد هذه الدعاية التي ييشها «الاقتصاديون»  
بمثابة جهود للماركسية ، وانكار لضرورة وجود حزب سياسي مستقل للطبقة  
العاملة ، ومحاولة ترمي الى جعل الطبقة العاملة ذليلاً سياسياً للبورجوازية .

وفي عام ١٨٩٩ اصدر بعض دعاة «الاقتصادية» ( بروكوبوفيتش  
وكوسكوف وسواهما ، وسينضم هؤلاء فيما بعد الى جماعة «الكاديت» ) بياناً  
جاهروا فيه بنحوصتهم للماركسية الثورية ، وطلبوا العدول عن تأليف حزب  
سياسي بروليتاري مستقل ، والرجوع عن المطالب السياسية المستقلة التي تنادي  
بها الطبقة العاملة . وكان «الاقتصاديون» يرون ان النضال السياسي هو من  
شؤون البورجوازية الحرة ، واما العمال فيكفيهم ان يناضلوا اصحاب العمل  
في الميدان الاقتصادي .

وعندما اطلع لينين على الوثيقة الانتهازية دعا المنفيين الماركسيين الذين  
كانوا في الجوار الى اجتماع عام ، ووضع سبعة عشر رفقاً ، على رأسهم لينين ،  
احتجاجاً فندوا فيه وجهة نظر «الاقتصاديين» .  
وهذا الاحتجاج الذي كتبه لينين اذيع في المنظمات الماركسية في روسيا  
جمعاء ، وكانت له اهمية كبيرة في تطور الفكرة الماركسية والحزب الماركسي  
في روسيا .

وكان «الاقتصاديون» الروسيون يدعون الى الافكار عينها التي كانت  
يدعو اليها خصوم الماركسية في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الخارج ،  
اولئك الذين كانوا يسمون «برنشتاينيين» اي انصار الانتهازي «برنشتاين» .  
فكان نضال لينين ضد «الاقتصاديين» والحالة هذه ، تضالاً ضد  
الانتهازية الدولية .

وجريدة ايسكورا السرية التي أسسها لينين هي التي قامت خاصة بمناضلة

« الاقتصادية » لتأليف حزب سياسي بروتاري مستقل .

وفي اوائل عام ١٩٠٠ رجع لينين وسائر اعضاء « اتحاد النضال » من المنفى الى روسيا . وكان لينين قد فكر بمشروع تأسيس جريدة ماركسية كبيرة تصدر سراً وتكون لروسيا بأسرها . ولم تكن الحلقات والمنظمات الماركسية الصغيرة والعديدة مترابطة بعد . ففي ذلك الوقت ، كما قال الرفيق ستالين ، « اذ كان العمل بالاساليب الحرفية ، وبواسطة الحلقات المنعزلة ، ينخر الحزب من قوته الى قاعدته ، والارتباك النظري هو الطابع البارز في حياة الحزب الداخلية » ، في ذلك الوقت كان اصدار جريدة سرية لروسيا بأسرها واجباً اساسياً في رأي الماركسيين الثوريين الروسين اذ ان هذه الجريدة وحدها كانت تستطيع جمع المنظمات الماركسية المبعثرة ، وربط بعضها ببعض ، وتهيئة الاسباب لتأليف حزب حقيقي .

لكن لم يكن من المستطاع اخراج مثل هذه الجريدة في روسيا القيصرية بسبب الاضطهادات البوليسية . فان من اليسير على جواسيس القيصر بعد شهر او شهرين من صدور الجريدة ، اكتشاف امرها والقضاء عليها . لذلك قرر لينين ايضاً ان يطبعها في الخارج . فكانت ايسكوا تطبع على ورق رقيق جداً ومتين جداً ، ثم تنقل سراً الى روسيا ، كما ان بعض نسخها كانت تطبع ثانية على مطابع سرية في باكو وكيشينيف وسيبيريا .

وفي خريف ١٩٠٠ سافر لينين الى الخارج ليتفاهم مع الرفاق اعضاء فرقة « تحرير العمل » على طبع جريدة سياسية لروسيا بأسرها . وكان لينين قد حرص ، وهو في منفاه ، هذه الفكرة بتفاصيلها كلها واشبعها درساً . وفيما هو راجع من سيبيريا عقد في طريقة عدة مجالس للتشاور في « اوفسا » و « بسكوف » و « موسكو » و « بطرسبرج » واتفق في كل مكان مع الرفاق على اصطلاحات خاصة للكتابة السرية ، وعلى العناوين اللازمة لارسال مطبوعات الحزب الخ... كما انه بحث في كل مكان منهاج النضال المقبل .

واخذت الحكومة القيصرية تدرك ان لها في شخص لينين عدواً خطراً جداً

وقد كتب الدركي زوباتوف عميل «الاورخانا» (١) القيصرية في تقرير سري يقول: «ليس في الثورة اعظم من اوليانوف (لينين)». وكان يرى من المناسب تدبير مؤامرة لاغتيال لينين!

وعندما وصل لينين الى الخارج اتفق مع فرقة «تحرير العمل» اي منع بليخانوف، واكسلرود، وف. زاسوليتش على طبع ايسكروا بالاشتراك واياهم. ووضع لينين مشروع النشر بمخفايه. وفي كانون الاول من سنة ١٩٠٠ صدر في الخارج العدد الاول من جريدة ايسكروا (الشرارة) وتحت عنوان الجريدة هذه الكلمة: «ان من الشرارة سيندلع الھيب» وهي مأخوذة من جواب الديسمبريين (٢) الى الشاعر بوشكين الذي كان قد ارسل اليهم، اذ كانوا في المنفى بسيبيريا، رسالة يحيم فيها.

واندلع حقاً فيما بعد من الشرارة التي اشعلها لينين، لھيب الحريق الثوري العظيم الذي حول النظام الملكي القيصري، نظام النبلاء وكبار ملاكي الاراضي، وكذلك حكم البورجوازية الى رماد.

## الخلاصة

تكون حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الماركسي في روسيا، بادىء الامر في مناضلة الشعبية ونظراتها الضالة، الضارة بقضية الثورة. ولم يمهّد السبيل لايحاد حزب عمال ماركسي في روسيا الا بعد ان انكسر الشعبون في الميدان الفكري. ففي العقد التاسع (١٨٨٠-١٨٩٠) من القرن الماضي سدّد بليخانوف وفرقته «تحرير العمل» الى الشعبية طعنة مميتة. وفي العقد العاشر (١٨٩٠-١٩٠٠) أكمل لينين دحر الشعبية فكريا واجهز عليها بضربة قاضية.

---

(١) الاورخانا: دائرة الشرطة السياسية السرية في روسيا القيصرية وقد انشأت لمكافحة الحركة الثورية.

(هيئة التعريب)

(٢) الديسمبريون: ثوريون برزوا من طبقة النبلاء وقاموا في ديسمبر (كانون الاول) ١٨٢٥ على سلطان الاوتوقراطية والقنانة.

(هيئة التعريب)

كان لفرقة « تحرير العمل » المؤسسة عام ١٨٨٣ شأن عظيم في نشر الماركسية في روسيا ، فقد وضعت اساساً نظرياً للاستراكية الديمقراطية وخطت نحو حركة العمال ، الخطوة الاولى .

وبتطور الرأسمالية في روسيا ازداد عدد البروليتاريا الصناعية بسرعة . وحوالي عام ١٨٨٥ سلكت الطبقة العاملة طريق النضال المنظم ، طريق العمل الجماهيري في شكل اضرابات منظمة . سوى ان الحلقات والفرق الماركسية لم تكن تهتم الا للدعاية ، غير مدركة ضرورة الانتقال الى التحريض الجماهيري وسط الطبقة العاملة . وهكذا لم تكن الفرق مرتبطة بعد عملياً بحركة العمال ، ولا متولية قيادتها .

ان تأسيس لينين « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرج (١٨٩٥) وهي المنظمة التي باشرت اعمال التحريض الجماهيري بين العمال وقادت الاضرابات الجماهيرية ، يعتبر فاتحة مرحلة جديدة ، مرحلة الانتقال الى خطة التحريض الجماهيري بين العمال واندماج الماركسية بحركة العمال . ان « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرج هو اول نواة للحزب البروليتاري الثوري في روسيا . وعقيب تأسيس « اتحاد النضال » في بطرسبرج انشئت منظمات للماركسيين في المراكز الصناعية الرئيسية ، وفي اطراف البلاد ايضاً .

وفي سنة ١٨٩٨ عقد المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (ح.ع.ا.د.ر) فكان بمثابة محاولة اولى ، لكن غير مشرة ، لضم المنظمات الاشتراكية جميعاً في حزب واحد . فان هذا المؤتمر لم يوفق الى تأسيس الحزب ، اذ لم يكن ثمة برنامج ، ولا نظام داخلي ، ولا قيادة صادرة عن مركز واحد ، ولا رابطة متينة بين مختلف الحلقات والفرق الماركسية . ان لينين هو الذي وضع ، ثم حقق ، مشروع انشاء ايسكوا اول جريدة للماركسيين في روسيا ، مستهدفاً جمع المنظمات الماركسية المتفرقة ودمجها في حزب واحد .

في ذلك العهد كان دعاة « الاقتصادية » الد المعارضين لاجداد حزب سياسي

موحد للعمال : كانوا ينكرون ضرورة ايجاد هذا الحزب ، يريدون ان تظل  
الفرق والحلقات مشتتة ، ومستمرة على العمل جرياً على الاساليب الحرفية .  
فسدد لينين وايسكورا التي انشأها ، الى الاقتصاديين الضربات الشديدة .  
وكان نشر اعداد ايسكورا الاولى ( ١٩٠٠-١٩٠١ ) فاتحة الانتقال  
الى عهد جديد ، عهد التكوين الفعلي لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي  
الموحد في روسيا ، من اشتات الفرق والحلقات .



## الفصل الثاني

تأليف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي<sup>(١)</sup> في روسيا  
وظهور فريقي البلشفيك والمنشفيك في داخل الحزب  
( ١٩٠١ - ١٩٠٤ )



### ١ - نهوض الحركة الثورية في روسيا ١٩٠١ - ١٩٠٤

في اواخر القرن التاسع عشر ، نشبت في اوروبا ازمة صناعية ما لبثت ان امتدت الى روسيا . فاقفل ما يقرب من ثلاثة الاف معمل من المعامل الصغيرة والكبيرة ابوابها خلال سنوات الازمة التي استمرت من عام ١٩٠٠

---

(١) حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي : هكذا كان يسمى حزب العمال في روسيا قبل الثورة السوفياتية ، اي قبل عام ١٩١٧ . وكانت جميع احزاب العمال في اوروبا تسمى ايضاً كذلك . وظهرت الاحزاب الشيوعية بعد الحرب العالمية الاولى اذ تبين خلال الحرب ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا قد اصبحت انتهازية بصورة نهائية ، وخرجت عن مبادئ الاشتراكية العلمية ، ولم تبقى صالحة لقيادة جماهير الشعب في طريق النضال الثوري لاجل انتصار الاشتراكية . ( هيئة التمريب )

الى عام ١٩٠٣ ، والقي الى قارعة الطريق اكثر من ١٠٠،٠٠٠ عامل ، وهبطت اجور العمال الباقين في المعامل هبوطاً شديداً ، واخذ الرأسماليون يستعيدون بعض الامتيازات التي كانت العمال انتزعوها منهم باضراباتهم الاقتصادية العنيدة .

الا ان الازمة الصناعية والبطالة لم توقفا حركة العمال ولم تضعفها ، بل على العكس ، اتخذ نضال العمال طابعاً ثورياً اكثر فاكثراً ، واخذ العمال ينتقلون من الاضرابات الاقتصادية الى الاضرابات السياسية ، وصاروا اخيراً يخرجون في مظاهرات ويضعون مطالب سياسية حول الحريات الديمقراطية ، ويلقون شعار : « فلتسقط الاوتوقراطية (١) القيصرية » .

وفي سنة ١٩٠١ ، تحول اضراب اول ايار في معمل « اوبوخوف » الحربي ، في بطرسبرج الى اصطدام دموي بين العمال والجيش ، ولم يكن للعمال ما يدافعون به عن انفسهم امام الجيوش القيصرية المسلحة سوى الضرب بالحجارة والقطع الحديدية ، فتحطمت مقاومتهم العنيدة ، وتلا ذلك اضطهاد وحشي ، فاعتقل ٨٠٠ عامل تقريباً ، ارسل عدد كبير منهم الى السجون والمنافي . الا ان « دفاع اوبوخوف » الباسل اثر تأثيراً عظيماً في عمال روسيا ، وأثار بينهم موجة من العطف على اخوانهم .

وفي آذار ١٩٠٢ ، وقعت في «باطوم» اضرابات كبرى وجرت مظاهرة عمال ، وقد نظمتها كلها اللجنة الاشتراكية الديمقراطية في المدينة . وقد حركت هذه المظاهرة العمال وجماهير الفلاحين عبر القفقاس .

وفي عام ١٩٠٢ نفسه ، وقع اضراب هام في مدينة «روستوف» — سور—

---

(١) الاوتوقراطية : هي الحكم الفردي المطلق ، وكان قيصر روسيا يارس مثل هذا الحكم ، فهو لا يخضع لاية رقابة من الشعب ، وارادته هي القانون .

« هيئة التعريب »

دون» ، وكان عمال سكك الحديد اول المضربين ، ثم انضم اليهم العمال في معامل عديدة . وقد حرك هذا الاضراب جميع العمال ، ففي الاجتماعات العامة التي ظلت تتعقد خلال ايام عديدة خارج المدينة ، كانت يتجمع جمهور يبلغ احياناً ثلاثين الف عامل ، فتقرأ بصوت عال النشرات الاشتراكية الديمقراطية ويتتالى الخطباء . وكانت قوى رجال الشرطة والقوزاق لا تكفي لتفريق هذه الاجتماعات التي يتزاحم فيها الوف العمال . وقتل الشرطة عدداً من العمال ، فجرت اثناء تشييعهم في اليوم التالي مظاهرة عمال ضخمة . ولم تستطع الحكومة القيصرية سحق الاضراب الا بعد استدعاء الجيش من المدن المجاورة . وكان نضال عمال « روستوف » يجري بقيادة لجنة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في منطقة حوض الدون .

وكانت الاضرابات في سنة ١٩٠٣ اهم واوسع . فقد نشبت في هذه السنة اضرابات سياسية جماهيرية في الجنوب عمت عبر القفقاس ( باكو ، تفليس ، باطوم ) واكبر مدن اوكرانيا ( اوديسا ، كياف ، بيكاترينوسلاف ) . واصبحت الاضرابات يوماً بعد يوم اقوى واحسن تنظيمياً . وكانت اللجان الاشتراكية الديمقراطية هي التي تقود هذه المرة نضال العمال السياسي في كل مكان تقريباً ، خلافاً لما كان يجري خلال حركات الطبقة العاملة في السابق .

لقد نهضت الطبقة العاملة في روسيا الى النضال الثوري ضد الحكم القيصري . وكانت حركة العمال تؤثر في الفلاحين . ففي الربيع والصيف من عام ١٩٠٢ ، قام الفلاحون في اوكرانيا ( في ولايات بولتافا وخاركوف ) وكذلك في حوض الفولغا بحركة واسعة ، فأخذوا يحرقون املاك كبار الملاكين ويستولون على اراضيهم ويقتلون الـ « زمسكي ناجالنيكي (١) » والملاكين المكروهين . وكان الجيش مجرد ضد الفلاحين المتمردين فيطلق عليهم الرصاص ويعتقل منهم المئات . وكان القادة والمنظمون يلقون في السجون ،

---

«١» زمسكي ناجالنيكي : هم نبلاء يارسون عمل الشرطة ويتمتعون بصلاحيات ادارية وقضائية .  
« هيئة التحرير »



٤٤  
ألا ان حركة الفلاحين الثورية ظلت تتابع نموها .

لقد كانت حركات العمال والفلاحين الثورية تدل على ان الثورة في روسيا آخذة في النضج وقرية الوقوع . وقد اشتدت حركة المعارضة ايضاً بين الطلاب بتأثير نضال العمال الثوري . وردت الحكومة على مظاهرات الطلاب باضراباتهم باقوال الجامعات وزجت بالمئات منهم في السجون ، وفكرت اخر الامر في ارسال الطلاب المتمردين الى الجيش . وجواباً على ذلك نظم طلاب كل مؤسسات التعليم العالي ، في شتاء ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، اضراباً عاماً شمل ما يقرب من ٣٠٠٠٠ طالب . وقد كان لحركة العمال والفلاحين ، وخصوصاً الاضطهاد الذي لقيه الطلاب ، أثر حتى في نفوس البورجوازيين الاحرار (١) وكبار ملاكي الاراضي الاحرار الموجودين في المؤسسات المسماة « زمستفو » (٢) فرفعوا « احتجاجاً » على « شطط » الحكومة القيصرية التي تضرب فلذات اكبادهم ، الطلاب .

كانت هيئات زيمسكي اوبرافي تؤلف نقاط الارتكاز التي يستند اليها احرار الـ « زمستفو » ، وكانت كلمة « زيمسكي اوبرافي » تطلق على هيئات الادارة المحلية المكلفة بتسوية القضايا المحلية المحضة المتعلقة بسكان الارياف

---

«١» البورجوازيون الاحرار : هم البورجوازيون الذين كانوا يطمحون الى اقامة ملكية دستورية او مشاطرة القيصر الحكم على روسيا . وكانوا يريدون الوصول الى ذلك عن طريق « التفاسم » ، ويكرهون النهضات والثورات الشعبية ، خصوصاً اذا امتدت واستفحلت اذ كانوا عندئذ يكافحونها علناً ودون هوادة .

« هيئة التعريب »

«٢» زمستفو : هي مجالس محلية كانت موجودة في مختلف المناطق والمقاطعات في روسيا القيصرية ، وكانت تضم ممثلي الملاكين العقاريين في المدن والقرى ، وتتألف بانتخابات تجري - وخصوصاً في القرى - على عدة درجات . وكان مجلس المنطقة يتألف من ممثلي النواحي المختلفة . وقد لعبت الزمستفو دوراً كبيراً في الادارة المحلية ، وعملت عليها البورجوازية الحرة آمالاً جساماً ، اذ كانت تتمتع بقوة كبرى في داخلها . وقد حاولت « الزمستفو » جهد طاقتها ان تحتفظ بنفوذها اثناء الثورة ، ولكن دون جدوى ، ولم يكتب لمحاولاتها النجاح .

( هيئة التعريب )

(كعبيد الطرقات، وبناء المستشفيات والمدارس). وكان كبار ملاكي الاراضي الاحرار يلعبون دوراً بارزاً في هيئات « زمسكي اوبرافي » وكانوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالبورجوازيين الاحرار ، بل كانوا تقريباً متزوجين بهم ، اذ انهم انفسهم كانوا يتخلون في اراضيهم شيئاً فشيئاً عن الاقتصاد نصف الاقطاعي (١) ويتنقلون الى الاقتصاد الرأسمالي (٢) لانه اوفر ربحاً . وكان كلا هذين الفريقين من الاحرار يدافع دون شك عن الحكومة القيصرية ، غير ان كليهما كان ضد « شطط » القيصرية ، خشية ان يؤدي هذا « الشطط » الى تقوية الحركة الثورية . لقد كانا يحشيان « شطط » القيصرية ، ولكن خوفهما من الثورة كان اشد واعظم . وهكذا كان الاحرار في احتجاجهم على « شطط »

(١) الاقتصاد نصف الاقطاعي : هو النظام الاقتصادي الذي يكون فيه الفلاحون قد غروروا من القناة ، فيصبحون غير مرتبطين بأرض المالك الاقطاعي ، ويمكنهم تركها والانتقال الى ارض اخرى او اي عمل آخر ، ولكن طريقة استثمار الفلاحين تبقى ، في خطوطها العامة ، على الحالة التي كانت عليها في النظام الاقطاعي ، اي ان بقايا الاقطاعية تظل قوية وكثيرة . مثلاً : اجبار الفلاحين على تقديم حصة من منتجاتهم للمالك الكبير ، وتكليفهم بأعمال مجانية لصالحه . وفي هذا النظام يكون للفلاحين حق تملك بعض ادوات الانتاج كالحراث والماشية اللازمة للحراثة الخ . ومن المفهوم ان بقايا الاقطاعية في الزراعة منتشرة كثيراً في الاقطار المستعمرة او المحرومة من استقلالها وفي اقطار الشرق بصورة عامة . وفي سوريا ( وفي بعض مناطق لبنان ايضاً ) تمثل بقايا الاقطاعية في الزراعة بنظام المحاصصة ( الربع والخمس .. الخ . ) ، وباضطهاد الفلاحين واخضاعهم لسيطرة الذوات اصحاب الاراضي الكبيرة . الخ . وهذه البقايا الاقطاعية تمنع تطور الانتاج الزراعي وتعمق تقدم البلاد الاقتصادي بوجه عام . (هيئة التعريب)

(٢) الاقتصاد الرأسمالي في الزراعة : هو شكل الاستثمار الزراعي الذي يصبح فيه الفلاحون غير مرتبطين بالارض ، ولا يلزمون بتقديم حصة من منتجاتهم للمالك ، بل يتحولون الى « عمال زراعيين » فتكون جميع المنتجات لصاحب الارض ويأخذ الفلاحون اجرة معينة يومياً او شهرياً او مقابل عمل زراعي معين ، اي ان طريقة استثمارهم تصبح مماثلة لاستثمار العمال من قبل اصحاب العمل الرأسماليين في الصناعة . وفي هذا النظام لا يملك الفلاحون شيئاً من ادوات الانتاج ويزداد استثمار كبار ملاكي الاراضي لآلات الانتاج الحديثة (التركتورات ، الحاصدات الميكانيكية .. الخ) وهذا الشكل من الاستثمار الزراعي أخذ في الانتشار في بعض مناطق سوريا ولبنان . « هيئة التعريب »

القيصرية يرمون الى غايتين : اولا : اعادة القيصر الى « جادة الصواب » .  
ثانياً : التظاهر بانهم اناس « مستاءون جداً » من القيصرية ، واكتساب ثقة  
الشعب ، وفصل الشعب او قسم منه عن الثورة ، ومن ثم اضعاف الثورة .

ومن الواضح ان حركة احرار « الزمستفو » لم تكن تؤلف خطراً على  
وجود القيصرية ، ولكنها كانت تشهد على ان الاحوال ليست على ما يرام ،  
فيما يتصل بالاسس « التقليدية القديمة » التي قامت عليها القيصرية .

وفي سنة ١٩٠٢ ادت حركة « الزمستفو » الحرة الى تنظيم الفرقة  
البورجوازية المعروفة بفرقة « الاوسفوبو جدينيا » ( التحرر ) ، وهي نواة  
الحزب البورجوازي الرئيسي ، حزب « الكاديت » ، الذي ظهر في  
روسيا فيما بعد .

لم تتورع القيصرية عن اتخاذ اي تدبير لوقف الحركة الثورية عندما رأت  
ان حركة العمال والفلاحين تحتاج البلاد في موجة صاعدة ينمو خطرهما باستمرار .  
فازداد يوماً عن يوم استعمال القوة المسلحة ضد اضرابات العمال ومظاهراتهم ،  
واصبح الرصاص والسوط جواب الحكومة القيصرية العادي المألوف على  
حركات العمال والفلاحين وغصت السجون والمنافي بالناس .

والى جانب تدابير الاضطهاد العنيفة ، جربت الحكومة القيصرية استعمال  
تدابير اخرى اكثر « مرونة » ، ليست لها صفة الارهاق والارهاب ، لكي  
تصرف العمال عن الحركة الثورية . فقامت بمحاولات خلقت منظمات للعمال  
مزيفة وموضوعة تحت وصاية الدرك والشرطة . وسميت هذه المنظمات في ذلك  
الحين « الاشتراكية البوليسية » او منظمات « زوباتوف » ( نسبة الى زوباتوف ،  
كولونيل الدرك الذي انشأ هذه المنظمات ) . واجتهدت « الاوخرانا » القيصرية ،  
بواسطة علامتها لاقتناع العمال بأن الحكومة القيصرية مستعدة لمساعدة العمال  
بنفسها على تحقيق مطالبهم الاقتصادية . « ما الفائدة من اهتمامكم بالسياسة ؟  
ما الفائدة من تنظيم الثورة ، ما دام القيصر نفسه هو في جانب العمال ؟ » : هذا

ما كان يقوله للعمال عملاء « زوباتوف » الذين انشأوا منظماتهم في مدن عديدة .  
وفي سنة ١٩٠٤ ألف الخوري « كابون » المنظمة المسماة « اجتماع عمال المعامل  
الروسية في بطرسبرج » على غلط منظمات زوباتوف ومثل غايتها .  
ولكن المحاولة التي قامت بها « الاوخرانا » القيصرية لاختضاع حركة العمال  
لنفوذها اخفقت ، وتبين ان الحكومة عاجزة عن قمع حركة العمال السائرة  
الى الامام بمثل هذه الاساليب . ولم تلبث حركة الطبقة العاملة الثورية النامية  
ان كنست هذه المنظمات البوليسية من طريقها .



٢ - برنامج لينين لبناء حزب ماركسي -  
انتهازية « الاقتصاديين » - نضال « ايسكرا »  
في سبيل برنامج لينين - كتاب لينين « ما العمل ؟ » -  
الاسس الفكرية للحزب الماركسي .

رغم ان المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، انعقد  
عام ١٨٩٨ واعلن تأسيس الحزب ، فان الحزب مع ذلك لم يتألف ، اذ لم يكن  
هناك برنامج ولا نظام داخلي للحزب . اما اللجنة المركزية المنتخبة في المؤتمر  
الاول فقد اعتقلت ، ولم تقم اية لجنة بعدها ، اذ لم يكن ثمة من يأخذ هذه  
المهمة على عاتقه ، بل حدث فوق ذلك ان ازداد ، بعد المؤتمر الاول ، الارتباك الفكري  
والتبعثر التنظيمي في الحزب .

لقد تميزت سنوات ١٨٨٤ - ١٨٩٤ بالانتصار على الشعبية وبتحضير  
الاشتراكية الديمقراطية فكريا ، وخلال سنوات ١٨٩٤ - ١٨٩٨ ، بذلت  
المحاولات ، ولكن دون جدوى ، لانشاء حزب اشتراكي ديمقراطي من  
المنظمات الماركسية المتفرقة ، أما المرحلة التي تلت سنة ١٨٩٨ فكانت مرحلة

تفاقم الارتباك الفكري والتنظيمي في الحزب . ذلك لان اتصار الماركسية على الشعبية ، والحركات الثورية التي قامت بها الطبقة العاملة فأظهرت كم كان الماركسيون على حق ، كل ذلك قوى عطف الشعبية الثورية على الماركسية ، واصبحت الماركسية شيئاً « على الموضة » . وكانت النتيجة ان اقبلت على المنظمات الماركسية جماهير واسعة من الشباب المثقفين الثوريين ، الا انهم قليلو الاطلاع على النظريات ، وليست لديهم تجارب في الميدان السياسي والتنظيمي ، وليس عندهم عن الماركسية سوى فكرة غامضة — مغلوطة على الغالب — استقوها من الكتابات الانتهازية، التي كان « الماركسيون المشروعون » يملأون الصحافة بها . وادى ذلك الى هبوط المستوى النظري والسياسي للمنظمات الماركسية وتسرب عقلية « الماركسيين المشروعين » الانتهازية اليها ، وتفاقم الخيرة الفكرية والتموجات السياسية والارتباك في شؤون التنظيم .

كان نهوض حركة العمال القوي المتعاضم ، واقترب الثورة اقتراباً بيّناً ، يقضيان بانشاء حزب موحد للطبقة العاملة ، حزب متركز ، قادر على قيادة الحركة الثورية . ولكن كان دون انشاء مثل هذا الحزب صعوبات جمة لا مثيل لها ، فقد كانت هيئات الحزب المحلية واللجان والفرق والجلسات المحلية في حالة مؤسفة : اذ كانت متفرقة الكلمة جداً في ميدان التنظيم ، وكان الخلاف بينها كبيراً في الميدان الفكري .

لم تكن الصعوبة متأدية فقط من ان الحزب يجب ان يبنى تحت نيران الاضطهاد القيصري الوحشي الذي كان ينتزع ، في كل لحظة ، من صفوف المنظمات خيرة المناضلين ويرسلهم الى السجن والمنفى ومعتقلات الاشغال الشاقة ، بل كانت هنالك صعوبة اخرى ، هي ان قسماً كبيراً من اللجان المحلية ومن المناضلين فيها ، كانوا يرفضون الاهتمام باي شيء لا يتصل بنشاطهم العملي الضيق في النطاق المحلي ، فكانوا لا يدركون الضرر الناجم عن فقدان الوحدة من الوجهة الفكرية والتنظيمية فقد تعردوا على تجزئة الحزب وعلى الارتباك

الفكري وكانوا يعتبرون ان من الممكن الاستغناء عن حزب بمركز  
مركز .

فكان من الواجب ، لانشاء حزب بمركز ، التغلب على تأخر الهيئات  
الحلية ، وعلى تمسكها بالتقاليد الماضية ، وعلى وجهة نظرها الضيقة المحصورة في  
النطاق العملي المحلي .

ولكن لم تكن القضية لتقف عند ذلك . فقد كان في الحزب جماعة كبيرة  
العدد ، لها جريدتان احدهما تصدر في روسيا وهي رابوتشيا ميسل ( فكرة  
العمال ) ، والثانية تصدر في الخارج وهي رابوتشي ديلو ( قضية العمال ) ،  
فكانت هذه الجماعة تبرر نظرياً التجزئة التنظيمية والارتباك الفكري في الحزب ،  
بل كانت غالباً تشيد بهما ، وتعتبر ان انشاء حزب سياسي موحد مركز للطبقة  
العامة ، هو هدف مصطنع وعديم الفائدة .  
هؤلاء هم « الاقتصاديون » وانصارهم .

فكان من الواجب ، لانشاء حزب سياسي موحد للبروليتاريا ، القضاء ،  
في بادئ الامر على « الاقتصاديين » .

وقد اخذ لينين على عاتقه تحقيق هذه الاهداف وتأسيس حزب  
الطبقة العامة .

وكانت الآراء متباينة حول المسألة التالية : من اين يجب البدء في تأسيس  
حزب موحد للطبقة العامة ؟ . فبعضهم يعتقد ان من الواجب ، لانشاء الحزب ،  
البدء بعقد المؤتمر الثاني ، فيجمع هذا المؤتمر المنظمات الحلية ويؤسس الحزب .  
وكان لينين ضد هذا الرأي . اذ كان يعتبر ان من الواجب ، قبل عقد اي  
مؤتمر ، تعيين اهداف الحزب ومهامه بصورة واضحة ، ومعرفة ما هو الحزب  
الذي نريد انشاءه ، والانفصال فكرياً عن « الاقتصاديين » ، ومصارحة الحزب  
باستقامة وجلاء بأن هنالك رأيين مختلفين حول اهداف الحزب ومهامه : رأي  
« الاقتصاديين » ورأي الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين ، والشروع بدعاية  
واسعة في الصحافة لتأييد مفاهيم الاشتراكية الديمقراطية الثورية كما كان يفعل

« الاقتصاريون » في جرائدهم دفاعاً عن مفاهيمهم . فكان من الواجب تمكين المنظمات المحلية من الاختيار ، بعد التفكير الجدي ، بين هذين التيارين ، وعندما يتم هذا العمل التحضيري الضروري يصبح من الممكن دعوة مؤتمر الحزب .

كان لينين يقول بصراحة تامة :

« قبل ان نتحد ، ولأجل ان نتحد ، ينبغي ان نبين الحدود التي تفصل بيننا بحزم وجراحة » (لينين : ما العمل؟ - انظر المؤلفات المختارة . المجلد الاول . ص ١٩٠ . موسكو ، ١٩٤٦ ) .  
ومن ثم كان لينين يعتبر ان من الواجب ، لانشاء حزب سياسي للطبقة العاملة ، البدء بتأسيس جريدة سياسية كفاحية لكل روسيا ، تقوم بالدعاية والتحرير لتأييد مفاهيم الاشتراكية الديمقراطية الثورية : فتتظم هذه الجريدة ، هو الخطوة الاولى في سبيل انشاء الحزب .

وقد وضع لينين في مقاله المعروف « من اين نبدأ؟ » مشروعاً دقيقاً واضحاً لبناء الحزب ، ثم وسع هذا المشروع فيما بعد ، في مؤلفه الشهير : ما العمل؟ وكان لينين يقول في هذا المقال :

« في رأينا ، ان تأسيس جريدة سياسية لكل روسيا ، يجب ان يكون نقطة الابتداء في نشاطنا والخطوة العملية الاولى في سبيل انشاء المنظمة المنشودة (١) ، والخطط الاساسي الذي نستطيع ان نتمسك به لأجل تنمية هذه المنظمة وتعميقها وتوسيعها دون انقطاع . فبدون هذه الجريدة ، يستحيل القيام بأية دعاية وبأي تحريض منظمين ومستمرين ومتنوعين وامينين للبداية ، هذا مع ان ذلك هو المهمة الرئيسية الدائمة للاشتراكية الديمقراطية بصورة عامة ، وهو ، بوجه خاص ، مهمة عاجلة في هذا الوقت الذي استيقظ فيه الاهتمام بالسياسة وبقضايا الاشتراكية بين اوسع

---

(١) اي انشاء الحزب ( ملاحظة من هيئة التحرير )

جماعات السكان» ( لينين : المؤلفات الكاملة . المجلد الرابع .

الصفحة ١١٠ ، الطبعة الروسية )

كان لينين يعتبر ان جريدة كهذه لن تقتصر مهمتها على جمع الحزب في الميدان الفكري ، بل ستوحد ايضاً المنظمات المحلية في الحزب . فأن شبكة عملاء هذه الجريدة ومراسليها من ممثلي المنظمات المحلية ، ستكون الهيكل الذي ينظم الحزب حوله ويتجمع ، لان الجريدة ، كما كان لينين يقول : « ليست اداة دعاية وتحريض جماعية فحسب ، بل هي اداة للتنظيم الجماعي ايضاً » . وقد قال لينين في المقال نفسه :

« ستكون هذه الشبكة من العملاء ، هيكل المنظمة التي نحن في اسد الحاجة اليها ، اي منظمة كبيرة لدرجة تشمل البلاد بأسرها ، وواسعة ومتنوعة لدرجة تسمح بتوزيع العمل توزيعاً دقيقاً مفصلاً ، وحازمة وصلبة لدرجة تعرف معها ان تقوم بعملها دون ضعف ولا فتور في كل الظروف ومهما كانت «الانعطافات» والمفاجآت ، ومرنة لدرجة انها تعرف ، من جهة ، ان تجنب المعركة في ارض مكشوفة ضد عدو متفوق في العدد جمع كل قواه في نقطة واحدة ، وتعرف من جهة اخرى ان تستفيد من فقدان المرونة عند هذا العدو فتهاجمه في المكان واللحظة المناسبين من حيث لا يحتسب » ( لينين — المرجع ذاته ص ١١٢ ) .

وقد كانت ايسكورا هي هذه الجريدة المنشودة .

وفعلاً اصبحت ايسكورا هي الجريدة السياسية لكل روسيا ، التي هيأت جمع الحزب في الميدان الفكري والتنظيمي .

اما من حيث بناء الحزب نفسه ، وتركيبه ، فكان لينين يعتقد ان الحزب يجب ان يكون مؤلفاً من عنصرين جوهرين : ( آ ) من ملاك ( ١ ) ضيق من المناضلين الثابتين ، مؤلف بصورة رئيسية من ثوريين محترفين ، اي من



مناضلين احرار من كل شاغل غير علمهم في الحزب ، وحائزين على الحد الادنى الضروري من المعارف النظرية والتجربة السياسية والعادات التنظيمية ، مع فن النضال ضد البوليس القيصري ، فن التملص من ملاحقته ( ب ) : من شبكة واسعة من المنظمات الحزبية التي تكون على الاطراف ، حاوية جمهوراً كبيراً من الاعضاء ، ومحوطة بعطف مئات الالوف من الشغيلة ومتسعة بتأييدهم .

وكان لينين يقول :

« انني اؤكد : اولاً : لا يمكن ان تكون هنالك حركة ثورية متينة بدون منظمة ثابتة من القادة ، تؤمن استمرار العمل ومتابعته ، ثانياً : كلما كان الجمهور المنجذب بصورة عفوية الى النضال كبير العدد ، كانت الضرورة اشد والحاجة اكبر لوجود مثل هذه المنظمة ، وكان من الواجب ان تكون هذه المنظمة اقوى وامتن ، ثالثاً : ان منظمة مثل هذه ينبغي ان تكون مؤلفة ، بصورة رئيسية ، من اناس مهنتهم هي النشاط الثوري ، رابعاً ، اننا في كل بلد اوتوقراطي ، كلما ضيقا عدد اعضاء هذه المنظمة لدرجة الا<sup>ت</sup> تقبل فيها سوى ثورين محترفين تدربوا على النضال ضد البوليس السياسي ، يكون «وضع اليد» على مثل هذه المنظمة اصعب ، خامساً : وعندئذ ايضاً يكون العمال وعناصر الطبقات الاجتماعية الاخرى الذين يستطيعون الاشتراك في الحركة والنضال فيها بنشاط ، اكثر عدداً » ( لينين : ما العمل ؟ المؤلفات المختارة ، المجلد الاول ص ٢٧٦ ) .

اما من حيث صبغة الحزب الواجب انشاؤه ، ومن حيث دوره تجاه الطبقة العاملة ، وكذلك من حيث اهدافه ومهامه ، فكان لينين يعتبر ان الحزب يجب ان يكون طليعة الطبقة العاملة ، وان يكون القوة القائدة لحركة العمال ، القوة الموحدة والموجهة لنضال البروليتاريا الطبقي . اما هدف الحزب النهائي فهو : قلب الرأسمالية وتشييد الاشتراكية . اما هدفه المباشر فهو :

قلب القيصرية وتشييد النظام الديموقراطي. فمادام من المستحيل قلب الرأسمالية  
الآن بقلب القيصرية قبلها ، فهمة الحزب الاساسية في هذه الساعة هي انهاض  
الطبقة العاملة ، وانهاض الشعب بأسره الى النضال ضد القيصرية ، هي توسيع  
حركة الشعب الثورية ضد القيصرية ، واسقاط القيصرية من حيث هي العائق  
الاول والجدي في طريق الاشتراكية .  
كان لينين يقول :

« يلقي التاريخ على عاتقنا الان مهمة مباشرة هي ثورية  
اكثر من جميع المهات المباشرة الموضوعة امام البروليتاريا في  
اي قطر آخر . وان انجاز هذه المهمة ، اي تحطيم اقوى حصن  
لا للرجعية الاوروية وحدها بل — وهو شيء نستطيع قوله  
الآن — للرجعية الاسيوية ايضاً ، سيجعل من البروليتاريا الروسية  
طليعة البروليتاريا الثورية الاممية . » (المراجع نفسه ص ١٩٥) .  
ويقول لينين فيما بعد :

« يجب ألا ننسى ان النضال ضد الحكومة في سبيل مطالب  
جزئية ، والكفاح لاجل انتزاع تنازلات جزئية ، ما هما سوى  
منازلات صغيرة مع العدو ، سوى مناوشات صغيرة تقوم بها  
دوريات المقدمة . اما المعركة الحاسمة فلا تزال أماننا . ان  
قلعة العدو تنتصب امامنا بكل قوتها وهي تمطرنا بجمم من الحديد  
والرصاص تحتطف من بيننا احسن محاربينا ، فيجب علينا ان  
نستولي على هذه القلعة ، وسوف نستولي عليها اذا وحدنا جميع  
قوى البروليتاريا التي تستيقظ ، مع جميع قوى الثوريين الروسين ،  
في حزب واحد يجمع حوله كل ما في روسيا من حي وشريف .  
وعندئذ ، وعندئذ فقط ، تتحقق نبوءة العامل الثوري الروسي  
بيوتر الكسيف : اذ « يرتفع ساعد ملايين الشغيلة بعضلاته القوية ،  
ويستحيل نير الاستبداد ، الذي تحميه حراب الجنود ، الى

غبار . ( لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد الرابع — الصفحة ٥٩ — الطبعة الروسية ) .

هكذا كانت برنامج لينين لانشاء حزب للطبقة العاملة في ظروف روسيا القيصرية الاوتوقراطية .

ولم يلبث « الاقتصاديون » ان وجهوا نارهم الى برنامج لينين . كان « الاقتصاديون » يزعمون ان النضال السياسي العام ضد القيصرية هو من شأن جميع الطبقات ، وهو من شأن البوزجوازية قبل غيرها . ولذا ، فهو لا يهم الطبقة العاملة بصورة جدية ، اذ يجب ان يتجه اهتمام العمال الرئيسي الى النضال الاقتصادي ضد اصحاب العمل لاجل زيادة الاجور ، وتحسين شروط العمل .. الخ .. وعلى هذا ينبغي ان يجعل الاشتراكيون الديمقراطيون مهمتهم الرئيسية المباشرة ، لا النضال السياسي ضد الحكومة القيصرية ، ولا القضاء عليها ، بل تنظيم « نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب العمل والحكومة » . وكان الاقتصاديون ، عندما يتكلمون عن النضال الاقتصادي ضد الحكومة ، انما يعنون النضال لاجل تحسين تشريع العمل . وكانوا يؤكدون ان في الاستطاعة ، بهذه الوسيلة ، « اعطاء النضال الاقتصادي نفسه صبغة سياسية » .

وهكذا لم يعد « الاقتصاديون » يجروؤن ان يعارضوا ، صراحة ، ضرورة وجود حزب سياسي للطبقة العاملة ، الا انهم كانوا يعتبرون ان الحزب يجب ان لا يكون القوة القائدة لحركة العمال ، وعليه ان لا يتدخل في حركة الطبقة العاملة العفوية ، او ، بالاحرى ، عليه ان لا يقودها ، وانما يستطيع ان يتابعها ويدقق فيها ويستخلص منها الدروس .

ومن ثم كان « الاقتصاديون » يزعمون ان دور العنصر الواعي في حركة العمال ، اي دور النظرية الاشتراكية ، دور الوعي الاشتراكي من حيث هو منظم وقائد ، هو دور لا يؤبه له او يكاد ، وليس على الاشتراكية الديمقراطية ان ترفع العمال الى مستوى الوعي الاشتراكي ، بل على العكس ، يجب عليها ان تتكيف وان تهبط هي نفسها الى مستوى الجماعات المتوسطة التطور ، او

حتى الجماعات المتأخرة من الطبقة العاملة . ولا ينبغي للاشتراكية الديمقراطية ان تحمل الوعي الاشتراكي الى الطبقة العاملة ، بل عليها ان تنتظر حتى تؤدي حركة الطبقة العاملة العفوية نفسها بقواها الخاصة ، الى تكوين الوعي الاشتراكي . اما مشروع لينين التنظيمي المتعلق ببناء الحزب ، فكانوا يعتبرونه نوعاً من التهجم على الحركة العفوية ، وقد حمل لينين في صفحات الايسكرا وخصوصاً في مؤلفه المشهور ما العمل ؟ على هذه الفلسفة الانتهازية التي يدعو اليها « الاقتصاديون » ولم يترك فيها حجراً على حجر :

١ — بين لينين ان صرف الطبقة العاملة عن النضال السياسي ضد القيصرية ، وحصر مهامها في النضال الاقتصادي ضد اصحاب العمل والحكومة ، مع ترك اصحاب العمل والحكومة في امان وسلام ، معناها الحكم على الطبقة العاملة بالعبودية الابدية . فان نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب العمل والحكومة هو نضال بقاء في سبيل الحصول على شروط احسن عند بيع قوة العمل من الرأسماليين ، الا ان العمال يريدون النضال لا في سبيل الحصول على شروط احسن عند بيع قوة عملهم فحسب ، بل يريدون النضال ايضاً لمحو النظام الرأسمالي نفسه ، الذي يجبرهم على بيع قوة عملهم من الرأسماليين ويضطرهم الى معاناة الاستثمار . ولا يستطيع العمال توسيع النضال ضد الرأسمالية وفي سبيل الاشتراكية ، ما دامت القيصرية ، كلب الرأسمالية وحارسها ، قائمة في طريق حركة العمال . ولذا ، فالهدف المباشر الموضوع امام الحزب والطبقة العاملة هو تكتيس القيصرية من الطريق ، وبذلك يشقان الطريق نحو الاشتراكية .

٢ — بين لينين ان الاشارة بالسير العفوي لحركة العمال وانكار الدور القيادي للحزب ، وجعل دوره مقتصرأ على تسجيل الحوادث ، معناها الدعوة الى « التبعية » ، معناها الدعوة لتحويل الحزب الى ذيل السير العفوي وجعله قوة منفصلة (١) في الحركة ، غير قادرة الا على التأمل في السير العفوي ، معناها

---

(١) منفصلة : اي جامدة غير فاعلة او متأثرة غير مؤثرة . (هيئة التمرير)

الاستسلام الى العفوية . فالقيام بمثل هذه الدعاية ، هو بمثابة توجيه الامور نحو تحطيم الحزب ، اي نحو ترك الطبقة العاملة بدون حزب ، اي نحو ترك الطبقة العاملة عزلاء بدون سلاح ، بيد ان ترك الطبقة العاملة عزلاء بدون سلاح ، بينما ينتصب امامها اعداء كالقيصرية المسلحة بكل وسائل النضال ، والبورجوازية المنظمة بشكل عصري حديث والتي لها حزب خاص بها يقود نضالها ضد الطبقة العاملة — ان ترك الطبقة العاملة عزلاء بدون سلاح امام هؤلاء الاعداء هو خيانة للطبقة العاملة .

٣ — بين لينين ان الانخاء امام حركة العمال العفوية ، والخط من دور العنصر الواعي ، والانتقاص من دور الوعي الاشتراكي والنظرية الاشتراكية ، معناه ، قبل كل شيء ، الاستهزاء بالعمال الذين يطمحون الى الوعي والادراك كما يطمح المرء الى النور . ومن جهة ثانية ، فان ازدراء النظرية وتحقيرها في عين الحزب هو ازدراء وتحقير للسلاح الذي يسمح بمعرفة الحاضر والتنبؤ بالمستقبل ، ومعنى ذلك ، من جهة ثالثة ، الوقوع بصورة تامة نهائية في مستنقع الانتهازية .

كان لينين يقول :

« لا حركة ثورية ، بدون نظرية ثورية ... ولا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة ، الا حزب ترشده نظرية الطليعة »  
( لينين — ما العمل ؟ المؤلفات المختارة المجلد الاول صفحة ١٩٢ — ١٩٣ )

٤ — بين لينين ان « الاقتصاديين » يحددون الطبقة العاملة عندما يزعمون ان العقلية الاشتراكية يمكن ان تولد من حركة الطبقة العاملة العفوية . ففي الواقع لا تولد العقلية الاشتراكية من الحركة العفوية ابداً ، بل تولد من العلم . فعندما ينكر « الاقتصاديون » ضرورة ادخال الادراك الاشتراكي الى الطبقة العاملة ، فهم اغما يشقون الطريق امام العقلية البورجوازية ، ويسهلون تسربها الى الطبقة العاملة وتغلغلها فيها ، اي انهم يثدون فكرة اندماج حركة

العمال والاشتراكية احدهما في الاخرى ، وبذلك يقدمون اكبر خدمة الى البورجوازية .  
وكان لينين يقول :

« ان كل تقديس لعفوية حركة العمال ، وكل انتقاص من دور « العنصر الواعي » اي دور الاشتراكية الديمقراطية ، يعني — سواء ارادوا ام لم يريدوا ، فليس لذلك اقل اهمية — تقوية نفوذ العقلية البورجوازية على العمال » ( المرجع نفسه — صفحة ٢٠٤ ) .

ويقول فيما بعد :

« ان المسألة موضوعة على الشكل التالي وحده : اما عقلية بورجوازية واما عقلية اشتراكية وليس وسط بينهما ... ولذلك ، فكل انتقاص من العقلية الاشتراكية ، وكل ابتعاد عنها ، هو في حد ذاته بمثابة تمكين العقلية البورجوازية وتوطيدها » ( المرجع نفسه — ص ٢٠٦ ) .

٥ — عرض لينين كل هذه الاخطاء التي يرتكبها « الاقتصاديون » ، ثم استخلص من ذلك انهم لا يريدون حزباً للثورة الاجتماعية يعمل لتحرير الطبقة العاملة من الرأسمالية ، بل يريدون حزباً لـ « الاصلاحات الاجتماعية » ينطوي على صيانة سيطرة الرأسمالية ، اي ان « الاقتصاديين » هم اصلاحيون يخونون مصالح البروليتاريا الحيوية .

٦ — بين لينين اخيراً أن « الاقتصادية » ليست حادثاً طارئاً عارضاً في روسيا ، « فالاقتصاديون » هم اداة لنقل النفوذ البورجوازي الى الطبقة العاملة ، ولهم حلفاء في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربية هم « الحرّفون » انصار الانتهازي « برنشتاين » (١) . فقد كان في الاشتراكية

(١) برنشتاين : كان ادوار برنشتاين (المولود عام ١٨٥٠ ) ، احد زعماء الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، وقد حرر صحيفة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الالمانى ، وعرض فيها نظريته الانتهازية عن تحريف الماركسية ونفي ضرورة الثورة الاشتراكية ، والقول بتلطيف حدة النزاع الطبقي ، وبأن الاشتراكية يمكن الوصول اليها بسير سلمي تدريجي .

الديموقراطية الغربية تيار انتهازي يتضح يوماً بعد يوم ، ويسير تحت لواء « حرية الانتقاد » اي حرية انتقاد ماركس ، ويطلب « اعادة النظر » في تعاليم ماركس ، اي « تحريفها » (ومن هنا اشتقت كلمة « المذهب التحريفي »)، كما انه كان يطلب التخلي عن الثورة وعن الاشتراكية وعن ديكتاتورية البروليتاريا . وقد بين لينين ان « الاقتصاديين » الروس يتبعون هذه الخطة نفسها ، خطة التخلي عن النضال الثوري، وعن الاشتراكية ، وعن ديكتاتورية البروليتاريا .

هذه هي المبادئ النظرية الاساسية التي شرحها لينين في مؤلفه **ما العمل ؟** وكان من نتائج نشر هذا الكتاب : **ما العمل ؟** ، انه بعد سنة من ظهوره (وقد طبع في آذار ١٩٠٢)، اي قبيل انعقاد المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديموقراطي في روسيا ، لم يبق من المواقف والاسس الفكرية الاقتصادية سوى ذكرى مزعجة ، واصبحت صفة « اقتصادي » منذ ذلك الحين ، شتية في نظر الاكثرية العظمى من مناضلي الحزب . وكان ذلك اندحاراً فكرياً تاماً « للاقتصادية » ، اندحاراً للعقلية الانتهازية ، عقلية التبعية والعفوية .

بيد ان اهمية كتاب لينين **ما العمل ؟** لا تقتصر على ذلك فحسب . ان اهمية **ما العمل ؟** التاريخية ناشئة عن ان لينين، في هذا المؤلف الشهير : ١ — كشف لأول مرة في تاريخ الفكر الماركسي ، الاصول الفكرية للانتهازية وعراها حتى اعق جذورها ، مبيناً انها ترجع قبل كل شيء الى الانحناء امام عفوية حركة العمال والانتقاص من اهمية الوعي الاشتراكي في هذه الحركة .

٢ — رفع الى درجة عالية جداً اهمية النظرية والعنصر الواعي ، واهمية الحزب من حيث هو قوة تقود حركة العمال العفوية وتشرها بالروح الثورية .

٣ — برهن بشكل راسخ صحة المبدأ الماركسي القائل بأن الحزب الماركسي هو الاندماج بين حركة العمال والاشتراكية .

٤ — حلل الاسس الفكرية للحزب الماركسي تحليلاً عبقرياً رائعاً .

ان المبادئ النظرية المشروحة في ما العمل ؟ هي التي كونت ، فيما بعد ،  
الاساس الفكري لحزب البلشفيك .

اصبح في استطاعة الايسكورا ، وقد اغتنت بهذه الثروة النظرية ، ان  
تقوم — وقد قامت فعلاً — بحملة واسعة في سبيل مشروع لينين لبناء الحزب ،  
وفي سبيل جمع قوى الحزب ، وعقد مؤتمره الثاني ، وفي سبيل اشتراكية  
ديموقراطية ثورية ، ضد « الاقتصاديين » ، وضد « الانتهازيين » من كل صنف  
ولون ، وضد المحرفين .

وكانت مهمة الايسكورا الاساسية وضع مشروع برنامج الحزب . ومن  
المعلوم ان برنامج حزب العمال هو عرض موجز علمي للاهداف والمهام التي  
يستهدفها نضال الطبقة العاملة . ويعين البرنامج الهدف النهائي لحركة البروليتاريا  
الثورية ، كما انه يعين المطالب التي يكافح من اجلها الحزب اثناء سيره نحو هذا  
الهدف ، ولهذا كانت وضع مشروع البرنامج ، مسألة ذات اهمية من  
الدرجة الاولى .

وقد برزت ، اثناء وضع مشروع البرنامج ، خلافات جديدة داخل هيئة  
تحرير الايسكورا ، بين لينين وبلليخانوف وبقية اعضاء هيئة التحرير ، وقد  
اوشكت هذه المناقشات والخلافات ان تؤدي الى القطيعة التامة بين لينين  
وبليخانوف . بيد ان هذه القطيعة لم تقع في هذا الوقت بالذات ، فقد حصل  
لينين على ان توضع في مشروع البرنامج مادة اساسية عن ديكتاتورية  
البروليتاريا ، وان يشار بوضوح تام الى دور القيادة الذي تضطلع به الطبقة  
العاملة في الثورة .

والقسم الزراعي في هذا البرنامج ، هو ايضاً باسره من وضع لينين . ومنذ  
ذلك العهد ، كان لينين من القائلين بتأميم الارض ( ١ ) ، غير انه كان يعتقد في

( ١ ) تأميم الارض او جعلها ملكاً للامة : ان الثورة الاشتراكية في روسيا امت  
الارض اي جعلتها ملكاً للامة . ومعنى ذلك انها ، في البداية ، وزعت الاراضي على  
الفلاحين ، وصار للفلاح حق التصرف الى الابد بقطعة ارضه ، ولا يستطيع احد ان  
يتنزع منه هذا الحق باية وسيلة من الوسائل ، حتى ولا بطريقة البيع والشراء . ولما اخذ  
الفلاحون ، ببلء اختيارهم ، يضمون اراضيهم بعضها الى بعض لتأليف مزارع تعاونية ،  
انتقل حق التصرف بالارض الى الابد ، الى مجموع اعضاء المزرعة التعاونية .

( هيئة التعريب )



تلك المرحلة الاولى من النضال ، ان من الواجب وضع مطلب يقضي باعادة « الاوتريزكي » الى الفلاحين ، و« الاوتريزكي » هي المساحات التي اقتطعها كبار الملاكين من اراضي الفلاحين اثناء « التحرر » . اما بليخانوف فكان يعارض في تأميم الارض .

ان مناقشات لينين وبليخانوف حول برنامج الحزب ، قد حددت ، بصورة جزئية ، الخلافات التي نشبت فيما بعد بين البلشفيك والمنشفيك .



### ٣ - المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا - اقرار البرنامج والنظام الداخلي - تأليف حزب موحد - الخلافات في المؤتمر وظهور تيارين في الحزب : البلشفيك والمنشفيك

ان انتصار المبادئ اللينينية ونضال الايسكورا الظافر في سبيل مشروع لينين عن التنظيم ، هيأ الشروط الرئيسية اللازمة لتأليف الحزب ، او بالاحرى لتأليف حزب حقيقي كما كان يقال في ذلك العهد . وكان اتجاه الايسكورا قد انتصر في المنظمات الاشتراكية الديموقراطية في روسيا . وهكذا اصبح من الممكن عقد المؤتمر الثاني للحزب .

افتتح المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا ، في ١٧ (٣٠) تموز ١٩٠٣ وقد انعقد المؤتمر سراً في الخارج ، وبدأ جلساته في بروكسل ، ولكن الشرطة البلجيكية دعت المندوبين الى مغادرة بلجيكا ، فانتقل المؤتمر الى لندن .

وقد حضر المؤتمر ٤٣ مندوباً يمثلون ٢٦ منظمة . وكان يحق لكل لجنة ان ترسل للمؤتمر مندوبين اثنين ، الا ان بعض اللجان لم ترسل سوى مندوب واحد . فكان في المؤتمر اذن ٤٣ مندوباً لهم ٥١ صوتاً فعلياً .

وكانت مهمة المؤتمر الاساسية ، كما قال لينين : « تأليف حزب حقيقي على اساس مبادئ واسس التنظيم التي وضعتها وصاغتها الايسكرا » . ( لينين : المرجع نفسه ، ص ٣٢٨ )

كان المؤتمر غير متجانس في تركيبه ، ولم يكن الاقصاديون المفوضون ممثلين فيه بسبب الهزيمة التي منيوا بها . الا انهم تنكروا خلال هذه المرحلة في زي جديد ، وقد غيروا لباسهم بمحذق كبير ، حتى انهم نجحوا في ادخال بعض مندوبيهم الى المؤتمر . هذا ، ومن جهة اخرى ، كان مندوبو «البوند» (١) لا يختلفون عن « الاقصاديين » الا بالكلام ، اما في الحقيقة فكانوا من انصارهم .

(١) البوند : اسم مختصر للاتحاد اليهودي الاشتراكي الديمقراطي العام في روسيا القيصرية . وقد تألف عام ١٨٩٧ . وهو حزب انتحازي ، قائم على التمسك القومي وكان يقوم بدور عميل للبورجوازية في حركة العمال . وخلال فضاله ضد البلاشفة ثم ضد السلطة السوفياتية ، تحول البوند الى منظمة مبرزتها الرئيسية العداء الشديد للثورة . وكان البوند عدواً لدوداً للماركسية اللينينية ، مرتبطاً فكرياً بالمشفيك . وقد عمل دائماً ، منذ نشوئه ، على تقسيم حركة العمال وعلى فصل العمال اليهود عن سائر عمال روسيا ساعياً لأقناع العمال اليهود بان مصالحهم تعارض مصالح العمال من القوميات الاخرى . وخلال ثورة ١٩٠٥ ، اعتنق البوند مواقف المشفيك وقاوم ثورة الشعب المسلحة ضد القيصرية ، وعارض في تحالف العمال والفلاحين . وبعد ثورة ١٩٠٥ ، انضم البوند الى خصوم لينين والى العاملين على تصفية حزب البلشفيك . واثناء الحرب العالمية الاولى ، أيد البوند الحرب الاستعمارية . وبعد ثورة شباط ١٩١٧ ، أيد الحكومة البورجوازية المؤقتة ، وقام بنضال شديد ضد البلاشفة وضد الثورة الاشتراكية التي كانت تنضج في البلاد . وبعد انتصار ثورة اوكتوبر الاشتراكية التي انقذت جميع العمال ، على اختلاف قومياتهم ، وكل الشعب ، من الاستتار الرأسمالي والاضطهاد القومي ، فقد البوند نفوذه على العمال اليهود . وتكون في داخله جناح يساري مما ادى الى انقسامه . وفي عام ١٩٢١ قرر مؤتمر البوند حل نفسه . ثم انضم قسم من اعضائه الى حزب البلشفيك . وفيما بعد تبين ان بعض هؤلاء البونديين القداماء دخلوا حزب البلشفيك لتخريبه من الداخل ولكنهم فضحوا كأعداء مستكبين للشعب والدولة السوفياتية . اما البونديون اليمينيون فهاجر قسم منهم الى الخارج حيث اشتركوا بنشاط في حملات الكذب والافتراء على الاتحاد السوفياتي ، وتضامنوا مع جميع اعداء الاتحاد السوفياتي بما فيهم الفاشست انفسهم . ويؤيد البونديون سياسة الاستعمار الاميري الانكليزي كما يقومون بالدعوة للافكار الكوسوبوليتية ونشرها . ( هيئة التعريب )

وهكذا كان المؤتمر لا يضم انصار الايسكورا فصحب ، بل خصومها ايضاً . وكان عدد انصار الايسكورا ٣٣ ، اي الاكثرية . غير ان الذين كانوا يدعون انهم من انصار الايسكورا لم يكونوا جميعهم ايسكريين لينينيين حقيقيين . وقد انقسم المندوبون الى فرق عديدة وكان لانصار لينين ، اي الايسكريين الثابتين ، ٢٤ صوتاً . وكان ٩ من الايسكريين يتبعون مارتوف ، وهم الايسكوريون غير الثابتين . وكان هناك قسم من المندوبين يتأرجح بين الايسكورا وخصومها وله ١٠ اصوات في المؤتمر ، وكان يؤلف الوسط . اما خصوم الايسكورا العلنيون فكان لهم ٨ اصوات (٣ «اقتصاديين» و٥ بونديين) . فلو انقسم الايسكوريون على انفسهم اذن لاستطاع اعداء الايسكورا ان يتغلبوا عليهم .

من هنا نرى كم كانت الوضعية معقدة في المؤتمر . وقد توجب على لينين ان يبذل جهداً عظيماً لتأمين انتصار الايسكورا في المؤتمر . وكانت اكبر قضية امام المؤتمر هي قضية الموافقة على برنامج الحزب . وكانت مسألة ديكتاتورية البروليتاريا هي المسألة الاساسية التي اثارت اعتراضات القسم الانتهازي في المؤتمر عند مناقشة البرنامج . وكان الانتهازيون غير متفقين مع القسم الثوري حول عدة مسائل اخرى ايضاً في البرنامج . غير انهم قرروا اشهار الحركة الرئيسية حول قضية ديكتاتورية البروليتاريا ، فقالوا بأن كثيراً من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الخارج لم تضع في برامجها مادة خاصة بديكتاتورية البروليتاريا ، فمن الممكن اذن ان لا يوضع مثل هذه المادة في برنامج الاشتراكية الديمقراطية في روسيا .

وقد عارض الانتهازيون كذلك وضع مطالب تتعلق بقضية الفلاحين في البرنامج ، ذلك لأن هؤلاء الناس ما كانوا يريدون الثورة ، ولهذا كانوا يبعدون عن الطبقة العاملة حليفتها ، اي جماهير الفلاحين التي لا يكون لها سوى الكره والضعينة .

وكان مندوبو البوند والاشتراكيون الديمقراطيون البولونيون يعارضون حق الامم في التصرف بنفسها . غير ان لينين كان يبين دائماً ان على الطبقة

العامة واجب النضال ضد الاضطهاد القومي ، فمعارضة وضع هذا المطلب في البرنامج تعني التخلي عن الامة البروليتارية ، والمعاونة على الاضطهاد القومي . وقد وجه لينين ضربات حاسمة الى كل هذه الاعتراضات وأقر المؤتمر البرنامج الذي قدمته الايسكوا .

كان هذا البرنامج مؤلفاً من قسمين : برنامج الحد الأقصى ، وبرنامج الحد الأدنى . اما برنامج الحد الأقصى فيقرر ان المهمة الاساسية لحزب الطبقة العاملة هي الثورة الاشتراكية ، وقلب سلطة الرأسماليين ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا . اما برنامج الحد الأدنى فيعين مهمات الحزب المباشرة ، اي المهمات التي يجب اتمامها قبل قلب النظام الرأسمالي وقبل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، وهي قلب الاوتوقراطية القيصرية ، واقامة الجمهورية الديمقراطية ، وجعل ساعات العمل للعمال ثماني في اليوم ، ومحو كل آثار القنانة في الارياف ، وان تعاد الى الفلاحين قطعات الاراضي « الاوتريزكي » التي سلبها منهم كبار الملاكين .

وقد ابدل البلاشفة فيما بعد مطلب اعادة « الاوتريزكي » بمطلب مصادرة جميع اراضي النبلاء .

ان البرنامج الذي اقره المؤتمر الثاني كان في الحقيقة هو البرنامج الثوري لحزب الطبقة العاملة . وقد بقي هذا البرنامج حتى المؤتمر الثامن ، حيث اقر حزبنا برنامجاً جديداً ، بعد ان انتصرت الثورة البروليتارية .

باشر المؤتمر الثاني بعد اقرار البرنامج مناقشة النظام الداخلي للحزب . فبعد ان اقر المؤتمر البرنامج ، وخلق الاسس الضرورية اللازمة لجمع الحزب فكرياً ، كان عليه ان يقر ايضاً نظام الحزب الداخلي لكي يضع حداً للشكل الحزبي في العمل ، ولاسلوب الحلقات والتبعثر التنظيمي . وفقدان نظام حزبي حازم في قلب الحزب .

وفي حين ان اقرار البرنامج تم نسبياً بدون عائق ، فان مسألة نظام الحزب الداخلي ، اثارت مناقشات شديدة في المؤتمر . وبرزت اشد الخلافات حول صيغة المادة الاولى من النظام المخصصة لمسألة الانتماء الى الحزب . فمن هو الذي

يمكن ان يكون عضواً في الحزب ؟ وكيف يجب ان يكون تركيب الحزب ، وكيف تكون ماهية الحزب من الوجهة التنظيمية ، هل يكون كلاً منظماً او شيئاً عديم الشكل ؟ تلك هي القضايا التي اثارها المادة الاولى من النظام الداخلي . وقد تجاهت صيغتان : صيغة لينين وكان يؤيدها بليخانوف واليسكريون الحازمون ، وصيغة مارتوف . وكان يؤيدها اكسيارود وزاسوليتش واليسكريون غير الثابتين وتروتسكي وكل العناصر الانتهازية المكشوفة في المؤتمر .

كانت صيغة لينين تقول : يمكن ان يكون اعضاء في الحزب ، جميع الذين يعترفون ببرنامجه ، ويدعمون الحزب مادياً ، وينضمون الى احدى منظماته . اما صيغة مارتوف ، فكانت تعتبر ان الاعتراف بالبرنامج ودعم الحزب مادياً هما شرطان ضروريان للانتماء الى الحزب ، غير انها لم تكن تعتبر الاشتراك في احدى منظماته شرطاً من شروط الانتماء ، بل كانت تعتبر ان عضو الحزب يمكن ان لا يكون عضواً في احدى منظماته .

كان لينين ينظر الى الحزب من حيث انه فصيلة منظمة فلا يستطيع المنتمون اليه ان ينسبوا صفة العضوية الى انفسهم بأنفسهم ، بل يجري قبولهم في الحزب بواسطة احدى منظماته وبالتالي يخضعون لنظام الحزب . اما مارتوف فكان ينظر الى الحزب كشيء عديم الشكل من الوجهة التنظيمية ، فيستطيع المنتمون اليه ان ينسبوا صفة العضوية الى انفسهم بأنفسهم ، فهم اذن غير مجبرين على الخضوع لنظام الحزب ما داموا لا ينتمون الى احدى منظماته .

على هذه الصورة ، كانت صيغة مارتوف ، خلافاً لصيغة لينين ، تفتح ابواب الحزب على مصاريحها للعناصر المتقلبة غير البروليتارية . لقد كانت البلاد على اعتاب الثورة الديمقراطية البورجوازية ، وكان بين المثقفين البورجوازيين اناس يظهرون مؤقتاً عطفاً على الثورة ، بل يقدمون ايضاً ، من حين الى آخر ، بعض الخدمات للحزب ، غير ان هؤلاء الناس ما كانوا لينضموا لحدى المنظمات ، او يطيعوا نظام الحزب ، او ينفذوا المهمات التي يكلفهم بها ، او يتعرضوا

للاخطار التي يقتضيها تنفيذ هذه المهمات . وكان مارتوف والمنشفيك الآخرون يقترحون اعتبار مثل هؤلاء الناس اعضاء في الحزب واعطاءهم حق التأثير وامكان التأثير في شؤون الحزب ، بل كان في نيتهم ايضاً منح كل مضرب حق اعطاء نفسه ، صفة عضو في الحزب ، رغم ان اناساً من غير الاشتراكيين ، ومن الفوضويين (١) والاشتراكيين الثوريين كانوا يشتركون في الاضرابات ايضاً . اذن عوضاً عن الحزب المتجانس والمكافح والمجهز باشكال تنظيمية دقيقة ، والذي كان لينين واللينينيون يكافحون من اجله في المؤتمر ، كانت انصار مارتوف يريدون حزباً مختلطاً ، غامضة اطرافه وحدوده ، حزباً عديم الشكل ، اي حزباً لا يمكن ان يكون حزب نضال وكفاح ، وذلك لسببين على الاقل : لانه سيكون مختلطاً ، ولانه لن يكون فيه نظام حازم .

ان تخلي الايسكرين غير الثابتين عن الايسكرين الحازمين ، وتحالفهم مع الوسط ، وانضمام الانتهازيين المكشوفين الى هذا التحالف ، كل ذلك جعل الغلبة لمارتوف في هذه المسألة . فأقر المؤتمر المادة الاولى للنظام الداخلي كما

(١) الفوضويون : الفوضوية هي مذهب اجتماعي سياسي قديم في حركة العمال ، وكان قوياً في القرن التاسع عشر لما كانت الطبقة العاملة متأخرة وفي اوائل تطورها ، ومن زعمائها المعروفين في ذلك العهد « برودون » و « باكونين » . وقد ضعفت الفوضوية مع نمو الطبقة العاملة وازدياد وعيها ونضجها الفكري والسياسي ، ولكن لا يزال للفوضوية شيء من الوزن في بعض الاقطار المتأخرة صناعياً كاسبانيا مثلاً . والفوضوية قائمة في الاساس على انكار كل سلطة ، وكل نظام ، والتبشير بالفوضى ، وسيادة الفرد ، والدعوة الى إلغاء الدولة ومحوها بوجه عام ، فهي تقول بان واجب العمال ان يهدموا الدولة الرأسمالية دون ان يقيموا دولة لهم مكانها . والشيعوية هي ضد الفوضوية على خط مستقيم في كل الامور ، وخصوصاً في مسألة الدولة . فان الشيوعية تعتقد ان من واجب العمال ، بعد القضاء على النظام الرأسمالي والدولة الرأسمالية ، ان يبنوا دولتهم الشعبية لانها ضرورية لهم في مرحلة الانتقال كأداة لقمع مقاومة الطبقات الرجعية المغلوبة . وتعتقد الشيوعية ان الدولة بوجه عام لن تلاشي الا شيئاً فشيئاً مع تطور النظام الاشتراكي في مراحلها العليا . هذا ، ويتميز الفوضويون باستعمال العبارات الثورية الفارغة ، مع ان سلوكهم العملي لا يتخدم الا اعداء العمال واعداء الثورة الاشتراكية : فهم لانكارهم كل نظام وكل سلطة ينكرون النضال السياسي ، وينفون ضرورة تأليف حزب سياسي للعمال ، ولا يقرون التنظيم المركزي .. الخ .. وقد قام زعماء الماركسية : ماركس وانجلس ولينين وستالين ، بنضال شديد ضد الفوضوية وآرائها . (هيئة التعريب )

صاغها مارتوف ، بأكثرية ٢٨ صوتاً ضد ٢٢ صوتاً واستنكاف واحد .  
بعد انقسام الايسكريين حول المادة الاولى للنظام الداخلي ، اشتد النضال  
واحتدم . وكانت اعمال المؤتمر قد اشرفت على النهاية ، ولم يبق سوى انتخاب  
هيئات القيادة للحزب ، اي هيئة تحرير جريدة الحزب المركزية ، الايسكروا ،  
واللجنة المركزية . ولكن قبل ان ينتقل المؤتمر الى الانتخابات ، وقعت  
حوادث عدلت النسبة بين القوى المتجابهة .

فخلال النظر في النظام الداخلي جرى البحث في المؤتمر حول « البوند » .  
وكانت هذه المنظمة تطلب ان تكون لها وضعية خاصة في الحزب ، وتريد ان  
يُعترف بها بوصفها الممثلة الوحيدة للعمال اليهود في روسيا . وكان قبول هذا  
المطلب من « البوند » يؤدي الى تقسيم العمال في منظمات الحزب على اساس  
قومي ، والى التخلي عن منظمات العمال الطبقة الموحدة المؤلفة على اساس  
المنطقة ، فرفض المؤتمر تعصب البوند القومي في مسائل التنظيم ، وعلى اثر ذلك ،  
بارح البونديون المؤتمر ، كما انسحب ايضاً اثنان من « الاقتصاديين » لرفض  
المؤتمر الاعتراف باتحادهم في الخارج كممثل للحزب هناك .

وقد ادى ذهاب هؤلاء الانتهازيين السبعة الى تعديل النسبة بين القوى  
في صالح اللينينيين .

وكان انتباه لينين متركزاً منذ البداية ، على مسألة تركيب الهيئات  
المركزية للحزب ، وكان يعتبر ان من الواجب ان ينتخب في اللجنة المركزية  
ثوريون يتصفون بالحزم والصلابة .

اما انصار مارتوف فكانوا يريدون ان يكون التفوق في اللجنة المركزية  
للعناصر المتقلقة الانتهازية . الا ان اكثرية المؤتمر تبعت لينين حول هذه  
النقطة ، وانتخب انصار لينين اعضاء في اللجنة المركزية .

ووفقاً لافتراح لينين ، انتخب لتحرير الايسكروا لينين وبلخانوف  
ومارتوف . وقد ألج هذا الاخير على المؤتمر بأن يدخل محررو الجريدة الستة  
السابقون ، واكثرهم من انصاره ، في هيئة تحرير الايسكروا . فرفض المؤتمر  
بالاكثرية هذا الاقتراح ، وانتخب المرشحين الثلاثة الذين اقترحهم لينين ،  
فأعلن مارتوف اذ ذاك بأنه لن يشترك في هيئة تحرير الجريدة المركزية .

وهكذا كرس المؤتمر ، في تصويته لانتخاب هيئات الحزب المركزية « اندحار انصار مارتوف وانتصار انصار لينين ، ومنذ ذلك الحين ، سمي انصار لينين ، الذين حصلوا على الاكثرية في انتخابات المؤتمر ، « البلشفيك » او البلاشفة ( من كلمة « بولشينستفو » اي الاكثرية ) وسمي الذين بقوا اقلية « المنشفيك » ( من كلمة « منشستفو » اي الاقلية ) .

واذا عمدنا الى وضع رصيد لاعمال المؤتمر الثاني ، لا بد من ذكر النتائج التالية :

١ — لقد كرس المؤتمر انتصار الماركسية على « الاقتصادية » ، اي على الانتهازية المكشوفة السافرة .

٢ — اقر المؤتمر البرنامج والنظام الداخلي ، وخلق حزباً اشتراكياً ديموقراطياً ، واسس على هذه الصورة ملاك حزب موحد .

٣ — كشف المؤتمر عن خلافات خطيرة في ميدان التنظيم قسمت الحزب الى بلشفيك ومنشفيك : الاولون يدافعون عن مبادئ تنظيم الاشتراكية الديموقراطية الثورية ، بينما يتخبط الآخرون في هوة التفسخ التنظيمي وفي مستنقع الانتهازية .

٤ — اظهر المؤتمر ان هناك انتهازيين من نوع جديد ، هم المنشفيك ، اخذوا يحلون شيئاً فشيئاً في الحزب ، محل الانتهازيين القدماء ، « الاقتصاديين » ، الذين هزمهم الحزب ودحروهم .

٥ — تبين ان المؤتمر لم يبلغ المستوى الرفيع الذي تتطلبه الحالة فيما يتعلق بمسائل التنظيم ، فقد تردد وجعل الغلبة احياناً في جانب المنشفيك ، ورغم انه استيقظ في النهاية ، فهو لم يستطع ان يفضح انتهازية المنشفيك في مسائل التنظيم ، ولم يستطع عزلم في الحزب ، بل انه لم يستطع حتي وضع مهمة كهذه امام الحزب .

وكان ذلك من اهم الاسباب التي ادت الى ان النضال بين البلشفيك والمنشفيك بعد هذا المؤتمر لم يبدأ ، بل زاد احتداماً .



٤ - اعمال زعماء المنشفيك الانقسامية واحتدام النضال  
في داخل الحزب بعد المؤتمر الثاني - انتهازية  
المنشفيك - مؤاف لينين « خطوة الى الامام ،  
خطوتان الى الوراء » - مبادئ الحزب الماركسي  
في شؤون التنظيم .

اشد النضال داخل الحزب بعد المؤتمر الثاني . وقد عمد المنشفيك الى جميع  
الوسائل لعرقله قرارات المؤتمر والاستيلاء على مراكز الحزب ، وطلبوا ان  
يكون تمثيلهم في هيئة تحرير الايسكرا وفي اللجنة المركزية بنسبة تؤمن لهم  
الاكثرية في هيئة التحرير من جهة ، والتساوي مع البلشفيك في اللجنة  
المركزية من جهة ثانية . واذ كان هذا الطلب يخالف قرارات المؤتمر  
الثاني ، فقد رفض البلشفيك طلبات المنشفيك ، فألف هؤلاء حينئذ ، دون  
علم الحزب ، منظمتهم الانقسامية الخاصة المعادية للحزب ، وكان على رأسها  
مارتوف وتروتسكي واكسلرود ، و« اعلنوا العصيان على اللينينية » حسب تعبير  
مارتوف . اما اسلوب النضال الذي انتهجوه لمكافحة الحزب فقد كان قائماً ،  
كما قال لينين ، على « تخريب كل عمل الحزب ، وانزال الضرر به ، وعرقله  
كل شيء في كل الميادين » . وقد لجأوا الى عصبة الاشتراكيين الديموقراطيين  
الروس في الخارج ، وكان تسعة اعشار اعضائها من المثقفين المهاجرين المقطعين  
عن العمل في روسيا ، فجعلوها كميناً لهم صوبوا منه نارهم على الحزب وعلى  
لينين وعلى اللينينيين جميعاً .

وكان بليخانوف يساعد المنشفيك بقوة . وكان قد وقف في المؤتمر الثاني الى  
جانب لينين . الا ان المنشفيك استطاعوا بعد المؤتمر الثاني ، ان يؤثروا عليه  
وان يخيفوه عن طريق التهديد بوقوع انقسام في الحزب ، وهكذا قرر ان  
« يتصالح » معهم مهما كلف الامر . وكانت وطأة اخطاء بليخانوف الانتهازية

القديمة هي التي تميل به الى جانب المنشفيك . ولم يطل به الامر كعبد المصالحه مع المنشفيك الانتهازين فقد اصبح هو نفسه منشفيكياً ، وطلب بالراح ان يدخل في هيئة تحرير الايسكورا جميع المحررين المنشفيك القدماء الذين رفضهم المؤتمر . ولم يكن في استطاعة لينين طبعاً قبول هذا الشرط فانسحب من تحرير الايسكورا لكي يقوي مواقفه في داخل لجنة الحزب المركزية ويوجه ضرباته الى الانتهازين من هناك . اما بليخانوف فقد ضرب صفحاً عن ارادة المؤتمر ، وعهد من نفسه الى ضم المحررين المنشفيك القدماء الى هيئة تحرير الايسكورا . ومنذ ذلك الحين ، اي ابتداء من العدد ٥٢١ من الايسكورا ، جعل المنشفيك هذه الجريدة لسان حالهم واستخدموها للدعوة الى آرائهم ونظراتهم الانتهازية .

وعقب ذلك صار يقال في الحزب الايسكورا القديمة اي الايسكورا اللينينية البلشفيكية ، والايسكورا الجديدة اي الايسكورا المنشفيكية الانتهازية .

وما ان اصبحت الايسكورا في ايدي المنشفيك ، حتى صارت جريدة نضال ضد لينين ، وضد البلشفيك ، وجريدة دعاية للانتهازية المنشفيكية خصوصاً في ميدان التنظيم . وتحالف المنشفيك مع « الاقتصاديين » والبولنديين واشهروا في الايسكورا « الحرب على اللينينية » حسب تعبيرهم انفسهم . اما بليخانوف فلم يستطع البقاء طويلاً على مواقفه بالدعوة الى المصالحة ، فبعد فترة قصيرة من الزمن انضم هو ايضاً الى هذه الحملة . وكان لا بد من وقوع ذلك تبعاً لمنطق الاشياء ذاتها . فان من يصر على ضرورة المصالحة مع الانتهازين ، لا بد ان ينزل نفسه الى الانتهازية . وكانت المقالات والتصريحات ترى من الايسكورا الجديدة كوابل من المطر ، وكلها تقول ان الحزب لا ينبغي ان يكون كلاً منظماً ، وان من الواجب القبول بوجود افراد وجماعات في داخل الحزب يبقون احراراً وغير مجبرين على الخضوع لقرارات هيئات الحزب ، وان يعطى كل مثقف مجذ الحزب ، وكذلك كل « مضرب » وكل متظاهر ،

حق الاعلان عن نفسه بانه عضو في الحزب . اما المطالبة بالخضوع لكل قرارات الحزب فهي من مظاهر التقيد « بالشكليات البيروقراطية » ، وكذلك خضوع الاقلية للاكثرية فما هو سوى احتقار ميكانيكي لارادة اعضاء الحزب ، اما مطالبة جميع الاعضاء ، سواء اكانوا زعماء ام اعضاء بسطاء ، بالخضوع لنظام الحزب على قدم المساواة ، فمعناها اقامة نظام « القنانة » في الحزب ، « فلسنا بحاجة في الحزب الى مبدأ المركزية ، بل « نحن » بحاجة الى مبدأ « الاستقلال الذاتي » الفوضوي الذي يمنح المنتمين للحزب ومنظّماته الحق في عدم تنفيذ قراراته .

وهكذا كانت هذه الدعاية المحمومة تجذب الزاخي والتفكك في شؤون التنظيم ، وتؤدي الى هدم الفكرة الحزبية والنظام الحزبي ، وتدمح الميول الفردية لدى المثقفين وتشجعها ، وتسوغ فكرة الفوضى ونبت كل نظام .

واذا اخذنا بعين الاعتبار اعمال المؤتمر الثاني ، تبين لنا بوضوح ان المنشفيك كانوا يعلمهم هذا ، يسحبون الحزب الى الوراء ، اي نحو التفتت العضوي ، ونحو فكرة الحلقة الصغيرة ، ونحو الاساليب الحرفية في العمل .

فكان اذن من الواجب الرد على المنشفيك رداً حاسماً ، وهو ما قام به لينين في كتابه الشهير : خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء الذي صدر في ايار سنة ١٩٠٤ .

وفيا ليلي الاسس التنظيمية الرئيسية التي شرحها لينين في هذا المؤلف ، وقد اصبحت فيما بعد اسس تنظيم حزب البلشفيك :

١ - الحزب الماركسي هو جزء لا يتجزأ من الطبقة العاملة ، هو فصيلة منها . ولكن الفصائل كثيرة في الطبقة العاملة . فكل فصيلة من الطبقة العاملة تسمى اذن حزب الطبقة العاملة . فان الحزب يتميز عن فصائل الطبقة العاملة الاخرى ، بأنه ، اولاً ، ليس فصيلة عادية ، بل هو فصيلة الطليعة ، الفصيلة الواعية ، الفصيلة الماركسية للطبقة العاملة ، هو الفصيلة المسلحة بمعرفة الحياة الاجتماعية ، ومعرفة قوانين التطور الاجتماعي ، ومعرفة قوانين نضال الطبقات ،

فهو ، لهذا السبب ، الفصيلة القادرة على ارشاد الطبقة العاملة وقيادة نضالها . فكما انه ينبغي عدم المزج بين الجزء والكل ، فكذلك ينبغي عدم المزج بين الحزب والطبقة العاملة ، فلا يمكن ان نطالب بان يكون في امكان كل مضرب ان يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب ، لان من يخطط الحزب بالطبقة ، ينزل بمستوى ادراك الحزب الى مستوى « كل مضرب » ، ويهدم الحزب من حيث هو الطليعة الواعية للطبقة العاملة . فليست مهمة الحزب ان ينزل بمستواه الى مستوى « كل مضرب » ، بل ان يرفع جماهير العمال ، وان يرفع « كل مضرب » الى مستوى الحزب .

وقد كتب لينين في ذلك ما يلي :

« نحن حزب الطبقة ، ولذلك فالطبقة كلها على وجه التقريب ، ( اما في وقت الحرب ، اي في عهد الحرب الاهلية ، فالطبقة كلها على وجه الاطلاق ) يجب ان تعمل تحت قيادة حزبنا وان تتراس حوله اكثر ما يمكن . اما ان تصبح الطبقة كلها تقريباً او الطبقة بأسرها يوماً ما ، وفي عهد الرأسمالية ، في حالة تستطيع معها ان ترتفع حتى تحصل على درجة من الوعي والنشاط مثل طليعتها ، اي مثل حزبها الاشتراكي الديموقراطي ، فان التفكير في امكان ذلك هو ضرب من المانيولية (١) وشكل من « التبعية » . وان المنظمة النقابية نفسها ( وهي منظمة ابتدائية اكثر من الحزب واقرب متناولا الى ادراك الجماعات غير المتقدمة ) لا تستطيع في عهد الرأسمالية ان تشمل الطبقة العاملة كلها تقريباً ، او الطبقة العاملة بأسرها تماماً . وليس هناك اشتراكي ديموقراطي واحد سليم التفكير داخله الشك يوماً في ذلك . فنحن انما نخدع انفسنا ونغض اعيننا عن عظمة مهاتنا وواجباتنا ، بل اننا

---

(١) مانيولية : غباوة ، احلام الفارغين من الاعمال . ومانيولوف هو احد اشخاص قصة غوغول : « الارواح الميتة » . ( ملاحظة من هيئة التحرير )

نضيق نطاق هذه المهات والواجبات ، اذا نحن نسبنا الفرق بين  
فصيلة الطليعة وبين كل الجماهير التي تلتف حولها ، واذا نسبنا  
ان على فصيلة الطليعة واجباً دائماً هو رفع جماعات اوسع فأوسع  
الى هذا المستوى المتقدم الراقى » ( لينين - المرجع ذاته - ص ٣٥٤ -  
٣٥٥ ) .

٢ - ليس الحزب طليعة الطبقة العاملة وفصيلتها الواعية فحسب ، بل هو  
أيضاً الفصيلة المنظمة للطبقة العاملة ، وله نظامه الخاص الاجباري لكل اعضائه ،  
ولذلك يجب على جميع اعضاء الحزب ان ينتموا بصورة اجبارية الى احدى  
منظماته ، فلو لم يكن الحزب فصيلة منظمة من الطبقة ، ولا مجموعة تنظيمية ،  
بل كان فقط كمية افراد يسمون انفسهم بانفسهم اعضاء في الحزب دون ان  
ينضموا الى احدى منظماته ، اي افراد غير منظمين وبالتالي غير مجبرين على  
الخضوع لقرارات الحزب - لو كان الحزب كذلك ، لما كانت له يوماً ارادة  
موحدة ولما استطاع ابدأ تحقيق وحدة العمل بين اعضائه ، وبالتالي كان من  
المستحيل عليه ان يقود نضال الطبقة العاملة . فليس في استطاعة الحزب ان يقود  
الطبقة العاملة قيادة عملية ، وان يوجهها نحو هدف واحد ، الا اذا كان جميع  
اعضائه منظمين في فصيلة مشتركة واحدة ، تجمع اجزاءها كالحديد وحدة  
الارادة ، ووحدة العمل ووحدة النظام .

اما اعتراض المنشفيك القائل بانه يبقى ، في مثل هذه الحال ، كثير من المثقفين ،  
كلاساتذة مثلاً والطلاب وتلاميذ المدارس الثانوية .. الخ ، خارج الحزب ،  
لانهم لا يريدون الانضمام الى هذه او هذه من منظماته ، وذلك اما لان نظام  
الحزب ثقيل عليهم ، واما لانهم كما قال بليخانوف في المؤتمر الثاني ، يعتبرون  
« الانضمام الى هذه المنظمة المحلية او تلك تحقيراً لهم » ، اما اعتراض المنشفيك  
هذا فينقلب عليهم ، فما حاجة الحزب الى اعضاء يضايقهم نظامه ويخشون الانضمام  
الى احدى منظماته ؟؟ ان العمال لا يخشون النظام ولا التنظيم ، وهم ينضمون  
بطيبة خاطر الى المنظمات منذ اللحظة التي يقررون فيها ان يصبحوا اعضاء في

الحزب . فلا يخشى النظام والتنظيم الا المثقفون ذوو الروح الفردية ، ولهذا يبقون فعلاً خارج الحزب . وليس في ذلك الا كل الخير ، فبذلك يتخلص الحزب من اقبال العناصر غير الثابتة عليه ، هذا الاقبال الذي ازداد اليوم بوجه خاص نظراً لان الثورة الديموقراطية البورجوازية بدأت في الصعود . وقد كتب لينين حول ذلك :

« اذا كنت اقول ان الحزب يجب ان يكون مجموع منظمات ( ولا أعني مجموعاً حسابياً بسيطاً ، بل كلاً متشابكاً ) ، فانما افصح بذلك افصاحاً مطلقاً الوضوح والدقة عن الحاحي وعن رغبتني في ان يكون الحزب ، من حيث هو طليعة الطبقة ، شيئاً منظماً اكثر مما يمكن ، وان لا يستقبل في صفوفه الا عناصر تقبل ولو حداً اصغر من التنظيم » ( المرجع ذاته - ص ٣٥٢ ) .

وكتب فيما بعد :

« ان صيغة مارتوف تدافع ، ولكن بالكلام فحسب ، عن مصالح فئات البروليتاريا الواسعة اما من حيث الواقع فلن تحدم هذه الصيغة سوى مصالح المثقفين البورجوازيين الذين يخشون النظام والتنظيم البروليتاريين ولا يجرأ احد ان ينكر ان الشيء الذي يميز المثقفين عموماً من حيث هم فئة خاصة في المجتمعات الرأسمالية الحديثة ، انما هو الفردية ، وعدم القابلية للنظام والتنظيم » ( المرجع ذاته - الصفحة ٣٦٠ ) .

وكتب ايضاً :

« ان البروليتاريا لا تخشى التنظيم ولا النظام ، وليس موضع اهتمامها الاعتراف بالسلادة الاساتذة والطلاب ( الذين لا يرغبون في الانضمام الى احدى المنظمات ) كأعضاء في الحزب لانهم يعملون تحت رقابة احدى المنظمات ... ليست البروليتاريا هي التي ينقصها التثقيف الذاتي من جهة التنظيم والنظام ، ان الذين

ينقصهم ذلك هم بعض المثقفين في حزبنا» (المرجع ذاته -  
الصفحة ٣٩٠) .

٣ - ليس الحزب ، بين كل منظمات الطبقة العاملة الاخرى ، فصيلة منظمة  
فحسب ، بل هو ايضاً « الشكل الاعلى للتنظيم » المدعو لقيادة جميع المنظمات  
الاخرى . فالحزب من حيث هو شكل تنظيم اعلى ، جامع في صفوفه نخبة الطبقة  
المسلحة بنظرية متقدمة وبمعرفة قوانين نضال الطبقات وتجارب الحركة الثورية ،  
لديه كل الامكانيات لكي يقود - ومن واجبه ان يقود - جميع منظمات الطبقة  
العاملة الاخرى . فميل المنشفيك الى الانتقال من دور الحزب القيادي الى  
طمسها ، يؤدي الى اضعاف جميع منظمات البروليتاريا الاخرى التي يقودها  
الحزب ، وبالتالي يؤدي الى اضعاف البروليتاريا ونزع سلاحها لانه :

« ليس لدى البروليتاريا ، في نضالها لاجل السلطة ، سلاح سوى التنظيم »  
( لينين - المرجع ذاته - الصفحة ٤١٤ ) .

٤ - في الحزب تتجسد صلة طليعة الطبقة العاملة مع الجماهير الغفيرة في  
هذه الطبقة . فقد يكون الحزب احسن فصيلة متقدمة ، واتمها تنظيمياً ، ولكنه  
لا يستطيع ان يحيا وان يتطور اذا لم تكن له صلات بجماهير غير الحزبيين ،  
واذا لم تتكاثر هذه الصلات ولم تتنوع ولم تتوطد . فان حزباً ينحني على نفسه  
وينعزل عن الجماهير ، ويفقد صلاته بطبقته ، او يضعف هذه الصلات ، لا بد  
ان يفقد ثقة الجماهير وتأييدها ، فهو بالتالي حزب هالك حتماً . فلنكي يحيا  
الحزب حياة تامة ملائ ، ولنكي يتطور ، عليه ان يكثر صلاته مع الجماهير  
وان ينوعها ، وان يكتسب ثقة الجماهير الغفيرة في طبقته .  
وكان لينين يقول :

« يجب ان نحصل على تأييد الطبقة لكي نكون حزباً  
اشتراكياً ديمقراطياً » . ( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد السادس -  
ص ٢٠٨ - الطبعة الروسية ) .

٥ - لكي يتمكن الحزب من القيام بعمله ويقود الجماهير بانتظام ينبغي

ان يكون منظماً طبقاً لمبادئ **المركزية** وان يكون لديه قانون داخلي واحد، ونظام واحد، وهيئة قائدة واحدة يمثلها مؤتمر الحزب، وتمثلها خلال المدة الفاصلة بين مؤتمرات، اللجنة المركزية للحزب. ويجب ان تخضع الاقلية للاكثرية، وان تخضع المنظمات المختلفة للركز، والمنظمات السفلى للمنظمات العليا. بدون هذه الشروط، لا يمكن ان يكون حزب الطبقة العاملة حزباً حقيقياً وان يستطيع القيام بمهمته التي هي ارشاد الطبقة وقيادتها.

وبما ان الحزب كان غير مشروع في عهد الاوتوقراطية القيصرية، فبطبيعة الحال لم يكن من الممكن ان تقوم منظمات الحزب في ذلك العهد على مبدأ الانتخاب من القاعدة، اذ كان من الواجب ان يبقى الحزب سرياً تماماً. غير ان لينين كان يعتبر ان هذه الحالة هي مؤقتة في حياة حزبنا، وسوف تنقضي فور القضاء على القيصرية، عندما يصبح الحزب علنياً مشروعاً، فتقوم منظماته عندئذ على مبدأ الانتخابات الديمقراطية وعلى مبدأ **المركزية الديمقراطية**. وكان لينين يقول:

« قديماً، لم يكن حزبنا، من حيث الشكل، كلاً منظماً، بل كان مجموع فرق خاصة، ولذا لم يكن من الممكن ان يكون بين هذه الفرق من صلة سوى العمل الفكري. اما الآن فقد اصبحنا حزباً منظماً، ويعني ذلك انشاء سلطة، وتحويل هيئة الافكار الى هيئة للسلطة، وتأمين تبعية الهيئات السفلى للهيئات العليا في الحزب» (المرجع ذاته - الصفحة ٢٩١).

وقد هاجم لينين المنشفيك حاملاً على ميولهم النيهيلستية (١) في شؤون التنظيم، وعلى فوضيتهم المتكبرة المتعالية، التي لا تقبل فكرة الخضوع لسلطة

(١) النيهليستية: او العدمية، والنيهليستي هو العدمي. وكان يسمى بذلك فريق من المثقفين الروس الذين يتميزون بشدة ميولهم الفردية، واحتقارهم كل القيم الفكرية، وازدراءهم للشعب، وتقديسهم للفوضى. وقد ادى ذلك بالكثيرين منهم الى استعمال اساليب الارهاب الفردي ضد افراد من الطبقات الحاكمة في روسيا القيصرية.

(هيئة التعريب)



الحزب ونظامه ، وقد كتب في ذلك ما يلي :

« ان هذه الفوضوية المتعالية المتكبرة هي من خصائص النيهيليستي الروسي : فان منظمة الحزب تتراءى له كـ « فابريكة » مخيفة ، اما خضوع الجزء للكل والاقلية للاكثرية ، فهو في نظره ضرب من « الاستعباد » ، وكذلك تقسيم العمل تحت قيادة مركز واحد ، فهو امر يدفعه الى ارسال صرخات مبكية مضحكة احتجاجاً على تحويل الناس الى دواليب ونوابض (١) وهو يرى ان افطع اشكال هذا التحويل واشدها وطأة هو تحويل المحررين الى معاونين (٢) وما ان تذكر امامه قوانين تنظيم الحزب ، حتى ترتسم على وجهه تكشيرة احتقار ، ويتفضل بملاحظة كلها ازدراء واستخفاف وموجهة الى المتمسكين بالشكليات « قائلًا » ان من الممكن الاستغناء عن هذه القوانين باجمعا » ( لينين — المؤلفات المختارة — المجلد الاول — ص ٣٩٣ ) .

٦ — اذا كان الحزب يحرص في نشاطه العملي على الاحتفاظ بوحدة صفوفه ، فعليه ان يطبق نظاماً بروليتارياً واحداً اجبارياً يتساوى اعضاء الحزب جميعاً في التزامه والتقييد به من الزعماء الى ايسر الاعضاء . ولهذا ينبغي ان لا يكون في الحزب اي تقسيم يجعل الاعضاء فريقين : « اعضاء النخبة » ، وليس النظام اجبارياً لهم ، و « غير اعضاء النخبة » وهم مجبرون على الخضوع للنظام . بدون هذا الشرط ، لا يمكن المحافظة على سلامة الحزب ولا على وحدة صفوفه .

(١) نوابض : زنبركات .

(٢) يلح هنا لينين الى غضب المنشيك لان ممثلهم في المؤتمر الثاني لم ينتخبوا لرئاسة تحرير

الايسكرا بل صار بعضهم فقط معاونين في التحرير .

( هيئة التعريب )

وقد كتب لينين في ذلك قائلاً :

« ان كلمة مارتوف وزملائه « نحن لسنا اقناناً » تصور احسن تصوير فقدان كل حجة معقولة لديهم ضد هيئة التحرير التي عينها المؤتمر . ففي هذه الكلمة تظهر ، بشكل واضح جلي ، نفسية المثقف البورجوازي الذي يتصور نفسه من « الارواح المختارة » التي هي فوق التنظيم الجماهيري ، وفوق النظام الجماهيري . فكل تنظيم وكل نظام بروتيتاري ، هما والفنانة شيء واحد بالنسبة لفردية المثقف » . ( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد السادس - ص ٢٨٢ - الطبعة الروسية ) .

وقال في مكان آخر :

« كلما تقدمنا في الطريق نحو تكوين حزب حقيقي عندنا ، يصبح من واجب العامل الواعي ان يتعلم التمييز بين نفسية المكافح في الجيش البروليتاري ونفسية المثقف البورجوازي الذي يتبجح بالعبارات الفوضوية ، يصبح من واجبه ان يتعلم المطالبة باتمام الواجبات المترتبة على اعضاء الحزب ، وان يطالب بذلك لا الاعضاء البسطاء فحسب ، بل « الناس الموجودين فوق » ايضاً . » ( لينين - المؤلفات المختارة - المجلد الاول - ص ٣٩٦ ) .

ولما وضع لينين خلاصة لتحليل الخلافات وحدد موقف المنشفيك بانه « موقف انتهازي في قضايا التنظيم » بين ان احدى جرائر « المنشفية » الاساسية هي استصغار اهمية منظمة الحزب من حيث هي سلاح البروليتاريا في نضالها من اجل تحريرها ، فقد كان من رأي المنشفيك ان المنظمة او حزب البروليتاريا ، ليست له اهمية جدية في انتصار الثورة . اما لينين فكان يعتقد ، على عكس المنشفيك ، ان اتحاد البروليتاريا الفكري وحده لا يكفي لتأمين الانتصار ، وان من الضروري ، لاحتراز الغلبة والظفر ، توطيد الوحدة الفكرية ودعم

بنائها بـ « الوحدة المادية المنظمة البروليتاريا » . فان البروليتاريا لا يمكن ،  
في رأي لينين ، ان تصبح قوة لا تغلب الا بهذا الشرط . وقد كتب بهذا  
الشأن ما يلي :

« ليس للبروليتاريا سلاح في نضالها في سبيل الحكم الا  
التنظيم . فان البروليتاريا ، التي تقسم صفوفها المزاحمة  
الفوضوية السائدة في العالم البورجوازي وبرهقتها الكدح  
الذليل لاجل الرأسمال ، وتتخبط بصورة مستمرة « في  
ادنى مهاوي » البؤس الاسود والجهل الوحشي والانحطاط  
والتفسخ ، لا تستطيع ان تصير - وستصير حتماً - قوة لا  
تغلب الا لان اتحادها الفكري المؤسس على مبادئ  
الماركسية ، موطد ومرصوص بالوحدة المادية للمنظمة  
التي تجمع الملايين من الشغيلة في جيش موحد للطبقة العاملة .  
فجيش مثل هذا لن تستطيع مقاومته لاسلطة الاوتوقراطية  
المتداعية ، ولا سلطة الرأسمال الدولي الآخذة بالانهيار » .  
( المرجع ذاته - الصفحة ٤١٤ ) .

بكلمات النبوة هذه ، ختم لينين كتابه .

تلك هي مبادئ التنظيم الاساسية التي شرحها لينين في مؤلفه المشهور :  
خطوة الى الامام ، خطوات الى الوراء .

وان ما يجعل لهذا الكتاب اهمية كهوى ، هو انه قبل كل شيء انتقد فكرة  
الحزب وصانها ضد فكرة الحلقة الضيقة ، وحمى الحزب من الخربين وسحق  
الانتهازية المنشقية في مسائل التنظيم ، ووضع اسس تنظيم الحزب البلشفي .  
الا ان اهميته لا تقتصر على ذلك فحسب ، فان دوره التاريخي ناجم عن ان  
لينين وضع فيه ، لأول مرة في تاريخ الماركسية ، تعاليم الحزب من حيث  
هو المنظمة الفاعلة للبروليتاريا ، ومن حيث هو سلاح اساسي في يد البروليتاريا  
يستعمل بدونه احراز الغلبة والظفر في النضال لاجل الديكتاتورية البروليتارية .

وكان من نتائج توزيع كتاب خطوة الى الامام ، خطوتان الى الورا  
بين مناصلي الحزب ، ان اكثر المنظمات المحلية التفت حول لينين .  
ولكن كلما كانت المنظمات تزداد التفافاً حول البلاشفة ، كان موقف  
الزعماء المنشفيك يزداد حثماً وضعينة .

وفي صيف ١٩٠٤ ، استولى المنشفيك ، بمعونة بليخانوف ، وبسبب خيانة  
اثنين متفسخين من البلاشفة ، هما كراسين ونوسكوف ، على الاكثرية في اللجنة  
المركزية . واتضح ان المنشفيك يتجهون نحو الانقسام ، واصبح البلاشفة بعد  
ضياع الايسكورا واللجنة المركزية في موقف محفوف بالصعوبات . وصار  
من الضروري اصدار جريدة بلشفية خاصة ، وتنظيم مؤتمر جديد ، هو المؤتمر  
الثالث للحزب ، لتأليف لجنة مركزية جديدة للحزب ، وتسوية الحساب مع  
المنشفيك . وهذا ما شرع به لينين وجميع البلاشفة .

اشهر البلاشفة النضال في سبيل دعوة المؤتمر الثالث للحزب ، وفي آب ١٩٠٤  
انعقد في سويسرا ، تحت قيادة لينين ، مجلس للمداولة جمع اثنين وعشرين من  
البلاشفة ، وقد اقر هذا المجلس رسالة « الى الحزب » اصبحت بالنسبة  
للبلاشفة برنامج نضال في سبيل عقد المؤتمر الثالث .

وعقدت اللجان البلشفية ثلاثة مجالس منطقية للمداولة ( في الجنوب  
والقفقاس والشمال ) ، انتخب فيها مكتب للجانب الاكثرية ، وشرع هذا  
المكتب في تحضير المؤتمر الثالث للحزب بصورة عملية .

وفي ٤ كانون الثاني ١٩٠٥ صدر العدد الاول للجريدة البلشفية فبريود  
( الى الامام ) .

وهكذا تألف في داخل الحزب فريقان متميزان — البلشفيك والمنشفيك —  
ولكل منهما مركزه وصحافته .

# الخلاصة

خلال المرحلة الممتدة من ١٩٠١ الى ١٩٠٤، تنمو المنظمات الاشتراكية الديمقراطية في روسيا وتقوى تبعاً لنهوض حركة العمال الثورية . وخلال نضال مبدئي عنيد ضد «الاقتصاديين» تنتصر الخطة الثورية لـ **الايסקورا**، جريدة لينين ، ويقضى على الارتباك الفكري وعلى « العمل بالاسلوب الحرفي » .

وترتبط **الايסקورا** الحلقات والفرق الاشتراكية الديمقراطية المبعثرة فيما بينها ، وتهيم المؤتمرات الثاني للحزب . وفي هذا المؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٠٣ يتألف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، ويوضع البرنامج والنظام الداخلي ، وتؤلف الهيئات المركزية القيادية للحزب .

وخلال النضال الذي يجري في المؤتمر في سبيل انتصار الاتجاه الايسكري نهائياً في داخل حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، يظهر فريقان: فريق البلاشفة وفريق المنشفيك .

وبعد المؤتمر الثاني تستخدم الخلافات الاساسية بين البلاشفة والمنشفيك حول قضايا التنظيم، فيتقارب المنشفيك من « الاقتصاديين » ويحلون محلهم في الحزب . وتظهر انتهازية المنشفيك في هذا الوقت في قضايا التنظيم . فانهم يعارضون في تأليف حزب ثوري مناضل على الطراز اللينيني ، ويريدون حزباً ذا اطراف غامضة ، حزباً غير منظم ، يسير في ذيل الحركة . ويتبع المنشفيك خطة انقسامية في الحزب ، ويستولون ، بمعونة بليخانوف، على **الايסקورا** وعلى اللجنة المركزية ، ويستعملون هذين المركزين لاجل غايات تفريقية انقسامية .

وتجاه خطر الانقسام الصادر عن المنشفيك ، يتخذ البلاشفة تدابير للوقوف دون العاملين للانقسام ، فيجندون المنظمات المحلية لاجل دعوة المؤتمر الثالث ، ويصدرون جريدتهم **فريود** .

وهكذا ، على اعتاب الثورة الروسية الاولى، وفي وقت كانت فيه الحرب الروسية اليابانية قد بدأت، ظهر البلاشفة والمنشفيك كفريقين سياسيين متمايزين .

## الفصل الثالث

المنشفيك والبلاشفة خلال الحرب  
الروسية اليابانية والثورة الروسية الاولى  
( ١٩٠٤ - ١٩٠٧ )

•

- ١ - الحرب الروسية اليابانية - استمرار نهوض الحركة  
الثورية في روسيا - اضرابات بطرسبرج - مظاهرة  
العمال امام القصر الشتوي في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ -  
اطلاق الرصاص على المظاهرة - ابتداء الثورة .

منذ اواخر القرن التاسع عشر ، اشتهرت الدول الاستعمارية نضالاً شديداً  
في سبيل السيطرة على المحيط الباسيفيكي ( الهادي ) وتقاسم الصين . وقد  
اشتراك روسيا القيصرية ايضاً في هذا النضال . وفي عام ١٩٠٠ سحقت جيوش  
القيصر ، بالاشتراك مع الجيوش اليابانية والانكليزية والالمانية والفرنسية ،  
بوحشية متناهية ، الثورة الشعبية في الصين التي كانت موجهة ضد المستعمرين  
الاجانب . وقبل ان كانت الحكومة القيصرية قد اجبرت الصين على التخلي لروسيا

عن شبه جزيرة لياوتونغ مع حصن بور آرثور ، واستأثرت روسيا بحق بناء خطوط حديدية في الاراضي الصينية ، فانشىء في منشوريا الشمالية الخط الحديدي المسمى بخط الصين الشرقية وجيء بجيوش روسية لحراسته ، واحتلت روسيا القيصريّة منشوريا الشمالية احتلالاً عسكرياً ، واخذت القيصريّة تمسك ذراعها نحو كوريا . وكان من جملة مشاريع البورجوازية الروسية ، انشاء « روسيا صفراء » في منشوريا .

غير ان القيصريّة اصطدمت ، خلال فتوحاتها في الشرق الاقصى ، بمقتوس آخر هو اليابان التي كانت قد تحولت بسرعة الى بلاد استعمارية ، وراحت هي ايضاً ترمي الى اقتطاع اراض من القارة الاسيوية ومن اراضي الصين بوجه خاص . فكانت تريد اغتصاب كوريا ومنشوريا ، مثلها في ذلك مثل روسيا ، كما انها ، منذ ذلك الحين ، كانت تمني النفس بوضع يدها على جزيرة سخالين وعلى الشرق الاقصى . وكانت انكارتا تؤيد اليابان سرّاً لحشيتها من ان توطد روسيا اقدامها في الشرق الاقصى .

اصبحت الحرب الروسية اليابانية وشيكة الوقوع ، فان البورجوازية الروسية الكبيرة الساعية الى اسواق جديدة ، وكذلك الفريقين المغرق في الرجعية من كبار ملاكي الاراضي ، كانوا جميعاً يدفعون الحكومة القيصريّة الى خوض هذه الحرب .

غير ان اليابان لم تنتظر ان تعلن الحكومة القيصريّة الحرب عليها ، بل بدأت هي اعمال العداء ، فقد كان لها مصلحة تجسس ماهرة في روسيا ، وتبين لها انها واجدة امامها في هذا النضال خصماً غير مهمياً .

في كانون الثاني ١٩٠٤ هاجمت اليابان فجأة ، ودون اعلان الحرب ، حصن بور آرثور الروسي وانزلت بالاسطول الروسي الراسي فيه خسائر فادحة . وهكذا بدأت الحرب الروسية — اليابانية .

كانت الحكومة القيصريّة تأمل ان تساعدتها الحرب على توطيد موقفها السياسي وعلى ايقاف الثورة . غير انها كانت مخطئة في حسابها ، فقد ضعفت

الحرب اركان القيصرية فوق ما كانت مضعضة .  
لقد تالت الهزائم على الجيش الروسي لسوء تسليحه وسوء تدريبه ولوجوده  
تحت قيادة جنرالات خونة ومباين وغير اكفاء .  
كانت الحرب تغدق الثروة والغنى على الرأسمالين وكبار الموظفين  
والجنرالات ، وكانت السرقة منتشرة في كل مكان ، اما قومين الجيوش ففي  
اسوأ حال . ففيما الجيش يشكو فقدان الذخيرة ، اذا به يتلقى قطراً مشحونة  
بالايقونات (١) فكان ثمة من يتقصد الشاة به واللهكم عليه . وكان الجنود  
يقولون بمرارة : « اليابانيون يمتروننا بالقنابل ، ونحن نباركهم بالايقونات »  
وعوضاً عن الاهتمام بنقل الجرحى ، كانت قطارات خاصة تنقل الأسلاب التي  
يسرقها الجنرالات القيصريون .

حاصر اليابانيون حصن بور آرثور ثم استولوا عليه ، وبعد ما انزلوا  
بالجيش القيصري سلسلة من الهزائم ، بددوا شمله بالقرب من موكدن .  
وكان عدد الجيش القيصري ثلاثائة الف رجل ، ففقد في هذه المعركة ما يقرب  
من مائة وعشرين الفاً بين قتل وجريح واسير ، فكانت هزيمة شعاء . اما  
الاسطول الروسي الذي ارسل من البلطيق لنجدة بور آرثور المحاصرة ، فقد  
كان مصيره الابادة . واتخذت هزيمة تسوشيما شكل نكبة شاملة تامة : فمن  
مجموع عشرين قطعة حربية ارسلها القيصر ، اغرقت او حطمت ثلاث عشرة  
قطعة واسرت اربع . وهكذا خسرت روسيا القيصرية الحرب نهائياً .

وجدت حكومة القيصر نفسها مضطرة الى توقيع صلح منجل . فقد  
استولت اليابان على كوريا ، وانتزعت من روسيا بور آرثور ونصف  
جزيرة سخالين .

ان الجماهير الشعبية ما ارادت هذه الحرب وكانت تدرك الضر الذي  
سيصيب روسيا من جرائمها . لقد كانت تأخر روسيا القيصرية يكلف الشعب  
ثمناً غالياً .

---

(١) - الايقونات : - اشياء مقدسة عليها صور الالهة والقديسين ( هيئة التعريب )



لم يكن موقف البلاشفة والمنشفيك واحداً من هذه الحرب .  
فالمنشفيك ، بما فيهم تروتسكي ، زلقوا الى موقف المحبذين للحرب الى  
النهاية ، اي موقف الدفاع عن « وطن » القيصر وكبار ملاكي الاراضي  
والرأسماليين .

اما لينين والبلاشفة فكانوا ، على العكس ، يعتبرون ان اندحار الحكومة  
القيصرية في حرب السلب والنهب هذه ، سيكون مفيداً لانه سيؤدي الى  
اضعاف القيصرية وتقوية الثورة .

وقد كشفت هزائم الجيش القيصري امام جماهير الشعب الواسعة عما آلت  
اليه القيصرية من تفسخ ، واخذ الحقد الدفين عند الجماهير الشعبية على القيصرية  
يشند يوماً بعد يوم . وقد كتب لينين ان سقوط بور آرثور يسجل بدء سقوط  
اللاوتوقراطية .

لقد اراد القيصر خنق الثورة بالحرب ، فحدث العكس ، وأدت الحرب  
الروسية — اليابانية الى التعجيل بالثورة .

كان نير القيصرية يجعل الاضطهاد الرأسمالي في روسيا القيصرية اشد وطأة ،  
فلم يكن العمال يقاسون الاستثمار الرأسمالي والعمل المضني فحسب ، بل كانوا  
يعانون ايضاً استبداداً يثقل عاتق الشعب بأسره . ولذلك كان العمال الواعون  
مندفعين الى السير في رأس الحركة الثورية التي تقوم بها جميع العناصر  
الديموقراطية في المدينة والريف ضد القيصرية . وكانت جماهير الفلاحين تزرخ  
تحت بقايا القنانة المتعددة ، وتضيق عيشاً بسبب فقدان الارض من ايديها .  
وكان كبار ملاكي الاراضي والمزارعون الاغنياء يسومونهم انواع الذل  
والاستعباد . اما شعوب روسيا القيصرية على اختلافها ، فكانت تثن تحت نير  
مضاعف: نير كبار ملاكي الاراضي ونير الرأسماليين ، المحليين منهم والروس .  
وقد زادت ازمة ١٩٠٠ — ١٩٠٣ في آلام الجماهير الكادحة وعذابها ، واثت  
الحرب فزادتها وطأة واستفحالاً ، وكانت الهزائم العسكرية تثير حقد الجماهير  
ضد القيصرية ، حتى نفد صبر الشعب .

نرى من كل ذلك ان اسباب الثورة كانت اكثر من كافية .  
وفي كانون الاول ١٩٠٤ اعلن عمال باكو ، بقيادة اللجنة البلشفية في هذه  
المدينة ، اضراباً مهيباً حسن التنظيم . وأدت الحركة الى انتصار المضربين  
وتوقيع عقد جماعي بين العمال وأصحاب صناعات البترول — وهو اول عقد  
جماعي في تاريخ حركة العمال في روسيا .  
سجل اضراب باكو ابتداء النهوض الثوري عبر القوقاز وفي عدة مناطق  
من روسيا .

« لقد اعطى اضراب باكو الاشارة الاولى للحركات المجيدة التي جرت في  
كانون الثاني وشباط في جميع انحاء روسيا » ( ستالين )  
انى هذا الاضراب كالبرق يتقدم الاعصار ، قبيل العاصفة الثورية الكبرى .  
ومن ثم اتت حوادث ٩ ( ٢٢ ) كانون الثاني ١٩٠٥ في بطرسبرج فسجلت  
بدء العاصفة .

في ٣ كانون الثاني ١٩٠٥ ، نشب الاضراب في معمل بوتيلوف الكبير في  
بطرسبرج ( وهو اليوم معمل كيروف ) . وكان الدافع اليه طرد اربعة من  
العمال ، ولم يلبث ان ايدته معامل ومصانع اخرى في هذه المدينة ، واصبح  
الاضراب عاماً . واخذت الحركة تنمو وتزداد خطورة . وقد قررت الحكومة  
القيصرية منذ البداية قمعها .

منذ عام ١٩٠٤ ، اي قبل اضراب معمل بوتيلوف ، انشأت الشرطة ،  
بمعونة عميل لها يدعى القس كابون ، منظمة بين العمال اسمها «جامعة عمال المعامل  
الروس » وكان لهذه المنظمة فروع في جميع احياء بطرسبرج . وحينما نشب  
الاضراب ، اقترح القس كابون على الجامعات المنتسبة الى جمعيته ، برنامجاً  
استفزازياً هو ان يؤلف العمال في ٩ كانون الثاني موكباً سلمياً يحمل اعلاماً  
كنسية مع صور القيصر وان يمثلوا امام القصر الشتوي لاجل تقديم عريضة .  
يشرحون فيها للقيصر حاجاتهم . وقد زعم كابون ان القيصر سيظهر بنفسه امام  
الشعب ، فيسمع مطالبه ويحييه بما يرضيه . وكانت غاية كابون من ذلك ان

يساعد الاوخرانا القيصرية على اثارة مذبحة واغراق حركة العمال في الدماء .  
غير ان هذا المشروع البوليسي انقلب على الحكومة القيصرية نفسها .

نوقشت العريضة في اجتماعات العمال وادخل عليها بعض التعديل والتصحيح ،  
وقد تكلم البلاشفة ايضاً في هذه الاجتماعات ولكن دون ان يعلنوا انفسهم  
كبلاشفة ، وبتأثيرهم ادخلت على العريضة المطالب التالية : حرية الصحافة  
والكلام وجميعيات العمال ، دعوة مجلس تأسيسي مهمته تعديل نظام روسيا  
السياسي ، المساواة بين الجميع امام القانون ، فصل الكنيسة عن الدولة ، وقف  
الحرب ، تحديد يوم العمل بثماني ساعات وتطبيقه ، اعطاء الارض للفلاحين .

وكان البلاشفة حين يتكلمون في هذه الاجتماعات ، يشرحون للعمال ان  
الحرية لا تنال بعرائض موجهة للقيصر بل تنتزع بالسلاح ، وكانوا يجذرون  
العمال قائلين ان الرصاص سيطلق عليهم غير انهم لم يستطيعوا منع الموكب  
من التوجه الى القصر الشتوي ، اذ كان ثمة قسم له شأنه من العمال لا يزالون  
يعتقدون ان القيصر سيساعدهم . وكانت الحركة تجر الجماهير بقوة لا تقاوم .  
اما العريضة فتقول :

« نحن عمال مدينة بطرسبرج ، ونساءنا واولادنا ، واهلنا  
الشيوخ العاجزين اتينا اليك يا قيصرنا ناشدين عدلاً وحماية .  
اننا نقاسي البؤس . فانهم يضطهدوننا وينهكوننا بعمل هو فوق  
طاقتنا ، وينزلون بنا انواع الإهانة والعذاب ، ولا يعتبروننا  
مخلوقات بشرية . لقد تحملنا عذابنا صامتين ، ولكنهم يدفعوننا  
اكثر فاكثر الى اعماق مهاوي الشقاء والعبودية والجهل . ان  
الاستبداد والطغيان يخنقنا . وقد فرغ صبرنا وأتت الساعة  
الهائلة التي اصبحت فيها الموت خيراً لنا من الاستمرار على تحمل  
هذا العذاب وهذه الآلام التي لا تطاق ولا تغفر » .

وانتجـه العمال في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ منذ الصباح الباكر الى القصر

الشتوي ، وهو مقر القيصر اذ ذاك . وقد ذهبوا الى القيصر بكامل عائلاتهم مع نسائهم ، واولادهم ، واهلهم الشيوخ ، وكانوا يتقدمون دون سلاح حاملين صور القيصر واعلام الكنيسة ومنشدين الصلوات . وقد نزل الى الشارع اكثر من ١٤٠٠٠ شخص .

ولكن نقولا الثاني اساء استقبالهم . واصدر امره باطلاق النار على العمال العزل ، فكان ان صرعت الجيوش القيصرية منهم في ذلك اليوم اكثر من الف قتيل وبلغ عدد الجرحى الفين . وجرت دماء العمال كالسيل في شوارع بطرسبرج ! كان البلاشفة يسبرون مع العمال . وقد قتل واعتقل منهم كثيرون . وهناك ، في الشوارع التي كان يسيل فيها دم العمال ، شرح البلاشفة للعمال من هو المسؤول عن هذه الجريمة الفظيعة وكيف ينبغي النضال ضده .

منذ ذلك الحين سمي يوم ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ « الاحد الدامي » ، وقد تلقى العمال درساً بليغاً دامياً في هذا اليوم : فالنار التي اطلقت فيه اغما اطلقت على ايمان العمال بالقيصر . وقد ادرك العمال منذ ذلك الحين انهم لن يستطيعوا انتزاع حقوقهم الا بالنضال .

وفي مساء ٩ كانون الثاني بالذات ، ارتفعت المتاريس في احياء العمال وكانوا يقولون : « ان القيصر قد ضربنا ، فعلينا بدورنا ان نضرب القيصر » . انتشر نأ جريمة القيصر الدامية في كل مكان . وعم السخط والغضب الطبقة العاملة والبلاد بأسرها . ولم تبقى مدينة الا اضرب فيها العمال احتجاجاً على جريمة القيصر ووضعوا مطالب سياسية .

اخذ العمال ينزلون الى الشارع الان تحت شعار « لتسقط الاوتوقراطية » ، وبلغ عدد المضربين في كانون الثاني رقماً عظيماً هو ٤٠٠.٠٠٠ اي ان عدد المضربين في شهر واحد تجاوز عدد المضربين طول السنوات العشر السابقة ، وصعدت حركة العمال وارتفعت ارتفاعاً كبيراً !

لقد بدأت الثورة في روسيا !

## ٢ - الاضرابات السياسية ومظاهرات العمال - اندفاع حركة الفلاحين الثورية - تمرد الدارعة « بوتكين »

اشتد نضال العمال الثوري بعد هـ كانون الثاني واتخذ طابعاً سياسياً ، واخذ العمال ينتقلون من الاضرابات الاقتصادية واضرابات التضامن الى الاضرابات السياسية والمظاهرات ، ويواجهون الجيوش القيصرية في بعض الاماكن بمقاومة مسلحة . وكانت الاضرابات التي تنشب في المدن الكبرى ، المتجمعة فيها جماهير غفيرة من العمال - كبطرسبرج وموسكو وفارسوفيا وريغا وباكو - تتميز خصوصاً بشدتها وصلابتها وحسن تنظيمها . وكان عمال المعادن يسرون في طليعة البروليتاريا المناضلة . وكانت فصائل عمال الطليعة تهز باضراباتها الجماعات الاقل وعياً ، فتنهض الطبقة العاملة بمجموعها الى النضال . واخذ نفوذ الاشتراكية الديمقراطية يتعاظم بسرعة .

ولقد جرت مظاهرات اول ايار وتلتها في بعض الاماكن اصطدامات مع الشرطة والجيش . وفي فارسوفيا اطلق الرصاص على احدى المظاهرات ، فوقع عدة مئات من القتلى والجرحى . الا ان العمال اجابوا على مجزرة فارسوفيا باضراب عام احتجاجي ملين نداء الاشتراكية الديمقراطية البولونية . وتالت الاضرابات والمظاهرات دون انقطاع طول شهر ايار ، وقد اشترك اكثر من ٢٠٠ . ٠٠٠ عامل في اضرابات اول ايار التي جرت في روسيا . وساهم في الاضراب العام عمال « باكو » و « لودز » و « ايفانوفو » - فوز نيسانسك » . واخذ المضربون والمتظاهرون يصطدمون اكثر فأكثر بجيش القيصر ، وقد وقع ذلك في عدد من المدن : كاوديسا وفارسوفيا وريغا ولودز وغيرها .

وتميز النضال بطابع خاص من الشدة في « لودز » وهي مركز صناعي كبير في بولونيا . فقد اقام عمال هذه المدينة عشرات المتاريس في الطرقات ،

واستمرت المعارك بينهم وبين جيوش القيصر في الشوارع ثلاثة ايام ( من ٢٢ الى ٢٤ حزيران ١٩٠٥ ) واختلط هنا النضال المسلح بالاضراب العام . وقد نظر لينين الى هذه المعارك على انها اول حركة مسلحة لعمال روسيا . وعند الكلام عن الاضرابات التي وقعت في ذلك الصيف ، يجب التنويه بوجه خاص باضراب عمال « ايفانوفو — فوزنيسانسك » . فقد استمر من اواخر شهر ايار الى اوائل شهر آب ١٩٠٥ ، اي ما يقرب من شهرين ونصف الشهر ، واشترك في الاضراب ٧٠.٠٠٠ عامل تقريباً ، بينهم كثير من النساء ، وقد جرت الحركة بقيادة اللجنة البلشفية في الشمال . وكان يتجمع كل يوم تقريباً الوف من العمال على ضفاف نهر تالكا ، خارج المدينة ، ويتناقشون في حاجاتهم ، وكان البلاشفة يخططون في هذه الاجتماعات . واصدرت السلطات القيصرية ، لاجل سحق الاضراب ، امرها الى الجيوش بتفريق العمال بالقوة واطلاق النار عليهم . فوقع عشرات العمال قتلى ، وسقط مئات منهم جرحى . واعلنت الاحكام العرفية في المدينة . ولكن العمال صمدوا وثبتوا ، يقاسون وعائلاتهم الجوع فلا يستسلمون ، الى ان تنهى بهم الاعياء فعادوا الى العمل مكرهين . غير ان الاضراب زاد في صلابه العمال ، وعودهم على النضال . وبرهنت الطبقة العاملة على كثير من الشجاعة والحزم والصلابة والتضامن : لقد كان هذا الاضراب الذي اشهره عمال « ايفانوفو — فوزنيسانسك » بمثابة مدرسة حقيقية للتثقيف السياسي .

وقد انشأ عمال « ايفانوفو — فوزنيسانسك » خلال هذا الاضراب سوفياتاً ( مجلساً ) للمندوبين ، وكان هذا المجلس في الواقع من اوائل مجالس السوفيات لمندوبي العمال في روسيا .

لقد هزت اضرابات العمال السياسية كل البلاد وبعثت فيها الحياة . وبعد المدينة نهض الريف ، فبدأت في الربيع اضطرابات الفلاحين اذ اخذوا ينهضون جماعات كبرى ضد كبار ملاكي الاراضي ، يعيشون في اراضيهم ، ويدمرون مصفيات السكر والكحول ، ويحرقون القصور والاملاك .

وفي امكنة عديدة استولوا على اراضي النبلاء والاقطاعيين، وقطعوا الاحراج، واخذوا يطالبون بتسليم اراضي كبار الملاكين الى الشعب . وكانوا يستولون على قح كبار الملاكين ومحصولاتهم الاخرى ويوزعونها على الجائعين ، فساد الذعر كبار الملاكين واخذوا يهربون الى المدينة . وكانت الحكومة القيصرية ترسل الجنود والقوزاق لقمع نهضات الفلاحين المسلحة، فيطلق الجيش الرصاص عليهم ، ويعتقل المحرضين منهم ويجلدهم ويعذبهم . غير ان الفلاحين كانوا يتابعون النضال .

وكانت الحركة تمتد وتتسع دون انقطاع في وسط روسيا وحوض الفولغا وعبر القوقاس وفي جورجيا بوجه خاص .

كان الاشتراكيون الديمقراطيون يتغلغلون اكثر فاكثرا الى اعماق الارياض، واذاغت اللجنة المركزية للحزب نداءاً الى الفلاحين : « ايها الفلاحون، اليكم تتوجه ، واياكم ندعو ! » وكانت اللجان الاشتراكية الديمقراطية في ولايات « تغير » و « ساراتوف » و « بولتافا » و « تشيرنيغوف » و « سيكاثير ينوسلاف » و « تفليس » وفي كثير من الولايات الاخرى، تذيع كذلك نداءات موجهة الى الفلاحين . وفي الارياض كان الاشتراكيون الديمقراطيون ينظمون الاجتماعات للفلاحين ، وينشئون لهم حلقات دراسية ، ويؤلفون لجناً فلاحية . وفي صيف ١٩٠٥ قام العمال الزراعيون في اماكن عديدة باضرابات . نظمها الاشتراكيون الديمقراطيون ، غير ان كل ذلك لم يكن سوى البداية في نضال الفلاحين اذ لم تكن الحركة قد شملت بعد ، الا ٨٥ منطقة اي ما يقارب سبع مجموع مناطق روسيا الاوربية .

ان حركة العمال والفلاحين ، وكذلك اندحارات الجيوش الروسية خلال الحرب الروسية - اليابانية ، اثرت في الجيش ايضاً فترزع هذا الحصن القيصري الحصين .

في حزيران ١٩٠٥ ، وقع تمرد في اسطول البحر الاسود وذلك على ظهر الدارعة بومكين . وكانت هذه الدارعة راسية بالقرب من اوديسا ، وقد

كانت اذ ذاك مسرحاً لاضراب عام للعمال . وقد اسرع البحارة المتمردون في تسوية حسابهم مع المكروهين من الضباط . ثم ساقوا المدرعة الى مرفأ اوديسا وانضمت بومتكين الى الثورة .

لقد علق لينين اهمية خاصة على هذه النهضة المسلحة ، وكان يعتقد ان من واجب البلاشفة ان يتسبوا القيادة في هذه الحركة وان يربطوها بحركة العمال والفلاحين والحاميات المحلية .

ارسل القيصر ضد بومتكين بضع قطعات بحرية حربية غير ان بحارها رفضوا اطلاق الرصاص على رفاقهم الثائرين ، وظل علم الثورة الاحمر خافقاً فوق ظهر الدارعة بومتكين خلال ايام عديدة .

ولكن حزب البلشفيك لم يكن في ذلك العهد ، عام ١٩٠٥ ، الحزب الوحيد الذي يقود الحركة ، كما اصبحت حاله فيما بعد عام ١٩١٧ . فقد كان على ظهر بومتكين عدد كبير من المنشفيك ، والاشتراكيين الثوريين ، والقوزويين ، ولذا بقيت هذه النهضة الثورية المسلحة ، رغم اشتراك عدد كبير من الاشتراكيين الديموقراطيين فيها ، بدون قيادة طيبة ، اي قيادة لديها ما يكفي من التجارب . وسرى التردد الى فريق من البحارة في اللحظات الحاسمة . كما ان قطعات من اسطول البحر الاسود الاخرى لم تنضم الى الدارعة المتمردة . ونظراً لفقدان الفحم والمؤونة اضطرت الدارعة الثورية الى التوجه نحو شواطئ رومانيا واستسلمت للسلطات الرومانية .

انتهت ثورة بومتكين بالانحدار ، واحيل البحارة الذين وقعوا فيما بعد في ايدي الحكومة القيصريية الى القضاء ، فاعدم فريق منهم وارسل الفريق الاخر الى السجون والمنافي . غير ان الثورة في ذاتها لعبت دوراً عظيم الاهمية . فقد كانت الحركة الثورية الجماهيرية الاولى في الجيش والاسطول ، وكذلك للمرة الاولى انتقلت وحدة هامة من التوات القيصريية الى جانب الثورة .

ان فكرة انضمام الجيش والاسطول الى الطبقة العاملة اي الى الشعب اصبحت ، بفضل ثورة بومتكين ، فكرة مألوفة اكثر ومفهومة اكثر لدى جماهير



العمال والفلاحين وخصوصاً لدى جماهير الجنود والبحارة انفسهم .  
ان انتقال العمال الى الاضرابات والمظاهرات السياسية الجماهيرية، واشتداد  
حركة الفلاحين ، واصطدامات الشعب بالسلاح مع الشرطة والجيش ، واخيراً  
النهضة المسلحة في أسطول البحر الاسود ، كانت كلها وقائع تشهد بان الشروط  
المؤدية لنشوب ثورة الشعب المسلحة آخذة بالنضج . وهو ما حمل البورجوازية  
الحرّة على ان تتحرك بصورة جدية . فهي ، لفرعها من الثورة ، ولرغبتها في  
الوقت نفسه باخافة القيصر ذاته من خطر الثورة المهدد، كانت تسعى الى تحقيق  
تسوية مع القيصر ضد الثورة ، فتطالب باصلاحات صغيرة « لاجل الشعب »  
اي لاجل « تهدئة » الشعب وتقسيم القوى الثورية وتلافي « احوال الثورة »  
وتحاشيها عن هذا الطريق . وكان ملاكو الاراضي الاحرار يقولون : « ينبغي  
اقطاع الفلاحين ارضاً والا قطعونا نحن » .

لقد كانت البورجوازية الحرّة تهيء نفسها لأقسام الحكم مع القيصر . وقد  
كتب لينين في ذلك العهد في معرض الكلام عن خطة الطبقة العاملة وعن خطة  
البورجوازية الحرّة ، ما يلي : « البروليتاريا تناضل ، والبورجوازية تتسلل الى  
الحكم » .

استمرت الحكومة القيصرية في تسليط الارهاب الوحشي على العمال  
والفلاحين غير انها ما كانت لتستطيع الا ان ترى ان من المستحيل القضاء على  
الثورة بالاضطهاد وحده . ولذا اخذت ، مع متابعتها اعمال الارهاب والقمع ،  
تلجأ ايضاً الى سياسة المناورات . فمن جهة اخذت تهيج ، بمعوة جواسيسها  
وعملائها ، شعوب روسيا بعضها على بعض ، وتنظم المذابح الطائفية ضد اليهود ،  
وتثير مجازر دامية بين التتر والارمن ، وراحت من جهة اخرى تعد بدعوة  
« هيئة تمثيلية » تكون بشكل « زيمسكي سوبور » (١) او بشكل « دوما الدولة » .  
وقد كلفت فعلاً الوزير « بوليغين » وضع مشروع هذه « الدوما » على ان لا

---

(١) زيمسكي سوبور : مجلس يضم ممثلي الجماعات الاقطاعية في روسيا، وقد دعي في  
القرنين السادس عشر والسابع عشر الى الاجتماع للتداول مع الحكومة ( هيئة التمريب ) .

تكون لها اية سلطات تشريعية . ولم تكن الغاية من اتخاذ جميع هذه التدابير الا تقسيم قوى الثورة وفصل الجماعات المعتدلة من الشعب عنها . وقد دعا البلاشفة الى مقاطعة « دوما بوليفين » جاعلين هدفهم اسقاط هذه الصورة « الكاريكاتورية » للتمثيل الشعبي . اما المنشفيك فقد قرروا ، على العكس ، عدم احباط « الدوما » ورأوا ان من الضروري الاشتراك فيها .



### ٣- الخلافات الخططية (التاكتيكية) بين البلاشفة والمنشفيك - المؤتمر الثالث للحزب - مؤلف لينين « خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » - المبادئ الخططية للحزب الماركسي :

حركت الثورة طبقات المجتمع كلها . فان الانعطاف الذي أحدثته الثورة في حياة البلاد السياسية ، انتزع هذه الطبقات من اوضاعها التقليدية القديمة ، ودفعها الى التجمع بشكل جديد ، طبقاً للحالة الجديدة . فاخذت كل طبقة ، واخذ كل حزب يبذل الجهد لتحديد خطته ومنهج سلوكه وتعيين موقفه من الطبقات الاخرى ومن الحكومة .

وكذلك الحكومة القيصرية ذاتها رأت نفسها مضطرة الى اعتماد خطة جديدة بعيدة جداً عن عاداتها المألوفة : فقد وددت بمجمع « هيئة تمثيلية » هي دوما بوليفين !

كان على الحزب الاشتراكي الديمقراطي ايضاً ان يضع خطته (تكتيكيه) . فان نهوض الثورة بقوة متعاطمة يوماً بعد يوم كان يتطلب ذلك ، كما كانت تتطلبه ايضاً القضايا العملية الملحة الموضوعة امام البروليتاريا وهي : تنظيم الثورة المسلحة ، قلب الحكومة القيصرية ، تأليف حكومة ثورية موقفة ، اشتراك الاشتراكية الديمقراطية في هذه الحكومة ، الموقف الواجب اتخاذه من

الفلاحين وكذلك من البورجوازية الحرة الخ .. كل ذلك كان يتطلب وضع خطة اشتراكية ديمقراطية ماركسية موحدة وناشئة عن تفكير واضح .

غير ان انتهازية المنشفيك وعملهم الانقسامى اديا الى ان الاشتراكية الديمقراطية في روسيا وجدت نفسها في ذلك العهد منقسمة الى فريقين . ولم يكن طبعاً من الممكن بعد ، القول بان الانقسام تام شامل ، اذ لم يصبح الفريقان حزبين متبايزين رسمياً ، غير انها كانت في الواقع اشبه بحزبين مختلفين لهما مراكزهما وجرائدهما الخاصة .

وبما ساعد على تفاقم الانقسام ، ان المنشفيك اضافوا الى خلافاتهم القديمة مع اكثرية الحزب على مسائل التنظيم ، خلافات جديدة تتعلق بمسائل خطية . لقد ادى فقدان الوحدة في الحزب الى فقدان خطة موحدة فيه .

الا انه كان من الممكن مع ذلك ايجاد حل لهذا الوضع ، وذلك بدعوة مؤتمر الحزب الثالث الى الانعقاد بدون ابطاء ، وقرار خطة موحدة فيه ، على ان يكون من واجب الاقلية تطبيق قرارات المؤتمر بشرف واستقامة ، والخضوع لقرارات الاكثرية ، وهو الحل الذي اقترحه البلاشفة على المنشفيك . غير ان هؤلاء لم يريدوا سماع كلمة واحدة عن دعوة المؤتمر الثالث الى الانعقاد ، فرأى البلاشفة ان من الجريمة ترك الحزب امدأ اطول بدون خطة تنال موافقته وتصديقه ، ويكون جميع اعضائه مجبرين على التقيد بها ، فقرروا ان يبادروا بانفسهم الى دعوة المؤتمر الثالث .

دعيت جميع منظمات الحزب الى المؤتمر ، سواء منها البلشفية او المنشفية ، ولكن المنشفيك رفضوا الاشتراك فيه وقرروا عقد مؤتمر خاص بهم . ونظراً لضعف عدد المندوبين ، سموا اجتماعهم مجلساً عاماً (١) غير انه كان في الحقيقة مؤتمراً ، مؤتمراً لحزب المنشفيك ، وكان جميع المنشفيك مجبرين على التقيد بقراراته .

في نيسان من العام ١٩٠٥ ، اجتمع في لندن المؤتمر الثالث للحزب الاشتراكي

---

(١) : او مجلساً للتداول والتشاور : Conference  
( هيئة التعريب )

الديموقراطي في روسيا . وكان يضم ٢٤ مندوباً عن ٢٠ لجنة بلشفية، وكانت جميع منظمات الحزب الكبرى ممثلة فيه .  
استنكر المؤتمر سلوك المنشفيك ، ونعتهم بانهم « جماعة منقسمة عن الحزب » ، ثم انتقل الى بحث القضايا المسجلة في جدول اعماله لتحديد خطة الحزب .  
وفي ذات الوقت الذي انعقد فيه مؤتمر لندن ، كان المجلس العام للمنشفيك منعقداً في جنيف .

« مؤتمران فحزبان » ! بهاتين الكلمتين اجمل لينين الوضع اذ ذاك . وفي الحقيقة بحث كل من المؤتمر والمجلس العام ، القضايا الخططية نفسها ، الا ان القرارات المتخذة كانت متعارضة على خط مستقيم . فان القرارات المتخذة في المؤتمر وفي المجلس العام ، كانت تبين بوضوح تام الخلافات الخططية بين مؤتمر الحزب الثالث والمجلس العام للمنشفيك ، اي بين البلاشفة والمنشفيك .  
وفيما يلي نقاط الاختلاف الاساسية :

**المنهاج الخططي لمؤتمر الحزب الثالث :** بالرغم من ان الثورة الجارية هي ذات طابع ديموقراطي بورجوازي ، وبالرغم من انها لا يمكن ان تخرج في الوقت الحاضر من نطاق الاشياء الممكنة في ظل الرأسمالية ، فالمؤتمر يعتبر ان انتصار هذه الثورة انتصاراً تاماً هو شيء لهم البروليتاريا قبل غيرها ، لان انتصار هذه الثورة من شأنه ان يسمح للبروليتاريا بان تنظم نفسها وان ترتفع سياسياً ، وان تكتسب تجربة وخبرة عملية في ممارسة القيادة السياسية للجماهير الشغيلة ، وان تنتقل من الثورة البورجوازية الى الثورة الاشتراكية .

وان خطة البروليتاريا ، الرامية الى انتصار الثورة الديموقراطية البورجوازية انتصاراً تاماً كاملاً ، لا يمكن ان تنال التأييد الا من جماهير الفلاحين ، لان هذه الجماهير لا تستطيع قهر كبار الملاكين والحصول على اراضي النبلاء الاقطاعيين ، الا اذا انتصرت الثورة انتصاراً تاماً . فجماهير الفلاحين هي اذن ، الحليفة الطبيعية للبروليتاريا .

اما البورجوازية الحرة فليس من مصلحتها ان تنتصر هذه الثورة انتصاراً

تماماً ، اذ أنها بحاجة للحكم القيصري لتستخدمه كسوط مسلط على العمال والفلاحين الذين تخشاهم اكثر من اي احد غيرهم ، فهي ستسعى اذن للمحافظة على الحكم القيصري مع الحد من صلاحياته بعض الشيء ، اي ان البورجوازية الحرة ستبذل جهدها لحل المسألة بتسوية مع القيصر على اساس نظام ملكي دستوري .

لن تنتصر الثورة الا اذا ترأستها البروليتاريا ، واذا عرفت ، بوصفها زعيمة الثورة ، ان تؤمن التحالف مع جماهير الفلاحين ، واذا تم عزل البورجوازية الحرة ، واذا ساهمت الاشتراكية الديمقراطية مساهمة نشيطة في تنظيم الثورة الشعبية ضد القيصرية ، واذا ادت الثورة الظافرة الى انشاء حكومة ثورية موقته ، قادرة على سحق القوى المعادية للثورة واقتلاع جذورها ، ودعوة مجلس تأسيسي يمثل فيه الشعب بأسره ، وكذلك اذا لم ترفض الاشتراكية الديمقراطية ، ما دامت الظروف ملائمة ، ان تشترك في الحكومة الثورية الموقته للسير بالثورة الى النهاية .

**المناهج الخططي للمجلس العام المنشفيكي :** بما ان الثورة بورجوازية ، فالبورجوازية الحرة وحدها تستطيع ان تضطلع بقيادتها . فلا ينبغي على البروليتاريا ان تقرب من جماهير الفلاحين ، بل عليها ان تقرب من البورجوازية الحرة . فالهم هنا ان نتجنب اخافة البورجوازية الحرة بالروح الثورية ، وان لا نعطيها اية حجة تذرع بها للتحويل عن الثورة ، لان الثورة تضعف اذا تحولت البورجوازية وارتدت عنها .

من الممكن ان تنتصر الثورة ، ولكن يجب على الاشتراكية الديمقراطية ان تبقى جانباً بعد انتصار الثورة حتى لا تخيف البورجوازية الحرة وتفزعها . ومن الممكن كذلك ان تتألف بعد الثورة حكومة ثورية موقته ، على ان الاشتراكية الديمقراطية ينبغي عليها ان لا تشترك فيها بآية حال ، لان هذه الحكومة لن تكون اشتراكية بطبيعتها ، ولان الاشتراكية الديمقراطية ، بنتيجة اشتراكها في الحكومة ، وبنتيجة روحها الثورية ، يمكن ان تلقي الرعب

في قلب البورجوازية الحرة ، فتعرض الثورة بذلك الى الخطر .

اما من حيث اهداف الثورة ، فالأفضل دعوة هيئة تمثيلية — كزيمسكي سوبور او دوما الدولة — يكون في وسع الطبقة العاملة ان تؤثر فيها من الخارج لتحويلها نفسها الى مجلس تأسيسي او لدفعها الى دعوة مثل هذا المجلس التأسيسي .

ان للبروليتاريا مصالحها ، وهي مصالح عمالية صرف ، فعليها ان تهتم بهذه المصالح الواضحة المعروفة ، عوضاً عن الطموح الى زعامة الثورة البورجوازية التي هي ثورة سياسية عامة ، والتي تهتم بالتالي جميع الطبقات لا البروليتاريا وحدها . هكذا كانت ، بايجاز ، الخططان اللتان انتهجهما كل من فريقتي حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا .

انتقد لينين خطة المنشفيك انتقاداً بارعاً ، وبرر خطة البلاشفة تبريراً عبقرياً في كتابه البليغ : خططان للاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية .

وقد صدر هذا المؤلف في تموز عام ١٩٠٥ ، اي بعد مضي شهرين على انعقاد مؤتمر الحزب الثالث . وقد يجنل للمرء ، اذا اراد الحكم على المؤلف من عنوانه ، ان لينين لا يعالج فيه الا القضايا الخططية المتعلقة بمرحلة الثورة الديموقراطية البورجوازية ، ولا يقصد فيه الا المنشفيك الروس . اما الحقيقة فهي انه ، بانتقاده خطة المنشفيك ، افما يفضح في الوقت نفسه خطة كل الانتهازية الدولية بأسرها ، وهو ، من جهة اخرى ، مع تبياناه صحة خطة الماركسيين في مرحلة الثورة البورجوازية ، يضع في الوقت نفسه مبادئ الخطة الماركسية في مرحلة الانتقال من الثورة البورجوازية الى الثورة الاشتراكية .

وفما يلي المبادئ الخططية الاساسية التي شرحها لينين في مؤلفه : خططان لاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية :

١ — ان المبدأ الخططي ( التاكتيكي ) الاساسي الذي يهيمن على مؤلف لينين هو الرأي بان في استطاعة البروليتاريا ومن واجبها ان تكون زعيمة الثورة الديموقراطية البورجوازية ، ان تكون قائدة الثورة الديموقراطية

البرجوازية في روسيا .

كان لينين يعترف بالطابع البرجوازي لهذه الثورة التي لم تكن لتستطيع ، حسب قوله ، « ان تخرج مباشرة من نطاق ثورة هي ثورة ديموقراطية لا اكثر ولا اقل » . غير انه كان يرى انها ليست ثورة الجماعات العليا ، بل ثورة شعبية تحرك الشعب باجمعه ، تحرك كل الطبقة العاملة وكل جماهير الفلاحين . وعلى هذا كان يعتبر ان محاولات المنشفيك الرامية الى التقليل من اهمية الثورة البرجوازية بالنسبة للبروليتاريا ، والانتقاص من دور البروليتاريا في هذه الثورة ، وابعادها عنها ، هي خيانة لمصالح البروليتاريا .

ويقول لينين في هذا الصدد ما يلي :

« ان الماركسية لا تعلم البروليتاريا ان تبعد عن الثورة البرجوازية وتتخذ منها موقف اللامبالاة ، وتترك قيادتها للبرجوازية ، بل هي ، على العكس ، تعلمها ان تشترك فيها انشط اشتراك واقواء ، وان تناضل اشدناضل في سبيل الديموقراطية البروليتارية الحازمة ، في سبيل اكمال الثورة وانمامها » . ( لينين — خطتان للاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية — المؤلفات المختارة — المجلد الاول — ص ٥٠ — الطبعة الفرنسية — موسكو ، ١٩٤٦ ) .

ثم يقول فيما بعد :

« يجب ألا ننسى ان ليست هناك اليوم ، ولا يمكن ان تكون ، الا وسيلة واحدة لتقريب الاشتراكية ، وهي الحرية السياسية الكاملة والجمهورية الديموقراطية » . ( المرجع ذاته — ص ٥٠٦ ) .

كان لينين يعتبر ان امام الثورة احد مخرجين ممكنين ، وهما :

أ — اما ان تنتهي الامور الى انتصار حاسم على القيصرية ، اي الى قلب القيصرية واقامة جمهورية ديموقراطية .

ب — واما ان تنتهي الامور ، اذا لم تكف القوى ، الى تسوية بين القيصر والبرجوازية على حساب الشعب ، اي الى دستور مسيخ ، او الى كاريكاتور للدستور على الاصح .

ويهم البروليتاريا بلوغ المخرج الافضل ، اي الانتصار الحاسم على القيصرية .  
غير ان مخرجاً كهذا غير ممكن البلوغ الا اذا تمكنت البروليتاريا من ان  
تكون زعيمة الثورة وقائدها .

كان لينين يقول في ذلك :

« ان مآل الثورة يتوقف على ما يلي :

« هل تقوم الطبقة العاملة بدور المساعد للبورجوازية ، مساعد قوي من  
حيث شدة هجومه على الاوتوقراطية ، غير انه عاجز من الوجهة السياسية ؟  
ام انها ستقوم بدور القائد للثورة الشعبية ؟ » ( المرجع ذاته — ص ٤١٩ ) .  
كان لينين يرى ان لدى البروليتاريا جميع **الممكنات** لكي تتجنب مصير  
المساعد للبورجوازية ، ولكي تصبح قائدة الثورة الديموقراطية البورجوازية .  
وكانت هذه الممكنات حسب رأي لينين هي :

**اولاً :** « بما ان البروليتاريا هي ، من حيث وضعها ، الطبقة الثورية  
الوحيدة الحازمة والمتقدمة اكثر من غيرها ، فانها بحكم ذلك مدعوة الى القيام  
بدور قيادي في الحركة الثورية الديموقراطية العامة في روسيا » ( المرجع ذاته —  
ص ٤٧٠ ) .

**ثانياً :** ان البروليتاريا حزبا السياسي الخاص المستقل عن البورجوازية ،  
وهو يسمح لها بان تتجمع في « قوة سياسية موحدة ومستقلة » ( المرجع ذاته —  
ص ٤٧٠ ) .

**ثالثاً :** ان انتصار الثورة انتصاراً حاسماً يهيئ البروليتاريا اكثر مما يهيئ  
البورجوازية ، وينتج من ذلك « ان الثورة البورجوازية هي ، من بعض  
وجوهها ، مفيدة للبروليتاريا اكثر منها للبورجوازية » ( المرجع ذاته — ص  
٤٤٨ ) .

ويقول لينين في هذا الصدد ايضاً :

« من المفيد للبورجوازية ، في نضالها ضد البروليتاريا ، ان تستند الى بعض  
بقايا الماضي ، مثلاً : الى النظام الملكي والجيش الدائم .. الخ .. ومن المفيد  
للبورجوازية ان لا تؤدي الثورة البورجوازية الى تكتيس كل بقايا الماضي



بصورة جازمة جداً، بل ان تُبقي على بعضها ، او بعبارة اخرى ، ان لاتكون الثورة جازمة وكاملة تماماً، ولا مكيئة شديدة... فالاجدى، بالنسبة للبورجوازية، ان تتم التغييرات ، الضرورية من وجهة النظر الديوقراطية البورجوازية ، باكثر ما يمكن من البطء والاحتذار ، وباقل ما يمكن من الحزم ، اي ان تتم بواسطة اصلاحات لا بواسطة الثورة ... وان تفسح هذه التغييرات اقل مجال ممكن لتطور الاندفاع الثوري والفعالية لدى الطبقات الدنيا ، اي لدى الفلاحين والعمال ، وخصوصاً لدى العمال . اذ انه بغير هذا كله ، يصبح من السهل على العمال ان « ينقلوا بندقيتهم من كنف الى كنف » كما يقول الفرنسيون ، اي ان يديروا الى صدر البورجوازية نفسها تلك الاسلحة التي تقدمها اليهم الثورة البورجوازية، وتلك الحرية التي تطلقها، وتلك المؤسسات الديوقراطية التي ستبرز الى الميدان عند تطهيره من القنائة . اما الطبقة العاملة ، فعلى العكس من ذلك ، اذ ان الاجدى لها ان تحصل على التغييرات الضرورية من وجهة النظر الديوقراطية البورجوازية بالطريق الثوري لا بطريق الاصلاحات ، لان طريق الاصلاحات هو طريق المماطلة واللف والدوران ، هو موت الاجزاء المتفسخة من الجسم الوطني موتاً بطيئاً مؤلماً . ان البروليتاريين والفلاحين هم الذين يتألمون قبل غيرهم من هذا التفسخ ، والطريق الثوري هو بالنسبة للبروليتاريا طريق العملية الجراحية الاسرع والاقل ألماً ، هو الطريق القائم على بتر الاجزاء المتفسخة بعزم وحزم ، هو طريق الحد الأدنى من التساهل والمداراة تجاه النظام الملكي ومؤسساته الدنسة السافلة التي ينخرها التفسخ والتي تسمم الجو بعفوتها» .

( المرجع ذاته - ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ) .

ثم يقول :

« ولهذا تتفق البروليتاريا في الصف الاول من النضال لاجل الجمهورية، نابذة باحتقار تلك النصيحة البليدة التي تحط من كرامتها والتي توصيها بان تحسب حساباً لامكان نخاذل البورجوازية » ( المرجع ذاته - ص ٤٩٤ ) .

ولكي تحول ممكنات تأمين القيادة البروليتارية في الثورة الى حقيقة

واقعة ، ولكي تصبح البروليتاريا في الحقيقة والواقع زعيمة الثورة  
البورجوازية وقائدتها ، ينبغي ، حسب رأي لينين ، ان يتوفر شرطان على الاقل .  
فينبغي لذلك ، اولاً ، ان يكون للبروليتاريا حليف من مصلحة الانتصار  
الحاسم على القيصرية ، حليف يمكنه ان يقبل قيادة البروليتاريا ، وهذا ما  
تفرضه ضمناً فكرة القيادة نفسها ، اذ ان القائد لا يبقى قائداً اذا لم يكن لديه  
من يقودهم ، والزعيم لا يبقى زعيماً اذا لم يكن لديه من يرشدهم . وكان هذا  
الحليف ، في نظر لينين ، جماهير الفلاحين .

وينبغي لذلك ، ثانياً ، ان تُبعد وتُعزل عن قيادة الثورة تلك الطبقة التي  
تناضل ضد البروليتاريا في سبيل قيادة الثورة ، وتريد ان تكون هي قائدها  
الوحيدة . وهذا ما تفرضه ايضاً ، بصورة ضمنية ، فكرة القيادة نفسها ، التي  
تفني امكان قبول قائدين في الثورة . وكانت هذه الطبقة ، في نظر لينين ،  
البورجوازية الحرة .

يقول لينين :

« ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تكافح في سبيل الديمقراطية بروح  
الاستمرار والمثابرة ، ولكنها لا تستطيع ان تنتصر في هذا الكفاح الا اذا  
انضمت جماهير الفلاحين الى نضال البروليتاريا الثوري . » ( المرجع ذاته —  
ص ٤٥٨ ) .

ثم يقول :

« ان بين الفلاحين جماهير من العناصر نصف البروليتارية الى جانب العناصر  
البورجوازية الصغيرة . ويؤدي ذلك الى جعل جماهير الفلاحين ايضاً غير ثابتة ،  
بما يضطر البروليتاريا الى التجمع في حزب طبقي محدد تماماً . ولكن عدم  
ثبات جماهير الفلاحين يختلف اختلافاً اساسياً عن عدم ثبات البورجوازية ، اذ  
ان اهتمام جماهير الفلاحين بالمحافظة المطلقة على الملكية الخاصة هو في الوقت  
الحاضر اقل بكثير من اهتمامها بمصادرة اراضي النبلاء التي هي احد الاشكال  
الرئيسية لهذه الملكية الخاصة . فجماهير الفلاحين ، دون ان تصبح اشتراكية

ودون ان تكف عن كونها بورجوازية صغيرة ، يمكن ان تصبح من اشد انصار الثورة الديمقراطية ، واكثرهم حزماً ، وهي ستصبح كذلك حتما اذا لم ينقطع مجرى الحوادث الثورية — هذه الحوادث التي تتفجج جماهير الفلاحين — انقطاعاً مبكراً بنتيجة خيانة البورجوازية واندحار البروليتاريا . فبهذا الشرط ، تصبح جماهير الفلاحين حتما حصن الثورة والجمهورية ، اذ ان الثورة الظافرة ظفراً تاماً هي وحدها التي تستطيع ان تعطي جماهير الفلاحين كل شيء في ميدان الاصلاحات الزراعية ، ان تعطيها كل ما ترغب فيه وكل ما تحلم به ، وكل ما هو لازم حقاً لها » ( المرجع ذاته — ص ٤٩٤ ) .

لقد حلل لينين اعتراضات المنشفيك الذين كانوا يزعمون ان خطة البلشفيك هذه « ستجبر الطبقات البورجوازية على التحول عن الثورة مما يؤدي الى اضعاف مداها » ، ونعت هذه الاعتراضات بانها « خطة خيانة للثورة » و« خطة تجعل البروليتاريا ذليلاً حقيراً للطبقات البورجوازية » .

وقد كتب في هذا الموضوع ما يلي :

« ان من يفهم دور جماهير الفلاحين في الثورة الروسية الظافرة فهما حقيقياً ، لن يقول ابداً بان مدى الثورة سيضعف عندما تتحول البورجوازية عنها ، ذلك لان النهوض الحقيقي للثورة الروسية لن يبدأ فعلاً ، ولان الثورة لن تبلغ اكبر مدى ممكن في عهد الثورة الديمقراطية البورجوازية ، الا عندما تكون البورجوازية قد تحولت عنها ، وعندما تقوم جماهير الفلاحين ، السائرة جنباً الى جنب مع البروليتاريا ، بدور ثوري نشيط . فلاجل ان تسير ثورتنا الديمقراطية بصورة حازمة الى النهاية ، يجب ان تستند الى قوى قادرة على شل تذبذب البورجوازية المحتوم ، اي قوى قادرة على « اجبارها على التحول » ( المرجع ذاته — ص ٤٩٦ ) .

هذا هو المبدأ الخططي الاساسي المتعلق بالبروليتاريا من حيث هي زعيمة الثورة البورجوازية ، المبدأ الخططي الاساسي المتعلق بزعامة البروليتاريا ( اي بدورها القيادي ) في الثورة البورجوازية ، كما عرضه لينين في مؤلفه : **خطتان**

## للإشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية .

وهنا نرى الموقف الجديد للحزب الماركسي فيما يتصل بمسائل الخطّة (التكتيك) في الثورة الديموقراطية البورجوازية ، وهو موقف يختلف اختلافاً تاماً عن المفاهيم الخططية التي كانت في الجبهة الماركسية سابقاً . فإلى ذلك الحين كانت الأمور تتمثل كما يلي :

في الثورات البورجوازية ، في الغرب مثلاً ، كانت البورجوازية تحتفظ بدور القيادة والبروليتاريا تقوم ، شاءت أم أبت ، بدور المساعد للبورجوازية ، أما جماهير الفلاحين فتؤلف قوة احتياطية للبورجوازية . وكان الماركسيون يعتبرون هذا الترتيب شيئاً محتوماً لا مناص منه ، وكانوا لا يبدون فيه سوى تحفظ واحد هو أن على البروليتاريا أن تدافع قدر الامكان عن مطالبها الطبقيّة المباشرة وأن يكون لديها حزبها السياسي الخاص بها . أما الآن ، في الوضع التاريخي الجديد ، فتتمثل الأمور ، حسب مفهوم لينين ، بشكل تصبح معه البروليتاريا هي القوة القائدة للثورة البورجوازية . أما البورجوازية فتزاح عن قيادة الثورة ، بينما تتحول جماهير الفلاحين الى قوة احتياطية للبروليتاريا .

أما التأكيد بأن بليخانوف كان « هو أيضاً » من انصار زعامة البروليتاريا ، فهو تأكيد يعود الى ضرب من سوء التفاهم . فان بليخانوف كان يغازل فكرة زعامة البروليتاريا ولا يمتنع عن الاعتراف بها بالكلام . كل هذا صحيح ، غير أنه كان في الواقع ضد جوهر هذه الفكرة ، إذ أن زعامة البروليتاريا هي دورها القيادي في الثورة البورجوازية ، حيث تنتهج سياسة تحالف مع جماهير الفلاحين ، وسياسة عزل وابعاد حيال البورجوازية الحرة . إلا أن بليخانوف كان ، كما هو معلوم ، ضد سياسة عزل البورجوازية الحرة . بل كان من انصار سياسة التفاهم معها ، كما أنه كان ضد سياسة التحالف بين البروليتاريا وجماهير الفلاحين . أي أن موقف بليخانوف الخططي كان في الواقع موقفاً منشعبياً قوامه انكار زعامة البروليتاريا .

٢ — كان لينين يرى ان الوسيلة الاساسية لقلب القيصرية والوصول الى الجمهورية الديمقراطية ، هي ثورة الشعب المسلحة . وكان يعتبر ، خلافاً للنشفيك ، « ان الحركة الثورية الديمقراطية العامة قد ادت الى ضرورة الثورة المسلحة » و « ان تنظيم البروليتاريا لاجل الثورة المسلحة » قد اصبح امراً مطروحاً على بساط البحث من حيث هو مهمة من مهمات الحزب الرئيسية الاساسية والضرورية » ، وان من اللازم « اتخاذ احزم التدابير لتسليح البروليتاريا وتأمين امكان القيادة المباشرة لثورة المسلحة » ( المرجع ذاته — ص ١٧١ ) .

كان لينين يرى ان من الضروري ، جلب الجماهير الى الثورة المسلحة ، والعمل بصورة تصبح معها الثورة ثورة الشعب بأسره ، صوغ شعارات ونداءات الى الجماهير من شأنها ان تفسح المجال لاندفاعها الثوري ، وان تنظمها لاجل الثورة وان تحرب وتبعثر جهاز السلطة القيصرية . اما هذه الشعارات فكانت ، في نظر لينين ، هي القرارات الخطية التي اقرها مؤتمر الحزب الثالث ، والتي كرس هو للدفاع عنها مؤلفه : **خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية** .

وكانت هذه الشعارات في رأي لينين كما يلي :

( أ ) : القيام بـ « الاضرابات السياسية الجماهيرية التي يمكن ان تكون لها أهمية كبرى في بدء الثورة المسلحة وخلالها » ( المرجع ذاته — ص ١٧٠ ) .

( ب ) : اللجوء الى « تحقيق يوم الثاني ساعات ومطالب الطبقة العاملة الملحة الاخرى تحقيقاً مباشراً بالطرق الثورية » ( المرجع ذاته — ص ١٣٥ ) .

( ج ) : الشروع حالاً في « تنظيم لجان فلاحية ثورية لاجل تطبيق جميع التغييرات الديمقراطية » ، بما فيها مصادرة اراضي النبلاء ، بالطرق الثورية ( المرجع ذاته — ص ١٨٦ ) .

( د ) : تسليح العمال .

وهنا عنصران هامان بوجه خاص .

ف هناك اولاً ، خطة تطبيق الثاني الساعات في المدينة والتغييرات الديمقراطية في الريف ، تطبيقاً ثورياً ، اي استعمال شكل لا يأخذ السلطات بعين الاعتبار ، ولا يهتم بالقانون ، ويتجاهل المشروعية وهيئات الحكم الموجودة ، ومحطم التشريع الساري المفعول ، ويقيم نظاماً جديداً بقدرته الخاصة وبسلطته الخاصة .

وهي طريقة خطية جديدة ادى تطبيقها الى شل جهاز السلطة القيصري ، والى فسخ مجال حر رحيب لنشاط الجماهير ولاندفاعها الذاتي وروحها الابتكارية الخالقة المبدعة . وعلى اساس هذه الخطة برزت لجان الاضراب الثورية في المدن ولجان الفلاحين الثورية في الريف ، واصبحت الاولى منها ، فيما بعد ، مجالس السوفييات لنواب العمال ، كما اصبحت الثانية مجالس السوفييات لنواب الفلاحين . وهناك ، من جهة ثانية ، تطبيق الاضرابات الجماهيرية السياسية ، اي الاضرابات السياسية العامة التي ستلعب فيما بعد ، خلال الثورة ، دوراً اولياً في تجنيد الجماهير تجنيداً ثورياً ، وهو سلاح جديد رئيسي في ايدي البروليتاريا . لم يكن معروفاً من قبل في نشاط الاحزاب الماركسية ، ولكنه سيكتسب منزلة هامة فيما بعد .

كان لينين يرى ان من الواجب ، عقيب انتصار الثورة الشعبية ، ان نحل محل الحكومة القيصريّة حكومة ثورية مؤقتة ، تكون مهمتها توطيد انتصارات الثورة وسحق مقاومة القوى المعادية للثورة وتطبيق برنامج الحد الأدنى لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . وكان لينين يعتبر ان من المستحيل احرار انتصار حاسم على القيصريّة دون اتمام هذه المهمات . ولكن لاجل اتمام هذه المهمات و احرار انتصار حاسم على القيصريّة ، ينبغي ان لا تكون الحكومة الثورية المؤقتة حكومة عادية ، بل حكومة تمثل ديكتاتورية الطبقات الظافرة ، ديكتاتورية العمال والفلاحين ، اي ان هذه الحكومة ينبغي ان تكون الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا وجماهير الفلاحين . وكان لينين يستشهد بنظرية ماركس المعروفة القائلة بان « كل تنظيم مؤقت

للدولة بعد الثورة يتطلب ديكتاتورية ، وديكتاتورية حازمة » . وكان لينين يستنتج من ذلك ان الحكومة الثورية الموقته ، اذا كانت تريد تأمين الانتصار النهائي على القيصرية ، فلا يمكن ان تكون الا ديكتاتورية البروليتاريا و جماهير الفلاحين .

وقد كتب لينين في هذا الموضوع ما يلي :

« ان انتصار الثورة الحاسم على القيصرية انما هو **الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين** ... ان هذا الانتصار سيكون ، بكل تدقيق ، ديكتاتورية ، اي ينبغي ، بالضرورة ، ان يستند الى القوة المسلحة ، الى تسليح الجماهير ، الى الثورة المسلحة ، لا الى هذه او هذه من المؤسسات المؤلفة « شرعياً » بـ « الطريقة السلمية » . هي ديكتاتورية ، ولا يمكن ان تكون الا ديكتاتورية ، لان التغييرات التي هي ضرورية حالاً وبصورة مطلقة للبروليتاريا والفلاحين ، ستثير من جانب كبار ملاكي الاراضي وكبار البورجوازيين والقيصرية مقاومة شديدة مستميتة . وبدون ديكتاتورية ، لا يمكن تحطيم هذه المقاومة ورد هجمات القوى المعادية للثورة . غير ان هذه الديكتاتورية لن تكون ، بكل تأكيد ، ديكتاتورية اشتراكية ، بل ديكتاتورية ديموقراطية . فهي لن تستطيع ( قبل ان تكون الثورة قد اجتازت مراحل انتقالية مختلفة ) ان تمس اسس الرأسمالية . فهي ، في احسن الحالات ، تستطيع الشروع في توزيع الملك العقاري الكبير توزيعاً جديداً اساسياً في صالح جماهير الفلاحين ، وتطبيق الديموقراطية الحازمة تطبيقاً تاماً عميقاً يذهب الى حد اعلان الجمهورية ، واقتلاع بقايا الاستبداد الآسيوي حتى اعمق جذورها ، لا من حياة الارياض فقط ، بل من حياة المعامل ايضاً ، والبدء بتحسين شروط حياة العمال تحسيناً جديداً ورفع مستوى معيشتهم ، واخيراً توسيع نطاق الحريق الثوري حتى يشمل اوربا ، وهو امر ، وان اتى آخرأ ، ليس في الدرجة الاخيرة من الاهمية ! فهذا الانتصار اذن ، لا يجعل بعدئذ ، من ثورتنا البورجوازية ثورة اشتراكية باي شكل من الاشكال . فلن تخرج

الثورة الديمقراطية مباشرة من نطاق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية البورجوازية . غير انه سيكون لهذا الانتصار ، مع ذلك ، شأن عظيم شاسع في تطور روسيا والعالم بأسره في المستقبل ، فما من شيء يرفع العزيمة الثورية لدى البروليتاريا العالمية ويختصر طريقها نحو الظفر التام مثل هذا الانتصار الحاسم للثورة التي بدأت في روسيا . ( المرجع ذاته - ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ) .

اما فيما يتصل بموقف الاشتراكية الديمقراطية من الحكومة الثورية المؤقتة وامكان اشتراكها فيها ، فكان لينين يدافع عن قرار مؤتمر الحزب الثالث حول هذه القضية بجميع نقاطه ، وهو يقضي بما يلي :

« تبعاً للعلاقة بين مختلف القوى ولعوامل أخرى ليس بالمستطاع تعيينها بدقة مقدماً ، يمكن قبول اشتراك اشخاص مفوضين من قبل حزبنا في حكومة ثورية مؤقتة ، وذلك للنضال دون هوادة ضد كل المحاولات المعادية للثورة والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة الخاصة . اما الشروط التي لا بد منها لهذا الاشتراك فهي : مراقبة الحزب الدقيقة لمفوضيه والمحافظة باستمرار على استقلال الاشتراكية الديمقراطية التي تطمح الى ثورة اشتراكية كاملة ، والتي هي ، بحكم هذا الطموح ، معادية بلا هوادة لجميع الاحزاب البورجوازية . ومن الاهمية بمكان ان تُتشر في اوسع الاوساط البروليتارية ، وبصورة مستقلة عن امكان اشتراك الاشتراكية الديمقراطية في الحكومة الثورية المؤقتة ، الفكرة التالية : وهي ان من الضروري ان تقوم البروليتاريا المسلحة التي تقودها الاشتراكية الديمقراطية بضغط مستمر على الحكومة المؤقتة لاجل حماية انتصارات الثورة وتوطيدها وتوسيعها . » ( المرجع ذاته ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ ) .

اما اعتراضات المنشفيك القائلة بان الحكومة المؤقتة ستكون على كل حال حكومة بورجوازية ، فلا يمكن قبول اشتراك الاشتراكيين الديمقراطيين في حكومة كهذه الا اذا اريد الوقوع في الخطأ الذي ارتكبه الاشتراكي الفرنسي ميلران اذ اشترك في حكومة بورجوازية في فرنسا - هذه



الاعتراضات دحضها لينين مبيناً ان المنشفيك يخلطون هنا بين شيئين مختلفين ويكشفون عن عدم كفاءتهم لمجابهة المسألة كإر كسين : ففي فرنسا كانت القضية تتعلق بمساهمة الاشتراكيين في حكومة بورجوازية رجعية ، وفي وقت لم يكن فيه وضع ثوري في البلاد ، وهو ما كان يوجب على الاشتراكيين عدم الاشتراك في هذه الحكومة ، اما في روسيا فالقضية تتعلق بمساهمة الاشتراكيين في حكومة بورجوازية ثورية تناضل في سبيل انتصار الثورة ، وذلك في مرحلة صعود الثورة ونهايتها ، وهي حالة تجعل من المقبول ، بل اذا كانت الظروف ملائمة ، من الاجباري ، اشتراك الاشتراكيين الديمقراطيين في هذه الحكومة ، لاجل قهر القوى المعادية للثورة وضربها ، لا من تحت او من الخارج فحسب ، بل « من فوق » ، من قلب الحكومة ايضاً .

٣ — لم يكن لينين في نضاله لاجل انتصار الثورة البورجوازية وتحقيق الجمهورية الديمقراطية ، يفكر ، باي وجه من الوجوه ، في الاقتصار على المرحلة الديمقراطية وقصر اندفاع الحركة الثورية على اتمام الاهداف الديمقراطية البورجوازية فحسب ، فقد كان لينين ، على العكس ، يرى ان لا بد ، فور بلوغ الاهداف الديمقراطية ، من ان يبدأ نضال البروليتاريا والجماهير المستثمرة الاخرى في سبيل الثورة الاشتراكية . كان لينين يعلم ذلك ، وكان يعتبر ان من واجب الاشتراكية الديمقراطية ان تتخذ جميع التدابير الناجمة ، لكي تتحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية .

فقد كانت ديكتاتورية البروليتاريا وجماهير الفلاحين ضرورية في نظر لينين لا لانهاء الثورة بالانتصار على القيصرية فقط ، بل لاطالة حالة الثورة اكثر ما يمكن ، ولسحق بقايا القوى المعادية للثورة ، ونشر لهيب الثورة ومدّه الى اوربا ، ومن ثم — بعد ان تكون قد توفرت للبروليتاريا خلال هذه المدة ، الامكانيات اللازمة لكي تتشقف سياسياً وتنظم في جيش كبير — الانتقال مباشرة الى الثورة الاشتراكية .

اما فيما يتعلق بمدى الثورة البورجوازية ، وكذلك بالطابع الذي يجب على

الحزب الماركسي ان يطبع به مدى الثورة ، فقد كتب لينين ما يلي :

« يجب على البروليتاريا ان تحقق الثورة الديمقراطية الى النهاية ، وذلك بان تضم اليها جماهير الفلاحين ، لاجل سحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة ، وسئل نذبذب البورجوازية . ويجب على البروليتاريا ان تقوم بالثورة الاشتراكية بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان ، لاجل تحطيم مقاومة البورجوازية بالقوة ، وسئل تذبذب جماهير الفلاحين والبورجوازية الصغيرة . تلك هي مهمات البروليتاريا ، وهي مهمات تعالجها جماعة الايسكروا الجديدة ( اي المنشفيك — ملاحظة من هيئة التحرير ) بشكل ضيق ممسوخ الى آخر حد في جميع محاكمهم وجميع قراراتهم عن مدى الثورة » ( المرجع ذاته — ص ٤٩٦ ) .

وكتب ايضاً :

« على رأس الشعب بأسره ، وخصوصاً على رأس الفلاحين ، في سبيل الحرية الكاملة ، في سبيل ثورة ديمقراطية حازمة ، في سبيل الجمهورية ! وعلى رأس جميع الشغيلة وجميع المستثمرين ، في سبيل الاشتراكية ! هكذا يجب ان تكون عملياً سياسة البروليتاريا الثورية ، وهذا هو الشعار الطبقي الذي ينبغي ان يسود . وان يعين حل جميع المسائل الخططية وكل النشاط العملي لحزب العمال خلال الثورة » ( المرجع ذاته — ص ٥٠٨ ) .

ولكي لا يبقى اي غموض ، اعطى لينين ، بعد مضي شهرين على صدور كتابه خطتان ، الايضاحات التالية في مقاله عن « موقف الاشتراكية الديمقراطية من حركة الفلاحين » :

« ما ان تم الثورة الديمقراطية حتى نتجه فوراً — وذلك بنسبة قـوانا تماماً ، بنسبة قوى البروليتاريا الواعية المنظمة — في طريق الاشتراكية ! اننا من انصار الثورة غير المنقطعة ، اننا لن نقف في منتصف الطريق » . ( المرجع ذاته — ص ٤٥٠ ) .

كان كل ذلك يحوي مفهوماً جديداً عن العلاقة بين الثورة البورجوازية

والثورة الاشتراكية ، ونظرية جديدة عن اعادة تجميع القوى حول البروليتاريا  
في اواخر الثورة البورجوازية ، للانتقال مباشرة الى الثورة الاشتراكية :  
تلك هي نظرية تحويل الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية .  
استند لينين ، في وضع هذا المفهوم الجديد ، اولاً ، الى نظرية ماركس  
المشهورة عن الثورة غير المنقطعة ، وقد صاغها ماركس في اواخر العقد الخامس  
من القرن الماضي في « رسالة الى عصبة الشيوعيين » ، وثانياً الى فكرة  
ماركس المعروفة حول ضرورة التوفيق بين الحركة الثورية الفلاحية والثورة  
البروليتارية ، وهي الفكرة التي صاغها في رسالة وجهها الى المجلس في عام  
١٨٥٦ . وكان يقول فيها :

« سيكون كل شيء في المانيا متوقفاً على امكان دعم الثورة البروليتارية  
بطبقة جديدة من الفلاحين » .

غير ان افكار ماركس العبقريّة هذه لم تُشرح ولم تُطور في مؤلفات  
ماركس والمجلس فيما بعد ، واتخذ نظريو الدولية الثانية كل التدابير اللازمة  
لدفن هذه الافكار وطبها في عالم النسيان . وكان ان اخرج لينين نظريات  
ماركس المنسية الى وضوح النهار وبعثها تامة كاملة . غير ان لينين ، في بعثه  
هذه النظريات ، لم يقتصر — بل لم يكن في استطاعته ان يقتصر — على  
تكرارها واعادتها فقط ، بل طورها الى امام وحولها الى نظرية متناسقة عن  
الثورة الاشتراكية ، مدخلاً اليها عاملاً جديداً ، عاملاً لا بد منه في الثورة  
الاشتراكية ، هو تحالف البروليتاريا والعناصر نصف البروليتارية في المدينة  
والريف ، من حيث هو شرط لا تنصّر الثورة البروليتارية .

كان هذا المفهوم يقضي قضاء تاماً على المواقف الخطئية للاشتراكية  
الديموقراطية في اوربا الغربية ، التي كانت تعتنق وجهة النظر القائلة بانه ، بعد  
الثورة البورجوازية ، لا بد ان تبتعد جماهير الفلاحين عن الثورة ، بما في ذلك  
جماهير الفلاحين الفقراء ، فتأتي بعد الثورة البورجوازية مرحلة همدنة طويلة  
الامد ، مرحلة « سكون » تدوم من ٥٠ الى ١٠٠ سنة ، هذا ان لم تدم

اكثر ، تعاني البروليتاريا خلالها الاستئثار « بصورة سلمية » بينما تغني  
البورجوازية وتثري « بصورة شرعية » الى ان تدق ساعة ثورة جديدة ، هي  
الثورة الاشتراكية .

كان لينين يعطي نظرية جديدة عن الثورة الاشتراكية التي لن تحققها  
البروليتاريا منغزلة وحدها ضد كل البورجوازية ، بل تحققها البروليتاريا التي  
تمارس الزعامة والتي تجد حلفاء لها في العناصر نصف البروليتارية من السكان ،  
في « جماهير الشغيلة والمستثمرين » الغفيرة .

وفقاً لهذه النظرية ، كان ينبغي ان تتحول زعامة البروليتاريا في الثورة  
البورجوازية — حيث تكون البروليتاريا متحالفة مع جماهير الفلاحين —  
الى زعامة البروليتاريا في الثورة الاشتراكية حيث تكون البروليتاريا متحالفة  
مع الجماهير الاخرى من الشغيلة والمستثمرين ، وان تؤدي الدكتاتورية  
الديموقراطية للبروليتاريا وجماهير الفلاحين الى تهيئة المجال للدكتاتورية  
الاشتراكية للبروليتاريا .

كانت هذه النظرية تقلب رأساً على عقب النظرية السائدة لدى الاشتراكيين  
الديموقراطيين في اوروبا الغربية ، الذين كانوا ينكرون الامكانيات الثورية  
عند الجماهير نصف البروليتارية في المدينة والريف ، ويعتقدون وجهة  
النظر التالية :

« اننا لا نرى ، خارج البورجوازية والبروليتاريا ، قوى اجتماعية اخرى  
يمكن ان تستند اليها ، عندنا ، الاتفاقات المعارضة او الثورية » ( من تصريح  
لبليخانوف ، وهو يصور تماماً موقف الاشتراكيين الديموقراطيين في اوروبا  
الغربية ) .

كان الاشتراكيون الديموقراطيون في اوروبا الغربية يعتبرون ان  
البروليتاريا ستكون ، في الثورة الاشتراكية ، وحيدة ضد كل البورجوازية ،  
وستكون دون حلفاء ضد جميع الطبقات والفئات غير البروليتارية . فهم  
ما كانوا يريدوا ان يأخذوا بعين الاعتبار ان الرأسمال لا يستثمر البروليتاريين

فقط ، بل يستثمر أيضاً الجماهير الغفيرة من الفئات نصف البروليتارية في المدينة والريف ، هذه الجماهير التي تضطهدا الرأسمالية والتي يمكن ان تصبح حليفة البروليتاريا في النضال الذي تقوم به لتحرير المجتمع من النير الرأسمالي . ولهذا كان الاشتراكيون الديموقراطيون في اوروبا الغربية يعتبرون ان الظروف لم تكن بعد ناضجة لثورة اشتراكية في اوروبا ، وانه لا يمكن اعتبارها ناضجة الا عندما تصبح البروليتاريا اكثرية الامة ، اكثرية المجتمع ، بنتيجة التطور الاقتصادي المقبل للمجتمع .

كانت النظرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية ، تقلب رأساً على عقب وبشكل حازم ، هذا المفهوم الفاسد الباطل ، والمناقض لمصالح البروليتاريا ، الذي يشير به الاشتراكيون الديموقراطيون في اوروبا الغربية .

ان نظرية لينين لم تكن تستخلص بعد ، بصورة مباشرة ، امكان انتصار الاشتراكية في قطر واحد مأخوذ لوحده . غير انها كانت تحوي كل العناصر ، او تقريباً كل العناصر الاساسية ، التي كانت ضرورية لاستخلاص مثل هذه النتيجة عاجلاً او آجلاً . ومن المعروف ان لينين وصل الى هذه النتيجة في عام ١٩١٥ اي بعد ١٠ سنوات .

تلك هي المبادئ الخططية الاساسية التي شرحها لينين في مؤلفه الكبير **خطتان للاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية** .

ان اهمية هذا المؤلف التاريخية هي ، قبل كل شيء ، في انه قضى فكراً على المفهوم الخططي البورجوازي الصغير عند المنشفيك ، وسلح الطبقة العاملة في روسيا لاجل تطوير الثورة الديموقراطية البورجوازية الى امام والقيام بهجوم جديد ضد القيصرية ، واعطى الاشتراكيين الديموقراطيين الروس نظرات واضحة عن ضرورة تحويل الثورة البورجوازية الى ثورة اشتراكية .

غير ان اهمية مؤلف لينين لا تقف عند ذلك ، فان ما يجعل له قيمته التي لا تقدر ، هو انه اغنى الماركسية بنظرية جديدة عن الثورة ، ووضع

الأسس لخطه حزب البلشفيك الثورية ، هذه الخطة التي بواسطتها احرزت البروليتاريا في بلادنا الانتصار الحاسم على الرأسمالية عام ١٩١٧ .



#### ٤ - استمرار النهوض الثوري - الاضراب السياسي العام في تشرين الاول ١٩٠٥ - تراجع القيصرية - بيان القيصر - تأليف مجالس السوفيئات لنواب العمال .

في خريف ١٩٠٥ شملت الحركة الثورية البلاد بأسرها ، وكانت تصعد بقوة لا تقاوم .

وفي ١٩ ايلول نشب في موسكو اضراب عمال المطابع ولم يلبث ان امتد الى بطرسبرج وعدد من المدن الاخرى . وفي موسكو نفسها ، تحول الاضراب ، وقد ايده عمال الصناعات الاخرى ، الى اضراب سياسي عام .

وفي اوائل تشرين الاول ، اعلن الاضراب على سكة حديد موسكو - قازان ، ولم يمس يوم واحد حتى توقفت كل شبكة خطوط موسكو الحديدية عن العمل ، ولم تلبث الحركة ان امتدت الى جميع السكك الحديدية في البلاد . وكذلك توقف البريد والبرق عن العمل . واخذ الوف العمال يعقدون اجتماعات عامة في مختلف مدن روسيا ويقررون وقف العمل ، فكان الاضراب يمتد من مصنع الى مصنع ، ومن معمل الى معمل ، ومن مدينة الى مدينة ، ومن منطقة الى منطقة . وكان صفار الموظفين والطلاب والمتقنون والمحامون والمهندسون والاطباء ينضمون الى العمال المضربين .

اصبح اضراب تشرين الاول السياسي اضراباً عاماً يشمل تقريباً كل البلاد حتى اقصى مناطقها ، ويجتذب في تياره جميع العمال تقريباً حتى اكثرهم تأخراً . وقد شمل الاضراب ما يقرب من مليون عامل من عمال الصناعات ، هذا عدا عمال السكك الحديدية وموظفي البرق والبريد والتليفون وغيرهم ، فقد كان بينهم كذلك عدد كبير من المضربين .

توقفت كل حياة البلاد ، وُثلت قوى الحكومة .  
وكانت الطبقة العاملة هي التي تتسم القيادة في نضال الجماهير الشعبية  
ضد الاوتوقراطية .

لقد كان شعار البلاشفة بالاضراب السياسي الجماهيري يعطي ثماره .  
ان اضراب تشرين الاول العام ، الذي اظهر قوة الحركة البروليتارية وشدة  
بأسها ، اجبر القيصر ، وقد استولى عليه ذعر ميمت ، على اذاعة البيان المعروف  
ببيان ١٧ تشرين الاول ١٩٠٥ ، وكان يعد الشعب فيه بـ « وضع اسس لا  
تترزعزع للحرية الالهية ، وتأمين حرمة الشخصية تأميناً حقيقياً ، وحرية الاعتقاد  
والكلام ، وحق الاجتماع والجمعيات » . وكذلك اعطي وعد بعقد « دوما »  
تشريعية على اساس اشتراك جميع طبقات السكان في الانتخابات .  
وهكذا ادى نهوض الثورة الى تكنيس دوما بوليفين الاستشارية ، وتبينت  
صحة الخطة البلشفية بمقاطعة هذه الدوما .

غير ان بيان ١٧ اكتوبر كان يرمي الى خدع الجماهير الشعبية ، ولم يكن  
سوى اجبولة من القيصر ، فقد كان بمثابة هدنة من نوع خاص محتاج اليها القيصر  
لانامة السذج ، واكتساب الوقت ، وجمع قواه حتى يتمكن من الانتفاض على  
الثورة فيما بعد . فقد وعدت الحكومة القيصرية بالحرية ولكن في الكلام ، اما  
في الواقع فلم تمنح اي شيء جوهرى . ولم يتلق العمال والفلاحون من الحكومة  
شيئاً سوى الوعود ، وعوضاً عن العفو السياسي الواسع المنتظر ، لم يشمل العفو  
الصادر في ٢١ تشرين الاول سوى قسم ضئيل من المعتقلين السياسيين . وفي  
الوقت نفسه كانت الحكومة تنظم ، لاجل تقسيم قوى الشعب ، سلسلة من  
المذابح الطائفية الدامية ضد اليهود ، لقي فيها الوف والوف من الناس خنقهم .  
وكانت ، علاوة على ذلك ، تنشئ ، لقمع الثورة ، منظمات بوليسية مؤلفة من  
الرعايا والاشقياء مثل « اتحاد الشعب الروسى » و « اتحاد ملاك القديس ميشيل » .  
وكان ملاكو الاراضي الرجعيون وكبار التجار والقساوسة ومعهم العناصر  
الضائعة اجتماعياً من الرعايا والاشقياء ، يلعبون دوراً هاماً في هذه المنظمات التي

اطلق عليها الشعب اسم « المئة السود » .

وكان « المئة السود » ، بالاتفاق وبالإشتراك مع الشرطة ، يُعملون الضرب والتقتيل علناً في عمال الطليعة ، والمثقفين الثوريين ، والطلاب ، ويسلطون النار والحرق والرصاص على الاجتماعات الشعبية العامة وعلى كل اجتماعات المواطنين .  
ذاك ما اعطاه بيان القيصر !

وقد شاع اذ ذاك بين الشعب بيتان من الشعر يقولان :

القيصر المذعور اذاغ بيانا :

الحرية للاموات ، والسجن للاحياء !

كان البلاشفة يشرحون للجماهير ان بيان ١٧ اكتوبر ما هو سوى فخ واحبولة ، وكانوا يفضحون سلوك الحكومة بعد اصدار البيان وينعتونه بأنه تحد واستفزاز للشعب ، ويدعون العمال الى حمل السلاح ، وتهمة الثورة المسلحة .  
انصرف العمال بحماسة اشد من ذي قبل الى تشكيل فصائل للكفاح ، فقد ادركوا ان الانتصار الاول ، انتصار ١٧ اكتوبر ، الذي انتزع بالاضراب السياسي العام ، يفرض عليهم جهوداً جديدة ، ونضالاً جديداً لقلب القيصرية .

كان لينين يعتبر ان اللحظة التي صدر فيها بيان ١٧ اكتوبر تسجل نوعاً من التوازن بين القوى : ففي هذه اللحظة انتزعت البروليتاريا وجماهير الفلاحين البيان من القيصر ، غير انهم لم يكونوا قادرين بعد على اسقاط القيصرية ، اما القيصرية نفسها فاصبحت غير قادرة على الحكم بالوسائل القديمة وحدها ، بل اضطرت الى الوعد في الكلام فقط ، بـ « الحريات الاهلية » وبدوما « تشريعية » .  
خلال الايام العاصفة ، ايام الاضراب السياسي في تشرين الاول ، وفي مععمان النضال ضد القيصرية ، خلقت عبقرية الجماهير المبدعة سلاحاً جديداً قوياً هو سوفيات ( اي مجالس ) النواب العمال .

ان مجالس السوفيات لنواب العمال ، التي كانت تضم مندوبي جميع المصانع والمعامل ، كانت منظمة سياسية جماهيرية للطبقة العاملة ، لم يعرف العالم لها مثيلاً



من قبل. وكانت مجالس السوفييات التي ظهرت لأول مرة في عام ١٩٠٥ هي الشكل الأول لحكم السوفييات الذي انشأته البروليتاريا فيما بعد في عام ١٩١٧، تحت قيادة حزب البلشفيك. ان مجالس السوفييات كانت شكلاً جديداً ثورياً لعبقرية الشعب المبدعة، فقد كانت فقط من صنع الفئات الثورية من الشعب، وكانت تقلب رأساً على عقب كل قوانين التيمصرية وكل مقاييسها، وتمثل مظهراً من مظاهر الابتكار والاندفاع الذاتي لدى الشعب الناهض للنضال ضد التيمصرية. كان البلاشفة يعتبرون مجالس السوفييات نواة الحكم الثوري، ويرون ان قوتها واهميتها تتوقفان، بكليتهما، على قوة الثورة المسلحة ونجاحها.

اما المنشفيك فما كانوا يعتبرون مجالس السوفييات هيئات تمثل نواة الحكم الثوري، ولا هيئات للثورة المسلحة، بل كانت في نظرهم هيئات للادارة المحلية وذات استقلال ذاتي، اي ما يشبه بلديات قائمة على اساس ديموقراطي. في ١٣ (٢٦) تشرين الاول ١٩٠٥، بوشر في جميع مصانع ومعامل بطرسبرج، بانتخاب مجلس السوفييات لنواب العمال، وفي الليلة نفسها عقد مجلس السوفييات اجتماعه الاول. وتألف في موسكو كذلك مجلس سوفييات لنواب العمال، على نمط بطرسبرج.

كان من الواجب ان يلعب مجلس السوفييات لنواب العمال في بطرسبرج دوراً حاسماً في ثورة ١٩٠٥، بوصفه مجلس السوفييات لأكبر مركز صناعي وثوري في روسيا، وعاصمة امبراطورية القيصرية، غير انه لم يستطع القيام بواجباته نظراً لقيادته الفاسدة المنشفيكية. فمن المعلوم ان لينين لم يكن اذ ذاك في بطرسبرج، بل كان لا يزال خارج روسيا. فاستفاد المنشفيك من غيابه للتسلل الى سوفييات بطرسبرج والاستيلاء على قيادته. وعلى ذلك لم يكن من الغريب ان ينجح جماعة المنشفيك امثال خروستاليف، وتروتسكي، وبارفوس وزملاؤهم، في توجيه سوفييات بطرسبرج ضد سياسة الثورة المسلحة. وعوضاً عن العمل لتقريب الجنود من السوفييات، وجمعهم في نضال مشترك، طلبوا سحب الجنود من بطرسبرج. وعوضاً عن تسليح العمال وتميئتهم للثورة

المسلحة ، كان السوفييات يدب في مكانه مؤكداً بذلك انه ضد اتخاذ الاستعدادات للثورة .

اما سوفييات نواب العمال في موسكو فقد لعب دوراً آخر في الثورة . فهو منذ ايامه الاولى ، انتهج سياسة ثورية حازمة الى النهاية . وكانت قيادة هذا السوفييات في ايدي البلاشفة ، وبفضلهم تألف في موسكو سوفييات نواب الجنود الى جانب سوفييات نواب العمال ، واصبح سوفييات موسكو هيئة الثورة المسلحة .

من تشرين الاول الى كانون الاول ١٩٠٥ ، انشئت مجالس السوفييات لنواب العمال في عدة مدن هامة ، وفي جميع مراكز العمال تقريباً . وجرت محاولات لتنظيم مجالس سوفيائية من نواب الجنود والبحارة ، ولتوحيدها مع المجالس السوفيائية لنواب العمال . كما تألفت هنا وهنا مجالس سوفيائية لنواب العمال والفلاحين .

كان نفوذ مجالس السوفييات عظيماً . ورغم ان تأليفها كان يجري على الغالب بصورة عفوية ، ورغم ان اعمالها لم تنظم ، وان تركيبها كان مبهماً ، فانها كانت تعمل كهيئات للسلطة والحكم . فقد كانت ، بقونها ، وباسم سلطتها ، تحقق حرية الصحافة ، وتطبق يوم الثماني ساعات ، وتدعو الشعب الى عدم دفع الضرائب للحكومة القيصرية . كما انها كانت في بعض الحالات ، تصدر اموال الحكومة القيصرية وتخصصها لحاجات الثورة .



٥- الثورة المسلحة في كانون الاول - اندحار الثورة المسلحة - الثورة تتراجع - دوما الدولة الاولى - مؤتمر الحزب الرابع ( مؤتمر التوحيد ) .

خلال شهري تشرين الاول وتشرين الثاني ، تابع نضال الجماهير الثوري تطوره بقوة لا تقاوم ، وكانت إضرابات العمال تتوالى دون انقطاع .

وفي خريف ١٩٠٥ اتسع نضال الفلاحين ضد كبار ملاكي الارض اتساعاً عظيماً . فقد شملت الحركة اكثر من ثلث مناطق البلاد . واجتاحت ولايات ساراتوف ، وتامبوف ، وتشيرنيكوف ، وتغليس ، وكوتاييس ، وغيرها ايضاً ، نهضات فلاحية حقيقية قوية . ولكن مع ذلك بقي اندفاع جماهير الفلاحين غير كاف ، وكان ينقص الحركة تنظيم وقيادة .

و كثر الاضطرابات بين الجنود في مدن عديدة: تغليس ، وفلاديفوستك ، وطشتند ، وسمرقند ، وكورسك ، وسوخومي ، وفارسوفيا ، وكييف ، وريغا . ووقع تمرد في كرونشتاد ، وكذلك وقع تمرد بين بحارة اسطول البحر الاسود في سباسبول ( تشرين الثاني ١٩٠٥ ) . ولكن نظراً لعدم ترابط هذه النهضات فيما بينها ، تيسر للقيصرية سحقها .

ان حركات التمرد في وحدات الجيش والاسطول كانت تعود على الغالب الى فظاظة الضباط ورداءة الغذاء (« تمردات الفاصوليا اليابسة » ) وغير ذلك ... فان جمهور البحارة والجنود الثائرين ما كانوا يدركون بعد ، ادراكاً واضحاً ، ضرورة قلب الحكومة القيصرية ، ولا ضرورة متابعة النضال المسلح بهمة وحزم . كان مزاج البحارة والجنود المتمردين لا يزال سلبياً جداً ، وهادئاً جداً ، وكانوا في اغلب الاحيان ، يقعون في خطأ فادح هو اطلاق سراح الضباط الذين لقي القبض عليهم في بدء حركة التمرد ، كما ان وعود القواد ومواعظهم كانت تنجح في تخديرهم وانامتهم .

اخذت الثورة تتطور الى ثورة مسلحة . وكان البلاشفة يدعون الجماهير الى النهوض المسلح ضد القيصر وكبار ملاكي الاراضي ويبينون لها ان ذلك امر لا بد منه ولا مناص . وكانوا من جهتهم يهيئون هذه الثورة المسلحة دون كلل ويقومون بالعمل الثوري بين الجنود والبحارة . وقد انشئت منظمات عسكرية حزبية في الجيش ، وتألقت من العمال فصائل للكفاح في مدن عديدة ، وكان يجري تدريبها على استعمال السلاح ، ونُظم شراء الاسلحة من الخارج لارسالها سرّاً الى روسيا ، وكان هناك مناضلون بارزون في الحزب يشتركون في تنظيم

نقل الاسلحة .

وفي تشرين الثاني ١٩٠٥ رجع لينين الى روسيا ، واشترك خلال تلك الايام ، اشتراكاً مباشراً ، في تهيئة الثورة المسلحة متخفياً عن رجال الدرك وجواسيس القيصر . وكانت مقالاته في الجريدة البلشفية « نوافيا جيزن » ( الحياة الجديدة ) تخدم كتحديات في عمل الحزب اليومي .

وبان ذلك ، كان الرفيق ستالين ، يقوم بعمل ثوري واسع عبر القوقاز ، فكان يحمل على المنشفيك ، ويفضهم كاعداء للثورة وللهضة المسلحة ، ويهيء العمال بعزم وصلابة للكفاح الحاسم ضد الاوتوقراطية . وفي يوم اعلان بيان التيسر ، قال الرفيق ستالين للعمال في احد الاجتماعات الشعبية في تفليس : « ماذا يلزمنا حتى نتغلب ونحرز النصر فعلاً ؟ يلزمنا ثلاثة اشياء : اولاً ان تسلح ، ثانياً : ان تسلح ، ثالثاً : ان تسلح ايضاً وايضاً » .

في كانون الاول ١٩٠٥ انعقد مجلس عام بلشفي في « تامرفورس » في فنلندا ، ورغم ان البلاشفة والمنشفيك كانوا ، رسمياً ، في حزب اشتراكي ديمقراطي واحد ، فقد كانوا في الواقع يؤلفون حزبين متميزين ، لكل منهما مركزه . وفي هذا المجلس العام تقابل لينين وستالين للمرة الاولى ، فعنى ذلك الحين كان اتصلاهما بالمراسلة او بواسطة الرفاق .

ان بين قرارات مجلس تامرفورس ، قرارين جديرين بالتنويه بهما : الاول يتعلق باعادة الوحدة للحزب اذ كان منقسماً عملياً الى حزبين ، والقرار الآخر يتعلق بمقاطعة الدوما الاولى المعروفة بدوما « فيت » .

ولما كانت الثورة المسلحة قد بدأت اذ ذاك في موسكو ، ختم المجلس اعماله بسرعة وفقاً لنصيحة لينين ، وعاد المندوبون الى اماكنهم للاشتراك في الثورة .

غير ان الحكومة القيصرية لم تكن نائمة . فانها ، هي ايضاً ، كانت تستعد للنضال الحاسم . فبعد ان وقعت الصلح مع اليابان وخفت بذلك من حالتها الصعبة ، انتقلت الى الهجوم على العمال والفلاحين ، فاعلنت الاحكام العرفية في

ولايات عديدة شملتها تمردات الفلاحين ، واصدرت الامر الوحشي التالي :  
« لا لزوم للاسرى ! لا تبخلوا بالرصاص » ! وامرت باعتقال قادة  
الحركة الثورية وتشيتت المجالس السوفياتية لنواب العمال .

فقرر عندئذ بلاشفة موسكو ، وكذلك سوفيات نواب العمال في المدينة  
الذي كان تحت قيادتهم كما كان مرتبطاً بجماهير العمال الواسعة ، ان يشروعوا في  
تهيئة الثورة المسلحة حالاً .

وفي ٥ ( ١٨ ) كانون الاول ، اتخذت لجنة موسكو ، القرار التالي :  
« تقديم اقتراح الى السوفيات باعلان الاضراب السياسي  
العام لتحويله خلال النضال الى ثورة مسلحة » .

وقد نال هذا القرار الموافقة والتأييد في اجتماعات العمال الجماهيرية، وقرر  
سوفيات موسكو بالاجماع ، طبقاً لارادة الطبقة العاملة ، اعلان الاضراب  
السياسي العام .

كانت البروليتاريا في موسكو ، حين بدأت الثورة المسلحة ، تملك منظماتها  
الكفاحية الخاصة المؤلفة من الف شخص تقريباً ، اكثر من نصفهم بلاشفة .  
وكانت ثمة فصائل للكفاح في اكثر مصانع موسكو . ومن حيث المجموع  
كان لدى الثائرين في فصائلهم الكفاحية ، ما يقرب من الف شخص . وكان  
العمال يفكرون ان في امكانهم دفع الحامية الى اتخاذ موقف حيادي ، وانتزاع  
قسم منها وجرحه وراءهم .

نشبت الاضراب السياسي في موسكو ، في ٧ ( ٢٠ ) كانون الاول . ولكن  
لم يمكن تعميمه الى جميع انحاء البلاد : فان الاضراب لم يلق تأييداً كافياً من  
بطرسبرج ، مما ادى منذ البداية ، الى انقاص حظ الثورة المسلحة في النجاح .  
وبقيت سكة حديد نقولا ، المعروفة اليوم باسم سكة حديد اكتوبر ، في ايدي  
الحكومة القيصرية ، ولم يتوقف السير على هذا الخط ، فاستطاعت الحكومة ان  
ترسل من بطرسبرج الى موسكو كتائب من الحرس لسحق الثورة المسلحة .  
اما في موسكو نفسها ، فقد كانت الحامية في حالة تردد ، مع ان من جملة

الدوافع التي دفعت العمال الى اعلان الثورة المسلحة اعتمداهم على تأييد الحامية . ولكن الثوريين كانوا قد تركوا اللحظة المناسبة تفلت منهم ، فتمكنت الحكومة القيصرية من قمع الاضطرابات التي نشبت في الحامية .

في ٩ (٢٢) كانون الاول ارتفعت في موسكو المتاريس الاولى . ولم تلبث ان غطت شوارع المدينة . فلبأت الحكومة القيصرية الى المدفعية . كما انها كانت قد جمعت جيوشاً تفوق كثيراً قوى الثائرين ، فناضل بضعة الوف من العمال ببسالة وبطولة خلال تسعة ايام . ولم تستطع القيصرية سحق الثورة المسلحة الا بعد ان جاءت بكثائب من بطرسبرج ومن تفير ومن المناطق الغربية . اما الهيئات القيادية للثورة المسلحة فقد اعتقل قسم منها ليلة المعركة ، وبقي القسم الآخر معزولاً . والقي القبض على اللجنه البلشفية في موسكو ، ونجزأت الحركة المسلحة الى ثورات مسلحة في مختلف الاحياء المنقطع بعضها عن بعض ، واقتصرت الاحياء بصورة رئيسية على موقف الدفاع ، وذلك لفقدانها مركزاً قيادياً لها ، ولعدم وجود برنامج نضال يشمل مجموع المدينة . وكان ذلك ، كما يتبين لينين فيما بعد ، السبب الاساسي لضعف الثورة المسلحة في موسكو ، كما كان احد اسباب اندحارها .

تميزت الثورة المسلحة بالشدة والصلابة في احد احياء موسكو المعروف بمحي « كراسنايا — برسنيا » اذ كان هذا الحي مركز الثورة المسلحة وحصنها الرئيسي ، وفيه تجمعت احسن فصائل الكفاح التي يقودها البلاشفة ، غير ان حي « كراسنايا — برسنيا » سحق بالحديد والنار واغرق في الدماء واخذيلتهب بالخرائط التي اشعلتها المدفعية . وهكذا قهرت الثورة المسلحة في موسكو !

ولكن الثورة المسلحة لم تقع في موسكو وحدها ، فقد اجتاحت النهضات الثورية عدداً من المدن والمناطق الاخرى فوقع ثورات مسلحة في كراسنويارسك ، وموتوفيليك (برم) ، ونوفوروسيسك ، وسورموفو ، وسباستوبول ، وكرونشتاد . والقوميات المظلومة في روسيا حملت السلاح بدورها ، فشلت الثورة جورجيا باسرها تقريباً ، واندلعت ثورة هامة في اوكرانيا ، في حوض «الدونيتز» :

غورلوفكا، واليكساندروفسك، ولوغانسك (واسمها الحالي فوروشيلوفغراد). واتخذ النضال شكلاً حاداً في ليتوانيا، والف العمال في فنلندا حرسهم الاحمر واعلنوا الثورة.

الا ان جميع هذه الثورات المسلحة كان نصيبها كنصيب ثورة موسكو، فسحقها القيصرية بفظاعة ووحشية.

كان المنشفيك والبلاشفة يقدرون ثورة كانون الاول تقديرين مختلفين. فعقب الثورة المسلحة، وجه المنشفيك بليخانوف اللوم الى الحزب قائلاً: «لم يكن ينبغي حمل السلاح»، وسعى المنشفيك ان يبرهنوا ان الثورة المسلحة كانت شيئاً ضاراً لا فائدة منه وكان من الممكن الاستغناء عنها في سير الثورة، وانه كان من الممكن تأمين النجاح لا بالثورة المسلحة بل بوسائل نضال سلمية.

اما البلاشفة فقد حملوا على هذا التقدير بشدة، ونعتوه بالخيانة، اذ كانوا يعتبرون ان تجربة الثورة المسلحة في موسكو، قد اكدت ان بإمكان الطبقة العاملة القيام بالنضال المسلح بنجاح. وجواباً على عبارة اللوم التي وجهها بليخانوف الى الحزب بقوله: «لم يكن ينبغي حمل السلاح»، كتب لينين بما يلي:

«بل على العكس كان ينبغي حمل السلاح بشكل احزم، وبغزيمة اكبر، وبروح هجومية اشد، كان ينبغي ان يوضح للجماهير ان ليس من الممكن الاقتصار على الاضراب السلمي، وان من الضروري القيام بنضال مسلح جريء لا هوادة فيه.» (المرجع ذاته - ص ٥٤٥). سجلت الحركة المسلحة في كانون الاول ١٩٠٥ النقطة العليا في الثورة. ففي كانون الاول انتصرت الاوتوقراطية على الثورة المسلحة. وبعد الاندحار حدث انعطاف في سير الثورة: فقد بدأت الثورة بالتراجع شيئاً فشيئاً، وبعد ان صعدت، اخذت تتحدر بالتدريج.

وسارعت الحكومة القيصرية الى استغلال هذا الاندحار للاجهاز على

الثورة. واخذ الجلادون والسجانون القيصريون يدون نشاطاً دامياً. وراحت البعثات التأديبية تعيث مطلقاً العنان في بولونيا وليتونيا وأستونيا وعبر القوقاز وسيبيريا .

غير ان الثورة لم تكن قد سُحقت بعد ، فان العمال والفلاحين الثوريين كانوا يتقنون ببطء وهم يتابعون النضال . وانجرت جماعات جديدة من العمال الى النضال ، وشملت الاضرابات اكثر من مليون عامل في عام ١٩٠٦ كما شملت ٧٤٠٠٠٠٠ عامل في عام ١٩٠٧ . وفي النصف الاول من عام ١٩٠٦ مست حركة الفلاحين ما يقرب من نصف مقاطعات روسيا القيصرية ، وفي النصف الثاني من العام نفسه ، مست خمس مجموع المقاطعات . كما ان الاضرابات استمرت في الجيش والاسطول :

لم تقتصر الحكومة القيصرية ، في نضالها ضد الثورة ، على تدابير القمع والاضطهاد وحدها ، فانها ، بعد ان حصلت على نجاح اولي عن طريق القمع ، قررت توجيه ضربة اخرى الى الثورة بدعوة دوما جديدة ، هي الدوما « التشريعية » . وكان املها من ذلك ان تفصل الفلاحين عن الثورة حتى ترزعزع اركانها تماماً . فاصدرت في كانون الاول ١٩٠٥ قانوناً بدعوة دوما جديدة « تشريعية » خلافاً للدوما القديمة ، ذوما بوليغين ، التي كانت « استشارية » والتي كنستها حركة المقاطعة البلشفية . كان قانون القيصر الانتخابي منافياً طبعاً للديموقراطية ، فلم تكن الانتخابات قائمة على التصويت العام ، بل كان اكثر من نصف السكان محرومين حق التصويت ، فالنساء مثلاً ، ومعهن اكثر من مليوني عامل ، كانوا محرومين هذا الحق . ولم تكن الانتخابات قائمة على مبدأ التساوي ، بل قسم الناخبون الى اربعة اصناف ، او اربعة « بيوت » حسب تعبير ذاك العهد : صنف الملكية العقارية ( اي كبار ملاكي الاراضي ) ، وصنف المدن ( البورجوازية ) ، وصنف الفلاحين ، وصنف العمال . ولم تكن الانتخابات مباشرة على درجة واحدة بل كانت على درجات عديدة . كذلك لم يكن التصويت سرىاً في الواقع . وهكذا كان القانون



الانتخابي يضمن ان يكون لحفنة من كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين تفوق عظيم في الدوما على ملايين من العمال والفلاحين .

كان القيصر يريد صرف الجماهير عن الثورة بواسطة الدوما ، فقد كان قسم هام من جماهير الفلاحين ما يزال يعتقد في ذلك الحين ان من الممكن استلام الارض بواسطة الدوما . وكان الكاديت والمنشفيك والاشتراكيون الثوريون يجذعون العمال والفلاحين بقولهم ان من الممكن تحقيق النظام الذي يريده الشعب بدون نهوض مسلح وبدون ثورة . وفي النضال ضد هذا التضليل والخداع ، اعلن البلاشفة وحققوا فعلاً خطة مقاطعة دوما الدولة الاولى طبقاً للقرار المتخذ في تامير فورس .

كان العمال في نضالهم ضد القيصرية يطالبون بتحقيق وحدة قوى الحزب ، وتوحيد حزب البروليتاريا ، فايد البلاشفة طلب العمال استناداً الى قرار مجلس تامير فورس عن الوحدة ، واقترحوا على المنشفيك دعوة مؤتمر لتوحيد الحزب . وقد قبل المنشفيك بالتوحيد تحت ضغط جماهير العمال .

كان لينين من انصار التوحيد ، على ان يكون توحيداً لا يؤدي الى طمس الاختلافات في قضايا الثورة . اما التفاهميوت ( بوغدانوف ، وكراسين ، وآخرون ) ، الذين كانوا يبذلون الجهد ليبرهنوا ان ليست ثمة خلافات جدية بين البلاشفة والمنشفيك ، فقد سببوا ضرراً كبيراً للحزب . وقد طلب لينين ، في نضاله ضدهم ، ان يتقدم البلاشفة في المؤتمر ببرنامجهم الخاص ، حتى يرى العمال بوضوح ما هي مواقف البلاشفة وعلى اي اساس يجري التوحيد . فوضع البلاشفة هذا البرنامج وعرضوه على اعضاء الحزب للمناقشة .

وهكذا انعقد في ستهولم ، في نيسان ١٩٠٦ ، المؤتمر الرابع لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، وهو المؤتمر الذي سمي بمؤتمر الوحدة . وقد اشترك فيه ١١١ مندوباً باصوات فعلية يمثلون ٥٧ منظمة محلية للحزب . وحضر المؤتمر علاوة على ذلك ممثلون من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التومية وهم : ٣ من البوند ، و ٣ من الحزب الاشتراكي الديمقراطي

البولوني، و ٣ من المنظمة الاشتراكية الديموقراطية في ليتونيا .  
لقد اصبحت المنظمات البلشفية اصابات قاسية خلال الثورة المسلحة في  
كانون الاول وبعدها ، ولذلك لم تستطع جميعها ارسال مندوبين عنها .وعلاوة  
على ذلك ، قبل المنشفيك في صفوفهم ، خلال « ايام الحرية » في عام ١٩٠٥ ،  
جمهوراً من المثقفين البورجوازين الصغار الذين لم يكونوا يمتون الى الماركسية  
الثورية بآية صلة . ويكفي القول ان المنشفيك في تغليس ( ولم يكن في هذه  
المدينة كثير من العمال الصناعيين ) ارسلوا الى المؤتمر عدداً من المندوبين  
يساوي العدد الذي ارسلته اكبر منظمة بروليتارية وهي منظمة بطرسبرج .  
وهكذا وجدت في المؤتمر اكثرية — ضئيلة في الواقع — بجانب المنشفيك .  
ان تركيب المؤتمر على هذا الشكل طبع قراراته بطابع منشفيكي حول  
سلسلة من القضايا .

اما الوحدة التي تحققت في هذا المؤتمر فقد كانت صورية وشكلية محضة ،  
ففي الواقع حافظ كل من البلاشفة والمنشفيك على مفوماتهم ومنظمتهم الخاصة .  
كانت القضايا الرئيسية التي بحثها المؤتمر الرابع هي : المسألة الزراعية ،  
الوضع الحاضر واهداف البروليتاريا الطبقية ، الموقف تجاه دوما الدولة ،  
قضايا التنظيم .

رغم ان المنشفيك كانوا اكثرية في المؤتمر ، فقد اضطروا ، لكيلا يبعدوا  
العمال عنهم ، الى قبول الصيغة التي وضعها لينين للمادة الاولى من النظام الداخلي  
للحزب وهي تتعلق بصفات عضو الحزب .

اما في المسألة الزراعية ، فقد دافع لينين عن تأميم الارض وكان يرى ان  
هذا التأميم غير ممكن الا بنجاح الثورة ، وبعد قلب القيصرية ، وعندها يجعل  
تأميم الارض من السهل على البروليتاريا ، المتحالفة مع الفلاحين الفقراء ،  
الانتقال الى الثورة الاشتراكية . وكان تأميم الارض يقضي ضمناً بمصادرة  
كل اراضي النبلاء في صالح الفلاحين بدون اي تعويض .

لقد كان البرنامج الزراعي البلشفي يدعو الفلاحين الى الثورة على القيصر

وكبار ملاكي الاراضي .

اما المنشفيك فكانت لهم مواقف اخرى ، فقد كانوا يدافعون عن برنامج يقضي بوضع الارض تحت تصرف البلديات . فالاراضي ، وفقاً لهذا البرنامج ، لا ينبغي ان تسلم لمجموعات الفلاحين لكي تتصرف بها بحرية ، او لكي يكون لها فيها حق التمتع على الاقل ، بل يجب ان توضع تحت تصرف البلديات ( اي الادارات المحلية المستقلة أو الزمستفو ) ثم يستأجر الفلاحون هذه الاراضي ، كل حسب وسائله .

كان برنامج المنشفيك بوضع الارض تحت تصرف البلديات برنامجاً تقاعسياً ، وفي النتيجة برنامجاً ضاراً بالثورة . فلم يكن من الممكن ان يحدد هذا البرنامج جماهير الفلاحين للنضال الثوري ، كما انه لم يكن يستهدف الغاء ملكية النبلاء للارض الغاء تاماً . لقد كان البرنامج المنشفيكي يرمي الى ايجاد مخرج متوسط مهجن ( ١ ) للثورة . فان المنشفيك ما كانوا يريدون انهاض الفلاحين الى الثورة . ومع ذلك اقر المؤتمر ، باكثرية الاصوات ، البرنامج المنشفيكي .

لقد فضح المنشفيك حقيقتهم من حيث هم انتهازيون وخصوم للبروليتاريا ، خصوصاً بمناسبة القرار عن الوضع الحاضر وعن دوما الدولة . فقد اعترض المنشفيكي مارتوف ، بصورة سافرة ، على زعامة البروليتاريا في الثورة . وجواباً على المنشفيك وضع الرفيق ستالين المسألة بشكل حاسم فقال :

« إما زعامة البروليتاريا وإما زعامة البورجوازية الديموقراطية :

ان المسألة موضوعة على هذا الشكل في الحزب ، وهذه هي النقطة

التي تدور حولها خلافاتنا . »

اما دوما الدولة فكان المنشفيك يمجدها في قرارهم بوصفها احسن وسيلة لحل مسائل الثورة وتحرير الشعب من القيصرية . اما البلاشفة ، فكانوا ، على العكس ، يعتبرون الدوما ذيلاً لقيصر ، لا حول له ولا قوة ، وستاراً يرمي الى تعطية جراح القيصرية ، وسوف ترميه القيصرية جانباً عندما يصبح غير ملائم لها .

ضمت اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر الرابع ، ٣ من البلاشفة و ٦ من المنشفيك. ودخل المنشفيك وحدهم في هيئة تحرير الجريدة المركزية ، وقد كان من الواضح ان النضال سيستمر في داخل الحزب .

وفعلا ازداد النضال شدة بين البلاشفة والمنشفيك بعد المؤتمر الرابع . وكان يشاهد غالباً في المنظمات المحلية ، الموحدة رسمياً ، مقرران يقدم كل منهما تقريره عن المؤتمر ، احدهما من البلاشفة والآخر من المنشفيك . وبعد مناقشة الخطتين ، كانت اكثرية اعضاء المنظمة تنحاز في اغلب الاحيان الى البلاشفة .

كانت الحياة تبرهن ، يوماً بعد يوم وبشكل اوضح فواضح ، ان البلاشفة على حق . وظهرت اللجنة المركزية المنشفيكية المنتخبة في المؤتمر الرابع ، اكثر فاشية ، انتهازيتها وعدم كفاءتها لقيادة نضال الجماهير الثوري . ففي الصيف والخريف من عام ١٩٠٦ ، عاد نضال الجماهير الثوري الى الاشتداد ، وثار البحارة في كرونشتاد وسفبيورغ . وانطلق نضال الفلاحين ضد كبار ملاكي الاراضي . وخلال ذلك كانت اللجنة المركزية المنشفيكية تضع شعارات انتهازية لم تتبعها الجماهير .



## ٦ — حل دوما الدولة الاولى — دعوة دوما الدولة الثانية — مؤتمر الحزب الخامس — حل دوما الدولة الثانية — اسباب اندحار الثورة الروسية الاولى.

رأت الحكومة القيصرية ان دوما الدولة الاولى لا تصف بما يكفي من الطاعة والانقياد ، فامرت بحلها في صيف عام ١٩٠٦ ، وشددت وطأة الاضطهاد والارهاق على الشعب ، وارسلت البعثات التأديبية تطوف في انحاء البلاد ، واعلنت قرارها القاضي بدعوة دوما الدولة الثانية في امد قريب . واصبحت وقاحة الحكومة ظاهرة للعيان ، فهي لم تعد تخشى الثورة اذ كانت تراها سائرة في هبوط .

كان على البلاشفة ان يحلوا المسألة التالية : هل يشتركون في الدوما الثانية ام يقاطعونها ؟ وكان البلاشفة يعنون عادة بالمقاطعة ، مقاطعة نشيطة فعالة ، لا مجرد استنكاف جامد عن الانتخاب ، اذ كانوا يعتبرون المقاطعة النشيطة الفعالة وسيلة ثورية غايتها تنبيه الشعب وتحذيره من محاولات القيصريّة الرامية الى تحويل الشعب عن طريق الثورة الى طريق « الدستور » القيصري ، اي وسيلة لاجباط هذه المحاولات وتنظيم هجوم جديد من الشعب على القيصريّة .

واظهرت التجربة ، حين مقاطعة دوما بوليفين « ان المقاطعة كانت الخطوة الصحيحة الوحيدة ، الخطوة التي اثبتت الحوادث صحتها تماماً » . ( لينين : المرجع ذاته — ص ٥٥٢ ) .

وقد نجحت هذه المقاطعة ، لا لانها جنبّت الشعب خطر السير في طريق الدستور القيصري فقط ، بل لانها ايضا احبطت الدوما حتى قبل ان تولد . لقد نجحت لانها طبقت في مرحلة نهوض الثورة المتعاطم ، وقد دعما هذا النهوض ، لا في مرحلة هبوط الثورة — اذ لم يكن من الممكن اجباط الدوما الا في مرحلة نهوض الثورة .

اما مقاطعة دوما « فيت » ، اي الدوما الاولى ، فقد جرت بعد ان مُنيت ثورة كانون الاول بالاندحار ، وخرج القيصر منها ظافراً ، اي في وقت كان من الممكن التفكير فيه بان الثورة تتعذر وتهبط .

« ولكن من المسلم به انه لم يكن هناك بعد ، ما يدعو الى اعتبار هذا الانتصار ( اي انتصار القيصر — ملاحظة من هيئة التحرير ) انتصاراً حاسماً ، فان ثورة كانون الاول ١٩٠٥ قد وجدت امتداداً لها في كل تلك السلسلة من النهضات العسكرية والاضرابات المتفككة او الجزئية ، التي جرت في صيف ١٩٠٦ ، فشعار مقاطعة دوما فيت ، كان شعار النضال في سبيل تركيز هذه النهضات وتعيمها » . ( لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد ١٢ — ص ٢٠ ) .

ولم تستطع هذه المقاطعة احباط دوما «فيت»، وان كانت قد نالت كثيراً من هيتها ، واضعفت ما كان لدى فريق من السكان من الايمان بها . انها لم تستطع احباط الدوما لانها جرت ، كما تبين فيما بعد بوضوح ، في ظروف اندحار الثورة ، في ظروف اخطاها وهبوطها .

هذا هو السبب في عدم نجاح مقاطعة الدوما الاولى في عام ١٩٠٦ . وقد كتب لينين حول هذا الموضوع في مؤلفه المشهور : **مرض الطفولة او «اليسارية» في الشيوعية** ، ما يلي :

« ان المقاطعة البلشفية لـ «البرلمان» في عام ١٩٠٥ ، تقدم للبروليتاريا الثورية تجربة سياسية غنية وثينة جداً ، اذ تبين لها ان من الامور المفيدة احياناً ، بل من الامور الاجبارية — وذلك حينما تُستخدم ، في الوقت نفسه ، اشكال نضال مشروعة وغير مشروعة ، برلمانية وغير برلمانية — معرفة التخلي عن الاشكال البرلمانية ... لقد كانت مقاطعة «الدوما» من قبل البلاشفة في ١٩٠٦ خطأ ، وان كان هذا الخطأ قليل الخطورة وسهل التلافي .. فان ما يصح على الافراد يمكن تطبيقه ، فيما اذا تساوت العوامل والظروف ، على السياسة والاجزاب . فليس الانسان الذكي ذاك الذي لا يقع في اخطاء . فان انساناً من هذا النوع غير موجودين ، ولا يمكن ان يوجدوا . اما الذكي فهو الذي يرتكب اخطاء غير خطيرة جداً ، ويعرف ان يصلحها بسهولة وسرعة » . ( لينين — المؤلفات المختارة — المجلد الثاني ) .

اما فيما يتعلق بالدوما الثانية ، فكان لينين يعتبر ان « من واجب البلاشفة » ، امام تغير الحالة وهبوط الثورة ، « ان يعيدوا النظر في مقاطعة دوما الدولة » . ( لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد ١٠ — ص ٢٦ — الطبعة الروسية ) . وقد كتب لينين في ذلك :

« لقد بين التاريخ ان من الممكن، عندما تجتمع الدوما ، القيام بتحريض مفيد داخل هذه الدوما وحولها ، وان خطة التقرب من جماهير الفلاحين الثورية ضد الكاديت ، هي خطة ممكنة في قلب الدوما » (لينين - المؤلفات المختارة - المجلد الاول - ص ٥٥٤).

يُستخلص من ذلك ان ليس من الواجب فقط ان نعرف كيف نسير الى الهجوم بحزم وعزيمة ، كيف نسير الى الهجوم في الصفوف الاولى عندما تكون الثورة في نهوض ، بل ان نعرف ايضاً ان نتراجع بنظام ، ان نتراجع بعد الجميع ، عندما يكون النهوض الثوري قد انتهى ، وذلك بتغيير الخطة وفقاً لتغير الحالة ، وان لا نتراجع دون نظام ، بل ان نتراجع بشكل منظم ، وبهدوء ، دون ذعر ودون ارتباك ، مع استثمار الامكانيات مهما كانت قليلة لانتزاع الكادر (١) من تحت ضربات العدو ، ومن ثم تنظيم الصفوف من جديد وتكديس القوى والاستعداد لهجوم جديد .

قرر البلاشفة الاشتراكي في انتخابات الدوما الثانية .

غير انهم ما كانوا يذهبون الى الدوما للقيام بعمل « تشريعي » ، عضوي ، بالتكامل مع الكاديت كما كان يفعل المنشفيك ، بل لاستخدام الدوما كمنبر في مصلحة الثورة .

اما اللجنة المركزية المنشفيكية ، فكانت على العكس ، تدعو الى عقد اتفاقات انتخابية مع الكاديت ، والى تأييد الكاديت في الدوما التي كانوا يعتبرونها هيئة تشريعية قادرة على كبح جماح الحكومة القيصريّة .  
وقفت اكثر منظمات الحزب ضد سياسة اللجنة المركزية المنشفيكية .  
وطلب البلاشفة عقد مؤتمر جديد .

وفي ايار ١٩٠٧ ، انعقد في لندن المؤتمر الخامس للحزب ، وكان حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا يضم اذ ذاك (مع المنظمات الاشتراكية الديموقراطية القومية ) ، ما يقارب ١٥٠.٠٠٠ عضو ، وقد حضر المؤتمر ٣٣٦

(١) الكادر : الملاكات .

( هيئة التعريب )

مندوباً . وكان عدد البلاشفة ١٠٥ ، وعدد المنشفيك ٩٧ ، وكان المندوبون الآخرون يمثلون المنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية ، وهي منظمات الاشتراكيين الديمقراطيين البولونيين ، والليتوانيين ، والبوند ، وكانت قد قبلت في الحزب في المؤتمر السابق .

حاول تروتسكي ان يؤلف في المؤتمر فريقاً صغيراً خاصاً به ، يكون فريقاً وسطياً ، اي نصف منشفيكي ، ولكن لم يتبعه احد .

وقد اجتذب البلاشفة الى جانبهم البولونيين والليتوانيين فجمعوا اكثريه ثابتة في المؤتمر .

كانت احدى المسائل الرئيسية التي جرى فيها البحث ، مسألة الموقف تجاه الاحزاب البورجوازية . وهي مسألة كانت موضع نضال بين البلاشفة والمنشفيك في المؤتمر الثاني . وقد اعطى المؤتمر الخامس تقديراً بلشفيّاً عن كل الاحزاب غير البروليتارية — مثل المئة السود ، والاوكتوبريين ، والكاديت ، والاشتراكيين الثوريين — وافر خطة بلشفية تجاه هذه الاحزاب .

وافق المؤتمر على السياسة البلشفية وقرر القيام بنضال لا هوادة فيه سواء ضد احزاب المئة السود ( « اتحاد الشعب الروسي » ) ، والممكيين ، ومجلس النبلاء المتحدين ) او ضد « اتحاد ١٧ اكتوبر » ( او الاوكتوبريين ) ، وضد الحزب الصناعي التجاري ، وحزب « التجديد السلمي » . فان جميع هذه الاحزاب كانت معادية للثورة بصورة جلية واضحة .

اما فيما يتصل بالبورجوازية الحرة ، اي حزب الكاديت ، فقد اقترح المؤتمر القيام بحملة لا هوادة فيها لفضحها . وقد دعا المؤتمر الى فضح « ديمقراطية » حزب الكاديت الكاذبة القائمة على الرياء والنفاق ، كما دعا الى النضال ضد المساعي التي تبذلها البورجوازية الحرة لاختذ القيادة في حركة الفلاحين .

اما فيما يتعلق بالاحزاب المسماة بالاحزاب الشعبية او احزاب العمال ( الاشتراكيين الشعبيين ، وفريق العمل ، والاشتراكيين الثوريين ) فقد اوصى المؤتمر بفضح محاولاتهم للتجليب بجلباب الاشتراكية ، غير انه اقر امكان



عقد بعض الاتفاقات مع هذه الاحزاب لتنظيم هجوم مشترك من الجانبين ضد القيصرية ، وضد البورجوازية المتمثلة في حزب الكاديت ، ذلك لان هذه الاحزاب كانت في ذلك العهد احزاباً ديموقراطية تفصح عن مصالح البورجوازية الصغيرة في المدن والارياف .

اقترح المنشفيك ، قبل عقد المؤتمر ، عقد ما اسماه « مؤتمر عمال » يشترك فيه الاشتراكيون الديموقراطيون والاشتراكيون الثوريون والفوضيون ، وكان على « مؤتمر العمال » هذا ان يخلق شيئاً كـ « حزب لا حزبي » او حزب عمال « واسع » بورجوازي صغير لا برنامج له . وقد حمل لينين على هذه المحاولة المنشفيكية الضارة الرامية الى تصفية حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي واذابة الفصيلة الطليعية للطبقة العاملة بين الجماهير البورجوازية الصغيرة . وقد استنكر المؤتمر بمنتهى الصرامة شعار المنشفيك عن « مؤتمر العمال » هذا .

احتلت مسألة النقابات مكاناً على حدة في اعمال المؤتمر . وكان المنشفيك يدافعون عن « حياد » النقابات ، اي انهم كانوا ضد دور الحزب القيادي في النقابات . وقد رد المؤتمر اقتراح المنشفيك ووافق على القرار البلشفي عن النقابات : وهو ينص على ان من واجب الحزب الاستيلاء على القيادة الفكرية والسياسية في النقابات .

دل المؤتمر الخامس على ان البلاشفة احرزوا انتصاراً كبيراً في حركة العمال ، غير ان البلاشفة لم يداخلهم الغرور ، ولم يناموا على اكاليل الظفر . فليس ذلك ما علمهم اياه لينين . كان البلاشفة يعلمون ان امامهم ، بعد ، نضالاً شديداً ضد المنشفيك .

اعطى الرفيق ستالين ، في مقاله « ملاحظات مندوب » الذي نشر في عام ١٩٠٧ ، التقدير التالي عن نتائج المؤتمر :

« جمع العمال المتقدمين في كل روسيا بصورة فعلية في حزب واحد تحت علم الاشتراكية الديموقراطية الثورية : ذاك هو

مغزى مؤتمر لندن ، وتلك هي صبغته العامة .

واورد الرفيق ستالين معلومات عن تركيب المؤتمر ، فبين ان المندوبين البلاشفة ارسلتهم الى المؤتمر ، بصورة رئيسية ، المناطق الصناعية الكبرى ( بطرسبرج ، موسكو ، الاورال ، ايفانوفو — فوزنيسانسك الخ ... ) . اما المنشفيك فقد اوفدتهم الى المؤتمر مناطق الانتاج الصغير حيث التفوق للحرفيين وانصاف البروليتاريين ، وكذلك عدد من المناطق التي هي ، في الاساس ، مناطق فلاحين . وقد قال الرفيق ستالين في كلامه عن خلاصة اعمال المؤتمر :

« من الواضح ان خطة ( تاكتيك ) البلاشفة هي خطة بروليتاريي الصناعة الكبرى ، خطة المناطق التي اصبحت فيها التناقضات الطبقية واضحة كل الوضوح ، والنضال الطبقي عنيماً كل العنف ، فالبشفية هي خطة البروليتاريين الحقيقيين . ومن الواضح ، من جهة اخرى ، ان خطة المنشفيك هي ، بوجه خاص ، خطة الحرفيين وانصاف البروليتاريين من الفلاحين ، خطة المناطق التي ليست التناقضات الطبقية فيها واضحة تماماً ، والنضال الطبقي فيها مستتر . فالمنشفية هي خطة العناصر نصف البورجوازية في البروليتاريا . ذلك ما تشهد به الارقام . » ( محاضر المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا : ص ١١-١٢ ، الطبعة الروسية ١٩٣٥ ) .

كان القيصر ، حينما حل الدوما الاولى ، يأمل الحصول على دوما ثانية اكثر طواعية وانقياداً . غير ان الدوما الثانية ايضاً لم تحقق له ما كان ينتظر . فقرر القيصر اذ ذاك حلها هي ايضاً ، ودعوة دوما ثالثة على اساس قانون انتخابي اسوأ من سابقه ، بأمل ان تكون هذه الدوما اخيراً اطوع واسهل قياداً . بعد المؤتمر الخامس بقليل ، اجرت الحكومة القيصرية ما اصطلح على تسميته انقلاب ٣ حزيران الحكومي : ففي ٣ حزيران ١٩٠٧ امر القيصر

بجل دوما الدولة الثانية ، واعتقل الفريق الاشتراكي الديمقراطي في الدوما ، وكان يضم ٦٥ نائباً ، ونُفي الى سيريا . ووضع قانون انتخابي جديد انتقصت فيه حقوق العمال والفلاحين ايضاً وايضاً . وهكذا كانت الحكومة القيصرية تتابع هجوماً .

سلط الوزير القيصري ستوليبين اضطهاداً دائماً على العمال والفلاحين ، فقتلت البعثات التأديبية الوف العمال والفلاحين الثوريين رمياً بالرصاص او شنقاً . وكان الثوريون يعذبون في سجون القيصر المظلمة تعذيباً فظيعاً ، واتخذ الاضطهاد شكلاً وحشياً ضد منظمات العمال بوجه خاص وفي الدرجة الاولى ضد البلاشفة . وكان كلاب القيصرية يبحثون عن لينين الذي كان يعيش سراً في فنلندا ، فقد كانوا يريدون التخلص من زعيم الثورة . غير ان لينين ، بعد ان اقتحم الف خطر ، نجح مرة اخرى في اجتياز الحدود لي كانون الاول ١٩٠٧ ، وهاجر من جديد الى الخارج .

وتبعت ذلك سنوات الرجعية الستوليبينية السوداء المظلمة .

لقد انتهت الثورة الروسية الاولى بالاندحار . فما هي الاسباب التي ادت الى ذلك ؟

١ - لم يكن في الثورة ، بعد ، تحالف متين بين العمال والفلاحين ضد القيصرية . فقد نهض الفلاحون الى النضال ضد كبار ملاكي الاراضي ، وكانوا يقبلون التحالف مع العمال ضد هؤلاء الملاكين ، ولكنهم ما كانوا يدركون بعد ، ان من المستحيل قلب كبار ملاكي الاراضي دون قلب القيصرية ، ما كانوا يدركون ان القيصر هو حليف كبار ملاكي الاراضي . فقد كان فريق كبير من الفلاحين لا يزال لديهم ايمان بالقيصر ، وكانوا يبنون الآمال على الدوما القيصرية . ولهذا كان كثيرون من الفلاحين لا يرغبون في تحالف مع العمال غايته قلب القيصرية . لقد كان الفلاحون يؤمنون بالحزب التفاهمي ، حزب الاشتراكيين الثوريين ، اكثر من ايمانهم بالثوريين الحقيقيين : البلاشفة . وكانت النتيجة ان نضال

الفلاحين ضد كبار ملاكي الاراضي لم يكن منظماً تنظيمياً كافياً . وقد اشار لينين الى ذلك بقوله :

« كان الفلاحون يعملون بصورة مبعثرة جداً وغير منظمة ، ولم يكن هجومهم كافي الاندفاع . وكانت ذلك احد الاسباب الاساسية في اندحار الثورة . » ( لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد ١٩ — ص ٣٥٤ — الطبعة الروسية ) .

٢ — ان رفض قسم هام من الفلاحين السير مع العمال لقلب القيصريّة ، كان ظاهر الاثر كذلك في موقف الجيش الذي كان باكثرية مؤلفاً من ابناء الفلاحين المتجلببين بلباس الجندي . لقد وقعت اضطرابات وحركات تمرد في بعض وحدات الجيش القيصري ، غير ان اكثر الجنود كانوا ما يزالون يساعدون القيصر على قمع الاضرابات ونهضات العمال الثورية .

٣ — لم يكن العمال انفسهم يعملون بتلاحم وتناسق كافيين . فقد قامت الفصائل المتقدمة من الطبقة العاملة بنضال ثوري بطولي عام ١٩٠٥ . اما الجماعات المتأخرة جداً — اي عمال المناطق ذات الصناعات القليلة ، الساكنون في القرى — فقد كانوا ابطاً في التحرك والنهوض ، وقد اتسع اشتراكهم في النضال الثوري خصوصاً في عام ١٩٠٦ ، ولكن ، في هذا التاريخ ، كانت طليعة الطبقة العاملة قد ضعفت ضعفاً محسوساً .

٤ — كانت الطبقة العاملة قوة الطليعة ، القوة الاساسية في الثورة ، الا ان الوحدة والتلاحم اللازمين كانا مفقودين في صفوف حزب الطبقة العاملة ، 'حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . فقد كان منقسماً الى فريقين : البلاشفة والمنشفيك . وكان الاولون يتبعون خطة ثورية حازمة ، ويدعون العمال الى قلب القيصريّة . اما المنشفيك فكانوا ، بنخطتهم التفاهية ، يكبحون الثورة ، ويبدرون الارتباك في اذهان كثير من العمال ، ويقسمون الطبقة العاملة . ولهذا لم يكن نشاط العمال في الثورة متلاحماً متناسقاً بصورة دائمة ، ولم تستطع الطبقة العاملة ، التي كانت لا تزال تنقصها الوحدة في

صفوفها نفسها ، ان تصبح الزعيم الحقيقي للثورة .

٥ \_ ساعد الاستعماريون في اوربا الغربية ، الحكومة القيصرية على قمع ثورة ١٩٠٥ . فقد كان الرأسماليون الاجانب يخافون على رساميلهم التي وضعوها في روسيا ، وعلى ارباحهم العظيمة . وكانوا كذلك يخشون ، في حال انتصار الثورة الروسية ، ان ينهض عمال البلدان الاخرى ايضاً الى الثورة . ولهذا ساعد الاستعماريون في اوربا الغربية القيصر الجلاد ، ومنحه اصحاب البنوك الفرنسيون قرضاً هاماً لاستخدامه في سحق الثورة . وجد امبراطور المانيا جيشاً من الوف الرجال ، مستعداً للتدخل لاجل مساعدة القيصر .

٦ \_ ان الصلح الذي وقعه القيصر مع اليابان في ايلول ١٩٠٥ ، ادى له معونة كبرى . وقد دفعه الانكسار العسكري وصعود الثورة الهائل الى التعجيل في عقد الصلح . وكان الانكسار قد زعزع القيصريّة ، فاني توقيع الصلح ومكن موقف القيصر .

.

## الخلاصة

كانت الثورة الروسية الاولى دوراً تاريخياً كاملاً في تطور بلادنا ، ويتضمن هذا الدور التاريخي مرحلتين ، المرحلة الاولى : عندما ترتفع الثورة من الاضراب السياسي العام الذي جرى في تشرين الاول ، الى الثورة المسلحة التي وقعت في كانون الاول . وقد استفادت الثورة من ضعف القيصر الذي كان يلاقي الاندحارات المتتالية في ميادين القتال في منشوريا ، وكنست دومما بوليفين وانتزعت من القيصر تنازلاً وراء تنازل . المرحلة الثانية : عندما يعمد القيصر ، وقد اصبح حاله بعد توقيع الصلح مع اليابان ، الى استغلال الخوف الذي استولى على البورجوازية الحرة امام الثورة ، كما يلجأ الى استثمار التردد لدى جماهير الفلاحين ، فيلقي لهؤلاء وهؤلاء صدقة هي دومما فيت ،

وينتقل الى الهجوم على الطبقة العاملة وعلى الثورة .

وخلال سنوات الثورة الثلاث ( ١٩٠٥ — ١٩٠٧ ) اكتسبت الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين ثقافة سياسية غنية لم تكن لتعطيها اياها ثلاثون سنة من التطور السلمي العادي . فبضع سنين في الثورة ، اوضحت واكدت اشياء لم تكن عشرات السنين من التطور السلمي تكفي لايضاها وتأكدها .

بينت الثورة ان القيصرية هي عدو الشعب اللدود ، وانها ذلك الثعلب الذي يقال عنه انه سيموت في جلده .

وبينت الثورة ان البورجوازية الحرة تسعى الى التحالف لا مع الشعب ، بل مع القيصر ، وانها قوة معادية للثورة ، وان التحالف معها هو بمثابة خيانة للشعب .

وبينت الثورة ان الطبقة العاملة هي وحدها التي تستطيع ان تكون زعيمة الثورة الديمقراطية البورجوازية ، وانها وحدها القادرة على عزل البورجوازية الحرة المتمثلة في حزب الكاديت ، وانتزاع جماهير الفلاحين من تحت نفوذها ، وابادة كبار ملاكي الاراضي ، والسير بالثورة الى النهاية ، وفتح الطريق نحو الاشتراكية . وبينت الثورة اخيراً ان جماهير الفلاحين الكادحة هي ، رغم تردداتها ، القوة الجديدة الوحيدة التي يمكن ان تقبل التحالف مع الطبقة العاملة .

وقد تجابهت خلال الثورة خطتان في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا : الخطة البلشفية والخطة المنشفيكية . وكان البلاشفة يستهدفون تطوير الثورة ، وقلب القيصرية بالثورة المسلحة ، وتحقيق زعامة الطبقة العاملة ، وعزل البورجوازية المتمثلة في حزب الكاديت ، وتحقيق التحالف مع جماهير الفلاحين ، وانشاء حكومة ثورية مؤقتة مؤلفة من ممثلي العمال والفلاحين ، والسير بالثورة حتى الانتصار النهائي .

اما المنشفيك فكانوا على العكس ، يرمون الى كبح الثورة ، وعوضاً عن قلب القيصرية بالثورة المسلحة كانوا يقترحون اصلاحها و« تحسينها » ، وعوضاً

عن زعامة البروليتاريا كانوا يقترحون زعامة البورجوازية الحرة ، وعوضاً  
عن التحالف مع جماهير الفلاحين كانوا يقترحون التحالف مع البورجوازية  
المتشكلة في حزب السكاديت ، وعوضاً عن حكومة ثورية موقته كانوا يقترحون  
ان تكون دوماً الدولة مركزاً « للقوى الثورية » في البلاد .

وهكذا أنزلق المنشفيك الى مستنقع التفاهم ، واصبحوا لسان حال النفوذ  
البورجوازي في الطبقة العاملة ، بل اصبحوا ، في الواقع ، عملاء البورجوازية  
في قلب الطبقة العاملة .

وتبين ان البلاشفة يؤلفون القوة الماركسية الثورية الوحيدة في الحزب .  
وفي البلاد .

ومن المفهوم ، بعد خلافات خطيرة كهذه ، ان يجد حزب العمال  
الاشتراكي الديموقراطي في روسيا نفسه ، عملياً ، منقسماً الى حزبين : حزب  
الباشفيك وحزب المنشفيك . ولم يغير مؤتمر الحزب الرابع شيئاً في الحالة  
الواقعية التي كانت سائدة في داخل الحزب ، فهو لم يتمكن الا من المحافظة  
على وحدة الحزب الشكلية وتوطيدها بعض الشيء . وقد قام المؤتمر الخامس  
بخطوة الى امام في طريق توحيد الحزب توحيداً فعلياً ، وقد تحقق هذا التوحيد  
تحت علم البلشفية .

وقد بحث مؤتمر الحزب الخامس خلاصة الحركة الثورية فشجب الخطة  
المنشفيكية بوصفها خطة تفاهية ، ووافق على الخطة البلشفية من حيث خطة  
ماركسية ثورية . والمؤتمر بعمله هذا اغنا وكّد مرة اخرى ما كان قد تم  
توكيده في مجرى الثورة الروسية الاولى .

بينت الثورة ان البلاشفة يعرفون القيام بالهجوم عندما تقتضيه الحالة ، وانهم  
قد تعلموا ان يسيروا في الصفوف الاولى ، وان يقودوا الشعب وراءهم الى  
المهجوم ، غير ان الثورة بينت ، علاوة على ذلك ، ان البلاشفة يعرفون ايضاً  
ان يتراجعوا بنظام عندما تصبح الحالة غير ملائمة ، وعندما تهبط الثورة ، وان  
البلاشفة قد تعلموا ان يتقهرقوا ضمن القواعد ، دون ارتباك ودون عجلة ، لاجل

المحافظة على الكادر ، ولأجل جمع قواهم ، ومن ثم ، بعد إعادة تنظيم صفوفهم وفقاً للوضعية الجديدة ، العودة الى الهجوم .

لا يمكن قهر العدو دون معرفة قيادة الهجوم جيداً .

ولا يمكن اجتناب الهزيمة الشنعاء في حالة الانكسار الا بمعرفة التراجع

دون ارتباك وذعر ، بانتظام وترتيب .





## الفصل الرابع

المنشفيك والبلاشفة في دور الرجعية الستوليينية —  
البلاشفة يؤلفون حزباً ماركسياً مستقلاً .

( ١٩٠٨ — ١٩١٢ )

•

١ — الرجعية الستوليينية — التفسخ في الاوساط المثقفة  
المعارضة — الانحطاط المعنوي — انتقال عدد من مثقفي  
الحزب الى معسكر اعداء الماركسية وظهور محاولات  
لتحريف النظرية الماركسية — رد لينين على المحرفين في  
مؤلفه : « المادية والمذهب النقدي التجريبي »  
والدفاع عن المبادئ النظرية للحزب الماركسي .

في الثالث من حزيران ١٩٠٧ ، حلت الحكومة القيصرية دوما الدولة  
الثانية — وهو ما اتفق على تسميته في التاريخ بانقلاب ٣ حزيران — واصدرت  
قانوناً جديداً عن طريقة الانتخاب لدوما الدولة الثالثة ، ناقضة بذلك بيانها  
نفسه ، بيان ١٧ تشرين الاول ١٩٠٥ ، الذي تعهدت فيه ألا تسن قوانين  
جديدة الا بموافقة الدوما . وعلى اثر ذلك ، احيل اعضاء الكتلة الاشتراكية  
الديموقراطية في الدوما الثانية الى القضاء ، وارسل ممثلو الطبقة العاملة الى

## السجون والمنافي .

وقد وضع القانون الانتخابي الجديد بشكل يزيد كثيراً في عدد ممثلي كبار ملاكي الاراضي ومثلي البورجوازية التجارية والصناعية في الدوما ، وينقص بنسبة كبيرة عدد ممثلي الفلاحين والعمال ، الذي كان حتى من قبل ضئيلاً جداً . لقد اصبحت الدوما الثالثة من حيث تركيبها ، مجلساً للمائة السود والكاديت . فمن مجموع ٤٤٢ نائباً ، كان لليمينيين ( المائة السود ) ١٧١ نائباً ، وللأوكتوبريين واطباء الكتلة المقربة منهم ١١٣ نائباً ، ولللكاديت واطباء الكتلة المجاورة لهم ١٠١ ، وللترودوفيك (١) ١٣ ، وللأشترائيين الديموقراطيين ١٨ .

وكان رجال اليمين ( وسما بذلك جلوسهم في الجهة اليمنى من المجلس ) أعداء العمال والفلاحين . فكانوا يمثلون كبار الملاكين الاقطاعيين ، المغرقين في الرجعية ، الذين جلدوا الفلاحين واطلقوا على جموعهم الرصاص اثناء قمع حركتهم ، ونظموا المذابح العنصرية ضد اليهود وحملات البطش بمظاهرات العمال ، واضرموا النار بوحشية في الاماكن التي كانت تعقد فيها الاجتماعات العامة خلال ايام الثورة . كان رجال اليمين من مؤيدي استعمال الارهاب بافظع انواعه ضد الشغيلة ، ومن انصار منح القيصرية سلطة لا حد لها ، ولذا عارضوا البيان القيصري الصادر في ١٧ تشرين الاول ١٩٠٥ .

اما الحزب الاوكتوبري ، او « اتحاد ١٧ تشرين الاول » ، فكان قريباً جداً من اليمين ، واطباءه يعبرون عن مصالح الرأسمال الصناعي الكبير ومصالح كبار الملاكين العقاريين الذين يستخدمون الاساليب الرأسمالية في استثمار اراضيهم ( وقد انضم الى الاوكتوبريين في بداية الثورة قسم هام من

---

(١) الترودوفيك : كتلة بورجوازية صغيرة تكونت في عام ١٩٠٦ في مجلس دوما الدولة الاولى ، وكانت مؤلفة من قسم من نواب الفلاحين ، على رأسهم مثقفون من الاشتراكيين الثوريين . ( هيئة التعريب ) .

كبار ملاكي الاراضي في حزب الكاديت ) . على ان الشيء الوحيد الذي كان يميز الاوكتوبريين عن رجال اليمن ، هو اعلانهم — ولكن بالقول فقط — موافقتهم على بيان ١٧ تشرين الاول . اما فيما عدا ذلك ، فكانوا يؤيدون سياسة الحكومة القيصرية ، الداخلية والخارجية ، تأييداً تاماً .

اما الكاديت ، او جماعة الحزب « الدستوري الديمقراطي » ، فقد نقص عدد مقاعدهم في الدوما الثالثة عما كان عليه في الدوما الاولى والثانية ، ذلك لان قسماً من اصوات كبار ملاكي الاراضي انتقل من الكاديت الى الاوكتوبريين .

وكان في الدوما الثالثة كتلة قليلة العدد من الديمقراطيين ، صغار البورجوازيين ، المعروفين بالتروودوفيك ، وكانوا يتذبذبون بين الكاديت وكتلة الديمقراطية العمالية ( اي البلاشفة ) . وكانت لينين يقول أن التروودوفيك ، رغم ضعفهم الشديد في الدوما ، يمثلون الجماهير ، جماهير الفلاحين . وكان تذبذب التروودوفيك بين الكاديت والديمقراطية العمالية ، نتيجة حتمية للوضع الطبقي الذي كان عليه صغار المستثمرين . وكانت لينين يضع امام النواب البلاشفة ، اي امام كتلة الديمقراطية العمالية ، مهمة « مساعدة ضعاف الديمقراطيين من صغار البورجوازيين ، وانتزاعهم من تحت نفوذ الاحرار ، وتأليف معسكر للديمقراطية ضد الكاديت ، اعداء الثورة لا ضد اليمينيين فقط » ( لينين — مختارات من مؤلفاته — الجزء الاول — صفحة ٦٥١ ) .

وقد اثبت الكاديت اكثر فاكثراً ، اثناء ثورة ١٩٠٥ ، ولا سيما بعد اندحارها ، انهم قوة مناوئة للثورة . فكانوا يطرحون جهاراً ، اكثر فاكثراً ، القناع « الديمقراطي » عن وجوههم ، وينهبون منهج ملكيين حقيقيين ، مدافعين عن القيصرية . ففي عام ١٩٠٩ ، نشر فريق من كتاب الكاديت البارزين مجموعة مقالات بعنوان « فيخي » ( المراحل ) ، شكروا فيها القيصرية باسم البورجوازية ، على سحقها للثورة . بل هم زحفوا على بطونهم امام حكومة

الوسط والمشفقة ، فكتبوا حرفياً ان من الواجب «مباركة هذه السلطة التي لا تزال ، وحدها ، بحراها وسجونها تحميها ( اي تحمي البورجوازية الحرة ) من الهياج الشعبي » .

بعد ما حلت الحكومة القيصريّة الدوما الثانية ونكلت بالكتلة الاشتراكية الديموقراطية ، عمدت الى تحطيم منظمات البروليتاريا ، السياسية والاقتصادية . فعبّثت السجون والمعاقل والمنافي بالثوريين الذين كانوا يضربون ويعذبون بوحشية ، وينكل بهم افظع تنكيل ، وانتشر ارهاب المائة السود منطلق العنان . وزرع الوزير القيصري « ستوليين » المشائق زرعاً في طول البلاد وعرضها ، وأعدم عدة الاف من الثوريين . واشتهر جبل المشقة في ذلك العهد باسم « يافة (١) ستوليين » . غير ان الحكومة القيصريّة ، مع امعانها في سحق حركة العمال والفلاحين الثوريّة ، لم تستطع ان تقتصر على اعمال القمع وحملات التأديب والاعدام والسجون والمنافي ، فانها كانت ترى بقلق ان ايمان الفلاحين الساذج بـ « القيصر الاب الصغير » يضمحل شيئاً فشيئاً . فعمدت الى مناورة واسعة النطاق وهي تأمين سند متين لها في الارياض بتقوية طبقة البورجوازية الريفية ، طبقة الكولاك .

وعلى هذا الاساس ، اصدر ستوليين في ٩ تشرين الثاني ١٩٠٦ ، قانوناً زراعياً جديداً يبيح للفلاحين الانسحاب من المشاعات والاستقرار في «الخوتور» ( المزارع المنفردة ) . فجاء هذا القانون هادماً للملكية الارض المشاعية ، اذ اصبح الفلاح مدعواً الى اخذ نصيب من الارض يصبح ملكاً خاصاً له ، ثم ينسحب من المشاع . و ابيع للفلاح بيع حصته من الارض ، وهو ما لم يكن يحق له قبلاً ، كما اجبرت المشاعات الفلاحية على اعطاء كل من اعضائها الراغبين في الانسحاب منها ، حصته من الارض قطعة واحدة مضمومة الاجزاء ( وهو ما كان يسمى « خوتور » او « اوتروب » ) لا قطعاً متفرقة منفصلاً بعضها عن بعض .

وعلى هذه الصورة، تمكن الفلاحون الاغنياء، الكولاك، من الاستيلاء على اراضي الفلاحين الصغار بثمن بخس. فخلال بضع سنوات، اصبح اكثر من مليون فلاح صغير بلا ارض وحل بهم الخراب التام. وكانت اراضيهم المنتزعة منهم تُستخدم للاكثار من مزارع الكولاك، وكانت هذه المزارع تؤلف احيانا املاكاً شاسعة تُستخدم بالاجرة بدءاً عاملة كبيرة العدد. وكانت الحكومة تجبر الفلاحين على اعطاء احسن اراضي المشاع الى المزارعين الكولاك.

عندما جرى «تحرير» الفلاحين، سلبهم كبار الملاكين اراضيهم، والان جاء الكولاك يسلبون المشاعات بتخصيص احسن الاراضي لانفسهم وبلاستيلاء على حصص الفلاحين الفقراء بالجنس الاثمن.

وكانت الحكومة القيصريّة تقرر الكولاك مبالغ طائلة، ليشتروا بها اراضي وينشئوا مزارعهم، اذ كان في نية ستوليين ان يجعل من الكولاك طبقة من صغار اسياذ الارض، ومدافعين امناء عن الاوتوقراطية القيصريّة. وهكذا انسحب من المشاعات خلال تسع سنوات (من ١٩٠٦ الى ١٩١٥) اكثر من مليوني فلاح.

كانت سياسة ستوليين تزيد حالة صغار الفلاحين والفلاحين الفقراء ضيقاً وتفاقماً.

واشتد التفاوت بين فئات الفلاحين، ونشبت المنازعات بين الفلاحين والمزارعين الكولاك.

ومن جهة اخرى، اخذت جماهير الفلاحين تدرك انها لن تحصل ابداً على اراضي الاسياذ، ما دامت في الوجود الحكومة القيصريّة والدوما التي يسيطر عليها كبار ملاكي الاراضي والكاديت.

خلال السنوات التي نشط فيها انشاء مزارع الكولاك (١٩٠٧-١٩٠٩) هبطت حركة الفلاحين بادىء الامر، غير انها، في سنتي ١٩١٠ و١٩١١ وفيما بعد ايضاً، على اساس المنازعات بين الفلاحين المشاعيين والمزارعين الكولاك، تضاءلت قوتها ضد كبار الملاكين والكولاك.

وحدث أيضاً ، بعد الثورة ، تغيرات هامة في ميدان الصناعة . فقد  
اشد تركز الصناعة ، اي توسع المشاريع وتجمعها في ايدي كتل رأسمالية  
تنمو قوتها يوماً بعد يوم . وكان الرأسماليون ، حتى قبل ثورة ١٩٠٥ ، قد  
ألفوا شركات احتكارية لرفع اسعار البضائع في داخل البلاد . وكان الربح  
الفاحش الزائد الذي يجمع بهذه الطريقة ، يُحوّل الى مخصصات لتشجيع  
التصدير ، لكي يتيسر لهم طرح المحصولات الى السوق الخارجية باسعار  
منخفضة ، فيتم لهم الاستيلاء على اسواق للتصدير . وكانت هذه الشركات  
او الكتل الرأسمالية (الاحتكارات) ، تسمى إما تروستات وإما نقابات . وقد  
ازداد بعد الثورة ، عدد التروستات والنقابات الرأسمالية ، كما تكاثرت عدد  
البنوك الضخمة التي كان دورها يتعاظم في الصناعة . وكانت رؤوس الاموال  
الاجنبية ترد بغزارة الى روسيا .

وهكذا اخذت الرأسمالية في روسيا نصبح ، اكثر فاكثراً ، رأسمالية  
احتكارية ، استعمارية .

وبعد ركود دام بضع سنين ، انتعشت الصناعة : فازداد استخراج الفحم  
والبترول ، كما ارتفع انتاج المعادن والنسيج والسكر ، وكان تصدير القمح  
الى الخارج في صعود قوي .

على ان روسيا ، رغم تسجيلها في هذا العهد بعض التقدم الصناعي ، ظلت  
بلاداً متأخرة بالنسبة لاوروبا الغربية ، وبقيت في وضع التابع للرأسماليين  
الاجانب . فلم تكن تُصنع في روسيا آلات ، ولا آلات لصنع الآلات ،  
بل كانت الآلات تستورد من الخارج . كذلك لم تكن فيها صناعة  
سيارات ، ولا صناعة كيميائية ، ولم تكن تنتج فيها اسمدة معدنية . وفيما يتصل  
بصنع الاسلحة ايضاً ، كانت روسيا متأخرة عن الاقطار الرأسمالية الاخرى .  
وقد اشار لينين الى ضعف استهلاك المعادن في روسيا ، كشاهد على تأخر  
حالة البلاد ، فقال :

« خلال نصف القرن الذي انقضى منذ تحرير الفلاحين ، ازداد استهلاك

الحديد في روسيا خمسة اضعافه ، ومع ذلك لا تزال روسيا بلاداً متأخرة الى حد لا يصدق ولا يقدر ، بلاداً بائسة ونصف متوحشة ، تجهزها بأدوات الانتاج العصرية اسوأ بأربع مرات من انكلترا ، وبخمس مرات من المانيا ، وبعشر مرات من الولايات المتحدة . ( لينين — المؤلفات الكاملة — الجزء السادس عشر — صفحة ٥٤٣ — الطبعة الروسية ) .

وكانت النتيجة المباشرة لتأخر روسيا الاقتصادي والسياسي ، ان الرأسمالية الروسية والقيصرية نفسها ، كانتا في موقف التبعية حيال رأسمالية اوروبا الغربية . لهذا السبب ، كانت اهم فروع الاقتصاد الوطني ، كالفحم والبتروول والصناعة الكهربائية والتعدين ، في ايدي الرأسمال الاجنبي ، وكانت جميع الادوات والآلات تستورد تقريباً من الخارج .

ولهذا السبب ايضاً ، عتدت القيصرية قروضاً في الخارج بشروط مجحفة استعبادية ، وكانت تدفع فوائدها مئات الملايين من الروبلات ، تبتزها في كل سنة من السكان .

واخيراً ، لهذا السبب نفسه ، وقعت القيصرية مع « الحلفاء » ، معاهدات سرية ، تعهدت فيها بان ترسل ، في حالة حرب ، ملايين الجنود الروس الى جبهات القتال الاستعمارية ، لنجدة « الحلفاء » ، وتأمين مراحق فاحشة للرأسماليين الانكليز والفرنسيين .

تميزت سنوات الرجعية الستوليبينية ، بانطلاق الدرك والشرطة وزبانية الاستفزاز القيصريين واجلاف المائة السود ، انطلاقاً وحشياً في الاعتداء على الطبقة العاملة . الا ان اجراء القيصرية لم ينفردوا وحدهم في التنكيل بالعمال ، فقد سار اصحاب الفبارك والمعامل على غرارهم في هذا المضمار ، فشددوا هجومهم على الطبقة العاملة ، خصوصاً في سني الركود الصناعي والبطالة المتزايدة . كان اصحاب الفبارك يعمدون الى تسريح العمال بصورة جماهيرية . وكان لديهم «دفاتر سوداء» يسجلون فيها اسماء العمال الواعين الذين يشتركون بنشاط في الاضرابات ، فلا يتمكن الذين تظهر اسمائهم في « الدفاتر » او « القوائم السوداء » ،

من ايجاد عمل لهم في اي مشروع من المشاريع المنتمية الى جمعية ارباب العمل في الصناعة المعنية . وقد خفضت الاجور ابتداء من سنة ١٩٠٨ بنسبة ١٠ الى ١٥ بالمائة ، واطيل في كل مكان يوم العمل الى ١٠ و ١٢ ساعة ، وازدهر من جديد نظام القرامات القائم على الاغتصاب والسلب .

ان اندحار ثورة ١٩٠٥ ، حل الانحلال والتفسخ الى صفوف « رفاق الطريق » ، رفاق الثورة الموقنين ، وبلغ التفسخ والانحطاط المعنوي حداً شديد الخطورة بين المتقنين بوجه خاص . فان « رفاق الطريق » ، الذين جاءوا الى صفوف الثورة من الوسط البورجوازي عندما كانت الثورة في نهوض طام ، غادروا الحزب في ايام الرجعية فانتقل بعضهم الى معسكر اعداء الثورة السافرين ، اما الآخرون الذين استقروا في ما بقي حياً من جمعيات العمال المشروعة ، فكانوا يسعون الى تحويل البروليتاريا عن طريق الثورة ، الى الخط من قيمة حزب البروليتاريا الثوري . ان رفاق الطريق أولاء اخذوا ، بعد تركهم الثورة ، يحاولون ان يأثفوا مع الرجعية وان ينظموا امورهم مع القيصرية .

واستغلت الحكومة القيصرية اندحار الثورة لكي تجعل اشد رفاق الطريق جنباً وصغاراً ، غملاء وجواسيس لها . فكان اخوان يهودا السافلون ، عناصر الاستفزاز والوشاية ، الذين بشهم الاوخرانا القيصرية في منظمات العمال ومنظمات الحزب ، يتجسسون من الداخل على الثوريين ويبيعونهم .

وتابعت الرجعية ، عدوة الثورة ، هجومها في الميدان الفكري ايضاً . فظهرت زمرة من الكتاب « على الموضة » ، « ينتقدون » الماركسية و « يعدمون » ويستهنئون بالثورة ويرذلونها ويمرغونها في الاوحال ، ويمجدون الخيانة والتهتك الجنسي باسم « تقديس الفرد » .

وتكاثرت في الميدان الفلسفي محاولات « نقد » الماركسية وتحريفها ، وبرزت تيارات دينية من جميع الانواع مغطاة بمجج « علمية » مزعومة . لقد اصبح « نقد » الماركسية نوعاً من « الموضة » .



وكان كل هؤلاء السادة ، رغم اختلاف الواهم واشكالهم ، يتبعون هدفاً  
مبشتركاً ، هو تحويل الجماهير عن الثورة .

وسرى الشك والانحطاط ايضاً الى بعض متفقي الحزب الذين كانوا يدعون  
بانهم ماركسيون ، مع انهم لم يبقوا في يوم من الايام بقدم ثابتة في المواقف  
الماركسية . وكان بينهم ككتاب مثل بوغدانوف وبازاروف  
ولوناتشارسكي ( وقد انضموا الى البلاشفة في عام ١٩٠٥ ) ويوشكيةتش  
وفالانتينوف ( وهما من المنشفيك ) ، الذين راحوا « ينتقدون » ، في  
آن واحد ، الاسس الفلسفية والنظرية للماركسية ، اي المادية الديالكتيكية ،  
وكذلك اسسها العلمية والتاريخية ، اي المادية التاريخية . وكان هذا النقد يتميز  
عن النقد العادي ، بانه لم يكن يجري بصورة سافرة شريفة ، بل بصورة مقنعة  
محفوفة بالرياء ، وباسم « الدفاع » عن المواقف الاساسية للماركسية . كانوا  
يقولون : نحن من حيث الجوهر ماركسيون بيد اننا نريد « تحسين » الماركسية  
واعتاقها من بعض المبادئ الاساسية . ولكنهم كانوا في الحقيقة اعداء للماركسية ،  
ويسعون الى نفس مبادئها النظرية ، كانوا ينكرون بالكلام فقط ، رياء  
ونفاقاً ، عداؤهم للماركسية ، ويستمرون ، بحجة وسفالة ، على تسمية انفسهم  
ماركسين . وكان الخطر من هذا النقد المناق ، متأبياً من كونه يستهدف  
خدع مناخلي القاعدة في الحزب ، ويمكن ان يضلهم ويوقعهم في مهاوي الغلط .  
ولذا ، فإن هذا النقد الرامي الى نفس الاسس النظرية للماركسية ، كانت ،  
كلما ازداد رياء ونفاقاً ، ازداد خطراً على الحزب ولا سيما انه كان متكافئاً  
تكتافاً وثيقاً مع الحملة الصليبية التي شهرتها الرجعية بأسرها ضد الحزب وضد  
الثورة . وقد بلغ الامر ببعض المثقفين الذين تحلوا عن الماركسية ، انهم  
راحوا يدعون الى ضرورة خلق دين جديد ( فعرفوا باسم « الباحثين عن الله »  
و « بنائي الله » ) .

فازاء هذه الحالة ، كان من الواجب على الماركسين ان يسطلوا باعباء مهمة  
ملحة عاجلة ، هي ان يجابهوا هؤلاء المرتدين عن النظرية الماركسية بالرد الذي

يستحقونه، وينزعوا اقنعتهم عن وجوههم، ويفضحهم الى النهاية، فيصنوا بذلك الاسس النظرية للحزب الماركسي.

وكان المظنون ان بليخانوف واصدقاءه المنشفيك ، الذين يعتبرون انفسهم « ابرز النظريين في الماركسية » ، سيأخذون هذه المهمة على عاتقهم، غير انهم اکتفوا بكتابة مقالين اثنين لا قيمة لهما، نشر في زاوية النقد من احدى الصحف، ثم قبع كل منهم في وكرة.

فنهض لينين نفسه بهذه المهمة ، بوضع مؤلفه الشهير « المادية والمذهب النقدي التجريبي » (١) الذي نشره عام ١٩٠٩ ، وبما قاله في هذا المؤلف : « في اقل من ستة اشهر ، صدرت اربعة كتب مكرسة بصورة رئيسية ، بل بصورة تامة تقريباً ، لمهاجمة المادية الديالكتيكية . اولها : « دراسات في (كان ينبغي القول : ضد) فلسفة الماركسية » بطرسبرج ١٩٠٨ ، وهي مجموعة مقالات من بازاروف وبوغدانوف ولوناتشارسكي وبرمان وهيلفون ويوشكيفتش وسوفوروف ، ثم « المادية والواقعية الانتقادية » بقلم يوشكيفتش ، و « الديالكتيك في ضوء نظرية المعرفة المعاصرة » بقلم برمان ، و « الابنية الفلسفية في الماركسية » بقلم فالنتينوف . ان جميع هؤلاء الاشخاص الذين يجمع بينهم — رغم تباین آرائهم السياسية — الحقد على المادية الديالكتيكية ، يدعون مع ذلك انهم ماركسيون في الفلسفة !... فيقول برمان : ان ديالكتيك المجلس هو « صوفية » ! ويشير بازاروف عرضاً ، كما لو كان الامر شيئاً مسلماً به ، الى « ان مفاهيم المجلس قد « ساخت » ! كأنا المادية قد ثبت بطلانها — على ما يظهر — على ايدي هؤلاء المحاربين الشجعان ، الذين يستشهدون ، وكلهم اعتداد وخيلاء ، بـ « نظرية المعرفة المعاصرة » و « الفلسفة الحديثة » ( او « الايجابية الحديثة » ) و « فلسفة العلوم الطبيعية المعاصرة » ، وحتى « فلسفة العلوم الطبيعية في القرن العشرين » . ( لينين — المؤلفات

الكاملة — الجزء الثالث عشر — صفحة ١١ — الطبعة الروسية ) .  
 وجواباً على لوناتشارسكي الذي كان يقول ، لتبرير امداقائه المحرفين  
 في الفلسفة ، « ربما كنا على ضلال ، ولكننا نبحت » ، كتب لينين :  
 « انا ايضاً ، من جهتي ، « باحث » في الفلسفة . ولهذا جعلت مهنتي في هذه  
 الملاحظات ( يعني كتاب **المادية والمذهب النقدي التجريبي** — ملاحظة من  
 هيئة التحرير ) ، ان اجث عن باعث هراء هؤلاء الناس الذين يقدمون لنا تحت  
 اسم الماركسية ، شيئاً متتافراً الى درجة لا تصدق ، وغامضاً ورجعياً »  
 ( المرجع ذاته — ص ١٢ ) .

الا ان مؤلف لينين كان ، في الواقع ، يتجاوز هذه المهمة المتواضعة .  
 فهو لم يكن نقداً وحسب لبوغدانوف ويوشكيفيتش وبازاروف  
 وفالاتينوف ، ولاستاذيهم في الفلسفة : افيناريوس وماخ ، الذين  
 حاولوا جميعاً في كتاباتهم ان يقدموا للناس مثالية ملطفة ومطلية ، معارضة  
 للمادية الماركسية ، بل ان كتاب لينين هو في الوقت نفسه دفاع عن مبادئ  
 الماركسية النظرية — اي عن المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية — وهو  
 تعميم مادي لكل ما اكتسبه العلم ، وخصوصاً علم الطبيعة ، من جوهرى  
 وهام ، خلال مرحلة تاريخية كاملة تمتد من وفاة انجلس الى ظهور مؤلف لينين :  
**المادية والمذهب النقدي التجريبي** .

فبعد ما انتقد لينين ، انتقاداً دقيقاً وافياً ، انصار المذهب النقدي التجريبي  
 الروس واساتذتهم الاجانب ، توصل الى الاستنتاجات التالية ضد التحريفية  
 النظرية والفلسفية :

اولاً — « ان ما يميز التحريفية المعاصرة ، سواء في الاقتصاد السياسي او  
 في قضايا الخطة ( التاكتيك ) ، وفي الفلسفة عموماً ، هو تزييف الماركسية  
 ومسحها بحذافة متزايدة ، بواسطة مذاهب مغايرة للمادية » . ( المرجع ذاته —  
 ص ٧٠ ) .

ثانياً — « ان مدرسة ماخ وافيناريوس باسرها تنزع الى المثالية » .

( المرجع ذاته — ص ٢٩١ ) .

ثالثاً — « ان اصحابنا ، انصار مـاخ ، قد زلقوا جميعاً الى المثالية » .

( المرجع ذاته — ص ٢٨٢ ) .

رابعاً — « من المستحيل الاّ يستشف المرء ، وراء الكلامية (١) العرفانية (٢) للمذهب النقدي التجريبي ، نضال الاحزاب في الفلسفة ، هذا النضال الذي يُفصح ، في آخر الحساب ، عن ميول الطبقات المتعادية في المجتمع المعاصر وعن عقليتها » . ( المرجع ذاته — ص ٢٩٢ ) .

خامساً — « ان الدور الموضوعي ، الدور الطبقي للمذهب النقدي التجريبي ، ينحصر تماماً في خدمة الايمانين ( وهم رجعيون يفضلون الايمان على العلم — ملاحظة من هيئة التحرير ) في نضالهم ضد المادية بصورة عامة ، وضد المادية التاريخية بصورة خاصة » ( المرجع ذاته — ص ٢٩٢ ) .

سادساً — « ان المثالية الفلسفية هي ... طريق التجهيل الاكليسيكي » . ( المرجع ذاته — ص ٣٠٤ ) .

ولاجل تقدير ما كان لمؤلف لينين من اهمية عظمى في تاريخ حزبنا ، وادراك اية ثروة نظرية دافع عنها لينين ضد جميع انواع المحرفين والمتفسخين ، في دور الرجعية الستوليينية ، لا ندحه من الاطلاع ، ولو بايجاز ، على مبادئ المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية .

وهو ضروري ، خصوصاً ، لان المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ،

---

(١) - الكلامية : اخذنا هذه اللفظة لتعريب كلمة Scolastique وهي تسمية عامة للفلسفة المثالية التي كانت سائدة في القرون الوسطى والتي كانت تبني نظامها الفلسفي على تعاليم الكنيسة لا على تحليل الواقع ..

( هيئة التعريب )

(٢) - العرفانية : Gnoséologie ، كلمة يونانية في الاصل وتعني « درس المعرفة » او « نظرية المعرفة » ، وتطلق عموماً على العلم الذي يبحث في منشأ المعرفة الانسانية وحدودها ، كما تطلق ، في الفلسفة ، على التعاليم الفلسفية التي تعالج مقدرة الانسان على معرفة الواقع واكتشاف الحقيقة . ويمر بها بعضهم بكلمة « العرفانية » وبعضهم بكلمة « الغنوسية » .

( هيئة التعريب )

هما الاساس النظري للشوعية ، هما جماع المبادئ النظرية للحزب الماركسي .  
فمعرفة هذه المبادئ ، وتفهمها واستيعابها ، هي واجب على كل مناضل نشيط  
في حزبنا .

فاذنت :

١ — ما هي المادية الديالكتيكية ؟

٢ — ما هي المادية التاريخية ؟



## ٢ — المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية

المادية الديالكتيكية هي النظرية العامة للحزب الماركسي اللينيني . وقد  
سميت بالمادية الديالكتيكية لان اسلوبها في النظر الى حوادث الطبيعة ، او  
طريقها في البحث والمعرفة هي **ديالكتيكية** (١) ، ولان تعليلها حوادث  
الطبيعة وتصورها لهذه الحوادث ، اي نظريتها هي **مادية** .

اما المادية التاريخية فتوسع نطاق مبادئ المادية الديالكتيكية حتى تشمل  
دراسة الحياة الاجتماعية ، وتطبق هذه المبادئ على حوادث الحياة الاجتماعية ،  
اي على درس المجتمع ، وعلى درس تاريخ المجتمع .

وعندما يعرف ماركس وانجلز طريقها الديالكتيكية ، يرجعان عادة الى  
هيجل ، باعتبارهم الفيلسوف الذي ابان الخطوط الاساسية للديالكتيك . غير ان  
ذلك لا يعني ان ديالكتيك ماركس وانجلز هو عين ديالكتيك هيجل ، لان  
ماركس وانجلز لم يقتبسا من ديالكتيك هيجل سوى « نواته العقلية » وطرحا  
قشرته المثالية ، ثم وسعاه واغياه ، واعطياه طابعاً علمياً حديثاً .  
يقول ماركس :

« ان طريقتي الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من

---

(١) سيأتي تحديد معنى كلمة « ديالكتيك » بعد قليل في سياق البحث . ويترجم بعضهم  
بكلمة « جدلية » ، ولكن رأينا ان نحفظ بلفظها الاصلي لكثرة تداولها في جميع لغات  
العالم ، ولان كلمة « جدلية » لا تؤدي المعنى المقصود اداءً تاماً . ( هيئة التعريب )

حيث الاساس فحسب ، بل هي ضدها تماماً ، فحركة الفكر ، هذا الفكر الذي يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم « الفكرة » (١) هي ، في نظره ، خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع الا الشكل الحادوثي للفكرة. اما في نظري ، فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه » (كارل ماركس : رأس المال - الكتاب الاول - الجزء الاول-ص ٢٩ - الطبعة الفرنسية - مكتب المطبوعات - باريس ١٩٣٨ ) .

وعندما يعرف ماركس وانجلس ماديتها يرجعان عادة الى فورباخ ، باعتباره الفيلسوف الذي أعاد الى المادية حقوقها . غير ان ذلك لا يعني ان مادية ماركس وانجلس هي عين مادية فورباخ . فان ماركس وانجلس لم يقتبساً من مادية فورباخ سوى « نواتها المركزية » ، ثم وسعها وجعلها منها نظرية فلسفية عالمية للمادية ، وطرحا عنها ما تراكم عليها من قشور مثالية ، واخلاقية ودينية . ومن المعلوم ان فورباخ ، رغم كونه مادياً من حيث الاساس ، احتج على نعمته بالمادية ، حتى لقد قال انجلس مراراً ان فورباخ «رغم اساسه » ( المادي ) « ظل سجين القيود المثالية التقليدية » و « ان مثالية فورباخ الحقيقية » تظهر « حال وصولنا الى فلسفته في الدين والى فلسفته في الاخلاق » ( فريدريك انجلس - لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية (٢) الالمانية - طبع موسكو ١٩٤٦ ، ص ٣٠ - ٣٤ ) .

Idée : (١)

(٢) كلاسيكية Classique : الكلاسيكي نعت جامع لامور متفرقة . فاذا اضيف الى اللغات مثلاً اريد به اليونانية القديمة واللاتينية اللتين اورثتا العالم الغربي ( والشرقي في حد ما ) نماذجها الفكرية والادبية المثلى . واذا اضيف الى الادب خاصة اريد به ادب اليونان والرومان القدماء ، او ما ضرب على غرارهِ من آداب الامم الغربية ، وذلك معارضة للادب الجديد حيناً ، والرومنطقي حيناً آخر . ويراد به هنا المذاهب الفلسفية التي كانت لها الغلبة او السيادة على الاوساط الجامعية والرسومية بالمانيا ، ودلالته العامة هي القدمية والاصالة واتباع السنن المقررة . ( هيئة التعريب )

أخذت كلمة الديالكتيك من الكلمة اليونانية « ديا ليجو » ومعناها المحادثة والمجادلة . وكان الديالكتيك يعني ، في عهد الاولين ، فن الوصول الى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم ، وبالغلب عليها . وكان بعض الفلاسفة الاولين يعتبرون ان اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الاراء هما خير وسيلة لاكتشاف الحقيقة . فهذا الاسلوب الديالكتيكي في التفكير ، الذي طبق فيما بعد على حوادث الطبيعة ، أصبح الطريقة الديالكتيكية لمعرفة الطبيعة . ان حوادث الطبيعة ، بموجب هذه الطريقة ، هي متحركة متغيرة دائماً وابدأ ، وتطور الطبيعة هو نتيجة تطور تناقضات الطبيعة ، نتيجة الفعل المتبادل بين القوى المتضادة في الطبيعة . ان الديالكتيك هو ، من حيث جوهره ، ضد الميتافيزية (١) تماماً .

١- تتميز الطريقة الديالكتيكية الماركسية بالخطوط الاساسية التالية:  
 أ) ان الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزية ، لا يعتبر الطبيعة تراكمياً عرضياً للاشياء ، او حوادث بعضها منفصل عن بعض ، او أحدها منمزل مستقل عن الآخر ، بل يعتبر الطبيعة كلا واحداً ، متماسكاً ، ترتبط فيه الاشياء والحوادث فيما بينها ارتباطاً عضوياً ، ويتعلق احدها بالآخر ، ويكون بعضها شرطاً لبعض بصورة متقابلة .

لذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية ان اي حادث من حوادث الطبيعة ، لا يمكن فهمه اذا نظر اليه منفرداً ، بمعزل عن الحوادث المحيطة به ، اذ ان اي حادث ، في أي ميدان من ميادين الطبيعة ، يمكن ان يتقلب الى عبث فارغ لا معنى له ، اذا نظر اليه بمعزل عن الشروط التي تكتنفه ، واذا فصل عن

---

(١) الميتافيزية : وتعني حرفياً « ما وراء الطبيعة » او « ما وراء الوجود الفيزيائي » . وقد رأينا الاحتفاظ بلفظها الاصلي لان ترجمتها لا تؤدي معناها اداء تاماً . ويأتي شرحها في سياق البحث . وهي ، بإيجاز ، تعني طريقة في التفكير الفلسفي تنكر الروابط بين الاشياء والحوادث ، وتنظر اليها منفصلاً بعضها عن بعض ، وتعتبر الطبيعة والمجتمع في حالة جود واستقرار ، فحركة التطور في نظرها حركة غوبسيطة او تكرار وتراكم للحوادث نفسها . ( هيئة التعريب )

هذه الشروط . وعلى العكس ، يمكن فهم اي حادث من الحوادث وتبريره اذا نظر اليه من حيث ارتباطه ارتباطاً لا ينقسم بالحوادث المحيطة به ، اي اذا نظر اليه كما تحدده وتكيفه الحوادث التي تحيط به .

ب ) ان الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزية ، لا يعتبر الطبيعة حالة سكون وجود ، حالة ركود واستقرار ، بل يعتبرها حالة حركة وتغير دائن ، حالة تجدد وتطور لا ينقطعان ، ففيها دائماً شيء يولد ويتطور ، وشيء ينحل ويضمحل . ولهذا تريد الطريقة الديالكتيكية ان لا يكتفي بالنظر الى الحوادث من حيث علاقات بعضها ببعض ، ومن حيث تكيف بعضها لبعض بصورة متقابلة ، بل ان ينظر اليها ايضاً من حيث حركتها ، من حيث تغيرها وتطورها ، من حيث ظهورها واختفاؤها .

وان المهم الجدير بالاعتبار قبل غيره في نظر الطريقة الديالكتيكية ، ليس الشيء الذي يبدو ، في لحظة معينة ، ثابتاً مستقراً وهو في الواقع آخذ في الفناء ، بل المهم الجدير بالاعتبار قبل غيره في نظرها ، هو الشيء الذي يولد ويتطور ، ولو كان هذا الشيء يبدو في لحظة معينة غير ثابت وغير مستقر ، اذ انه ليس في نظر الطريقة الديالكتيكية من شيء لا يقهر ولا يغلب سوى الشيء الذي يولد ويتطور .

يقول المجلس :

« ان الطبيعة باجمعها ، من أزال الاجزاء الى اكبر الاجسام ، من حبة الرمل الى الشمس ، من البروتست ( وهي الخلية الحية الابتدائية — ملاحظة من هيئة التحرير ) الى الانسان ، هي في حركة دائمة من النشوء والاضمحلال ، هي في مد لا ينقطع ، في حركة وتغير مستمرين ابديين . » ( كارل ماركس وفردريك انجلس : المؤلفات الكاملة - ضد دوهرينغ ( ١ ) - ديالكتيك

---

( ١ ) ضد دوهرينغ : كتاب كبير مشهور ألفه فردريك انجلس رداً على عالم الماني اسمه دوهرينغ احدث في وقته ضجة كبرى في المانيا . وقد شرح المجلس ، خلال الرد عليه ، النظريات الماركسية الرئيسية في الفلسفة والاشتراكية والاقتصاد الديالكتيكية . ( هيئة التعريب ) .



الطبعة — ص ٤٩١ — موسكو — الطبعة الالمانية ١٩٣٥ ) .  
ولهذا فالديالكتيك ، كما يقول المجلس :

« ... ينظر بالدرجة الاولى ، الى الاشياء والى انعكاسها  
العقلي ، من حيث علاقاتها المتبادلة ، من حيث تسلسلها ، من حيث  
حركتها ، من حيث نشوؤها واضمحلالها » . ( المرجع ذاته ص ٢٥ )

ج ) ان الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزية ، لا يعتبر حركة التطور حركة غو  
بسيطة ، لا تؤدي التغيرات الكمية فيها الى تغيرات كيفية ، بل يعتبرها تطوراً  
ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية الى تغيرات ظاهرة واساسية ، اي الى  
تغيرات كيفية . وهذه التغيرات الكيفية ليست تدريجية ، بل هي سريعة ،  
فجائية ، وتحدث بقفزات من حالة الى اخرى . وليست هذه التغيرات جائزة  
الوقوع ، بل هي ضرورية ، وهي نتيجة تراكم تغيرات كمية غير  
محسوسة وتدرجية .

ولذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية ان من الواجب فهم حركة التطور لا  
من حيث هي حركة دائرية ، او تكرار بسيط للطريق نفسه ، بل من حيث  
هي حركة تقدمية صاعدة ، وانتقال من الحالة الكيفية القديمة الى حالة كيفية  
جديدة ، وتطور ينتقل من البسيط الى المركب ، من الأدنى الى الأعلى .  
يقول المجلس :

« ان الطبيعة هي محك الاختبار للديالكتيك ، ولا بهد من  
القول ان علوم الطبيعة الحديثة قد وفرت لهذا الاختبار مواد  
غنية الى اقصى حد . وهذه المواد تزداد كل يوم . وهكذا برهنت  
هذه العلوم ان الطبيعة تعمل ، في النتيجة ، بصورة دياكتيكية  
لا بصورة ميتافيزية ، وانها لا تتحرك في دائرة تبقى هي ذاتها  
دائماً وتكرر الى الابد ، بل ان لها تاريخاً واقعياً . وبهذه  
المناسبة ينبغي ان نذكر ، بالدرجة الاولى ، داروين الذي وجه  
ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزي للطبيعة ، باثباته ان العالم العضوي

بأسره ، كما هو موجود اليوم ، اي النباتات والحيوانات ، وبالتالي  
الانسان ايضاً ، هي كلها نتاج تطور يجري منذ ملايين السنين «  
( المرجع ذاته - ص ٢٥ ) .

ويبين المجلس ان التغيرات الكمية تنقلب الى تغيرات كيفية في  
التطور الديالكتيكي :

« في الفيزياء ... كل تغير هو انتقال من الكمية الى الكيفية ،  
هو نتيجة التغير الكمي لكمية الحركة — كيفما كان شكلها —  
سواء اكانت ملازمة للجسم من داخله ام مضافة اليه من خارج .  
فان حرارة الماء مثلاً ، ليس لها ، في بادىء الامر ، تأثير في حالته  
من حيث هو سائل ، ولكن اذا زيدت او انقصت حرارة الماء ،  
جاءت لحظة تعدلت فيها حالة التماسك التي هو فيها ، وتحول الماء  
الى بخار في احدى الحالات ، والى جليد في الحالة الاخرى ...  
وكذلك نرى ان شريطاً من البلاطين يحتاج الى تيار ذي قوة  
معينة لكي يصبح مضيئاً ، ونرى ايضاً ان لكل معدن حرارة  
ذوبان ، وان لكل سائل ، موضوع تحت ضغط معين ، حداً  
معيناً للتجمد وللغليان ، وذلك بمقدار ما تسمح لنا وسائلنا  
بالحصول على درجات الحرارة اللازمة . ونرى اخيراً ان لكل  
غاز حرارة حرجة يمكن فيها تحويله الى سائل ضمن شروط معينة  
من الضغط والتبريد ... فالنقاط الثابتة كما يقال في الفيزياء ( اي  
نقاط الانتقال من حالة الى اخرى — ملاحظة من هيئة التحرير )  
ليست ، على الغالب ، سوى النقاط العقدية التي تؤدي فيها زيادة  
الحركة او انقاصها ( وهو تغير كمي ) الى حدوث تغير كيفي في  
جسم ما ، اي انها النقاط التي تتحول فيها الكمية الى كيفية »  
( المرجع ذاته : ص ٥٠٢ — ٥٠٣ ) .

ويقول في الكلام عن الكيمياء :

« يمكن القول ان الكيمياء هي علم التغيرات الكيفية الناشئة في الاجسام عن تغيرات كمية. وكان هيجل نفسه يعرف ذلك في عهده. لنأخذ الاوكسجين: فاذ جمعنا في 'جزيئة' (١) ثلاث ذرات (٢) عوضاً عن اثنتين كالعادة، حصلنا على جسم جديد هو «الاوزون» الذي يختلف اختلافاً بيناً ، بوائجه وبتأثيراته ، عن الاوكسجين العادي . وماذا نقول عن مختلف تراكييب الاوكسجين مع الآزوت او مع الكبريت ؟! ان كل تركيب منها يعطي جسماً مختلفاً من حيث الكيفية عن جميع الاجسام التي تعطيها التراكييب الاخرى . » ( المرجع ذاته - ص ٥٠٣ ) .

واخيراً ينتقد المجلس دوهرينغ الذي يشتم هيجل ، ويخلص منه في الوقت نفسه نظريته المشهورة القائلة بان الانتقال من عهد العالم الفاعد الحس الى عهد الاحساس ، من عهد العالم غير العضوي الى الحياة العضوية ، هو قفزة الى حالة جديدة :

« هذا هو تماماً الخط العتدي الهيجلي لعلاقات القياس ، حيث نتج في بعض النقاط العقدية ، من اضافة كمية محضة ، او من حذف كمي محض ، قفزة كيفية ، كما هي الحال مثلاً في الماء المسخن او المبرد . فان نقطة الغليان ونقطة التجمد فيه هما العقدتان اللتان اتم فيهما ، تحت الضغط العادي ، القفزة الى حالة جديدة من التجانس ، اي تتحول فيها الكمية الى كيفية » ( المرجع ذاته : ص ٤٩ - ٥٠ ) .

( د ) ان نقطة الابتداء في الديالكتيك ، خلافاً للميتافيزية ، هي وجهة النظر القائلة على ان كل اشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية ، لان لها جميعها جانباً سلبياً وجانباً ايجابياً ، ماضياً وحاضراً ، وفيها جميعها عناصر

Molécule : (١)

Atome : (٢)

تضمحل او تتطور . فضال هذه المتضادات ، اي النضال بين القديم والجديد ، بين ما يموت وما يولد ، بين ما يفنى وما يتطور ، هو المحتوى الداخلي لحركة التطور ، هو المحتوى الداخلي لتحول التغيرات الكمية الى تغيرات كمية . ولذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية ، ان حركة التطور من الأدنى الى الأعلى ، لا تجري بتطور الحوادث تطوراً تدريجياً متناسقاً ، بل بظهور التناقضات الملازمة للأشياء والحوادث ، بـ « نضال » الاتجاهات المتضادة ، التي تعمل على اساس هذه التناقضات .

يقول لينين :

« ان الديالكتيك ، بالمعنى الخاص للكلمة ، هو درس التناقضات في ماهية الأشياء نفسها » ( لينين - الدفاتر الفلسفية - ص ٢٦٣ - الطبعة الروسية ) .

ويقول في مكان آخر :

« التطور هو « نضال » المتضادات » ( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد ١٣ - ص ٣٠١ - الطبعة الروسية ) .

تلك هي بإيجاز ، الخطوط الأساسية للطريقة الديالكتيكية الماركسية . وليس من الصعب ان ندرك ما هنالك من أهمية عظمى في اخضاع دراسة الحياة الاجتماعية ودرس تاريخ المجتمع لمبادئ الطويقة الديالكتيكية ، وما هنالك من أهمية عظمى في تطبيق هذه المبادئ على تاريخ المجتمع وعلى النشاط العملي لحزب البروليتاريا .

فاذا صح ان ليس في العالم حوادث منعزلة ، اذا صح ان كل الحوادث مرتبطة فيما بينها وكيف بعضها البعض الآخر بصورة متبادلة ، فمن الواضح ان كل نظام اجتماعي ، وكل حركة اجتماعية في التاريخ ، لا ينبغي الحكم عليها من ناحية « العدالة الابدية » ، او من ناحية أية فكرة أخرى مقررّة سلفاً كما يفعل المؤرخون على الغالب ، بل ينبغي لنا ان نبني حكمنا على اساس الظروف التي ولدت هذا النظام وهذه الحركة الاجتماعية المرتبطين بها .

ان نظام الرق (١) يكون في الظروف الحاضرة خرقاً وبدعة مضادة للطبيعة . ولكن نظام الرق في شروط المشاعية الابتدائية (٢) ، الآخذة بالانحلال ، هو حادث مفهوم تماماً ومنطقي ، لانه يعني خطوة الى الامام بالنسبة لنظام المشاعية الابتدائية .

ان المطالبة باقامة الجمهورية الديمقراطية البورجوازية في ظروف القيصرية والمجتمع البورجوازي ، مثلاً في روسيا عام ١٩٠٥ ، كانت شيئاً مفهوماً وصحيحاً وثنوياً تماماً ، لان الجمهورية البورجوازية كانت تعني اذ ذاك خطوة الى الامام . ولكن المطالبة باقامة الجمهورية الديمقراطية البورجوازية في ظروف الاتحاد السوفياتي الحاضرة ، تكون خرقاً ، وشيئاً رجعيماً مضاداً للثورة ، لان الجمهورية البورجوازية هي خطوة الى الوراء بالنسبة الى الجمهورية الشوفياتية . كل شيء يتعلق بالظروف ، بالمكان والزمان .

ومن الواضح ان وجود علم تاريخي ، وتطور هذا العلم ، شيئان مستحيلان بدون هذا الفهم التاريخي للحوادث الاجتماعية ، فمثل هذا الفهم فقط يمنع علم التاريخ من ان يصبح فوضى احتمالات وكوم اخطاء سخيفة .

وبعد ، اذا صح ان العالم يتحرك ويتطور دائماً وابدأ ، اذا صح ان اختفاء القديم ونشوء الجديد هما قانون للتطور ، أصبح من الواضح أن ليست هناك أنظمة اجتماعية ثابتة «غير قابلة للتغيير» ولا «مبادئ أبدية» للملكية الخاصة

(١) الرق : هو النظام الاجتماعي الذي كان سائداً قديماً في اليونان وروما وغيرها من اقطار الدنيا ، وكان قائماً على استملاك السيد ( صاحب الارض او الملاك الخ ) لندد من الرقيق ( العبد ) يشترهم ليعملوا في ارضه او مشاريعه مقابل طعامهم فقط ، وكان له عليهم حق الملكية والتصرف ككل شيء آخر يملكه ، فيستطيع ييمهم او ضربهم واجاعتهم أو قتلهم . ( هيئة التعريب )

(٢) المشاعية الابتدائية : هي النظام الاجتماعي الذي كان موجوداً في اوائل نشوء البشرية ( عهود ما قبل التاريخ ) وكان قائماً على المشاع في الارض وفي ادوات الانتاج البسيطة الابتدائية التي كان الانسان يستعملها في الصيد او غيره ( ولا تزال هناك في مختلف اقطار الشرق بقايا من المشاعية الابتدائية ) . وقد انحل هذا النظام مع تطور ادوات الانتاج ، وخلفه نظام الرق . ( هيئة التعريب )

والاستثمار ، وليست هناك « افكار أبدية » عن خضوع الفلاحين لكبار ملاكي الارض والعمال للرأسماليين .

وبالتالي ، يمكن ان يحل النظام الاشتراكي محل النظام الرأسمالي كما حل النظام الرأسمالي في حينه محل النظام الافطاعي .

وبالتالي ، ينبغي ان نؤسس عملنا لا على الفئات الاجتماعية التي توقفت عن التطور ، وان كانت لا تزال الآن تمثل القوة السائدة ، بل على الفئات الاجتماعية التي تتطور والتي لها مستقبل وان كانت ، بعد ، لا تمثل القوة السائدة .

في ١٨٨٠ — ١٨٩٠ ، عهد نضال الماركسيين ضد الشعبين ، كانت البروليتاريا في روسيا اقلية ضئيلة بالنسبة الى جمهور الفلاحين الفرديين الذين كانوا يؤلفون اكثرية السكان الكبرى . ولكن البروليتاريا كانت تتطور من حيث هي طبقة ، بينما كانت جماهير الفلاحين ، من حيث هي طبقة ، في انحلال . ونظراً لان البروليتاريا كانت تتطور من حيث هي طبقة ، أسس الماركسيون عملهم عليها . وهم لم يخطئوا في ذلك . لانه من المعلوم ان البروليتاريا التي لم تكن سوى قوة قليلة الامة ، أصبحت فيما بعد ، قوة تاريخية وسياسية من الدرجة الاولى .

فاذن : لاجل اجتناب الخطأ في السياسة يجب النظر الى الامام لا الى الوراء . وبعد ، اذا صح ان الانتقال من التغيرات الكمية البطيئة الى تغيرات كيفية فجائية وسريعة ، هو قانون للتطور ، فمن الواضح ان الثورات التي تقوم بها الطبقات المضطهدة هي حادث طبيعي تماماً ، ولا مناص منه .

وبالتالي ، فالانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وتحرر الطبقة العاملة من النير الرأسمالي ، يمكن تحقيقها ، لا بتغييرات بسيطة بطيئة ، ولا باصلاحات ، بل بتغيير كافي للنظام الرأسمالي فقط ، اي بالثورة . واذن لأجل اجتناب الخطأ في السياسة يجب ان يكون الانسان ثورياً ، لا اصلاحياً .

وبعد ، اذا صح ان التطور يجري بانبثاق التناقضات الداخلية ، وبالنزاع

بين القوى المتضادة على اساس هذه التناقضات ، وان غاية هذا النزاع هي قهر هذه التناقضات والتغلب عليها ، فمن الواضح ان نضال البروليتاريا الطبقي هو حادث طبيعي تماماً ، ولا مناص منه .

وبالتالي ، لا ينبغي اخفاء تناقضات النظام الرأسمالي ، بل ينبغي ابرازها وعرضها ، ولا ينبغي خنق النضال الطبقي ، بل ينبغي القيام به الى النهاية .

واذن لاجل اجتناب الخطأ في السياسة ينبغي اتباع سياسة بروليتارية طبقية حازمة ، لا سياسة اصلاحية تقول بالتناسق بين مصالح البروليتاريا ومصالح البورجوازية ، ولا سياسة تفاهية تقول بـ «ادماج» الرأسمالية في الاشتراكية . هذا ما تقول به الطريقة الديالكتيكية الماركسية ، لدى تطبيقها على الحياة الاجتماعية ، على تاريخ المجتمع .

اما المادية الفلسفية الماركسية ، فهي ، بدورها ، تعارض المثالية الفلسفية من حيث الاساس وعلى خط مستقيم .

## ٢ — تمييز المادية الفلسفية الماركسية بالخطوط الاساسية التالية :

أ) خلافاً للمثالية التي تعتبر العالم تجسداً لـ « الفكرة المطلقة » او لـ «العقل الكلي» او لـ « الوعي » ، تسير مادية ماركس الفلسفية من المبدأ القائل ان العالم ، بطبيعته ، مادي ، وان حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة ، وان العلاقات المتبادلة بين الحوادث وتكيف بعضها بعضاً بصورة متبادلة ، كما تقررها الطريقة الديالكتيكية ، هي قوانين ضرورية لتطور المادة المتحركة ، وان العالم يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة ، وهو ليس بحاجة لاي « عقل كلي » .

يقول المجلد :

« ان الفهم المادي للعالم يعني ، بكل بساطة ، فهم الطبيعة كما هي دون اية اضافة غريبة » (فردريك انجلس : لودفيغ فوريباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية — الطبعة الالمانية —

موسكو - ص ٦٠ )

ولقد كتب لينين بصدد المفهوم المادي عند فيلسوف العهد القديم هيراقليط ،  
الذي جاء فيه ان « ... العالم هو واحد ، لم يخلقه اي إله او اي انسان ، وقد  
كان ولا يزال وسيكون شعلة حية الى الابد ، تشتعل وتنطفئ تبعاً لقوانين  
معينة ... » فقال :

« يا له من شرح رائع لمبادئ المادية الديالكتيكية » (لينين :  
الدفاتر الفلسفية - ص ٣١٨ - الطبعة الروسية ) .

ب ) خلافاً للمثالية التي تؤكد ان شعورنا وحده هو الموجود واقعياً ،  
وان العالم المادي ، والكائن ، والطبيعة ، لا توجد الا في ادراكنا واحساساتنا ،  
وتخیلاتنا ، وتصوراتنا ، تقوم المادية الفلسفية الماركسية على مبدأ آخر وهو  
ان المادة ، والطبيعة ، والكائن ، هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الادراك  
وبصورة مستقلة عنه ، وان المادة هي عنصر اول لانها منبع الاحساسات ،  
والتصورات ، والادراك ، بينما الادراك هو عنصر ثان ، مشتق ، لانه انعكاس  
المادة ، انعكاس الكائن ، وان الفكر هو نتاج المادة لما بلغت في تطورها درجة عالية  
من الكمال ، او بتعبير ادق ، ان الفكر هو نتاج الدماغ ، والدماغ هو عضو  
التفكير ، فلا يمكن ، بالتالي ، فصل الفكر عن المادة دون الوقوع في خطأ كبير .  
يقول المجلس :

« ان مسألة علاقة الفكر بالكائن ، او علاقة العقل بالطبيعة ،  
هي المسألة العليا في كل فلسفة ... وكان الفلاسفة تبعاً لاجابتهم  
على هذه المسألة ، ينقسمون الى معسكرين كبيرين : فأولئك  
الذين كانوا يؤكدون تقدم العقل على الطبيعة ، يؤلفون معسكر  
المثالية ، والآخرون الذين كانوا يقررون تقدم الطبيعة ، ينتسبون  
الى مختلف مدارس المادية » ( فريدريك انجلس : لودفيغ  
فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية - ص ٢٢ - ٢٣ ) .  
ويقول فيما بعد :

« ان العالم المادي ، الذي تدركه حواسنا ، والذي ننتمي



اليه نحن أنفسنا ، هو الواقع الوحيد ... اما ادراكنا وفكرنا  
فهما ، مهما ظهرا رفيعين ساميين ، ليسا سوى نتاج عضو مادي  
جسدي ، هو الدماغ ... ان المادة ليست من نتاج العقل ، بل  
ان العقل نفسه ليس سوى نتاج المادة الاعلى ( المرجع ذاته -  
ص ٢٦ ) .

ولقد قال ماركس بصدق قضية المادة والفكر :

« لا يمكن فصل الفكر عن المادة المفكرة . فأن هذه

المادة هي جوهر كل التغيرات التي تحدث » ( فردريك انجلز :  
الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية - المقدمة ) .

ولما عرف لينين المادية الفلسفية الماركسية افصح عن رأيه بالعبارات التالية :

« تقبل المادية بصورة عامة أن الكائن الواقعي الموضوعي

( المادة ) هو مستقل عن الادراك ، عن الإحساسات ، عن

التجربة ... فالادراك ... ليس الانعكاس الكائن ، وهو في

أحسن الحالات ، انعكاس صحيح تقريباً ( اي انعكاس تام ، بالغ

أعلى درجات الدقة ) . » ( لينين : المؤلفات الكاملة - المجلد ١٣ -

ص ٢٦٦ — ٢٦٧ - الطبعة الروسية ) .

وقال فيما بعد :

« المادة هي ما ينتج الاحساسات بالتأثير في أعضاء حواسنا .

المادة هي واقع موضوعي تعطينا اياه الاحساسات ... المادة ،

والطبيعة ، والكائن ، والموجود الفيزيائي هي العنصر الاول ،

بيننا العقل ، والادراك ، والاحساسات ، والموجود النفسي ، هي

العنصر الثاني » ( المرجع ذاته : ص ١١٩ — ١٢٠ )

« ان لوحة العالم هي لوحة تبين كيف تتحرك المادة وكيف

« تفكر المادة » ( المرجع ذاته : ص ٢٨٨ ) .

« الدماغ هو عضو التفكير » ( المرجع ذاته : ص ١٢٥ ) .

ج) خلافاً للمثالية التي تنكر امكان معرفة العالم وقوانينه ، ولا تؤمن بقيمة معارفنا ، ولا تعترف بالحقيقة الموضوعية وتعتبر ان العالم مملوء بـ « اشياء قائمة بذاتها » ولن يتوصل العلم ابداً الى معرفتها ، تقوم المادية الفلسفية الماركسية على المبدأ القائل انه من الممكن تماماً معرفة العالم وقوانينه ، وان معرفتنا لقوانين الطبيعة ، تلك المعرفة التي يجري اختبارها بالعمل والتجربة ، هي معرفة ذات قيمة ، ولها معنى حقيقة موضوعية ، وان ليس في العالم اشياء لا تمكن معرفتها ، واغافيه اشياء لا تزال مجهولة بعد ، وهي ستكتشف وتصبح معروفة بوسائل العلم والعمل .

وينتقد المجلس رأي « كانت » والمثاليين الآخرين القائل انه ليس من الممكن معرفة العالم و « الاشياء بذاتها » ، ويدافع عن الرأي المادي المعروف القائل بان معارفنا صحيحة مقبولة . وقد كتب المجلس في هذا الموضوع مايلي :  
« ان اعظم رد حاسم لهذه النزعة (١) الفلسفية ولكل نزعة اخرى غيرها هو العمل وعلى الاخص التجربة والصناعة ، فاذا استطعنا ان نبرهن على صحة فهمنا لحادث طبيعي بخلق هذا الحادث بانفسنا ، وبأحداثه بمساعدة شروطه ، وباستخدامه ، فوق ذلك ، في سبيل اغراضنا ، ففي ذلك القضاء المبرم على « الشيء بذاته » والذي لا يمكن ادراكه ، مما يذهب اليه « كانت » .  
فان المواد الكيماوية الناتجة من الاجسام النباتية والحيوانية ، ظلت « اشياء قائمة بذاتها » الى ان اخذت الكيمياء العضوية بتحضيرها الواحدة بعد الاخرى ، وبذلك اصبحت « الشيء بذاته » شيئاً كائناً من اجلنا ، كاللايزارين ، مثلاً ، وهي المادة الصباغية في نبات القز ، التي لم نعد نستخرجها من جذور القز المزروعة في الحقول ، بل نستحبها بشتى الارخص وبصورة اسطى من قطران الفحم الخجري . وقد بقي نظام « كوبرنيك » الشمسي خلال

(١) نزعة : هراء وهوس ( هيئة التعريب )

ثلاثمائة سنة ، فرضية يمكن المراهنة على صحتها بمئة ، او بألف او بعشرة آلاف ضد واحد ، الا انها كانت ، رغم كل شيء ، فرضية . ولكن لما حسب « لوفه ريه » بمساعدة ارقام حصل عليها بفضل هذا النظام ، ليس فقط ضرورة وجود كوكب مجهول ، بل ايضاً المكان الذي يجب ان يكون فيه هذا الكوكب في الفضاء السماوي ، ولما اكتشف « غال » هذا الكوكب فعلاً فيما بعد ، حينئذ تم البرهان على صحة نظام كوبرنيك » ( فردريك انجلز : لودفيك فورتباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية - ص ٢٤ ) .

وانهم لينين بوغدانوف وبارزوف ويوشكيفيتش وانصار « ماخ » الآخرين بالامانية ( ١ ) ، ودافع عن النظرية المادية المشهورة القائلة بان معارفنا العلمية عن قوانين الطبيعة هي صحيحة ، وان القوانين العلمية هي حقائق موضوعية ، وقد قال في هذا الموضوع ما يلي :

« ان » الالمانية « المعاصرة لا تتبذ العلم ابداً ، بل تتبذ » مزاعمه المتطرفة » ، أي زعمه الكشف عن الحقيقة الموضوعية . لانه اذا كان هناك حقيقة موضوعية ( كما يفكر الماديون ) ، واذا كانت علوم الطبيعة ، التي تعكس العالم الخارجي في « التجربة » البشرية ، هي وحدها القادرة على اعطائنا الحقيقة الموضوعية ، اصبح من الواجب نبذ كل نظرية ايمانية على الاطلاق » ( لينين : المؤلفات الكاملة : المجلد ١٣ - ص ١٠٢ - الطبعة الروسية ) .

تلك هي بايجاز الخطوط التي تميز المادية الفلسفية الماركسية . ومن السهل ان ندرك الاهمية العظمى لتطبيق مبادئ المادية الفلسفية على درس الحياة الاجتماعية ، على درس تاريخ المجتمع ، كما انه من السهل ان ( ١ ) الالمانية : نظرية رجعية تضع الايمان فوق العلم ( هيئة التريب )

ندرك الاهمية العظمى لتطبيق هذه المبادئ على تاريخ المجتمع ، على النشاط العملي لحزب البروليتاريا .

فاذا صح ان الصلة بين حوادث الطبيعة وتكيف بعضها بعضاً بصورة متبادلة ، هما قانونان ضروريان من قوانين تطور الطبيعة ، نتج من ذلك ان الصلة بين حوادث الحياة الاجتماعية وتكيف بعضها بعضاً بصورة متبادلة ، ليسا مجرد احتمالات ، بل هما ايضاً قانونان ضروريان من قوانين التطور الاجتماعي . وبالتالي ، تخرج الحياة الاجتماعية ، وتاريخ المجتمع عن كونها تكس كدس « احتمالات » ، بل يصبح تاريخ المجتمع تطوراً ضرورياً للمجتمع ، وتصبح دراسة التاريخ الاجتماعي علماً .

وعلى ذلك ، يجب ان يكون النشاط العملي لحزب البروليتاريا مؤسساً لا على الرغبات المحدودة « لنخبة من الافراد » ولا على مقتضيات « العقل » و « الاخلاق الكلية » ... الخ ... بل على قوانين التطور الاجتماعي ، وعلى دراسة هذه القوانين .

وبعد ، اذا صح ان معرفة العالم ممكنة ، وان معرفتنا لقوانين تطور الطبيعة هي معرفة صحيحة لها دلالة حقيقة موضوعية ، نتج من ذلك ان معرفة الحياة الاجتماعية ، والتطور الاجتماعي هي ممكنة ايضاً ، وان المعلومات التي يقدمها العلم عن قوانين التطور الاجتماعي هي معلومات مقبولة ، لها دلالة حقائق موضوعية .

وبالتالي ، من الممكن ان يصبح علم تاريخ المجتمع ، رغم تعقد حوادث الحياة الاجتماعية وتشابكها ، علماً فيه من الدقة ما في البيولوجيا (١) مثلاً وقادراً على استخدام قوانين التطور الاجتماعي في تطبيقات عملية .

وبالتالي ، يجب على حزب البروليتاريا ، في نشاطه العملي ، ان لا يستوحي اي سبب طارئ اياً كان ، بل ان يستوحي قوانين التطور الاجتماعي والنتائج

---

(١) البيولوجيا : علم يدرس تركيب الانواع الحية من حيوانية او نباتية وتطورها .  
( هيئة التعريب )

العملية التي تنتج من هذه القوانين .  
وبالتالي ، تصبح الاشتراكية علماً ، بعد ما كانت فيما مضى حلمًا بمستقبل  
احسن للانسانية .

وبالتالي ، ينبغي ان يصبح الارتباط والوحدة بين العلم والنشاط العملي ،  
بين النظريات والعمليات ، الكوكب الذي يهتدي به حزب البروليتاريا .

وبعد ، اذا صح ان الطبيعة ، او الكائن ، او العالم المادي ، هو العنصر  
الاول ، بينما الادراك ، او الفكر ، هو العنصر الثاني ، المشتق ، واذا صح ان  
العالم المادي هو واقع موضوعي موجود بصورة مستقلة عن ادراك الناس ،  
بينما الادراك هو انعكاس هذا الواقع الموضوعي ، نتج من ذلك : ان حياة  
المجتمع المادية ، او كيان المجتمع ، هو ايضاً العنصر الاول ، اما حياة المجتمع  
العقلية فهي عنصر ثان ، مشتق ، وان حياة المجتمع المادية هي واقع موضوعي  
موجود بصورة مستقلة عن ارادة الانسان ، اما حياة المجتمع العقلية فهي  
انعكاس هذا الواقع الموضوعي او انعكاس الموجود .

وبالتالي ، يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الافكار  
الاجتماعية ، والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية ، والاضاع السياسية ،  
لا في الافكار والنظريات ، ولا في الآراء والاضاع السياسية نفسها ، بل في  
شروط الحياة المادية للمجتمع ، في الموجود الاجتماعي الذي تكون هذه الافكار  
والنظريات والآراء وما اليها انعكاساً له .

وبالتالي ، اذا كنا نشاهد في مختلف ادوار تاريخ المجتمع ، افكاراً ونظريات  
اجتماعية مختلفة ، وآراء واطاعاً سياسية متباينة ، اذا كنا نجد تحت نظام  
الرق هذه الافكار والنظريات الاجتماعية ، وتلك الآراء والاضاع السياسية ،  
بينما نجد غيرها في ظل الاقطاعية ، وغيرها ايضاً في ظل الرأسمالية ، فتفسير ذلك  
ليس في « طبيعة » او في « خصائص » الافكار والنظريات والآراء والاضاع  
السياسية نفسها ، بل في شروط الحياة المادية للمجتمع في مختلف ادوار  
التطور الاجتماعي .

فالموجود الاجتماعي وشروط الحياة المادية للمجتمع هي التي تعين افكار المجتمع ، ونظرياته وآراءه السياسية ، واوضاعه السياسية .  
وقد كتب ماركس في هذا الموضوع ما يلي :

« ليس ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد ادراكهم »  
(كارل ماركس : مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي - المقدمة).

وبالتالي ، لاجل اجتناب الخطأ في السياسة وعدم الاستسلام لاحلام فارغة ، يجب على حزب البروليتاريا ان يؤسس عمله ليس على « مبادئ العقل الانساني » المجردة ، بل على الظروف الواقعية لحياة المجتمع المادية ، هذه الظروف التي تؤلف القوة الحاسمة في التطور الاجتماعي ، ويجب عليه ان يبني عمله ليس على رغبات « عظام الرجال » المحمودة ، بل على الحاجات الواقعية الحقيقية لتطور حياة المجتمع المادية .

ان مما يفسر سقوط الطوباويين ، بما فيهم الشعيون والفضويون ، والاستراكيون الثوريون ، هو انهم لم يكونوا يعترفون بالدور الاولي الذي تلعبه ظروف الحياة المادية للمجتمع في تطور المجتمع ، فقد وقعوا في المثالية ، فلم يبنوا نشاطهم العملي على حاجات تطور الحياة المادية للمجتمع ، بل بنوه بصورة مستقلة عن هذه الحاجات وبالرغم منها ، على برامج « مثالية » و « مشاريع عامة » منفصلة عن حياة المجتمع الواقعية .

ان مصدر قوة الماركسية اللينينية وحيويتها ، هو انها تستند في نشاطها العملي الى حاجات تطور الحياة المادية للمجتمع ، دون ان تنفصل ابداً عن حياة المجتمع الواقعية .

غير انه لا ينتج من اقوال ماركس ان الافكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء والاضاع السياسية ، ليس لها شأنها واهميتها في الحياة الاجتماعية ، او انها لا تؤثر تأثيراً مقايلاً في المعيشة الاجتماعية ، وفي تطور الشروط المادية للحياة الاجتماعية . فنحن لم نتكلم حتى الان الا عن اصل الافكار والنظريات

الاجتماعية ، والآراء والامواضع السياسية ، وعن نشوئها وظهورها ، فقلنا ان حياة المجتمع الروحية هي انعكاس لظروف حياته المادية . اما من حيث اهمية هذه الافكار والنظريات الاجتماعية ، وهذه الآراء والامواضع السياسية ، ومن حيث دورها في التاريخ ، فالمادية التاريخية لا تنكر ذلك ، بل انها على العكس تشير اشارة خاصة الى دورها واهميتها العظيمين في الحياة الاجتماعية وفي تاريخ المجتمع .

ان الافكار والنظريات الاجتماعية تختلف . فثمة افكار ونظريات عتيقة فات اوانها ، وهي تخدم مصالح القوى الآخذة بالاضمحلال والفناء في المجتمع . فاهميتها مقتصرة على انها تكبيح تطور المجتمع وتعوق رقيه . وثمة افكار ونظريات جديدة ، افكار الطليعة ونظرياتها ، تخدم مصالح قوى الطليعة في المجتمع ، واهميتها قائمة على انها تسهل تطور المجتمع ورقيه ، وهي ، فوق ذلك ، كلما كان عكسها لحاجات تطور الحياة المادية للمجتمع اصدق ، كانت الاهمية التي تكتسبها اكبر .

ان الافكار والنظريات الاجتماعية الجديدة لا تبرز الا عندما يضع تطور الحياة المادية للمجتمع ، مهمات جديدة امام المجتمع . ولكنها اذا ما برزت اصبحت قوة ذات اهمية من الدرجة العليا ، تسهل انجاز المهمات الجديدة التي يضعها تطور الحياة المادية للمجتمع ، وتسهل رقي المجتمع . وتبدو اذ ذاك خطورة الدور الذي تقوم به الافكار والنظريات الجديدة ، والآراء والامواضع السياسية الجديدة ، من حيث هي قوة تنظيم وتعبئة وتحويل . وفي الحقيقة ، ان الافكار والنظريات الاجتماعية الجديدة انما تظهر لانها ضرورية للمجتمع ، فبدون عملها المنظم والمعبيء والمحوّل ، يستحيل حل المسائل العاجلة الملحة التي يقضيها تطور الحياة المادية للمجتمع .

فالافكار والنظريات الاجتماعية الجديدة ، التي يبعثها ما يضعه تطور حياة المجتمع المادية من مهمات جديدة ، تشق لنفسها الطريق ، وتبنيهاها الجماهير الشعبية ، فتعبيء هذه الجماهير وتنظمها ضد القوى المتلاشية في المجتمع ، وتسهل

بذلك القضاء على هذه التوى التي تكبح تطور الحياة المادية للمجتمع .  
وهكذا اذن : الافكار والنظريات الاجتماعية ، والاضاع السياسية تتولد  
من المهمات العاجلة التي يضعها تطور الحياة المادية للمجتمع ، ثم تؤثر هي نفسها  
فيما بعد في المعيشة الاجتماعية ، وفي حياة المجتمع المادية ، بلخلقها الشروط اللازمة  
لحل المسائل العاجلة الملحة في حياة المجتمع المادية ، وجعل تطور المجتمع الى  
الامام ممكناً .

وقد قال مار كس في هذا الموضوع :

« تصبح النظرية قوة مادية مذ دخولها في الجماهير » ( كارل

مار كس — نقد فلسفة الحق لهيغل ) .

فاذن : لاجل ان يستطيع حزب البروليتاريا التأثير في شروط الحياة  
المادية للمجتمع ، وتجميل طورها وتحسينها ، يجب عليه ان يستند الى نظرية  
اجتماعية تفصح بدقة عن حاجات تطور الحياة المادية للمجتمع ، وتكون بذلك  
قادرة على تحريك الجماهير الشعبية الغفيرة ، وقادرة على تعبئتها وتنظيمها في  
جيش حزب البروليتاريا الكبير ، هذا الجيش المستعد لتحطيم القوى الرجعية ،  
وشق الطريق للقوى المتقدمة في المجتمع .

ان مما يفسر سقوط « الاقتصاديين » والمنشفيك ، انهم كانوا لا يعترفون  
بالدور المعبى والمنظم والحوّل الذي تقوم به نظرية الطبيعة ، وفكرة الطبيعة .  
اذ انهم وقعوا في المادية المبتذلة فجلعوا هذا الدور في حكم العدم تقريباً ،  
ولذلك كانوا يحلمون الحزب على ان يبقى منفعلاً غير فاعل ، وان يقبع دون عمل .  
وان مصدر قوة الماركسية اللينينية ، ومنبع حيويتها ، هو انها تستند الى  
نظرية متقدمة هي نظرية الطبيعة ، التي تنعكس فيها بدقة حاجات تطور  
الحياة المادية للمجتمع ، وانها تضع النظرية في المكان الرفيع اللائق بها ، وتعتبر ان  
من واجها الاستفادة الى النهاية من قوتها المعبئة والمنظمة والحولة .

على هذه الصورة تحل المادية التاريخية مسألة العلاقات بين الوجود الاجتماعي  
والوعي الاجتماعي ، بين شروط تطور الحياة المادية وتطور الحياة



الروحية للمجتمع .

٣) : **المادية التاريخية** : بقيت مسألة تحتاج الى ايضاح : ماذا ينبغي ان نفهم من وجهة نظر المادية التاريخية ، عندما نقول « شروط الحياة المادية للمجتمع » التي تحدد ، في النهاية ، هيئة المجتمع وافكاره وآراءه واوضاعه السياسية وما اليها ؟

ما هي « شروط حياة المجتمع المادية » ؟ ما هي الخطوط التي تميزها ؟

من المؤكد ان مفهوم « شروط حياة المجتمع المادية » يشمل ، قبل كل شيء ، الطبيعة التي تحيط بالمجتمع ، او الوسط الجغرافي الذي يؤلف احد الشروط الضرورية الدائمة لحياة المجتمع المادية والذي يؤثر ولا ريب في تطور المجتمع . فما هو دور الوسط الجغرافي في التطور الاجتماعي ؟ ألا يكون الوسط الجغرافي القوة الرئيسية التي تحدد هيئة المجتمع ، وتعين طابع نظام الناس الاجتماعي ، وتقرر الانتقال من نظام الى آخر ؟

تجيب المادية التاريخية عن هذا السؤال بالنفي . فالوسط الجغرافي هو ، دون جدال ، احد الشروط الدائمة والضرورية لتطور المجتمع ، ومن المؤكد انه يؤثر في هذا التطور ، فهو يعجل او يبطئ سير التطور الاجتماعي ، ولكن ليس هذا التأثير حاسماً ، لان تطور المجتمع وتغيراته تجري بصورة اسرع بكثير من تطور الوسط الجغرافي وتغيراته . فقد تتالت على اوروبا خلال ثلاثة آلاف سنة ثلاثة أنظمة اجتماعية مختلفة هي المشاعية الابتدائية ، والرق ، والنظام الاقطاعي ، بل تعاقبت في شرق اوروبا ، في اراضي الاتحاد السوفياتي ، اربعة أنظمة . اما شروط اوروبا الجغرافية فلم تتغير قط خلال هذه المرحلة نفسها . واذا كان قد طرأ عليها بعض التغير فهو طفيف جداً ، حتى ان الجغرافيين يميلون للتحدث عنه . وهذا مفهوم ، لان حدوث تغيرات لها شيء من الخطورة في الوسط الجغرافي يحتاج الى ملايين السنين ، بينما تكفي بضع مئات السنين او حوالي ألفي سنة لحدوث تغيرات هامة جداً في نظام الناس الاجتماعي .

ينتج من ذلك ان الوسط الجغرافي لا يمكن ان يكون السبب الاساسي  
او السبب الحاسم للتطور الاجتماعي ، اذ ان ما يبقى دون تغيير تقريباً ،  
خلال عشرات الالوف من السنين ، لا يمكن ان يكون السبب الاساسي  
لتطور شيء معرض لتغيرات اساسية خلال بضع مئات السنين .

ومن المؤكد ايضاً ان غو السكان وكثافتهم يدخلان في مفهوم « شروط  
الحياة المادية للمجتمع » ، لان الناس هم عنصر اساسي لا بد منه في شروط  
الحياة المادية للمجتمع ، وبدون حد ادنى من الناس لا يمكن ان تكون هناك  
اية حياة مادية للمجتمع ، أفلا يكون غو السكان وكثافتهم القوة الاساسية  
التي تحدد طابع نظام الناس الاجتماعي ؟

تجيب المادية التاريخية عن هذا السؤال ايضاً بالنفي . لا جرم ان غو  
السكان يؤثر في التطور الاجتماعي ، فيسهله او يبطئه ، ولكن لا يمكن ان  
يكون القوة الاساسية للتطور الاجتماعي ، ولا يمكن ان يكون تأثيره فيه  
تأثيراً حاسماً ، لان غو الناس من حيث هو ، لا يعطينا مفتاح السؤال التالي:  
لماذا يعقب هذا النظام الاجتماعي ذاك النظام الاجتماعي لا غيره ؟ لماذا يعقب  
نظام الرق المشاعية الابتدائية ؟ ولماذا يعقب النظامُ الاقطاعي نظامَ الرق ؟  
ولماذا يعقب النظامُ البورجوازي لا غيره ، النظامَ الاقطاعي ؟

فلو كان غو السكان هو القوة الاساسية للتطور الاجتماعي ، لكان من  
الواجب ، بالضرورة ، ان ينشأ عن ازدياد كثافة السكان ، نوع من نظام  
اجتماعي أعلى وارقى ، وهو أمر غير واقع . فكثافة السكان هي في الصين  
أعلى باربعة مرات منها في الولايات المتحدة ، ومع ذلك فالولايات المتحدة هي  
في مستوى أعلى من الصين من حيث التطور الاجتماعي : فلا يزال النظام  
السائد في الصين نظاماً نصف اقطاعي في حين ان الولايات المتحدة قد بلغت  
منذ امد طويل المرحلة العليا للتطور الرأسمالي . وكثافة السكان في بلجيكا  
أعلى بتسع عشرة مرة منها في الولايات المتحدة ، وبست وعشرين مرة منها  
في الاتحاد السوفياتي ، ومع ذلك فالولايات المتحدة هي في مستوى أرقى من

بلجيكا من حيث التطور الاجتماعي ، اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، فلا تزال بلجيكا متأخرة عهداً تاريخياً كاملاً : لانه يسود بلجيكا النظام الرأسمالي ، في حين ان الاتحاد السوفياتي قد انتهى من الرأسمالية وأقام لديه النظام الاشتراكي .

ينتج من ذلك ان غو السكان ليس ولا يمكن ان يكون القوة الاساسية لتطور المجتمع ، اي القوة التي تحدد طابع النظام الاجتماعي وهيئة المجتمع .  
أولكن ما هي اذن ، في مجموعة شروط الحياة المادية للمجتمع ، القوة الاساسية التي تحدد هيئة المجتمع وطابع النظام الاجتماعي وتقرر تطور المجتمع من نظام الى آخر ؟

تعتبر المادية التاريخية ان هذه القوة هي اسلوب الحصول على وسائل المعيشة الضرورية لحياة الناس ، اي اسلوب انتاج الحاجات المادية كالغذاء واللباس والاحذية والمسكن والوقود وادوات الانتاج ... الخ ، التي لا بد منها حتى يستطيع المجتمع ان يحيا وان يتطور .

فلا بد ، لاجل الحياة ، من غذاء ولباس وأحذية ومسكن ووقود الخ... ولاجل الحصول على هذه الحوائج المادية ، يجب انتاجها ، ولاجل انتاجها لا بد من ادوات الانتاج التي ينتج الناس بمعاونتها الغذاء واللباس والاحذية والمسكن والوقود الخ... ولا بد من معرفة انتاج هذه الادوات ، ولا بد من معرفة استخدامها .

**فأدوات الانتاج التي بمعاونتها تنتج الحوائج المادية ، والناس الذين يستعملون ادوات الانتاج هذه ، وينتجون الحوائج المادية بفضل ما لديهم من تجربة في الانتاج ومن عادات في العمل ، تلك هي العناصر التي تؤلف ، بمجموعها ، قوى المجتمع المنتجة .**

ولكن القوى المنتجة لا تؤلف الا جانباً واحداً من الانتاج أي جانباً واحداً من اسلوب الانتاج ، وهو الجانب الذي يعبر عن سلوك الناس نحو اشياء الطبيعة وقواها التي يستخدمونها لانتاج الحوائج المادية . اما الجانب

الآخر للانتاج ، اي الجانب الآخر لأسلوب الانتاج ، فهو علاقة الناس فيما بينهم اثناء سير الانتاج ، او ما يسمى **علاقات الانتاج** بين الناس . فالناس في نضالهم مع الطبيعة التي يستثمرونها لانتاج الحوائج المادية ، ليسوا منفردين ، منعزلين بعضهم عن بعض ، وليسوا افراداً اُخذهم منفصل عن الآخر ، بل هم ينتجون معاً في جماعات او جمعيات . فالانتاج هو ، دائماً ومهما تكن الشروط ، انتاج اجتماعي . ففي اثناء انتاج الحوائج المادية يقيم الناس فيما بينهم هذه العلاقات او تلك ضمن نطاق الانتاج ، اي يقيمون فيما بينهم هذه او تلك من علاقات الانتاج . ويمكن ان تكون هذه العلاقات علاقات تعاون وتعاقد بين اناس ححرين من كل استثمار ، ويمكن ان تكون علاقات سيطرة وخضوع ، كما يمكن ان تكون علاقات انتقال من شكل من اشكال علاقات الانتاج الى شكل آخر . ولكن مهما يكن الطابع الذي تتسم به علاقات الانتاج فهي دائماً وتحت كل الانظمة ، عنصر ضروري لا غنى عنه في الانتاج ، مثلها في ذلك مثل قوى المجتمع المنتجة سواء بسواء .

يقول ماركس :

« في الانتاج ، لا يؤثر الناس في الطبيعة فقط ، بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر ايضاً ، فهم لا ينتجون الا بالتعاون فيما بينهم على شكل معين ، وتبادل النشاط فيما بينهم . ومن اجل ان ينتجوا ، يدخل بعضهم مع بعض في صلات وعلاقات معينة ، ولا يتم تأثيرهم في الطبيعة ، اي لا يتم الانتاج ، الا في حدود هذه الصلات والعلاقات الاجتماعية » (كارل ماركس : العمل المأجور ورأس المال .)

يستخلص من ذلك ان الانتاج ، او اسلوب الانتاج ، يشمل قوى المجتمع المنتجة كما يشمل علاقات الانتاج بين الناس سواء بسواء ؛ ففيه يتجسد اتحاد الطرفين خلال عملية انتاج الحوائج المادية .

**ب - الخاصة الاولى** للانتاج انه لا يقف ابداً مدة طويلة في نقطة معينة .

فهو دائماً في حالة تغير وغو . وعلاوة على ذلك ، فان تغير اسلوب الانتاج يؤدي بصورة حتمية الى تغير النظام الاجتماعي بآسره ، وتغير الافكار الاجتماعية والاراء والمؤسسات السياسية . ان تغير اسلوب الانتاج يؤدي الى صهر النظام الاجتماعي والسياسي كله صهراً جديداً . ويستخدم الناس في مختلف درجات التطور ، ادوات انتاج مختلفة ، اي انهم ، بعبارة ايسر ، يمرون حياة مختلفة . ففي المشاعية الابتدائية اسلوب للانتاج ، وفي الرق اسلوب آخر ، وفي الاقطاعية اسلوب ثالث ، وهكذا . ويختلف نظام الناس الاجتماعي ، ويختلف حياتهم العقلية ، واراؤهم ، ومؤسساتهم السياسية ، حسب اساليب الانتاج هذه .

ان المجتمع ذاته ، وافكاره ونظرياته ، وآراءه ومؤسساته السياسية ، تتعلق ، من حيث الاساس ، باسلوب الانتاج في المجتمع . او بعبارة ايسر : كل نمط من المعيشة ، يطابقه نمط من التفكير .

ومعنى هذا ان تاريخ تطور المجتمع هو ، قبل كل شيء ، تاريخ تطور الانتاج ، تاريخ اساليب الانتاج التي تتعاقب خلال العصور ، تاريخ تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج بين الناس .

وبالتالي ، فان تاريخ التطور الاجتماعي هو في الوقت نفسه تاريخ منتجي الحوائج المادية ، تاريخ الجماهير الكادحة التي هي القوى الاساسية في عملية الانتاج والتي تنتج الحوائج المادية الضرورية لمعيشة المجتمع .

وبالتالي ، اذا اراد العلم التاريخي ان يكون علماً حقيقياً كان عليه ان لا يقصر تاريخ التطور الاجتماعي على اعمال الملوك وقادة الجيوش ، واعمال « الفاتحين » و « مستعبدى » الدول ، بل ان يهتم قبل كل شيء ، بتاريخ منتجي الحوائج المادية ، تاريخ الجماهير الكادحة ، تاريخ الشعوب .

فاذن : يجب ان لا نبعث عن المفتاح الذي يسمح لنا بالكشف عن قوانين تاريخ المجتمع ، في ادمغة الناس ، او في آراء المجتمع وافكاره ، بل يجب ان نبعث عنه في اسلوب الانتاج الذي يمارسه المجتمع خلال كل دور من ادوار التاريخ ، اي في الحياة الاقتصادية للمجتمع .

وبالتالي، فهمة العلم التاريخي الرئيسية هي دراسة وكشف قوانين الانتاج، وقوانين تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج، او قوانين التطور الاقتصادي للمجتمع .

وبالتالي، اذا اراد حزب البروليتاريا ان يكون حزباً حقيقياً، فيجب عليه ان يتعلم، قبل كل شيء، علم قوانين تطور الانتاج، وقوانين التطور الاقتصادي للمجتمع .

وبالتالي، يجب على حزب البروليتاريا، لاجتناب الخطأ في السياسة، ان يستوحي، قبل كل شيء، في وضع برنامجه، كما في نشاطه العملي، قوانين تطور الانتاج وقوانين التطور الاقتصادي للمجتمع .

ج — الخاصة الثانية للانتاج هي ان تطوره وتغيراته تبدأ دائماً بتغير القوى المنتجة وتطورها، وتغير وتطور ادوات الانتاج قبل غيرها . فالقوى المنتجة هي اذن اكثر عناصر الانتاج حركة وثورة . ففي بادى الامر تتعدل القوى المنتجة في المجتمع وتطور، وبعدئذ، تبعاً لهذه التعديلات وطبقاً لها، تتعدل علاقات الانتاج بين الناس، اي علاقاتهم الاقتصادية . غير ان ذلك لا يعني ان علاقات الانتاج لا تؤثر في تطور القوى المنتجة، او ان هذه لا تتعلق بتلك، فان علاقات الانتاج، التي يتعلق تطورها بتطور القوى المنتجة، تؤثر بدورها في تطور القوى المنتجة، فتعجله او تبطله . ومن المهم ان نلاحظ، علاوة على ذلك، ان علاقات الانتاج لا يمكن ان تتأخر امداً طويلاً عن غو القوى المنتجة وان تبقى في تناقض مع هذا النمو، لان القوى المنتجة لا تستطيع ان تتطور تطوراً تاماً الا عندما تكون علاقات الانتاج مطابقة لطابع القوى المنتجة وحالتها، وتفسح لها مجال التطور بحرية . ولذلك فهمنا تأخرت علاقات الانتاج عن تطور القوى المنتجة، فلا بد من ان ينتهي بها الامر — وهو فعلاً ينتهي — بالمطابقة بينها وبين مستوى تطور القوى المنتجة، وان تتخذ طابعاً يلائم طابع هذه القوى المنتجة، والا تعرضت الوحدة التي تجمع، في نظام الانتاج، بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج، الى خطر

التفكك ، فيؤدي ذلك الى حدوث انقطاع في مجموع الانتاج ، الى وقوع ازمة في الانتاج ، الى تحطيم القوى المنتجة .

في الاقطار الرأسمالية — حيث الملكية الخاصة الرأسمالية ، لوسائل الانتاج ، تناقض ، بصورة بيّنة ، الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج ، اي طابع القوى المنتجة — تكون الازمات الاقتصادية مثالا للتناحر والخلاف بين علاقات الانتاج وطابع القوى المنتجة ، ومثالا للنزاع الناشب بينها . فان الازمات الاقتصادية ، التي تؤدي الى تحطيم القوى المنتجة ، هي نتيجة هذا الخلاف . وعلاوة على ذلك ، فان هذا الخلاف نفسه هو الاساس الاقتصادي للثورة الاجتماعية المدعوة الى هدم علاقات الانتاج الحالية وخلق علاقات جديدة مطابقة لطابع القوى المنتجة .

اما الاقتصاد الاشتراكي في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية — حيث الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج هي في توافق تام مع الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج ، وحيث لا نجد ، بالتالي ، لا ازمات اقتصادية ولا تحطيمًا للقوى المنتجة — فهو مثال للاتفاق التام بين علاقات الانتاج وطابع القوى المنتجة .

فاذن ، ليست القوى المنتجة اكثر عناصر الانتاج حركة وثورة فقط ، بل هي أيضاً العنصر الحاسم في تطور الانتاج .

وكما تكون القوى المنتجة ، كذلك يجب ان تكون علاقات الانتاج .

واذا كانت حالة القوى المنتجة تبين باية ادوات انتاج ينتج الناس الحوائج المادية الضرورية لهم ، فان حالة علاقات الانتاج تبين من جهتها من الذي يملك وسائل الانتاج ( الارض ، الاحراج ، المياه ، بطن الارض ، المواد الاولى ، ادوات الانتاج ، ابنية الاستثمار ، وسائل النقل والمواصلات ، الخ... ) ، من الذي يتصرف بوسائل الانتاج ؟ هل هي تحت تصرف المجتمع بأسره ام تحت تصرف افراد او جماعات او طبقات يستخدمونها لاستثمار افراد آخرين ، او جماعات اخرى او طبقات اخرى ؟..

وفى يلي لوحة تبين الخطوط الكبرى لتطور القوى المنتجة منذ اقدم الازمان الى يومنا هذا : الانتقال من الادوات الحجرية الغليظة الى القوس والسهام ، وبالتالي ، الانتقال من الصيد الى استخدام الحيوانات وتربية المواشي بشكل ابتدائي ، ثم الانتقال من الادوات الحجرية الى المعدنية ( الفأس الحديدية ، المحراث الابتدائي المجهز بسكة مصنوعة من حديد ، الخ ... ) وبالتالي الانتقال الى غرس النباتات ، الى الزراعة ، ومن ثم اجراء تحسين جديد فى الادوات المعدنية لاجل صنع مختلف المواد وظهور الكور ذي المنفاخ ، وصناعة الاواني الفخارية ، وبالتالي ، تطور الحرف ، وانفصال الحرف عن الزراعة ، وتطور الحرف المستقلة اولاً ، ثم المانيفاكتوره ( ١ ) فيما بعد . ثم الانتقال من ادوات الانتاج الحرفي الى الالة ، وتحويل الانتاج الحرفي — المانيفاكتوري ، الى صناعة قائمة على الآلة ومن ثم الانتقال الى نظام الآلات وظهور الصناعة الميكانيكية الحديثة الكبرى .

هذه هي بصورة اجمالية وغير كاملة اللوحة التي تبين تطور قوى المجتمع

( ١ ) المانيفاكتوره : نشأت المانيفاكتوره في عهد انحلال القطاعية مع تطور التجارة وازدياد الطلب على المنتجات المصنوعة . فقد كان التجار يشترون قبلاً من الصناع الحرفيين منتجاتهم ليبيعوها بدورهم . ثم اخذوا يقدمون لهم المواد الاولية فيصنعها الصناع بادواتهم . ثم اخذ التاجر يجمع الحرفيين تحت سقف واحد ، في مكان واحد ( هو المانيفاكتوره ) ويقدم لهم المواد الاولية وادوات الانتاج ايضاً . وهكذا انقلب رأس المال التجاري الى رأس مال صناعي ، واصبح الصانع الحرفي عاملاً مأجوراً ليس لديه سوى قوة عمله ، يبيعها للرأسمالي ، ويعمل ، مع زملائه ، تحت اشرافه المباشر في المانيفاكتوره .

هكذا ظهرت المانيفاكتوره الى جانب الانتاج الحرفي الصغير ، فهي اول شكل للانتاج الرأسمالي الكبير ، يبدأ معه التقسيم الرأسمالي للعمل . فان المانيفاكتوره تجمع عدداً كبيراً من العمال يعمل كل واحد منهم قسماً من الشيء المصنوع فيعطى عملهم جميعاً انتاجاً اكبر من انتاج صغار المنتجين المبعثر . وقبل ظهور المانيفاكتوره ، كان التقسيم الاجتماعي للعمل لا يجري الا بين منتجين صغار مستقلين ، اما الان فأخذ تقسيم العمل يجري في داخل المانيفاكتوره نفسها . وقد تابع الانتاج الرأسمالي تطوره ، الى ان حلت الصناعة الآلية والعامل المجهز بالآلات المصرية الميكانيكية ، محل المانيفاكتورات .

( هيئة التمريب )



المنتجة طيلة تاريخ البشرية ، ولا حاجة الى القول ان تطور ادوات الانتاج وتحسينها لم يحدثا بصورة مستقلة عن الناس بل حققها الناس الذين لهم علاقة بالانتاج. واذن : فالناس — الذين هم عنصر اساسي في القوى المنتجة — يتغيرون ويتطورون بتغير ادوات الانتاج وتطورها. فقد رأينا ان تجربتهم في الانتاج، وعاداتهم في العمل، وقدرتهم على استعمال ادوات الانتاج، قد تغيرت وتطورت. وطبقا لهذه التغيرات وهذا التطور في قوى المجتمع المنتجة خلال التاريخ، تغيرت وتطورت علاقات الانتاج بين الناس ، اي علاقاتهم الاقتصادية.

ولقد سجل التاريخ خمسة انواع اساسية لعلاقات الانتاج: المشاعية الابتدائية، الرق، النظام الاقطاعي، النظام الرأسمالي، النظام الاشتراكي.

في نظام المشاعية الابتدائية، تؤلف الملكية الجماعية لوسائل الانتاج، اساس علاقات الانتاج. وذلك يطابق من حيث الاساس طابع القوى المنتجة في هذا الدور. فالادوات الحجرية وكذلك القوس والسهم التي ظهرت فيما بعد، لم تكن تسمح للناس بان يناضلوا منفردين ضد قوى الطبيعة والحيوانات المفترسة. فلأجل قطف الاثمار في الغابات، ولأجل صيد السمك، ولأجل بناء مسكن ماء، كان الناس مجبرين على العمل معاً بصورة مشتركة، اذا ما ارادوا اجتناب الموت جوعاً او الوقوع فريسة للحيوانات الضارية او للقبائل المجاورة. ويؤدي العمل المشترك الى الملكية المشتركة لوسائل الانتاج والمنتجات ايضاً. فهنا، اذا استثنينا الملكية الفردية لبعض ادوات الانتاج التي تؤلف في الوقت نفسه اسلحة دفاع ضد الحيوانات المفترسة، لا نجد بعد، معنى لمفهوم الملكية الخاصة لوسائل الانتاج. هنا: لاستثمار ولا طبقات.

وفي نظام الرق تؤلف ملكية سيد العبيد لوسائل الانتاج وللشغيل — اي للعبد الذي يستطيع بيعه وشراؤه وقتله كالماشية — اساس علاقات الانتاج. وعلاقات انتاج كهذه تطابق من حيث الاساس ، حالة القوى المنتجة في هذا الدور . فعوضاً عن الادوات الحجرية اصبحت عند الناس الان ادوات معدنية، وبدلاً من اقتصاد يقتصر على صيد ابتدائي فقير وبجهد تربية المواشي والزراعة،

نشهد ظهور تربية المواشي، والزراعة وحرف شتى، وتقسيم العمل بين هذه الفروع المختلفة للانتاج، كما نشهد ظهور امكان تبادل المنتجات بين الافراد والجماعات وامكان تراكم الثروة بين ايدي عدد ضئيل من الناس وتكدس وسائل الانتاج بصورة فعلية في ايدي اقلية، وامكان جعل الاكثرية خاضعة للاقلية، وتحويل اعضاء الاكثرية الى عبيد. فهنا لم يبق عمل مشترك حر يقوم به جميع اعضاء المجتمع خلال سير الانتاج. هنا يسود العمل الاجباري، عمل عبيد يستثمرون سادة عاطلون منعمون، ولهذا لم تبق ايضا ملكية مشتركة لوسائل الانتاج ولا للمنتجات اذ قد حلت محلها الملكية الخاصة. هنا: يصبح سيد العبيد هو المالك الاول والرئيسي، المالك المطلق.

اغنياء وفقراء، مستثمرون ومستثمرون، اناس لهم كل الحقوق، واناس ليس لهم اي حق، نضال طبقي حاد بين هؤلاء واولئك: تلك هي لوحة نظام الرق!

وفي النظام الاقطاعي تؤلف ملكية النبيل الاقطاعي لوسائل الانتاج، وملكياته المحدودة للشغيل... وهو القن الذي لم يعد في استطاعة الاقطاعي قتله، غير ان في امكانه بيعه وشراؤه... اساس علاقات الانتاج. ونجد الى جانب الملكية الاقطاعية، ملكية الفلاح والحرفي الفردية المشتملة على ادوات الانتاج وعلى اقتصادهما الخاص المؤسس على العمل الشخصي. وعلاقات الانتاج هذه تطابق من حيث الاساس حالة القوى المنتجة في هذا الدور. فان تحسين الحديد الصب واتقان معالجة الحديد، وتعميم استعمال المحراث ونول النسيج وتطور الزراعة والبستنة وصناعة الخمر وصناعة الزيت تطورا مستمرا، وظهور المانيفاكشورات الى جانب ورشات الحرفيين، كل ذلك يؤلف الخصائص المميزة لحالة القوى المنتجة.

وتتطلب القوى المنتجة الجديدة من الشغيل ان يبدي شيئا من المبادرة والابتكار في الانتاج، وذوقا فيما يصنع، واهتماما بالعمل. ولذلك يتخلى النبيل الاقطاعي عن العبد الرقيق الخالي من كل اهتمام بالعمل، والمحروم من

كل مبادأة على الإطلاق، ويفضل ان يعامل قنا يملك اقتصاده الخاص وادوات للانتاج، ولديه شيء من الاهتمام بالعمل، هذا الاهتمام الذي لا بد منه حتى يزرع الارض ويدفع حصة من عين محصوله الى القطاعي .

وهنا تتابع الملكية الخاصة تطورها، ويبقى الاستثمار تقريبا على مثل قسوته في عهد الرق، يكاد ان لا يدين الا قليلا . فالنضال الطبقي بين المستثمرين والمستثمرين، هو الميزة الاساسية للنظام القطاعي .

في النظام الرأسمالي، تؤلف الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج، اساس علاقات الانتاج . اما امتلاك المنتجين، اي العمال المأجورين، فليس له وجود، ولا يستطيع الرأسمالي قتلهم ولا بيعهم . لانهم محروون من كل تبعية شخصية . غير انهم محرومون من وسائل الانتاج وهم مضطرون، لكي لا يموتوا جوعاً، ان يبيعوا قوة عملهم للرأسمالي وان يعانون نير الاستثمار . وهنالك الى جانب الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج، ملكية الفلاح والحرفي الخاصة لادوات الانتاج، بعد ما تحررا من القنانة . فقد كانت هذه الملكية المؤسسة على العمل الشخصي، منتشرة انتشاراً واسعاً في بادئ الامر . وحلت المصانع والمعامل العظيمة المجهزة بالالات، محل ورشات الحرفيين والمانيفاكتورات، كما ان الاستثمارات الرأسمالية الكبيرة التي تدار على اساس العلم الزراعي والمجهزة بالالات الزراعية، حلت محل املاك النبلاء التي كانت تزرع بواسطة ادوات الفلاحين الابتدائية .

وهذه القوى المنتجة الجديدة تتطلب من الشغلين ان يكونوا اكثر ثقافة وذكاء من الاقنان الجاهلين البداء، وان تكون لديهم الكفاءة اللازمة لفهم الآلة، وان يجيدوا استعمالها كما ينبغي . ولهذا يفضل الرأسماليون ان يتعاملوا مع عمال مأجورين محروين من قيود القنانة، وحائزين على ثقافة كافية تساعدهم على استعمال الات استعمالاً لائقاً .

ولكن الرأسمالية، لسبب تنميتها القوى المنتجة بنسبة هائلة، وقعت في تناقضات لا تستطيع حلها . فهي بانتاجها كميات متزايدة من البضائع، وبانقاصها

اسعار هذه البضائع ، تزيد المزاحمة تفاقماً واشتداداً ، وترمي جماهير الملاكين الفرديين الصغار والمتوسطين في الخراب والدمار ، وتجعلهم في حالة البروليتاريين وتخفيض مقدرتهم الشرائية ، وتكون النتيجة ان تصريف البضائع المصنوعة يضحى مستحيلاً . ان الرأسمالية ، بتوسيعها وجمعها ملايين العمال في مصانع ومعامل عظيمة ، تطبع عملية الانتاج بطابع اجتماعي ، وبذلك تنخر قاعدتها بنفسها ، لان الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج ، يتطلب ملكية اجتماعية لوسائل الانتاج . في حين ان ملكية وسائل الانتاج تبقى ملكية خاصة رأسمالية غير متلائمة مع الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج .

ان هذه التناقضات بين طابع القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، هذه التناقضات التي لا يمكن التوفيق بينها ، تظهر في ازمات فيض الانتاج الدورية ، فنرى الرأسماليين ، نظراً لعدم وجود شارين قادرين على الدفع بسبب خراب الجماهير الذي تقع مسؤوليته عليهم انفسهم ، يضطرون الى حرق المحصولات واتلاف البضائع الجاهزة ، ووقف الانتاج ، وتخطيم القوى المنتجة ، بينما ملايين الناس يقاسون آلام البطالة والجوع لا لفقدان البضائع ، بل لكثرة ما أنتج منها .

ومعنى هذا ، ان علاقات الانتاج الرأسمالية لم تعد مطابقة لحالة القوى المنتجة ، بل دخلت معها في تناقض لا يحل .

معنى هذا ، ان الرأسمالية تحمل في صلبها ثورة مدعوة الى احوال الملكية الاشتراكية محل الملكية الرأسمالية الحالية لوسائل الانتاج .

معنى هذا ، ان نضالاً طبقياً حاداً من اشد ما عرف ، بين المستثمرين والمستثمرين ، هو الميزة الاساسية للنظام الرأسمالي .

في النظام الاشتراكي الذي لم يتحقق ، حتى الآن ، الا في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، تؤلف الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج اساس علاقات الانتاج . هنا لم يبق لا مستثمرون ولا مستثمرون ، وتوزع المنتجات حسب العمل الذي يقدمه كل انسان ، وتبعاً للمبدأ القائل : « من لا يشتغل لا

ياكل». اما العلاقات بين الناس في عملية الانتاج ، فهي علاقات تعاون اخوي وتعاقد اشتراكي بين شغيلة محجرين من الاستثمار . وعلاقات الانتاج هذه مطابقة تماماً لحالة القوى المنتجة ، لان الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج ، يجد دعامة له في الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج .

هذا ما يجعل الانتاج الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ، يجهل ازيمات فيض الانتاج الدورية وكل ما يرافقها من غرائب خرقاء .

هذا ما يجعل القوى المنتجة هنا تتطور بسرعة متزايدة ، لان علاقات الانتاج المطابقة لها تفسح لهذا التطور مجالا حرا رحبيا .

تلك هي لوحة تطور علاقات الانتاج بين الناس ، خلال تاريخ الانسانية . هكذا يسير تطور علاقات الانتاج تبعاً لتطور القوى المنتجة في المجتمع ، وتبعاً لتطور ادوات الانتاج قبل كل شيء . وهذه التبعية هي التي تجعل التغير والتطور في القوى المنتجة يؤديان عاجلا او آجلاً الى تغير وتطور مطابقتين في علاقات الانتاج .

يقول ماركس:

«ان استعمال وسائل العمل (١) وصنعها هما من مميزات العمل البشري بوجه خاص ، وان كنا نجدهما في حالة جرمية عند بعض الانواع الحيوانية . ولهذا السبب يعرف «فرانكلين» الانسان بقوله : «الانسان هو حيوان يصنع الادوات» ( A Toolmaking Animal ) (٢) . هذا وان بقايا وسائل العمل القديمة لها من الاهمية في درس الاشكال الاقتصادية للمجتمعات المنثورة ، ما لتركيب العظام المدفونة في الارض من الاهمية في معرفة تنظيم العروق المنقرضة . وان ما يميز عهدا اقتصاديا

(١) يعني ماركس بـ«وسائل العمل» ادوات الانتاج على الخصوص . (ملاحظة من هيئة التحرير)

(٢) هذه العبارة موجودة بالانكليزية في الاصل .

(هيئة التحرير)

من عهد آخر، هو طريقة صنع الشيء أكثر من الشيء المصنوع ذاته . فوسائل العمل هي مقاييس تطور التشغيل ومرآة مستوى العلاقات الاجتماعية التي يعمل ضمنها » ( كارل ماركس : رأس المال — الكتاب الاول — الجزء الاول — ص ١٩٥ — ١٩٦ ، مكتب المطبوعات — باريس ١٩٣٨ ) .  
ويقول في مكان آخر :

« ان العلاقات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقوى المنتجة . وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة ، يغيرون أسلوبهم في الانتاج ، وبتغييرهم أسلوب الانتاج ، اي بتغييرهم طرق اكتساب معيشتهم ، يغيرون كل علاقاتهم الاجتماعية . فطاحونة الهواء تعطيك مجتمع الحاكم الاقطاعي ، والطاحونة البخارية تعطيك مجتمع الرأسمالي الصناعي » . ( كارل ماركس : شقاء الفلسفة ، جواب على فلسفة الشقاء للسيد برودون — ص ٩٩ ، مكتب المطبوعات — باريس ١٩٣٧ ) .

« ان هنالك حركة نحو مستمرة في القوى المنتجة ، وحركة تهديم مستمرة في العلاقات الاجتماعية ، وحركة تكوّن مستمرة في الافكار ، وليس من شيء ثابت سوى تجريد الحركة » ( المرجع ذاته — ص ٩٩ ) .

ويعطي انجاز في مقدمة بيان الحزب الشيوعي التعريف التالي للمادية التاريخية: « ان الانتاج الاقتصادي ، والبناء الاجتماعي الذي ينتج منه بالضرورة ، يؤلفان ، في كل عهد تاريخي ، اساس التاريخ السياسي والفكري لهذا العهد ... وبالتالي ، فكل التاريخ ( منذ التحلل ملكية الارض المشاعية الابتدائية ) هو تاريخ نضال بين الطبقات ، نضال بين طبقات مستثمرة وطبقات مستثمرة ، بين طبقات مسودة وطبقات سائدة ، في مختلف مراحل تطورها الاجتماعي ...

وقد بلغ هذا النضال في الوقت الحاضر مرحلة أصبحت فيها الطبقة  
المستثمرة المضطهدة ( البروليتاريا ) لا تستطيع ان تتحرر من  
الطبقة التي تستثمرها وتضطهدها (البورجوازية) دون ان تحرر ،  
في الوقت نفسه والى الابد ، المجتمع بأسره من الاستئثار ومن  
الاضطهاد ومن نضال الطبقات » ( مقدمة فردريك انجلز للطبعة  
الالمانية ( ١٨٨٣ ) لبيان الحزب الشيوعي — ص ٦ — مكتب  
المطبوعات — باريس ١٩٣٨ )

(د): **الخاصة الثالثة للانتاج**، هي ان القوى المنتجة الجديدة وعلاقات الانتاج  
التي تطابقها ، لا تنشأ خارج المجتمع القديم بعد زواله ، بل تنشأ في قلب النظام  
القديم نفسه ، فهي ليست نتيجة عمل واع مقصود يقوم به الناس ، بل تبرز  
عفواً وبصورة مستقلة عن وعي الناس وارادتهم ، ويعود ذلك الى سببين :  
اولاً — لان الناس ليسوا احراراً في اختيار اسلوب الانتاج ، فكل  
جيل جديد يجد عند دخوله الى الحياة ، قوى منتجة وعلاقات انتاج جاهزة ،  
خلقها عمل الاجيال السابقة . فكل جيل جديد مضطر ان يقبل ، في البداية ،  
كل ما يجده جاهزاً في ميدان الانتاج وان يألفه ليستطيع انتاج الحاجات المادية .  
وثانياً — لان الناس ، عندما يحسنون هذه او تلك من ادوات الانتاج ،  
وهذا او ذاك من عناصر القوى المنتجة ، لا يدركون النتائج الاجتماعية التي  
يجب ان تؤدي اليها هذه التحسينات ، بل هم لا يفهمونها ولا تخطر لهم في  
بال ، فهم لا يفكرون الا في مصالحهم اليومية ، وفي تسهيل عملهم ، وفي  
الحصول على فائدة مباشرة وملحوسة .

فلما بدأ بعض اعضاء المشاعية الابتدائية شيئاً فشيئاً يتلمسون الانتقال من  
الادوات الحجرية الى الادوات الحديدية ، كانوا ، ولا ريب ، يجهلون النتائج  
الاجتماعية التي سيؤدي اليها هذا التجديد . كانوا لا يفكرون فيها ، وكانوا  
لا يدركون ولا يفهمون ان ادخال الادوات المعدنية يعني ثورة في الانتاج ،  
وسيؤدي في النهاية الى نظام الرق . وغاية ما كانوا يريدون ان يسهلوا عملهم

ويحصلوا على فائدة مباشرة ملموسة . فكان نشاطهم الواعي مقتصرا على نطاق ضيق ، هو نطاق هذه الفائدة الشخصية اليومية .

ولما اخذت البورجوازية الفتية الاوروبية ، في عهد النظام الاقطاعي ، تبني ، الى جانب ورشات الحرفيين الصغيرة ، مايفاكورات كبيرة ، وترقي بذلك قوى المجتمع المنتجة ، كانت ، دون ادنى ريب ، تجهل النتائج الاجتماعية التي سيؤدي اليها هذا التجديد ، كانت لا تفكر في ذلك ، كانت لا تدرك ولا تفهم أن هذا التجديد « الصغير » سيؤدي الى حدوث تجمع جديد في القوى الاجتماعية وان هذا التجمع سينتهي بثورة ضد سلطة الملك التي كانت البورجوازية تحطب ودها ، وكذلك ضد طبقة النبلاء التي كان احسن ممثلي هذه البورجوازية يحملون غالباً بالدخول في صفوفها . فكل ما كانت تريده هو انقاص تكاليف انتاج البضائع ، والقاء اكبر كمية من البضائع في اسواق آسيا ، وفي اسواق اميركا التي كشفت حديثاً ، وزيادة ارباحها . فكان نشاطها الواعي منحصراً في نطاق ضيق ، هو نطاق هذه المصالح العملية اليومية .

ولما راح الرأسماليون الروس ، بالاتفاق مع الرأسماليين الاجانب ، يؤسسون في روسيا ، بهمة ونشاط ، الصناعة الكبرى الحديثة المجهزة بالآلات دون ان يمسوا القيصرية مع ترك الفلاحين طعاماً سائغاً لكبار ملاكي الارض ، كانوا دون ريب يجهلون النتائج الاجتماعية التي سيؤدي اليها هذا النمو العظيم في القوى المنتجة . كانوا لا يفكرون في ذلك ، وكانوا لا يدركون ولا يفهمون ان هذه القفزة الخطيرة للقوى المنتجة في المجتمع ، سيؤدي الى تجمع جديد للقوى الاجتماعية ، وان هذا التجمع سيسمح للبروليتاريا بان تتحد مع الفلاحين وتحقق انتصار الثورة الاشتراكية . فكل ما كانوا يريدون هو توسيع الانتاج الصناعي الى اقصى حد ، وتأمين سيادتهم في سوق داخلية عظيمة واسعة ، واحتكار الانتاج ، وابتزاز اكبر ربح ممكن من الاقتصاد الوطني . فما كان نشاطهم الواعي ليتجاوز حدود مصالحهم اليومية العملية المحضة .

وقد قال ماركس في هذا الموضوع :



« ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعي لمعيشتهم ( اي اثناء انتاج الحوائج المادية الضرورية لحياة الناس — ملاحظة من هيئة التحرير ) يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ، ضرورية ، مستقلة (١) عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية » . ( كارل ماركس : مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، المقدمة ) .

ولكن ذلك لا يعني ان تغير علاقات الانتاج والانتقال من علاقات الانتاج القديمة الى الجديدة ، يجريان على خط مستقيم ، دون نزاعات ودون هزات ، بل على العكس ، يجري هذا الانتقال عادة بقلب علاقات الانتاج القديمة قلباً ثورياً ، وباقامة العلاقات الجديدة في مكانها . فان تطور القوى المنتجة والتغيرات في ميدان علاقات الانتاج ، تجري ، خلال مرحلة معينة ، بصورة عفوية مستقلة عن ارادة الناس . ولكن ذلك لا يدوم الا الى حين ، اي الى ان تصبح القوى المنتجة ، التي برزت واخذت تتطور ، في درجة كافية من النضج . فعندما تبلغ القوى المنتجة الجديدة حد النضج ، تتحول علاقات الانتاج الموجودة والطبقات التي تمثلها ، الى حاجز « كؤود » لا يمكن ازاحته من الطريق الا بالنشاط الواعي للطبقات الجديدة ، وبعملها العنيف ، اي بالثورة . ويظهر اذ ذاك ، بشكل رائع ، الدور العظيم الذي تلعبه الافكار الاجتماعية الجديدة والمؤسسات السياسية الجديدة والسلطة السياسية الجديدة ، المدعوة الى الغاء علاقات الانتاج القديمة ومحوها بالقوة . فعلى اساس النزاع بين القوى المنتجة الجديدة وعلاقات الانتاج القديمة ، وعلى اساس حاجات المجتمع الاقتصادية الجديدة ، تتولد افكار اجتماعية جديدة . وهذه الافكار الجديدة تنظم الجماهير وتعبئها ، فتتحد الجماهير في جيش سياسي جديد ، وتخلق سلطة ثورية جديدة ، تستخدمها لالغاء النظام القديم في ميدان علاقات الانتاج ومحوه بالقوة ، وتشييد نظام جديد فيه .

(١) اشارة التأكيد هنا هي من هيئة التحرير .

وهكذا يحل نشاط الناس الواعي محل سير التطور العفوي ، ويحل الانقلاب  
العنيف محل التطور السلمي ، وتحل الثورة محل التطور التدريجي .  
يقول ماركس :

« ان البروليتاريا ، في نضالها ضد البورجوازية ، تكون حتماً  
في طبقة ، وتتصب نفسها بالثورة ، طبقة سائدة ، وبصفتها طبقة  
سائدة ، تحطم بالعنف نظام الانتاج القديم » ( كارل ماركس  
وفردريك انجلز : بيان الحزب الشيوعي — ص ٣٣ — مكتب  
المطبوعات — باريس ، ١٩٣٣ ) .

ويقول في مكان آخر :

« ان البروليتاريا ستستخدم سيادتها السياسية لانتزاع رأس  
المال شيئاً فشيئاً من البورجوازية ، ولجمع كل ادوات الانتاج  
في ايدي الدولة ، اي في ايدي البروليتاريا المنظمة في طبقة  
سائدة ، ولزيادة كمية القوى المنتجة باسرع ما يكون » ( المرجع  
ذاته ص — ٣٢ ) .

« العنف هو المولّد لكل مجتمع قديم يتمخض بمجتمع جديد »  
( كارل ماركس : رأس المال — المجلد الاول الجزء الثالث — ص  
٢١٣ — باريس ١٩٣٩ ) .

وقد عرّف ماركس في المقدمة التاريخية لمؤلفه المشهور : مساهمة في نقد  
الاقتصاد السياسي ( ١٨٥٩ ) جوهر المادية التاريخية تعريفاً عبقرياً فقال :  
« ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعي لمعيشتهم ، يقيمون فيما  
بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن ارادتهم . وتطابق  
علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة للمادية .  
ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع ،  
اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقي حقوقي وسياسي ،  
تطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي . ان اسلوب انتاج

الحياة المادية يكتفّ تفاعل الحياة الاجتماعي ، والسياسي والفكري ، بصورة عامة . فليس ادراك الناس هو الذي يعين معيشتهم ، بل ، على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين ادراكهم . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة في تطورها ، تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة ، او مع علاقات الملكية — وليست هذه سوى التعبير الحقيقي لتلك — التي كانت الى ذلك الحين متحركة ضمنها . فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيوداً لهذه القوى . وعندئذ ينفج عهد ثورات اجتماعية . فان تغيير الاساس الاقتصادي يززع كل البناء الفوقي الهائل على صور مختلفة من السرعة او البطء . وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائماً التمييز بين الانقلاب المادي لشروط الانتاج الاقتصادية — هذا الانقلاب الذي يشاهد بالضبط الخاص بعلوم الطبيعة — وبين الاشكال الحقوقية ، والسياسية ، والدينية ، والفنية ، والفلسفية ، او ، بكلمة مختصرة ، الاشكال الفكرية التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ويكافحونه . فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي لديه عن نفسه ، كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقاً لوعيه . فينبغي تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية ، والنزاع الذي تتعارض فيه قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . ان اي تكوين اجتماعي لا يموت ابداً قبل ان تتطور كل القوى المنتجة التي يستطيع ان يفسح لها المجال ، ولا تظهر ابداً علاقات الانتاج الجديدة ، المتفوقة على القديمة ، قبل ان تنضج شروط وجودها المادية في قلب المجتمع القديم . ولهذا ، فالانسانية لا تضع امامها ابداً الا مسائل تستطيع حلها . اذ انه يتضح ، عند الامعان في الامور ،

ان المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة او ، على الاقل ، آخذة في التكون .  
هذا ما تعلمنا اياه المادية الماركسية المطبقة على الحياة الاجتماعية وعلى تاريخ المجتمع .  
تلك هي الخطوط الاساسية للمادية الديالكتيكية والتاريخية .  
ويتبين من كل ذلك اية ثروة نظرية صاها لينين للحزب ضد هجمات المحرفين والعناصر المتفسخة ، وكما كان صدور مؤلف لينين المادية والمذهب النقدي التجريبي ، شيئاً هاماً لاجل تطور حزبنا .



### ٣ - البلاشفة والمنشفيك في سنوات الرجعية الستوليينية - نضال البلاشفة ضد انصار التصفية وضد الاوتروفيين .

صار العمل في منظمات الحزب خلال سنوات الرجعية ، أصعب بكثير مما كان عليه في الدور السابق ، دور غو الثورة . فنقص عدد اعضاء الحزب نقصاً كبيراً . وكان عدد عديد من رفاق الطريق ، من صفار البورجوازيين ، وخصوصاً من المثقفين ، يباحون صفوف الحزب خوفاً من ملاحقات الحكومة القيصرية .

وقد بين لينين ان على الاحزاب الثورية ، في مثل هذه الاوقات ، ان تعمل على استكمال تثقفها . فهي في دور نهوض الثورة تعلمت الهجوم ، وعليها في دور الرجعية ان تتعلم التراجع بانتظام ، والانتقال الى العمل السري ، والمحافظة على الحزب اللاشعري وتقويته ، والاستفادة من الامكانيات الشرعية ، اي من جميع المنظمات الشرعية ، والجمهيرية منها على الخصوص ، لتوثيق صلاتها بالجمهير .

وكان المنشفيك يتراجعون بارتباك ، غير مؤمنين بإمكان نهوض الثورة

مجددا ، ويتذكرون بصورة مخجلة للمطالب الثورية التي يتضمنها برنامج الحزب  
ولشعارات الحزب الثورية . وكان في نيتهم الغاء حزب البروليتاريا الثوري  
الاشعري وتصفيته ، فسمي هذا النوع من المنشفيك بانصار التصفية .

اما البلاشفة فكانوا ، خلافا للمنشفيك ، موقنين بانه سيحدث في السنوات  
القريبة نهوض ثوري ، وبان من واجب الحزب تهيئة الجماهير لهذا النهوض  
الجديد . فمهمات الثورة ، مهماتها الاساسية ، لم تكن قد تحققت . فالفلاحون  
لم يحصلوا على اراضي الاسياد ، والعمال لم ينالوا حقهم في العمل ثماني ساعات  
في اليوم ، والاولوقراطية القيصرية المكروهة من الشعب لم تقلب ، بل انها  
قضت على القسم الضئيل من الحريات السياسية التي انتزعها الشعب منها في سنة  
١٩٠٥ . واذن ، فالاسباب التي ولدت ثورة ١٩٠٥ لم تزال هي هي . ولهذا  
كان البلاشفة موقنين بنهوض الحركة الثورية من جديد ، وكانوا يستعدون  
له ويحشدون قوى الطبقة العاملة .

وكان البلاشفة يستمدون هذا اليقين بنهوض الثورة حتما ، نهوضا جديدا ،  
من امر اخر ايضا ، هو ان ثورة ١٩٠٥ علمت الطبقة العاملة ان تتزع حقوقها  
بالنضال الثوري الجماهيري . فلم يكن من الممكن ان ينسى العمال في  
سنوات الرجعية — سنوات هجوم رأس المال — دروس ١٩٠٥ . وقد ذكر  
لينين رسائل كتبها العمال وقالوا فيها عند كلامهم عن مضايقات اصحاب  
المصانع وارهاقهم : « صبرا ! سيأتي ١٩٠٥ آخر ! ... »

وقد بقي هدف البلاشفة السياسي الاساسي هو هو ، كما كان في عام  
١٩٠٥ : اي قلب القيصرية ، واتمام الثورة الديمقراطية البورجوازية ، والانتقال  
الى الثورة الاشتراكية . ولم يكن البلاشفة ينسون هذا الهدف لحظة واحدة .  
بل كانوا يتابعون وضع الشعارات الثورية الاساسية امام الجماهير : جمهورية  
ديموقراطية ، مصادرة اراضي كبار الملاكين ، ثماني ساعات عمل في اليوم .

ولم يكن من الممكن ان تبقى خطة الحزب كما كانت في دور نهوض  
الثورة عام ١٩٠٥ . فكان من المتعذر ، مثلا ، دعوة الجماهير ، في وهلة

قصيرة ، إلى الاضراب السياسي العام او الى الثورة المسلحة ، اذ كانت الحركة الثورية في هبوط ، والطبقة العاملة في اعياء كبير ، بينا موقف الطبقات الرجعية يقوى ويشدد. فما كان الحزب ليستطيع الا اخذ الحالة الجديدة بعين الاعتبار. وكان من واجبه الاستعاضة عن خطة الهجوم بخطة الدفاع ، اي بخطة تجميع القوى ، خطة انسحاب الكادر الى اللاشريعة والى العمل الحزبي السري ، خطة العمل اللاشعري الذي يرافقه العمل في منظمات العمال الشرعية .

وقد عرف البلاشفة كيف ينجزون هذه المهمة. وبما قاله لينين بهذا الصدد: « لقد عرفنا ان نعمل خلال سنوات طويلة قبل الثورة ، وليس من دون سبب قيل عنا: اننا صامدون كالصخر. لقد أَلَف الاشتراكيون الديمقراطيون حزب عمال لا يدع للخور سبيلا اليه من جراء الفشل في اول هجوم عسكري ، ولذا فهو لن يضع صوابه ولن ينجر الى المغامرات » . ( لينين — المؤلفات المختارة — المجلد الاول — ص ٥٧٢ ، ٥٧٣ ) .

كان البلاشفة يناضلون من اجل المحافظة على منظمات الحزب اللاشريعة وتقويتها . ولكنهم كانوا يرون ، في الوقت نفسه ، ان من الضروري الاستفادة من جميع الامكانيات الشرعية ، من كل ظرف شرعي يسمح باقامة الصلة مع الجماهير والمحافظة عليها ، وتقوية الحزب بذلك .

وهاك ما قاله ستالين في هذا الصدد : « لقد قام حزبنا في هذا الدور ، بانعطاف تحول فيه من النضال الثوري المكشوف ضد القيصرية ، الى طرق النضال الملتوية ، الى استخدام الامكانيات الشرعية من كل نوع وكل صنف: من جمعيات التأمين الى منبر مجلس الدوما . كان هذا الدور ، دور تقهقر بعد اندحار ثورة ١٩٠٥ . وكان هذا الانعطاف يضطرنا الى استيعاب طرق النضال الجديدة ، لكي نستطيع ، عندما يتم لنا جمع قوانا ، ان نشهر نضالا ثوريا علنيا ضد القيصرية » . ( ستالين — محضر مناقشات المؤتمر الخامس عشر — الصفحة ٣٦٦ ، ٣٦٧ — الطبعة الروسية — ١٩٣٥ )

وقد استخدمت المنظمات الشرعية ، التي ظلت سالمة ، كنوع من الملاجئ

لمنظمات الحزب الاشتراكية ، وكجهزة اتصال بالجماهير . واستفاد البلاشفة ، لاجل الاحتفاظ بهذا الاتصال ، من النقابات والمنظمات الاجتماعية الشرعية الاخرى : كجمعيات التأمين في حالة المرض ، وتعاونيات العمال ، والاندية والجمعيات الثقافية ، وبيوت الشعب . واستخدموا منبر مجلس دوما الدولة للحملة على سياسة الحكومة القيصرية ، وفصح الكاديت ، وجذب الفلاحين الى جانب البروليتاريا . وكان الاحتفاظ بمنظمة الحزب الاشتراكية ، وقيادة كل اشكال العمل السياسي الاخرى بواسطة هذه المنظمة ، يضمنان للحزب تطبيق خطته الصحيحة وتميئة القوى لاجل نهوض ثوري جديد .

كان البلاشفة يطبقون خطتهم الثورية مناضلين على جبهتين ، ضد شكلي الانتهازية في الحزب : ضد اعداء الحزب المفوضين ، انصار التصفية ، وضد اعداء الحزب المستترين ، المعروفين بالـ « اوتزوفيين » .

وقد قام لينين والبلاشفة بنضال حازم ضد تيار التصفية ، منذ ظهور هذا الميل للانتهازي . وكان لينين يقول بان كتلة انصار التصفية ، هي وكالة للبورجوازية الحرة في قلب الحزب .

في كانون الاول ١٩٠٨ ، انعقد في باريس المجلس الوطني العام الخامس لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا . فاستنكر هذا المجلس ، بناء على اقتراح لينين ، تيار التصفية ، اي محاولات بعض مثقفي الحزب (من المنشفيك) الرامية الى « تصفية منظمة الحزب الموجودة في روسيا ، والاستعاضة عنها بكتلة غامضة الشكل تسعى الى البقاء في نطاق الشرعية مهما كلف الامر ، حتي ولو كان ثمن هذه الشرعية التضحية ببرنامج الحزب وخطته وتقاليده » ( الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي في قراراته — القسم الاول — صفحة ١٢٨ — الطبعة الروسية ) .

ودعا المجلس العام جميع منظمات الحزب الى النضال بحزم ضد محاولات التصفية .

الا ان المنشفيك لم يخضعوا لقرار المجلس ، بل اخذوا ينزلون اكثر

فاكثر في طريق التصفية ، طريق خيانة الثورة ، طريق التقرب من الكاديت .  
كان المنشفيك يتخلون بصورة مفضوحة اكثر فاكثر عن البرنامج الثوري  
للحزب البروليتاري ، عن شعارات الجمهورية الديمقراطية ، ويوم الثماني ساعات ،  
ومصادرة اراضي كبار الملاكين . وكانوا ، بتخليهم عن برنامج الحزب وخطته ،  
يؤمنون الحصول من الحكومة القيصرية على الترخيص بوجود حزب علني ،  
شرعي ، يكون ، رغم كل ذلك ، حزب «عمال» على زعمهم . اي ان المنشفيك  
كانوا مستعدين للتآلف مع النظام الستوليبيني ، والنزول عند مقتضياته . ولهذا  
سمي انصار التصفية ايضاً : «حزب ستوليبيين للعمال» .

وكان البلاشفة ، في الوقت الذي يكافحون فيه خصوم الثورة المفضوحين ،  
اي انصار التصفية — وعلى رأسهم دان و٢ كسلرود و بوتريسوف ،  
ومعهم مارتوف و تروتسكي والمنشفيك الآخرون — يقومون ايضاً  
بنضال لا هوادة فيه ضد انصار التصفية المستترين ، اي ضد «الاورتوفيين» ،  
الذين كانوا يخفون انتهازيتهم تحت جمعة يسارية . وكانت كلمة «اورتوفيين»  
هذه ، تطلق على نفر من قدماء البلاشفة الذين كانوا يلحون في طلب انسحاب  
نواب العمال من مجلس دوما الدولة ووقف كل عمل في المنظمات الشرعية  
بصورة عامة .

ففي سنة ١٩٠٨ ، طلب قسم من البلاشفة استدعاء النواب الاشتراكيين  
الديمقراطيين من مجلس دوما الدولة ، فسموا بالـ «اورتوفيين» (من كلمة  
«اورتوزفات» ، ومعناها : استدعى) ، وكان هؤلاء الأورتوفيون يؤلفون  
كتلة على حدة (قوامها بوغدانوف ، لوناتشارسكي ، اليكسينسكي ،  
بوكروفسكي ، بونوف ، وغيرهم) ، شهرت النضال على لينين وعلى الخطّة  
اللينينية . كانوا يرفضون رفضاً باتاً العمل في نقابات العمال وفي الجمعيات الشرعية  
الآخري ، ملحقين بذلك ضرراً كبيراً بقضية العمال ، وكانوا يسعون الى فصل  
الحزب عن الطبقة العاملة وحرمانه الصلة بالجمهير غير الحزبية ، ويريدون  
الانزواء في المنظمة السرية معرضين الحزب بذلك الى الهلاك ، بتجريده من



امكان الاستفادة من اي ستار شرعي . ولم يكن الاوتزوفيون ليفهموا ان البلاشفة بوجودهم في مجلس دوما الدولة ، وبواسطة هذا المجلس ، يستطيعون التأثير في طبقة الفلاحين ، وفصح سياسة الحكومة القيصرية ، سياسة الكاديت ، الذين كانوا يحاولون جر الفلاحين وراءهم بالغش والحيلة . لقد كان الاوتزوفيون يضايقون حركة تجميع القوى استعداداً للهوض ثوري جديد ، فكانوا اذن من انصار « التصفية عكساً » اي كانوا يسعون الى الحؤول دون استخدام المنظمات الشرعية ، ويتخلون في الواقع عن السياسة القائمة على تأمين قيادة الجماهير غير الحزبية الواسعة ، من قبل البروليتاريا ، اي يتخلون عن العمل الثوري .

وفي سنة ١٩٠٩ ، دعي مجلس تحرير الصحيفة البلشفية بروياتاري الى الانعقاد بهيئته الكاملة للمناقشة في سلوك الاوتزوفيين ، فشجبهم ، واعلن البلاشفة ان ليس ثمة ما يجمعهم بهم ، وطردوهم من المنظمة البلشفية . لم يكن انصار التصفية والاوتزوفيون ، اولاً وآخر ، بالنسبة للبروليتاريا وحزبها ، سوى رفاق طريق من البورجوازيين الصغار . فلما وجدت البروليتاريا في ساعات صعبة عصية ، اظهر انصار التصفية والاوتزوفيون وجههم الحقيقي بكل جلاء ووضوح .



## ٤ - نضال البلاشفة ضد التروتسكية - تأليف كتلة آب ضد الحزب .

بينما كان البلاشفة يقومون بنضال لا هوادة فيه على جبهتين - ضد انصار التصفية وضد الاوتزوفيين - في سبيل خطة حازمة قوية لحزب البروليتاريا ، كان تروتسكي يؤيد المنشفيك انصار التصفية . في تلك السنوات بالضبط ، سماه لينين « تروتسكي : يوذ الصغير ! » . وكان تروتسكي قد نظم في فيينا ( النمسا ) فرقة ادبية ، ونشر جريدة زعم انها « خارج الكتل » ، ولكنها

كانت في الواقع منشيقية . وهاك ما كتب عنه لينين في ذلك العهد : « لقد سلك تروتسكي سلوك اخط الوصولين ودعاة الانقسام ... انه يثرثر عن الحزب ، الا ان سلوكه اسوأ من سلوك جميع دعاة الانقسام الآخرين » .

ونظم تروتسكي فيما بعد ، في عام ١٩١٢ ، كتلة آب التي ضمت كل الجماعات وكل الميول المعادية للبلاشفة ، والموجهة ضد لينين وضد الحزب البلشفي . فاتخذ في هذه الكتلة المعادية للبلشفية ، انصار التصفية والاورتويفيون ، مؤكدين بذلك صلة القرابة التي تؤلف بينهم . وكان تروتسكي والتروتسكيون يفتقون في جميع القضايا الهامة موقف انصار التصفية . الا ان تروتسكي كان يخفي موقفه الداعي الى التصفية تحت قناع الوسطية ، اي تحت قناع الدعوة الى التوفيق والمصالحة . فكان يدعي الوقوف على هامش البلاشفة والمنشفيك ، ويزعم انه يعمل للتوفيق بينهم . وقد قال لينين ، بهذه المناسبة ، ان تروتسكي اخط واشد ضرراً من انصار التصفية المفضوحين ، لانه يخدع العمال بقوله انه « على هامش الكتل » ، مع انه ، في الواقع ، يؤيد المنشفيك ، انصار التصفية ، تأييداً تاماً لا تحفظ فيه . وكانت التروتسكية هي الكتلة الرئيسية الساعية الى تمكين تيار الوسطية .

وقد كتب الرفيق ستالين :

« ان الوسطية هي مفهوم سياسي . ونهجها الفكري يرمي الى تكييف مصالح البروليتاريا حسب مصالح البورجوازية الصغيرة في داخل حزب مشترك واحد ، اي اخضاع مصالح الاولى لمصالح الثانية . ان هذا النهج الفكري غريب عن اللينينية ومناقض لها » . ( ستالين : مسائل اللينينية — صفحة ٣٧٩ — الطبعة الروسية التاسعة ) .

وفي هذا الدور ، كان كامينيف وزينوفيف وريكوف ، في الواقع ، عملاء مقنعين لتروتسكي ، يهونون غالباً لمساعدته ضد لينين . ففي كانون الثاني ١٩١٠ ، عقدت الهيئة الكاملة لاعضاء اللجنة المركزية اجتماعاً ، تواطأ على الدعوة اليه ، خلافاً لارادة لينين ، كل من زينوفيف وكامينيف وريكوف وغيرهم من

حلفاء تروتسكي السريين ، وكان تركيب اللجنة المركزية ، في ذلك العهد ، قد دخل عليه تعديل كبير ، عقيب اعتقال عدد من البلاشفة ، وتمكنت العناصر المترددة من النجاح في التصويت على قرارات مغايرة للبينية . وهكذا تقرر خلال الاجتماع المذكور ، توقيف نشر الجريدة البلشفية **بروليتاري** ، وتقديم مساعدة مالية لجريدة **برافدا** التي كان يصدرها تروتسكي في فينا . وقد دخل كامينيف في هيئة تحرير جريدة تروتسكي ، وكان في نيته ، هو وزينوفيف ، جعل تلك الوريقة لسان حال اللجنة المركزية .

ولم يتخذ اجتماع اللجنة المركزية هذا ، قراراً بشجب تيار التصفية و **الاورتوفية** ، الا بعد الحاح شديد من لينين . ولكن في هذه المرة ايضاً ، ايد زينوفيف وكامينيف اقتراح تروتسكي القائل بعدم تسمية انصار التصفية باسمهم الحقيقي .

وحدث ما توقعه لينين ، وما كان يدعو الى التحفظ منه : وهو ان البلاشفة خضعوا وحدهم لقرار اللجنة المركزية ، فتوقفوا عن نشر جريدتهم **بروليتاري** ، بينما تابع المنشفيك اصدار جريدتهم **غولوس سوسيال ديموكراتا** ( صوت الاشتراكي الديموقراطي ) التي كانت صحيفة انقسامية لانصار التصفية .

وقد ايد الرفيق ستالين موقف لينين دون تحفظ ، ونشر في العدد ١٢ من جريدة **الاشتراكي الديموقراطي** ، مقالا حول هذه القضية شجب فيه موقف اعوان التروتسكية ، واكد ضرورة تسوية الحالة غير الطبيعية التي نشأت في داخل الفرقة البلشفية ، نتيجة لسلوك الخيانة الذي سلكه كامينيف وزينوفيف وريكوف . وكان المقال يعين المهمات المباشرة التي تم تحقيقها فيما بعد ، في مجلس الحزب العام المنعقد في براغ ، وهي : عقد مجلس عام للحزب ، ونشر جريدة علنية ، وانشاء مركز عملي سري للحزب في روسيا . وكان مقال الرفيق ستالين مستوحى من قرارات لجنة باكو التي كانت تؤيد لينين بلا تحفظ .

ولاجل احباط كتلة آب ، التي كان تروتسكي يوجهها ضد الحزب ويجمع

فيها العناصر المناوئة للحزب ، من انصار التصفية الترتيبيين الى الاوتزوفيين و « بتائي الله » ، أنشئت كتلة تضم انصار المحافظة على حزب البروليتاريا الاشتراكي وتوطيده ، ودخل فيها البلاشفة وعلى رأسهم لينين ، ومعهم عدد صغير من « المنشفيك الحزبيين » وعلى رأسهم بليخانوف . وكان هذا الاخير وجماعته « المنشفيك الحزبيون » ، رغم بقائهم على المواقف المنشفيكية فيما يختص بسلسلة من القضايا ، قد انفصلوا بحزم عن كتلة آب وعن انصار التصفية ، وسعوا الى التفاهم مع البلاشفة . فقبل لينين اقتراح بليخانوف ، وتكمل معه مؤقتاً ضد العناصر المناوئة للحزب . وكان سلوك لينين مبنياً على اقتناعه بان كتلة من هذا النوع فيها فائدة للحزب واضعاف لانتصار التصفية .

وقد ايد الرفيق ستالين هذه الكتلة تأييداً تاماً ، وكان اذ ذاك في المنفى ، فكتب في رسالة الى لينين يقول :

« في رأيي ان خطة الكتلة ( كتلة لينين — بليخانوف ) هي الخطة الصحيحة الوحيدة : اولاً ، لانها وحدها توافق مصالح العمل الحقيقية في روسيا ، هذه المصالح التي تتطلب تجميع كل العناصر الامينة حقاً للحزب . ثانياً ، لانها وحدها ايضاً ، تعجل في تحرر المنظمات الشرعية من نير انصار التصفية ، اذ تحفر هوة بين العمال المنشفيك وانصار التصفية ، وتبعثر هؤلاء وتخطهم » . (مقتطفات من لينين وستالين — الجزء الاول — صفحة ٥٢٩ ، ٥٣٠ — الطبعة الروسية ) .

وقد استطاع البلاشفة بفضل حسن التوفيق بين العمل السري والعمل الشرعي ، ان يصبحوا قوة ذات وزن في منظمات العمال الشرعية . ومن جملة الشواهد على ذلك ، التأثير البالغ الذي أحدثه البلاشفة في جماعات العمال في اربعة مؤتمرات شرعية انعقدت في ذلك العهد — وهي مؤتمر الجامعات الشعبية ، ومؤتمر النساء ، ومؤتمر اطباء المعامل ، ومؤتمر حركة مقاومة المشروبات الكحولية — فكان لخطابات البلاشفة في تلك المؤتمرات ، اهمية سياسية كبرى وصدى بعيد في البلاد بأسرها . فقد فضح وفد العمال البلاشفة الذي تكلم في مؤتمر الجامعات

الشعبية ، سياسة القيصريّة التي كانت تخنق كل عمل ثقافي ، واجتهد في التذليل على انه لا يمكن الوصول الى نهوض ثقافي حقيقي في البلاد الا بتصفية القيصريّة. وشرح وفد العمال الذي اشترك في مؤتمر الاطباء ، الشروط الفظيعة المغايرة للصحة التي كان العمال مضطرين الى العمل والحياة في ظلها . واختتم مستنجاً انه لا يمكن تنظيم العناية الطبية في المعامل بصورة صالحة ، دون قلب النظام القيصري .

وهكذا حل البلاشفة ، شيئاً فشيئاً ، محل انصار التصفية في مختلف المنظمات الشرعية التي ظلت حية . وسمحت لهم خططهم المبتكرة ، خطة الجبهة الموحدة مع جماعة بليخانوف الائمة للحزب ، بالاستيلاء على عدد من منظمات العمال المنشفيكية ( في حي فيبورغ ، في ييكاترينوسلاف ، الخ ... )  
لقد اظهر البلاشفة في هذه المرحلة الصعبة ، كيف ينبغي الجمع بين العمل الشرعي والعمل الاشرعي .



## ٥ - المجلس العام للحزب في براغ عام ١٩١٢ - البلاشفة يجتمعون في حزب ماركسي مستقل .

كان النضال ضد انصار التصفية والاورتوفيين ، ومثله النضال ضد التروتسكيين ، يضع امام البلاشفة مهمة ملحة ، هي جمع البلاشفة في كل موحد لكي يتألف منه حزب بلشفي مستقل . كان ذلك من الضرورات الحاسمة ، اولاً : لكي يتخلص الحزب من التيارات الانتهازية التي كانت تقسم صفوف الطبقة العاملة ، وثانياً : لاتمام جمع قوى الطبقة العاملة وتثبيتها لنهوض ثوري جديد .

على انه كان ينبغي ، للقيام بهذه المهمة ، البدء بتطهير الحزب من الانتهازيين ، من المنشفيك .

ولم يكن احد من البلاشفة ، في ذلك الحين ، يساوره الشك في ان وجودهم

جنباً الى جنب ، مع المنشفيك ، في حزب واحد ، اصبح امراً مستحيلاً . لان سلوك الحياة الذي اتجهه المنشفيك في اثناء دور الرجعية الستوليينية ، والمحاولات التي قاموا بها لتصفية الحزب البروليتاري وتنظيم حزب جديد اصلاحي ، كل ذلك كان يجعل الانفصال عنهم امراً لا مناص منه ولا سيما ان البلاشفة ، ببقائهم في حزب واحد مع المنشفيك ، كانوا يحملون ، باشكال مختلفة ، المسؤولية المعنوية لسلوك هؤلاء . فصار اذن من المستحيل على البلاشفة ان يتحملوا ، بعد الان ، المسؤولية المعنوية لحياة المنشفيك المفضوحة ، اذا كانوا لا يريدون ان يصحوا هم انفسهم خونة للحزب والطبقة العاملة . لان الوحدة مع المنشفيك ، في نطاق حزب واحد ، كانت تتحول على هذا الشكل ، الى خيانة لقضية الطبقة العاملة وحزبها . فبات من الضروري اذن اكمال القطيعة مع المنشفيك ، والسير بهذه القطيعة حتى الانفصال الرسمي والعضوي ، اي طرد المنشفيك من الحزب .

كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لتكوين حزب البروليتاريا الثوري ، تكويناً جديداً ، يصبح فيه ذا برنامج موحد وخطة موحدة ومنظمة طبقية موحدة .

كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لاعادة الوحدة الحقيقية ( لا الوحدة الصورية المحضة ) الى الحزب ، تلك الوحدة التي هدمها المنشفيك .

وكان على المجلس العام السادس للحزب ، الذي هيأه البلاشفة ، ان ينجز هذه المهمة .

ولكن هذه المهمة ، لم تكن سوى وجه واحد للمسألة . فان قطع الصلات رسمياً مع المنشفيك ، وتكوين البلاشفة في حزب مستقل ، كانا يمثلان دون ادنى ريب مهمة سياسية ذات اهمية قصوى . غير انه كان امام البلاشفة مهمة اخرى ، اهم شأنًا . فالمسألة لم تكن لتقتصر على قطع العلاقة مع المنشفيك . وتأليف حزب مستقل وحسب ، بل كانت المسألة الهامة الكبرى هي ان يصار ، بعد قطع العلاقة مع المنشفيك ، الى انشاء حزب جديد ، حزب من طراز

جديد ، مختلف عن الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية العادية المعروفة في الغرب ، حزب متطهر من العناصر الانتهازية ، وقادر على قيادة البروليتاريا الى النضال من اجل الاستيلاء على الحكم .

وكان جميع المنشفيك ، دون تفريق في اللون ، من اكسلرود ومارتينوف الى مارتوف وتروتسكي ، يستخدمون في نضالهم ضد البلاشفة ، سلاحاً واحداً استعاروه من الاشتراكيين الديمقراطيين في اوروبا الغربية . فكانوا يريدون في روسيا حزباً كالحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني او الفرنسي مثلاً . ولم يكونوا في الحقيقة يكافحون البلاشفة ، الا لانهم كانوا يرون فيهم شيئاً جديداً وغير مألوف ، يمتازون به عن الاشتراكيين الديمقراطيين في الغرب . فكيف كانت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في الغرب ؟ كانت خليطاً من عناصر ماركسية وانتهازية ، من اصدقاء الثورة وخصومها ، من انصار الفكرة الحزبية ومناوئها ، وكان الفريق الاول يتصالح شيئاً فشيئاً مع الفريق الثاني في الميدان الفكري ، ثم ينتهي الامر في الواقع بخضوع الفريق الاول شيئاً فشيئاً للفريق الثاني . وكان البلاشفة يسألون الاشتراكيين الديمقراطيين في اوروبا الغربية : باسم ماذا تريدون التفاهم والمصالحة مع الانتهازيين ، مع خونة الثورة ؟ فكانوا يجيبون : باسم « السلام في داخل الحزب » ، باسم « الوحدة » . ويسأل البلاشفة من جديد : ولكن مع من تريدون الوحدة ، مع الانتهازيين ؟ فيأتي الجواب : اجل ، مع الانتهازيين . وهكذا كان من الواضح الجلي ، ان احزاباً من هذا الطراز لم يكن من الممكن ان تكون احزاباً ثورية !

ولم يكن ليعزب عن نظر البلاشفة ، ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربية ، كانت قد بدأت تتحول بعد موت المجلس ، من احزاب تعمل للثورة الاجتماعية ، الى احزاب تعمل فقط من اجل « اصلاحات اجتماعية » . ولم يكن ليفوتهم ان كل حزب من هذه الاحزاب ، قد انقلب ، من حيث كيانه التنظيمي ، من قوة قائدة ، الى ذيل لكتلته البرلمانية نفسها .

ولم يكن البلاشفة يجهلون ان حزبا من هذا النوع لا بد ان ينزل اضرارا جسيمة بالبروليتاريا ، وانه عاجز عن قيادة الطبقة العاملة الى الثورة .

لم يكن البلاشفة يجهلون ان البروليتاريا بحاجة الى حزب آخر ، جديد ، حزب ماركسي حقيقي ، يقف موقفا صارما لا هوادة فيه من الانتهازين ، وموقفا ثوريا من البورجوازية ، حزب متلاحم الصفوف ومتراص كالصخر ، يكون حزب الثورة الاجتماعية ، حزب ديكتاتورية البروليتاريا .

هذا هو الحزب الجديد الذي كان البلاشفة يسعون اليه ، ويعملون على تهيمته وبنائه . وان كل تاريخ النضال الذي شهروه ضد «الاقتصاديين» ، والمنشفيك ، والتروتسكيين ، والاوزوفيين والمثاليين من كل لوب ، بما فيهم انصار المذهب النقدي التجريبي ، لم يكن سوى تاريخ تكوين حزب مثل هذا الحزب . كان البلاشفة يطمحون الى خلق حزب جديد بلشفي ، يكون غودجا لجميع الراغبين في ان يكون لهم حزب ماركسي ثوري حقيقي . وقد عملوا في سبيل انشائه منذ عهد جريدة ايسكورا القديمة ، وكانوا يعدون العدة له بصلافة وعناد ، رغم كل شيء وضد كل شيء . ويعود فضل القيام بالدور الاساسي الحاسم في هذا العمل التحضيري ، الى لينين ومؤلفاته ومنها : **ما العمل ؟ وخطتان** ، الخ .. فقد ساعد كتاب لينين **ما العمل ؟** على اعداد هذا الحزب فكرياً . وساعد كتابه **خطوة الى امام** ، **خطوتان الى الوراء** على اعداد هذا الحزب تنظيمياً . واثاح كتابه **خطتان للاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية** ، اعداد هذا الحزب سياسياً . كما ان كتابه **المادية والمذهب النقدي التجريبي** اتاح اعداد الحزب نظوريا .

ويمكن القول ، بكل تأكيد ، ان ليس في التاريخ بعد ، كتلة سياسية أعدت عدتها لتكوين في حزب ، باحسن مما أعدت الكتلة البلشفية . فكان ، اذن ، امر تكوين الحزب ، شيئاً جاهزاً ، يبلغ النضج الكامل ، وكانت مهمة المجلس العام السادس للحزب هي تتويج ذلك العمل المهيأ ، بطرد المنشفيك وتأليف الحزب الجديد ، الحزب البلشفي .



انعقد المجلس العام ( الوطني ) السادس للحزب في براغ ، في كانون الثاني ١٩١٢ . وكانت أكثر من عشرين منظمة ممثلة فيه . فكانت أهميته في الواقع بأهمية مؤتمر للحزب .

وقد جاء في بلاغ المجلس العام الذي أعلن إعادة إنشاء جهاز الحزب المركزي ، أي تأليف اللجنة المركزية ، أن سنوات الرجعية كانت أصعب سنوات قضاها الحزب ، منذ تكوين الاشتراكية الديمقراطية بروسيا في شكل تنظيمي . على أنه بالرغم من جميع أعمال الاضطهاد ، بالرغم من الضربات القاسية التي أتت من خارج الحزب ، بالرغم من خيانة الانتهازيين وتقلبهم في داخل الحزب ، بالرغم من كل ذلك ، حافظ حزب الطبقة العاملة على علمه وعلى منظمته . ثم أضاف البلاغ : « ليس علم الاشتراكية الديمقراطية الروسية وبرنامجه ومبادئه الثورية وحدها باقية ، بل باقية أيضا منظماتها ، منظماتها التي استطاعت أعمال الاضطهاد أن تؤذيها وأن تضعفها ، ولكنها لم تستطع تدميرها » .

وقد نوه المجلس بأولى علائم النهوض الجديد في حركة العمال بروسيا ، وبعودة عمل الحزب إلى نشاطه . وبناء على تقارير المندوبين ، تبين للمجلس أنه « يجري في كل مكان عمل حازم في القاعدة ، بين العمال الاشتراكيين الديمقراطيين ، لاجل توطيد المنظمات والكتل الاشتراكية الديمقراطية اللاشرعية » .

وتبين للمجلس أن أعضاء القاعدة ، في كل مكان ، قد أقرروا المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الخطة البلشفية إبان دور التراجع ، وهو مبدأ الجمع بين العمل اللاشرعي والعمل الشرعي في مختلف اتحادات العمال وجمعياتهم الشرعية . وانتخب مجلس براغ لجنة مركزية بلشفية للحزب ، دخل فيها لينين وستالين وأورجونيكيديزه وسفردولوف وسبانديريان وغيرهم . وقد انتخب الرفيقتان ستالين وسفردولوف ، اللذان كانا إذ ذاك في المنفى ، عضوين في اللجنة المركزية رغم غيابهما . وانتخب الرفيقتان كالينين عضوا رديفا .

وانشئ مركز عملي لقيادة النشاط الثوري في روسيا ( سمي بالمكتب الروسي للجنة المركزية ) وضع على رأسه الرفيق ستالين . وقد ضم هذا المكتب ايضا كلا من ج . سفردلوف و س . سباندريان و س . اورجونيكيديزه و م . كالينين .

وقد استعرض مجلس براغ كل نضال البلاشفة السابق ضد الانتهازية ، وقرر طرد المنشفيك من الحزب .

وبعد ما تم ذلك ، كرس المجلس وجود الحزب البلشفي في كيان مستقل .

على ان البلاشفة ، بعد ما تغلبوا على المنشفيك في الميدانين الفكري والتنظيمي ، وبعد ما طردوهم من الحزب ، احتفظوا بعلم الحزب القديم ، باسمه : « حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا » . ولهذا ظل الحزب البلشفي حتى عام ١٩١٨ يدعى بهذا الاسم ، مضافاً اليه ، بين هلالين ، كلمة « بلشفيك » .

وقد كتب لينين الى غوركي ، في اوائل ١٩١٢ ، عن نتائج مجلس براغ ، يقول :

« لقد نجحنا اخيراً ، رغم سفالات انصار التصفية ، في بناء الحزب و لجنته المركزية من جديد . ولي الامل بان تشاطرنا سرورنا » . ( لينين - المؤلفات الكاملة - الجزء التاسع والعشرون - صفحة ١٩ - الطبعة الروسية ) .

وقد وصف الرفيق ستالين ، فيما بعد ، اهمية مجلس براغ بالعبارات التالية : « كانت لهذا المجلس اهمية عظمى في تاريخ حزبنا ، من حيث انه وضع خطأ فاصلاً بين البلاشفة والمنشفيك ، وجمع كل المنظمات البلشفية في البلاد في حزب بلشفي واحد » . ( محضر جلسات المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي « البلشفيك » في الاتحاد السوفياتي ، الصفحة ٣٦١ - ٣٦٢ ، الطبعة الروسية ) .

وبعد طرد المنشفيك ، وتأليف البلاشفة في حزب مستقل ، اصبح هذا

الحزب اقوى واشد . الحزب يقوى بتطهيره من العناصر الانتهازية : ذلك هو احد شعارات الحزب البلشفي ، هذا الحزب الذي يمتاز بانه من طراز جديد ، وبانه يختلف اختلافاً اساسياً من حيث مبادئه نفسها عن احزاب الاممية الثانية . فقد كانت احزاب الاممية الثانية ، التي تسمى نفسها ، بالكلام فقط ، احزاباً ماركسية ، تتسامح في الواقع بان يكون في صفوفها خصوم للماركسية هم الانتهازيون المفضوحون ، وكان من جراء ذلك ان تركتهم يثيرون التفسخ في قلب الاممية الثانية وان يقتلوها . اما البلاشفة فقد قاموا ، على العكس من ذلك ، بنضال لا هوادة فيه ضد الانتهازين ، وطهروا حزب البروليتاريا من دنس الانتهازية ، وتوصلوا الى خلق حزب من طراز جديد ، حزب لينيني ، هو الحزب الذي تمكن فيما بعد من تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا .

فلو بقي الانتهازيون في صفوف حزب البروليتاريا ، حزب البلاشفة ، لما استطاع هذا الحزب ان يخرج الى الطريق الفسيح وان يحجر وراءه البروليتاريا ، ولما استطاع الاستيلاء على السلطة وتنظيم ديكتاتورية البروليتاريا ، بل لما استطاع الخروج منتصراً من الحرب الاهلية ، ولما استطاع بناء الاشتراكية . لقد صاغ مجلس بواغ ، في قراراته ، برنامج الحد الأدنى للحزب ، الذي يتضمن الشعارات السياسية الرئيسية المباشرة ، وهي : جمهورية ديموقراطية ، ثماني ساعات عمل في اليوم ، مصادرة جميع اراضي كبار ملاكي الاراضي . على اساس هذه الشعارات الثورية ، قام البلاشفة بحملتهم الانتخابية لدوما الدولة الرابعة .

وعلى اساس هذه الشعارات تقدم وتعظم النهوض الجديد في حركة جماهير العمال الثورية ، من ١٩١٢ الى ١٩١٤ .

# الخلاصة

كانت الفترة الممتدة بين عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢ ، من المراحل التي كان العمل الثوري فيها محفوفاً بصعوبات كبيرة . فبعد اندحار الثورة ، وفي الوقت الذي كانت فيه الحركة الثورية في هبوط ، والجمهير في حالة ضنك واعياء ، بدل البلاشفة خطتهم منتقلين من النضال المباشر ضد القيصرية ، الى الطرق الملتوية . وهكذا استثمروا في ظروف الرجعية الستوليبينية القاسية ، اقل الامكانيات الشرعية ( من جمعيات التأمين والنقابات ، الى منبر الدوما ) للاحتفاظ بصلتهم مع الجماهير . وكان البلاشفة يعملون بلا كلل لحشد القوى استعداداً لنهوض الحركة الثورية من جديد .

في تلك الظروف القاسية التي اوجدها اندحار الثورة ، وما رافقها من ظهور التفسخ في تيارات المعارضة ، وخيبة الامل في الثورة ، واشتداد حملات التحريف التي شنّها المثقفون المنفصلون عن الحزب ( من امثال بوغدانوف وبازاروف وغيرهما ) ضد اسس الحزب النظرية ، في تلك الظروف ، كان البلاشفة القوة الوحيدة التي لم تنكس علم الحزب ، وكانوا الوحيدين الذين ظلوا امناً لبرنامج الحزب وردوا هجمات « ناقدتي » النظرية الماركسية ( مؤلف لينين : **المادية والمذهب النقدي التجويبي** ) . وبما ساعد النواة البلشفية الاساسية التي كانت ملتفة حول لينين ، على صيانة الحزب ومبادئه الثورية ، هو تفهمها الصحيح للفكرة الماركسية اللينينية ، وانصارها المتين بتلك الفكرة ، وادراكها العميق لاهداف الثورة . فكان لينين يقول : « ليس بدون سبب قيل عنا : اننا صامدون كالصخر » .

وقد تخلى المنشفيك ، شيئاً فشيئاً ، عن الثورة في ذلك العهد ، وصاروا من انصار التصفية ، يلحون في طلب تصفية حزب البروليتاريا الثوري اللاشعري والغائه ، ويتنكرون بصورة مفضوحة متعاطفة لبرنامج الحزب واهدافه وشعاراته الثورية . وقد حاولوا تنظيم حزب خاص بهم ، حزب 'اصلاحي' ،

فاطمت عليه العمال اسم « حزب ستوليين للعمال » . وايد تروتسكي انصار  
التصفية ، متستراً ، براء ونفاق ، وراء شعار « وحدة الحزب » ، الذي كان  
يعني في الواقع الوحدة مع انصار التصفية .

ومن جهة اخرى ، اخذ بعض البلاشفة الذين لم يفهموا ضرورة اقتباس  
طرق جديدة ، ملتوية ، في النضال ضد القيصرية ، يطالبون بالتخلي عن  
استخدام الامكانيات الشرعية ، ويلحون في طلب استدعاء نواب العمال من  
مجلس دوما الدولة . فسموا بالاوزوفيين . وكانوا يدفعون الحزب الى  
الانفصال عن الجماهير ، ويضايقون حركة تجميع القوى ، حركة الاستعداد  
لنهوض ثوري جديد . اي ان هؤلاء الاوزوفيين الذين تستروا بعبارات  
يسارية ، كانوا يتخلون عن النضال الثوري ، شأنهم في ذلك شأن انصار التصفية .  
وقد ألف الفريقان معاً — الاوزوفيون وانصار التصفية — كتلة ضد لينين ،  
عرفت بكتلة آب ، نظمها تروتسكي .

غير ان البلاشفة في نضالهم ضد انصار التصفية والاوزوفيين ، وفي نضالهم  
ضد كتلة آب ، احرزوا الغلبة ، وانقذوا حزب البروليتاريا اللاشعري .  
وكان الحدث الهام الذي ميز هذه المرحلة ، هو انعقاد المجلس العام لحزب  
العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا ، في مدينة براغ ، في كانون الثاني  
١٩١٢ . فقد طرد هذا المجلس الاعضاء المنشفيك من الحزب ، وبذلك وضع  
حداً نهائياً للوحدة الرسمية التي كانت تجمع بين البلاشفة والمنشفيك في حزب  
واحد . وفي هذا المجلس ، تقرر ان يجتمع البلاشفة وحدهم في حزب مستقل ،  
بعد ما كانوا كتلة سياسية ، وسمي الحزب الجديد بـ « حزب العمال الاشتراكي  
الديموقراطي (البلشفي) في روسيا » . وهكذا سجل مجلس براغ ولادة حزب  
من طراز جديد ، حزب اللينينية ، الحزب البلشفي .

وان ما حققه مجلس براغ من تطهير حزب البروليتاريا من العناصر  
الانتهازية ، اي من المنشفيك ، لعب دوراً هاماً ، دوراً حاسماً ، في تطور  
الحزب والثورة فيما بعد . فلوان البلاشفة لم يطردوا من الحزب العناصر  
المنشفيكية ، الانتهازية ، الخائنة لتضية الطبقة العاملة ، لما استطاع حزب العمال  
في عام ١٩١٧ ، ان يثير الجماهير ويدفعها الى الظفر بديكتاتورية البروليتاريا .

## الفصل الخامس

الحزب البلشفي في سني نهوض حركة العمال  
على اعتاب الحرب الاستعمارية الاولى.  
( ١٩١٢ - ١٩١٤ )

•

### ١ - نهوض الحركة الثورية من ١٩١٢ - ١٩١٤

لم يكن ظفر الرجعية الستوليينية طويل الامد . فان حكومة لا تتوي اعطاء الشعب سوى السوط والمشنقة ، لا يمكن ان تكون حكومة متينة . لقد اصبح القمع والارهاب امراً مألوفاً الى درجة ان الشعب لم يعد يحشاه . وبدأ يتبدد شيئاً فشيئاً الاعياء الذي استولى على العمال خلال السنين الاولى من اندحار الثورة . واخذ العمال يهبون الى النضال من جديد . وصحت نبوءة البلاشفة بان لا مناص من نهوض ثوري جديد . فمذ ١٩١١ ، تجاوز عدد العمال المضربين المائة الف ، في حين لم يبلغ هذا العدد في الاعوام السابقة سوى خمسين او ستين الفاً . ومنذ كانون الثاني ١٩١٢ ، يتن مجلس الحزب العام ، المنعقد في براغ ، ان النشاط ينبعث من جديد في حركة العمال . غير ان النهوض الحقيقي في الحركة الثورية لم يبدأ الا في نيسان وايار ١٩١٢ ، حين تفجرت الاضرابات السياسية الجماهيرية على اثر وقوع مجزرة عمال الـ « لينا » .

ففي ٤ نيسان ١٩١٢ ، في اثناء الاضراب في مناجم الذهب الواقعة على نهر

اللينا ، بسبيريا ، قتل او جرح ، بامر من احد ضباط الدرك القيصري ، اكثر من ٥٥ عامل من عمال المناجم العزل ، بينما كانوا ذاهبين يهدوء للقيام بمفاوضات مع الادارة . فقامت البلاد وقعدت بأسرها لهول المجزرة . وقد ارتكبت الاوتوقراطية القيصرية هذه الجريمة الجديدة النكراء لارضاء الرأسماليين الانكليز اصحاب مناجم الذهب في اللينا ، ولكسر الاضراب الاقتصادي الذي اعلنه عمال المناجم . وكان الرأسماليون الانكليز وشركاؤهم الروس ، يحنون من هذه المناجم ارباحاً فاحشة فاضحة — تبلغ اكثر من سبعة ملايين روبل في السنة الواحدة — عن طريق استئثار العمال بشكل فظيع بحجل . اذ كانوا يدفعون لهم اجوراً نافية ، ويطعمونهم مواد غذائية عفنة فاسدة . وقد ضاق العمال ذرعاً بأعمال الجور والتضييق والاهانة ، فاعلنوا الاضراب ، وكانت عددهم ستة آلاف .

وقد ردت البروليتاريا على مجزرة اللينا، باضرابات ومظاهرات واجتماعات عامة جماهيرية جرت في بطرسبرج وموسكو ، وفي جميع المراكز والمناطق الصناعية .

وقد جاء في قرار اتخذته العمال في مجموعة من المشاريع ما يلي : « كان ذهلنا ودهشتنا عظيمين ، حتى اننا لم نستطع للهواة الاولى ايجاد الكلمات اللازمة للتعبير عما يحالنا . وما كان احتجاجنا ، مهما بلغ ، ليستطيع ان يكون سوى صدى ضعيف للغليان الذي كان يهدر في صدر كل منا . فلا الدموع ولا الاحتجاجات بمجدية شيئاً ! ان النضال الجماهيري المنظم وحده يمكن ان ينقذنا » .

وقد تعاطفت غضبة العمال الصاخبة ، حينما صرح الوزير القيصري ماكاروف ، بكل قحة ولؤم ، في رده على سؤال من الكتلة الاشتراكية الديمقراطية في دوما الدولة ، عن مجزرة اللينا ، بقوله : « هكذا كان ، وهكذا سيكون دائماً ! » . وقد بلغ عدد المشتركين في الاضرابات السياسية التي قامت احتجاجاً على مذبح اللينا الدامية ، ثلاثمائة الف .

كانت ايام اللينا كعاصفة ، قلبت رأساً على عقب ، جو « النهضة » الذي خلقه نظام ستوليين .

وهاك ما كتبه الرفيق ستالين بهذا الصدد في ١٩١٢ ، في الصحيفة البلشفية « زفيزدا » ( النجمة ) ، الصادرة في بطرسبرج :

« ان تطلقات النار التي دوت على ضفاف اللينا ، قد حطمت جليد الصمت ، فتعرك نهر الحركة الشعبية وسار ! وهو يسير !... ان كل ما في النظام الحاضر من شر وسوء ، وكل ما تحملته روسيا الشهيذة ، قد تجمع باسره في واقع واحد : في حوادث اللينا . ولهذا كانت تطلقات النار في اللينا بمثابة اشارة البداية لقيام الاضرابات والمظاهرات » .

عبثا سعى انصار التصفية والتروتسكيوث الى وأد الثورة . فقد بينت حوادث اللينا ان القوى الثورية ما زالت حية ، زاهرة بالحياة ، وان كتلة هائلة من الطاقة الثورية قد تكدست في الطبقة العاملة . وقد حركت اضرابات اول ايار ١٩١٢ ، اكثر من ٤٠٠ الف عامل ، وارتدت طابعا سياسيا بارزا ، وجرت تحت شعارات البلاشفة الثورية ، وهي : الجمهورية الديمقراطية ، يوم الثاني ساعات ، مصادرة جميع اراضي كبار الملاكين . وكانت هذه الشعارات الاساسية لاستهداف توحيد جماهير العمال الواسعة وحسب ، بل جماهير الفلاحين والجنود ايضا ، لتحقيق الهجوم الثوري على الاوتوقراطية .

وقد كتب لينين ، مقالا بعنوان « النهوض الثوري » ، قال فيه :  
« ان الاضراب العظيم الذي اعلنته البروليتاريا في روسيا ، خلال شهر ايار ، ومظاهرات الشوارع التي رافقته والمنشورات الثورية والخطب الثورية التي القيت امام جموع العمال ، بينت بشكل جلي باهر ان روسيا قد دخلت مرحلة نهوض في الثورة » ( لينين — المؤلفات المختارة — المجلد ١ — صفحة ٦٥٤ ) .

غير ان القلق ساور انصار التصفية من جراء روح العمال الثورية ، فأخذوا



يقاومون النضال الاضرابي ، وينعتونه بـ « كلب اضرابي » . وكان في نية انصار التصفية وحليفهم تروتسكي ، الاستعاضة عن نضال البروليتاريا الثوري ، بـ « حملة عرائض » . فطفقوا يدعون العمال الى توقيع ورقة ، « عريضة » او مضبطة ، تتعلق بـ « حقوقهم » ( مثل الغاء القيود عن النقابات وعن الاضرابات ، الخ .. ) ، لارسالها الى دوما الدولة ! ولكن انصار التصفية ، لم يتمكنوا من جمع اكثر من ١٣٠٠ توقيع ، بينما كان مئات الالوف من العمال قد التفوا حول الشعارات الثورية التي وضعها البلاشفة .

كانت الطبقة العاملة تنهج الطريق الذي خطه البلاشفة .

اما وضع البلاد الاقتصادي ، في تلك المرحلة ، فكان يتمثل في اللوحة التالية :

منذ ١٩١٠ ، عقب فترة الركود الصناعي ، حركة انتعاش وتطور في الانتاج ، شملت الصناعات الرئيسية . فان انتاج حديد الصب ( الفونت ) الذي بلغ في ١٩١٠ ، ١٨٦ مليون بود ( البود الواحد يعادل ١٦٣٨ كيلوغرام ) ، وفي ١٩١٢ ، ٢٥٦ مليوناً ، ارتفع في ١٩١٣ الى ٢٨٣ مليون بود . كما ان استخراج الفحم الذي بلغ في ١٩١٠ ، ١٥٢٢ مليون بود ، ارتفع في ١٩١٣ الى ٢٢١٤ مليوناً .

وتبعاً لنمو الصناعة الرأسمالية ، كان عدد البروليتاريا يتعاظم بسرعة ، وكان تطور الصناعة يتميز بتركز الانتاج باستمرار في المشروعات الكبيرة ، والكبيرة جداً . فالمشروعات الكبيرة ( ٥٠٠ عامل وما فوق ) التي كانت في ١٩٠١ ، لا تضم سوى ٤٦٧ بائنة من مجموع العمال ، اصبحت في ١٩١٠ تضم ما يقرب من ٥٤ بائنة منهم ، اي اكثر من نصف مجموع العمال : وهو تركز صناعي لم يسبق له مثيل . اذ ان المشروعات الكبيرة ، حتى في بلد صناعي بالغ التطور كالولايات المتحدة ، لم تكن تشغل في ذلك العهد ، الا ثلث مجموع العمال تقريباً .

وكان من جراء نمو البروليتاريا وتركزها في المشروعات الكبيرة ، مع

وجود حزب ثوري الى جانبها كالحزب البلشفي ، ان اصبحت الطبقة العاملة في روسيا قوة عظيمة في حياة البلاد السياسية . وكانت اشكال الاستنار البرورية التي يقاسيها العمال في المشروعات الصناعية ، مضافاً اليها نظام الارهاق البوليسي الذي كان يطبقه زبانية القيصر ، تطبع كل اضراب هام بطابع سياسي . وكانت تشابك النضال الاقتصادي والنضال السياسي ينفخ في الاضرابات الجماهيرية ، بأساً ثورياً خارقاً .

كان عمال بطرسبرج البواسل يسرون في طليعة الحركة العاملة الثورية ، ثم تأتي ولايات البلطيق ، فموسكو ومنطقتها ، فحوض الفولغا وروسيا الجنوبية . وفي ١٩١٣ ، امتدت الحركة الى البقاع الغربية ، وبولونيا ، والقفقاس . وقد جاء في التقارير الرسمية ان عدد المضربين في ١٩١٢ بلغ ٧٢٥ ألفاً ، ولكن ثمة معلومات اوفى تؤكد ان هذا العدد تجاوز المليون . وأشارت التقارير الرسمية ايضاً الى ان عدد المضربين في ١٩١٣ ، بلغ ٨٦١ ألفاً ، في حين ان معلومات اوفى ذكرت انه بلغ مليوناً و٢٧٢ ألفاً . اما عدد العمال الذين اشتركوا في الاضرابات خلال الاشهر الستة الاولى من عام ١٩١٤ ، فقد ناهز المليون ونصف المليون .

وهكذا كان النهوض الثوري في ١٩١٢ — ١٩١٤ ، واتساع حركة الاضرابات ، يقربان البلاد من الوضع الذي عرفته في بداية ثورة ١٩٠٥ .

كانت الاضرابات الثورية الجماهيرية التي تقوم بها البروليتارياتهم الشعب بأسره . فقد كانت موجة ضد الاوتوقراطية ، ولذا كانت تنال عطف الاكثية الساحقة من سكان البلاد الكادحين . اما اصحاب المعامل والمصانع ، فكانوا ينتقمون من العمال المضربين باقفال معاملهم وتسريح العمال بالجملة . ففي ١٩١٣ ، طرح الرأسماليون الى الشارع ، في منطقة موسكو ، ٥٠ ألفاً من عمال النسيج . وفي اذار ١٩١٤ ، طردوا في بطرسبرج ، خلال يوم واحد ، ٧٠ ألف عامل . وكان عمال المشروعات والصناعات الاخرى ، يهبون الى مساعدة رفاقهم المضربين او المسرحين ، فيجمعون لهم مبالغ مالية كبيرة ، واهحياناً يضربون

تضامناً معهم .

وكان نهوض حركة العمال ، والاضرابات الجماهيرية ، تحرك جماهير الفلاحين ايضاً ، وتجذبها الى النضال . فقد اندفع الفلاحون من جديد الى النضال ضد كبار الملاكين ، وخربوا املاك النبلاء ومزارع الكولاك . وبلغ عدد الحركات التي قام بها الفلاحون من عام ١٩١٠ الى ١٩١٤ ، اكثر من ١٣ الف حركة .

وبدأت الاعمال الثورية في الجيش ايضاً . ففي ١٩١٢ انفجرت حركة تمرد مسلحة بين جيوش تركستان . وبدأت تبشير انتفاضات ثورية في اسطول البلطيق وفي سيبياستوبول .

وكانت حركة الاضرابات الثورية والمظاهرات ، التي يقودها الحزب البلشفي ، تدل على ان الطبقة العاملة لم تكن تناضل من اجل مطالب جزئية ، ولا من اجل « اصلاحات » ، بل في سبيل تحرير الشعب من القيصرية . وهكذا كانت البلاد سائرة نحو ثورة جديدة .

وكان لينين قد غادر في صيف ١٩١٢ مدينة باريس ، وانتقل الى غاليسيا ( احدى ولايات النمسا القديمة ) ، واستقر فيها ليكون على مقربة من روسيا . وقد عقد هناك ، برئاسته ، مجلسان عامان حضرهما اعضاء اللجنة المركزية والمناضلون المسؤولون : عقد الاول في اواخر ١٩١٢ في كراكوفي ، والثاني في خريف ١٩١٣ في قرية « بورونينو » ، على مقربة من كراكوفي . واتخذت في هذين الاجتماعين ، قرارات حول القضايا الاساسية لحركة العمال : النهوض الثوري ، الاضرابات ومهام الحزب ، تقوية المنظمات اللامركزية ، الكتلة الاشتراكية الديمقراطية في الدوما ، صحافة الحزب ، حملة الضمانات .



## ٢ - الجريدة البلشفية برفادا -

الكتلة البلشفية في دوما الدولة الرابعة .

كانت البرافدا ( الحقيقة ) ، الصحيفة البلشفية اليومية الصادرة في

بطرسبرج ، سلاحاً قوياً في ايدي الحزب البلشفي ، استخدمه في توطيد منظّماته وتوسيع نفوذه بين الجماهير . وقد أسست بناء على ارشادات لينين وبمساعي ستالين والمينسكي وبوليتايف . وقد ولدت البرافدا بوصفها جريدة عمال جماهيرية في الوقت نفسه الذي بدأ فيه النهوض الجديد في حركة العمال . وصدر العدد الاول منها في ٢٢ نيسان ١٩١٢ ( الموافق له ايار على الحساب الجديد ) ، فكان صدوره عيداً حقيقياً لدى العمال . ولاجل تخليد ذكرى صدور البرافدا اعلن يوم ٥ ايار ، يوم عيد لصحافة العمال .

وكان البلاشفة ، قبل صدور البرافدا ، يصدرّون صحيفة اسبوعية تدعى زفيزدا ، موجهة الى العمال المتقدمين . وقد قامت زفيزدا بدور كبير خلال ايام اللينا ، فنشرت سلسلة مقالات سياسية حارة بقلم لينين وستالين ، كان من شأنها تعبئة الطبقة العاملة للنضال . غير ان الحزب البلشفي لم يكن ليستطيع ، في ظروف النهوض الثوري ، ان يكتفي بصحيفة اسبوعية ، فكان لا بد من جريدة يومية جماهيرية ، موجهة الى اوسع جماعات العمال . وكانت البرافدا هي تلك الجريدة .

كان شأن البرافدا في تلك المرحلة ، خارق الاهمية . فقد كانت تكسب الى البلشفية ، الجماهير الواسعة من الطبقة العاملة . ولم يكن باستطاعتها ، في ذلك الجو من الاضطهاد البوليسي المستمر ، وفي ظل الغرامات والمصادرات التي كانت تتعرض لها بسبب نشرها مقالات ورسائل لا تروق قلم المراقبة ، ان تعيش الا بتأييد فعلي نشيط من عشرات الالوف من العمال المتقدمين . ولم يكن بإمكانها ان تدفع الغرامات الباهظة جداً التي كانت تفرض عليها ، الا بفضل الاكتتابات الجماهيرية التي كانت تجري بين العمال . وغالباً كان قسم كبير من اعداد البرافدا التي تمنعها الحكومة ، يصل رغم ذلك الى القراء ، اذ ان جماعات من طليعة العمال ، كانوا يأتون ليلاً الى المطبعة وينقلون حزمًا من اعداد الجريدة .

وقد عطلت الحكومة القيصرية البرافدا ( الحقيقة ) ، ثماني مرات ، خلال

سنتين ونصف السنة . غير انها كانت ، بفضل تأييد العمال ، تعود كل مرة الى الصدور باسم جديد يذكر باسمها الاول ، مثلاً : في سنيل الحقيقة ، طويق الحقيقة ، حقيقة العمل .

وبينما كان متوسط ما يوزع من البوافدا في اليوم الواحد ، اربعين الف نسخة ، كان مجموع ما يصدر من جريدة المنشيك اليومية لوتش ( شعاع النور ) ، لا يتجاوز الـ ١٥ او الـ ١٦ الفاً .

كان العمال يعتبرون البوافدا جريدتهم انفسهم ، ويبدون نحوها ثقة كبيرة ويظهرون بالغ الاهتمام بكل ما تقوله لهم . وكانت كل نسخة منها ، اذ تمر من يد الى يد ، تُقرأ من عشرات الاشخاص ، فتكثّر وعيهم الطبقي ، وتثقفهم وتنظمهم وتدعوهم الى النضال .

### ماذا كانت تقول البوافدا ؟

كان في كل عدد منها عشرات من رسائل العمال تتحدث عن حياتهم ، وعن الاستئثار الوحشي وعما يقاسونه من اعمال جور وارهاق ينزلها بهم الرأسماليون ومديروهم ونظارهم . فكانت تلك الرسائل لوائح اتهام ، عنيفة ، لاذعة ، ضد النظام الرأسمالي . ولم يكن من النادر الوقوع ، في حقول البوافدا ، على اخبار عن انتحار عمال عاطلين عضهم الجوع وفقدوا كل امل في ايجاد عمل . كانت البوافدا تبسط حاجات العمال ومطالبهم في مختلف المعامل والصناعات ، وتروي ما يقومون به من نضال في سبيل هذه المطالب . وكان كل عدد تقريباً يشير الى الاضرابات التي تنشب في مختلف المشروعات . وعند نشوب اضرابات هامة ، طويلة الامد ، كانت الجريدة تنظم المساعدة للمضربين ، بفتح اكتتابات بين عمال الصناعات والمشروعات الاخرى . وكانت الاموال التي تجمع من اجل المضربين ، تبلغ في بعض الاحيان ، عشرات الالوف من الروبلات ، وهو مبلغ هائل بالنسبة لذلك العهد ، خصوصاً اذا علمنا ان اكثرية العمال لم تكن تتقاضى يومئذ سوى ٧٠ الى ٨٠ كوبيك في اليوم ( الروبل يساوي ١٠٠ كوبيك — ملاحظة من هيئة التعريب ) . وعلى هذه الصورة

كان يجري تثقيف العمال بروح التضامن البروليتاري ووحدة المصالح فيما بينهم. ولدى وقوع اي حادث سياسي ، ولدى كل انتصار او كل اندحار ، كان العمال يسارعون الى ارسال بيانات ورسائل واحتجاجات ، السخ ... الى البرافدا . وكانت البرافدا ، في مة إلانها ، تلقي النور على اهداف حركة العمال وفقاً لوجهة نظر بلشفية حازمة . ولما كانت الجريدة علنية شرعية ، لم يكن في استطاعتها ان تدعو بصورة مكشوفة الى القضاء على القيصرية وقلبها ، فكانت تلجأ الى التلميح . غير ان العمال الواعين كانوا يدركون جيداً هذه التلميحات ويشرحونها للجماهير . فلما كانت البرافدا تتكلم مثلاً عن « مطالب ١٩٠٥ كاملة غير منقوصة » ، كان العمال يفهمون انها تقصد شعارات البلاشفة الثورية اي : قلب القيصرية ، والجمهورية الديموقراطية ، ومصادرة اراضي كبار الملاكين ، ويوم الثاني ساعات .

ان البرافدا هي التي نظمت عمال الطليعة في اثناء انتخابات الدوما الرابعة ففضحت موقف الخيانة الذي وقفه المنشفيك ، الذين كانوا من دعاة التفاهم مع البورجوازية الحرة ، ومن انصار « حزب ستوليين للعمال » ، ودعت العمال الى منح اصواتهم لانصار « مطالب ١٩٠٥ كاملة غير منقوصة » ، اي للبلاشفة . وكانت الانتخابات تجري على عدة درجات . ففي البداية تقوم اجتماعات العمال بانتخاب وكلاء ، ثم يقوم هؤلاء الوكلاء بانتخاب « الناخبين » . واخيراً يشترك هؤلاء الناخبون في انتخاب نائب العمال لمجلس الدوما . وقد نشرت البرافدا ، في يوم الانتخاب ، قائمة اسماء البلاشفة الذين عينوا كناخبين ، واوصت العمال بالتصويت لهم . ولم يمكن نشر تلك القائمة مسبقاً ، لكيلا يتعرض المرشحون لخطر الاعتقال .

كانت البرافدا تساعد على تنظيم نضال البروليتاريا . ففي ربيع ١٩١٤ ، جرى في بطرسبرج تسريح عدد كبير من العمال اذ اقلل اصحاب العمل معاملهم . ولما لم يكن الظرف ملائماً لاعلان اضراب جماهيري ، دعت البرافدا العمال الى الاخذ باشكل نضال أخرى : اجتماعات جماهيرية في المصانع ،

مظاهرات في الشوارع . ولم يكن من الممكن الافصاح عن ذلك صراحة في الجريدة . على ان العمال الواعين الذين قرأوا مقال لينين المنشور تحت هذا العنوان المتواضع : « حول اشكال حركة العمال » ، ادرکوا دعوة البرافدا ولبوها . وقد جاء في المقال المذكور ان من الواجب في الوقت الحاضر ، الاستعاضة عن الاضراب بشكل ارقى من اشكال حركة العمال ، وكان معنى ذلك ، الدعوة الى تنظيم اجتماعات عامة ومظاهرات .

وهكذا كان نشاط البلاشفة الثوري الاشرعي يسير جنباً الى جنب مع اعمال التحريض الشرعية ومع جهود البرافدا لتنظيم جماهير العمال .

كانت الجريدة لا تقتصر فيما تكتبه على حياة العمال والاضرابات والمظاهرات ، بل كانت تلقي الضوء بصورة مستمرة منظمة على حياة الفلاحين وما يقاسونه من قحط المواسم ، والاستئثار الذي يعانونه من الاقطاعيين ، ونهب المزارعين الكولاك لاهسن اراضي الفلاحين ، وما الى ذلك من النتائج الوخيمة التي ادى اليها « اصلاح » ستوليين . وكانت البرافدا تبين للعمال الواعين كم في الارياف من مواد قابلة للاشتعال ، متراكمة بكميات هائلة . وكانت توضح للبروليتاريا ان مهمات ثورة ١٩٠٥ لم يتم تحقيقها ، وان ثورة جديدة تقترب . وتقول ان على البروليتاريا ان تسلك في هذه الثورة الثانية سلوك الزعيم الحقيقي ، سلوك القائد للشعب ، وانه سيكون لديها ، في هذه الثورة ، حليف عظيم هو جموع الفلاحين الثورية .

اما المنشفيك ، فكانوا يودون ان تصرف الطبقة العاملة عن التفكير في الثورة . وعلى هذا كانوا يحاولون ان يوحوا الى العمال ان : كفوا عن التفكير في الشعب والمجاعات التي تقتك بالفلاحين ، وفي سيطرة غلاة الرجعيين الاقطاعيين على الارض ! لا تناضلوا الا من اجل « حرية التكتل » ، وقدّموا « عرائض » بهذا الشأن الى الحكومة القيصرية ! وكان البلاشفة يوضحون للعمال ان هذه الدعاوة المنشفيكية القائلة بالتخلي عن الثورة ، وبالتخلي عن التحالف مع جماهير الفلاحين ، انما تخدم مصلحة البورجوازية ، وان العمال لا محالة منتصرون على

القيصرية اذا هم جذبوا الى جانبهم جماهير الفلاحين بوصفها خليفة لهم ، وان  
الرعاة المضالين ، من امثال المنشيك ، يجب ان ينبذوا كاعداء للثورة .

ماذا كانت تقول البرافدا في صفحتها الخاصة بـ « حياة الفلاحين » ؟

لنذكر على سبيل المثال بعض الرسائل التي نشرتها عام ١٩١٣ :

جاء في رسالة من سمارة بعنوان « مسائل زراعية » ان ٤٥ فلاحاً من قرية  
« نوفوكاس — بولات » ، في قضاء بوغولينسك ، اتهموا بمقاومة الموظف  
المكلف باعمال المساحة في اثناء قيامه بتعيين الاجزاء التي يجب اقتطاعها من  
الاراضي المشاعية لاعطائها للفلاحين المنسحبين من المشاع ، فحكم على عدد كبير  
منهم بالسجن لمدة طويلة .

وذكرت رسالة صغيرة من منطقة بسكوف ، ان فلاحي قرية بسيتسا  
( الواقعة على مقربة من محطة سكة حديد زافالييه ) ، قاوموا بالسلاح حرس  
الارباب ، فوقع عدد من الجرحى . اما اصل النزاع فيعود الى خلافات  
زراعية . وقد ارسل على جناح السرعة رجال من الحرس الى بسيتسا ، كما  
توجه الى مكان الحادث نائب الحاكم والنائب العام .

وردت رسالة من ولاية اوفانبا عن بيع حصص من اراضي الفلاحين ،  
وبينت كيف ان قحط الموسم واحكام القانون الذي يميز الانسحاب من  
المشاعات الريفية ، قد زادت في عدد الفلاحين الذين فقدوا ارضهم . وقد  
اوردت الرسالة كمثل على ذلك ، ما وقع في قرية بوريسوفكا . فان هذه  
القرية تعد ٢٧ عائلة ويبلغ مجموع املاكها ٥٤٣ دسياتين من الاراضي الصالحة  
للزراعة ( الدسياتين يساوي ١٠٠٩٦ هيكتار ) وقد كان من نتائج قحط  
الموسم وما نتج عنه من بؤس ومجاعة ، ان باع خمسة من الفلاحين ، بصورة  
نهائية ، ٣١ دسياتين من ارضهم ، بسعر يتراوح بين ٢٥ و ٣٣ روبل  
للدسياتين الواحد ، في حين ان ثمن الارض يساوي ثلاثة او اربعة اضعاف هذه  
القيمة . وفي القرية نفسها ، اضطرت سبع عائلات الى رهن ١٧٧ دسياتين من  
ارضها ، فنالت مقابلها ١٨ الى ٢٠ روبل للدسياتين الواحد ، بفائدة قدرها ١٢



بالمئة ، لمدة ست سنوات . فاذا اخذنا بعين الاعتبار درجة فقر السكان ونسبة الفائدة الفاحشة ، امكن القول بكل تأكيد ان نصف الـ ١٧٧ دسياتين ، سينتقل حتما الى ايدي المرابين . اذ ليس من المحتمل ان يتمكن حتى نصف المديونين ، من وفاء مبلغ كبير كهذا خلال ست سنوات .

هذا وقد كتب لينين مقالا في **البوافدا** تحت عنوان « ملكية النبلاء الكبيرة على الارض و ملكية الفلاحين الصغيرة في روسيا » ، بين فيه بوضوح للعمال والفلاحين ، مقدار الثروات الارضية الشاسعة التي يسيطر عليها الملاكون الطفيليون . فثلاثون الفا من كبار الملاكين يملكون وحدهم ما يقرب من ٧٠ مليون دسياتين من الارض اي ما يعادل المساحات التي تملكها ١٠ ملايين عائلة من عائلات الفلاحين . وعلى هذا يكون متوسط ما يملكه كل ملاك كبير ٢٣٠٠ دسياتين ، في حين لا يتجاوز متوسط نصيب العائلة الواحدة من الفلاحين ، بما في ذلك الكولاك ، ٧ دسياتين فقط . فضلا عن ان ثمة خمسة ملايين عائلة من صغار الفلاحين ، اي نصف مجموع الفلاحين ، لا تملك الواحدة منها اكثر من دسياتين واحد او اثنين . وهكذا كانت هذه الوقائع تبين بوضوح تام ان السبب الرئيسي الاول لما يقاسيه الفلاحون من بؤس وقحط ومجاعة ، هو الملكية الكبيرة للارض ، ملكية النبلاء ، هو بقايا القنانة التي لم تكن جماهير الفلاحين لتستطيع التحرر منها الا بثورة تقودها الطبقة العاملة . وكانت **البوافدا** تدخل الى الارياف ، عن طريق العمال الذين لهم روابط بالقرى ، فتوقظ فلاحي الطليعة الى النضال الثوري .

في اثناء مرحلة انشاء **البوافدا** ، كانت المنظمات الاشتراكية الديمقراطية الاشعرية بكليتها بين ايدي البلاشفة . اما اشكال التنظيم الشرعية ( العلنية ) - ككتلة مجلس الدوما ، والصحافة ، وصناديق التأمين ، والتقابات - فلم يكن قد تم انتزاعها بعد تماما ، من المشفيك . ولذا وجب على البلاشفة ان يشهروا نضالا لا هوادة فيه لطرد انصار التصفية من المنظمات الشرعية للطبقة العاملة ، وقد تكال هذا النضال بالنجاح بفضل **البوافدا** .

وكانت البرافدا في مركز النضال من اجل فكرة الحزب ، من اجل  
اعادة بناء حزب العمال ، ثوري وجماهيري فكانت 'تكدّل' المنظمات الشرعية  
حول المراكز السرية للحزب البلشفي ، وتوجه حركة العمال نحو هدف واضح  
الخطوط ، هو اعداد العدة للثورة .

وكان لدى البرافدا عدد هائل من المراسلين بين العمال . فقد نشرت في  
غضون سنة واحدة ، اكثر من ١١ الف رسالة من العمال . غير انها لم تكن  
تعتمد على المكاتبات والمراسلات وحدها لتوطيد صلاتها مع جماهير العمال .  
فان كثيراً من عمال مختلف المشروعات كانوا يأتون كل يوم الى مكاتب تحرير  
الجريدة . وهناك كان يتم قسم هام من عمل الحزب التنظيمي : هناك كانت  
تجري المقابلات مع ممثلي خلايا (١) الحزب المحلية ، والى هناك كانت ترد  
الاخبار عن عمل الحزب في المعامل والمصانع ، ومن هناك كانت ترسل تعليمات  
لجنة الحزب في بطرسبرج وتعليمات اللجنة المركزية .

ان النضال العنيد الحازم طوال سنتين ونصف السنة ، ضد انصار التصفية ،  
وفي سبيل اعادة بناء حزب العمال ، ثوري وجماهيري ، سمح للبلاشفة بان يجمعوا ،  
في اوائل صيف ١٩١٤ ، حول الحزب البلشفي ، حول الخططة « البرافدية » ،  
اربعة احماس العمال النشيطين في روسيا . يشهد بذلك المثال التالي : من  
مجموع ٧٠٠٠ فرقة من فرق العمال التي قامت في اثناء عام ١٩١٤ بجمع  
مساعداً لصحف العمال ، ٥٦٠٠ فرقة جمعت المساعداً للصحافة البلشفية ،  
و ١٤٠٠ فرقة فقط للصحافة المنشفيكية . وبالمقابل ، كان لدى المنشفيك عدد  
كبير من « الاصدقاء الاغنياء » في اوساط البورجوازية الحرة والمثقفين  
البورجوازيين ، فكانوا يقدمون اكثر من نصف المبالغ اللازمة لصدور  
جريدة المنشفيك .

وكان يطلق على البلاشفة اذ ذاك ، اسم « البرافديين » ، وكان ينمو ويكبر  
مع البرافدا جيل كامل من البروليتاريين الثوريين ، الذين حققوا فيما بعد ثورة

(هيئة التعريب)

(١) خلايا : جمع خلية ، او « فرقة »

اوكتوبر الاشتراكية . وكان يسير وراء البرافدا عشرات ومئات الالوف من العمال في صفوف متراصة . وعلى هذا النحو ، تمّ في سنوات النهوض الثوري ( من ١٩١٢ الى ١٩١٤ ) وضع الاسس المتينة لحزب بلشفي جماهيري ، تلك الاسس التي لم ينبجج الاضطهاد القيصري في هدمها خلال الحرب الاستعمارية .

« ان البرافدا في عام ١٩١٢ ، وضعت الاسس لانتصار البلشفية في عام ١٩١٧ » ( ستالين ) .

وكانت للحزب هيئة شرعية اخرى ، يتناول نشاطها مجموع روسيا ، هي كتلة البلاشفة في دوما الدولة .

ففي ١٩١٢ ، اعلنت الحكومة القيصرية عزمها على اجراء انتخابات للدوما الرابعة . وكان حزبنا يعلق اهمية كبرى على الاشتراك في هذه الانتخابات : اذ ان الكتلة الاشتراكية الديمقراطية في الدوما ، وجريدة البرافدا ، كانتا ابرز نقطتي ارتكاز شرعيتين يعتمد عليهما الحزب البلشفي في عمله الثوري بين الجماهير ، في نطاق روسيا كلها .

وقد اشترك الحزب البلشفي في انتخابات الدوما باستقلال تام ، بشعاراته الخالصة ، مسدداً ضرباته في وقت واحد الى احزاب الحكومة والى البورجوازية الحرة ( الكاديت ) . وكانت شعارات البلاشفة في الحملة الانتخابية هي : الجمهورية الديمقراطية ، ويوم الثامن ساعات ، ومصادرة اراضي كبار الملاكين .

وجرت انتخابات الدوما الرابعة في خريف ١٩١٢ . وقد ساء الحكومة ما رآته من سير الانتخابات في بطرسبرج ، فحاولت في اوائل تشرين الاول ، خرق حقوق العمال الانتخابية في عدة مصانع هامة . وفي الحال ، قامت لجنة حزبنا في بطرسبرج ، جواباً على ذلك ، وبناء على اقتراح الرفيق ستالين ، بدعوة عمال المشروعات الكبرى الى اعلان اضراب ٢٤ ساعة . فاضطرت الحكومة ، وقد وجدت نفسها في موقف حرج ، الى التراجع ، وهكذا تسنى للعمال ان ينتخبوا من يشاءون . فصوتوا باكثريتهم الساحقة لكتاب «التفويض» الموجه

للوكلاء وللنائب ، وهو « التفويض » الذي كتبه الرفيق ستالين . وكان كتاب « التفويض » الموجه من عمال بطرسبرج الى نائبيهم العامل ، يشير الى مهمات ١٩٠٥ التي لم تتحقق ، وبما جاء فيه :

« اننا نعتقد ان روسيا هي على اعتاب حركات جماهيرية ، قد تكون اشد عمقاً من حركات ١٩٠٥ ... وسيكون لولب هذه الحركات ، كما كانت الحال في ١٩٠٥ ، الطبقة التي هي اكثر الطبقات تقدماً في المجتمع الروسي ، اي البروليتاريا الروسية . اما حليفتها ، فلا يمكن ان تكون سوى جماهير الفلاحين المعذبة ، التي لها مصلحة حيوية في تحرير روسيا . »

وكان كتاب « التفويض » يعلن ايضاً ان نضال الشعب المقبل ينبغي ان يأخذ شكل نضال على جبهتين : ضد الحكومة القيصرية ، وضد البورجوازية الحرة التي تسعى الى التفاهم مع القيصرية .

وكان لينين يعلق اهمية كبرى على كتاب « التفويض » الذي كان يدعو العمال الى النضال الثوري . وقد لبى العمال في قراراتهم هذه الدعوة .

وحين جرى الانتخاب ، فاز فيه البلاشفة ، وارسل عمال بطرسبرج الرفيق بادايف ليمثلهم في الدوما .

وكان العمال قد صوتوا بمعزل عن جماعات السكان الاخرى ( اي صوتوا فيما كان يسمى « مرتبة العمال » ) . وكان عدد نواب تلك المرتبة تسعة ، فاز بينهم ستة من اعضاء الحزب البلشفي هم : بادايف ، بيتروفسكي ، مورانوف ، صمويلوف ، شاغوف ، وما لينوفسكي ( الذي انتصح فيما بعد انه كان جاسوساً ) . وقد جرى انتخاب النواب البلاشفة في المراكز الصناعية الكبرى التي كانت تضم اربعة احماس الطبقة العاملة على الاقل . على ان ثمة نواباً من انصار التصفية جرى انتخابهم خارج مرتبة العمال . فكان عدد انصار التصفية في المجلس سبعة ، مقابل ستة بلاشفة . وفي بادئ الامر ، الف البلاشفة وانصار التصفية ، كتلة اشتراكية ديموقراطية واحدة في الدوما . ولكن النواب البلاشفة ، بعد كفاح شديد ضد انصار التصفية الذين كانوا يعرفون نضال البلاشفة الثوري ، اعلنوا

في شهر تشرين الاول ١٩١٣ ، بناء على تعليمات اللجنة المركزية للحزب ، انسحابهم من الكتلة الاشتراكية الديمقراطية الموحدة ، وانشأوا كتلة بلشفية مستقلة .

كان النواب البلاشفة يلقون في الدوما خطباً ثورية يفضحون فيها النظام الاوتوقراطي ، ويستجوبون الحكومة عما يلاقيه العمال من قمع واضطهاد وعما يقاسونه من استثمار الرأسماليين الوحشي .

وكان البلاشفة يتكلمون ايضاً عن القضية الزراعية ، وكانت خطبهم تدعو جماهير الفلاحين الى النضال ضد اقطاعي الارض ، وتفضيح حزب الكاديت الذي كان يعارض بصراحة شعار مصادرة اراضي النبلاء وتوزيعها على الفلاحين .

وقد وضع البلاشفة امام الدوما ، اقتراح قانون عن يوم الثامن ساعات ، فقابله ذلك المجلس ، الخاضع لسيطرة طغمة « المائة السود » ، بالرفض طبعاً .

ولكن كان لتقديم ذلك الاقتراح قيمة كبيرة جداً من الناحية التحريضية .

وكانت كتلة البلاشفة في الدوما ، على اتصال وثيق بلجنة الحزب المركزية ، وبلينين الذي كان يزودها بارساداته . وكانت ستالين هو الذي يشرف على قيادتها العملية في اثناء وجوده في بطرسبرج .

ولم يكن النواب البلاشفة يقتصرون في عملهم على ما يقومون به في الدوما ، بل كانوا يبذلون نشاطاً واسعاً خارج المجلس ايضاً . فكانوا يذهبون الى المعامل والمصانع ، ويزورون مراكز العمال في البلاد ، فيلقون المحاضرات ، وينظمون اجتماعات سرية يشرحون خلالها قرارات الحزب ، وينشئون منظمات جديدة للحزب . وهكذا كان النواب يوفقون بحكمة وبراعة بين العمل الشرعي العلني ، والعمل اللاشعري السري .

•

### ٣ — انتصار البلاشفة في المنظمات المشروعة — تقدم جديد في الحركة الثورية — على اعتاب الحزب الاستعمارية

اعطى الحزب البلشفي ، في ذلك العهد ، امثلة عن قيادة نضال البروليتاريا

الطبقي بجميع أشكاله ومظاهره . فكان ينشئ منظمات سرية ، ويصدر نشرات لا شرعية ، ويقوم بعمل ثوري سري بين الجماهير . وفي الوقت نفسه ، كان يستولي شيئاً فشيئاً على مختلف المنظمات المشروعة ( ١ ) للعمال ، ويعمل جاداً للظفر بالنقابات وبيوت الشعب والجامعات المسائية والنوادي ومؤسسات الضمان . وكان انصار التصفية يستخدمون ، منذ زمن طويل ، هذه المنظمات المشروعة كملجأ لهم . فاشهر البلاشفة نضالاً غنيداً حازماً لتحويل الجمعيات المشروعة الى نقاط ارتكاز لحزبنا . واستطاعوا ، بفضل الجمع بين العمل الشرعي والعمل اللاشرعي بشكل ذكي ، ان يكسبوا الى جانبهم أكثرية النقابات في العاصمة . وقد احرزوا انتصاراً باهراً في ١٩١٣ ، اثناء انتخابات الهيئة الادارية لنقابة عمال المعادن في بطرسبرج : فمن مجموع ثلاثة آلاف عامل حضروا الاجتماع الانتخابي ، لم يصوت لانصار التصفية سوى ١٥٠ عاملاً تقريباً .

ويصح القول نفسه عن هيئة مشروعة اخرى ، هي الكتلة الاشتراكية الديمقراطية في دوما الدولة الرابعة . فرغم ان المنشفيك كان لهم في الدوما سبعة نواب ، في حين ان البلاشفة لم يكن لهم سوى ستة نواب فقط ، فان النواب المنشفيك السبعة ، المنتخبين بصورة رئيسية في غير مناطق العمال ، كانوا يمثلون الا خمس الطبقة العاملة على اكبر تقدير ، في حين ان النواب البلاشفة الستة ، المنتخبين في أهم المراكز الصناعية ( بطرسبرج ، موسكو ، ايفانوفو — فوزنيسانسك ، كوستروما ، ييكاتيرينوسلاف ، خاركوف ) ، كانوا يمثلون اكثر من اربعة اخماس الطبقة العاملة في البلاد . ولذا كان العمال يعتبرون ان نوابهم هم البلاشفة الستة ( اي بادايف وبتروفسكي والآخرين ) ، لا السبعة المنشفيك .

واذا كان البلاشفة قد نجحوا في الاستيلاء على المنظمات المشروعة ، فذلك لأنهم ، رغم وحشية الاضطهاد القيصري ، ورغم الحملة النكراء التي شنّها عليهم

( هيئة التمريب )

( ١ ) : مشروعة او شرعية ، اي علنية .

انصار البصفيه والتروتسكيون ، عرفوا ان يحافظوا على الحزب اللاشعري وان يوطدوا نظاماً (١) حازماً في صفوفهم ، ولأنهم كانوا يدافعون بشجاعة عن مصالح الطبقة العاملة ، ومتصلين اتصالاً وثيقاً بال جماهير ، ويقومون بنضال لا هوادة فيه ضد اعداء حركة العمال .

هذا هو السبب في ان انتصار البلاشفة واندحار المنشفيك كانا يتطوران على طول الخط في المنظمات المشروعة . ففي ميدان التحريض من على منبر مجلس الدوما ، وكذلك في ميدان صحافة العمال والمنظمات المشروعة الاخرى ، كان المنشفيك يُطرحون الى وراء و يُردّون الى الصفوف الخلفية . فان الطبقة العاملة ، في اندفاعها مع الحركة الثورية ، كانت تلتف بشكل واضح جلي حول البلاشفة ، وتبذ المنشفيك .

وكانت الطامة الكبرى للمنشفيك ، انهم افلسوا في القضية القومية . فقد كانت الحركة الثورية النامية في اطراف (٢) روسيا ، تتطلب برنامجاً واضحاً في هذا الميدان . ولكن تبين ان المنشفيك ليس لديهم اي برنامج ، اذا استثنينا مطلب « الاستقلال الذاتي الثقافي » الذي كان ينادي به « البوند » ، وهو مطلب لم يكن يرضي اي احد . وهكذا اتضح ان البلاشفة وحدهم لديهم برنامج ماركسي في القضية القومية ، برنامج صاغه الرفيق ستالين في مقاله « الماركسية والمسألة الوطنية » ، ولينين في مقالته : « حول حق الامم في التصرف بنفسها » و« ملاحظات انتقادية في المسألة الوطنية » .

لذلك لم يكن من المستغرب ابداً ، بعد كل ما منيت به المنشفيه من فشل واندحار ، ان تداعي كتلة آب وتهار . فان هذه الكتلة ، المؤلفة من عناصر متنافرة غير متجانسة ، لم تقوَ على مقاومة اندفاع البلاشفة فانحلت وتفككت . فهي وقد اُنشئت لمحاربة البلاشفة ، لم تلبث ان نفسخت تحت ضرباتهم ، فانسحب

( هيئة التمريب )

(١) : Dicipline ديسيبلين .

( هيئة التمريب )

(٢) : حيث العديد من القوميات :

منها بادی الامر انصار جريدة « فيريود » ( ١ ) ( بوغدانوف ولوناشارسكي وغيرهما ايضاً ) ، ثم انقض عنها الليتونيون ، واخيراً تفرق الباقون . وبعد ما اندحر انصار التصفية في نضالهم ضد البلاشفة ، استنجدوا بالامية الثانية . فلبت هذه دعوتهم ، وتحت ستار «التوفيق» بين البلاشفة وانصار التصفية ، وبمحجة اقرار «السلام في داخل الحزب» ، طلبت من البلاشفة ان يكفوا عن انتقاد السياسة الانتهازية التفاهمية التي يנהجها انصار التصفية . ولكن البلاشفة ابوا التساهل في هذا الموضوع ، ورفضوا الانصياع للقرارات التي اتخذتها الامية الثانية الانتهازية ، ولم يتراجعوا قيد شعرة عن مواقفهم . ما كان انتصار البلاشفة في المنظمات المشروعة ، ولا كان من الممكن ان يكون ، وليد الصدفة . وذلك اولاً لانهم كانوا اصحاب نظرية ماركسية صحيحة وبرنامج واضح الخطوط وحزب بروليتاري ثوري صهرته المعارك . ومن ثم لان هذا الانتصار كان تعبيراً عن نهوض الثورة المستمر المطرد .

لقد كانت الحركة الثورية تتسع وتقدم باطراد بين العمال ، وهي تكتسح المدن والمناطق . وحين اقبل عام ١٩١٤ ، لم تهدأ اضرابات العمال ، بل على العكس ، اتسعت وازدادت شدة ، وراحت تجر في تيارها عدداً اكبر فاكبر من العمال . ففي ٩ كانون الثاني ، بلغ عدد العمال المضربين ٢٥٠ ألفاً ، منهم ١٤٠ ألفاً في بطرسبرج وحدها . وفي اول ايار ، تجاوز عدد المضربين نصف المليون ، بينهم اكثر من ٢٥٠ ألفاً في بطرسبرج . وقد اظهر المضربون صلابه بخارفة للعادة . ففي مصنع اوبوخوف في بطرسبرج ، دام الاضراب اكثر من شهرين ، وفي مصنع لسنر ، اكثر من ثلاثة اشهر . وادت حوادث التسمم التي وقعت بين جماهير العمال في سلسلة من معامل بطرسبرج ، الى اضراب ١١٥ ألف عامل ، وتبع الاضراب مظاهرات . وهكذا كانت الحركة تكبر وتتعاظم ، حتى بلغ عدد العمال الذين اضرَبوا خلال النصف الاول من عام ١٩١٤ ( حتى اوائل تموز ) ١٤٢٥،٠٠٠ عامل .

( هيئة التعريب )

( ١ ) : فيريود : الى الامام .



واعلن عمال النفط في باكو ، في شهر ايار ، اضراباً عاماً اثار انتباه البروليتاريا في روسيا بأسرها . وقد جرى الاضراب بنظام . وفي ٢٠ حزيران ، تظاهر ٢٠ الف عامل في شوارع باكو . فالتحذت الشرطة تدابير وحشية . وعلى الاثر ، انفجر الاضراب في موسكو احتجاجاً وتضامناً مع عمال باكو ، ثم امتد الى بقية المناطق .

وفي ٣ تموز عقد في بطرسبرج ، في مصنع بوتيلوف ، اجتماع عام بشأن اضراب باكو . فاطلقت الشرطة النار على العمال فاشتد الغليان بين صفوف البروليتاريا في العاصمة . وفي اليوم الثاني ، ٤ تموز ، اضراب ٩٠ الف عامل اضراباً احتجاجياً تلبية لنداء لجنة الحزب في بطرسبرج . وفي ٧ تموز بلغ عدد المضربين ١٣٠ الفاً ، ثم ارتفع الى ١٥٠ الفاً في ٨ تموز ، فالى ٢٠٠ الف في ١١ تموز .

كانت جميع المصانع في غليان ، والاجتماعات العامة والمظاهرات تتوالى في كل مكان . حتى تطور الامر الى اقامة المتاريس . وكانت مثل هذه الحالة قائمة ايضاً في باكو ولودز . وفي كثير من الاماكن ، اطلقت الشرطة النار على العمال . وعمدت الحكومة ، لسحق الحركة ، الى اعلان تدابير «استثنائية» ، فحولت العاصمة الى شبه معسكر . وصدر قرار بتعطيل البرافدا .

غير ان قوة جديدة ذات صبغة دولية — هي الحرب الاستعمارية — برزت اذ ذاك على المسرح ، ولم تلبث ان غيرت مجرى الامور . وكان رئيس الجمهورية الفرنسية ، بوانكاريه ، قد وصل الى بطرسبرج في اثناء الحوادث الثورية في تموز ، لمباحثة القيصر في امر الحرب الوشيكة الوقوع . وبعد ايام اعلنت المانيا الحرب على روسيا . فانتهزت الحكومة القيصرية هذه المناسبة لسحق المنظمات البلشفية ، وقمعت حركة العمال . وهكذا انتقطع نهوض الثورة بفعل الحرب العالمية ، هذه الحرب التي كانت الحكومة القيصرية تأمل ان تنقذها من الثورة .

## الخلاصة

خلال سنوات النهوض الثوري الجديد (من ١٩١٢ الى ١٩١٤) ، وقف الحزب البلشفي على رأس حركة العمال وقادها تحت شعارات البلاشفة نحو ثورة جديدة . وقد عرف الحزب ان يجمع بين العمل اللاشعري والعمل الشرعي . وبعدها نجح في تحطيم مقاومة انصار التصفية واصدقائهم التروتسكيين والاتروفيين ، استولى على جميع اشكال الحركة الشرعية ، وجعل من المنظمات المشروعة نقاط ارتكاز لنشاطه الثوري .

وخلال النضال ضد اعداء الطبقة العاملة وعمالهم في داخل حركة العمال ، وطد الحزب صفوفه ووسع صلاته مع الطبقة العاملة . وقد استطاع الحزب ، باستخدامه ، الى اقصى حد ، منبر الدوما للقيام بالتحريض الثوري ، وبانشائه صحيفة جماهيرية رائعة للعمال هي البوافدا ، ان ينجب جيلاً جديداً من العمال الثوريين الذين عرفوا باسم « البرافدين » . وقد ظلت هذه الفصائل من العمال ، طوال سنوات الحرب الاستعمارية ، امينة لعلم الامة والثورة البروليتارية . وهذه الفصائل هي التي كونت نواة الحزب البلشفي في ايام ثورة اكتوبر ، عام ١٩١٧ .

كان الحزب هو الذي يقود نضال الطبقة العاملة الثوري على اعتاب الحرب الاستعمارية . وهذه المعارك ، معارك الطليعة ، التي انتقطت بسبب الحرب ، اندلعت من جديد بعد ثلاث سنوات ، في سبيل القضاء على القيصرية . وقد دخل الحزب البلشفي مرحلة الحرب الاستعمارية ، تلك المرحلة القاسية الشاقة ، وهو يرفع عالياً علم الامة البروليتارية .

## الفصل السادس

الحزب البلشفي خلال الحرب الاستعمارية — الثورة  
الروسية الثانية ( ١٩١٤ الى اذار ١٩١٧ )



### ١ — منشأ الحرب الاستعمارية واسبابها .

في ١٤ تموز ١٩١٤ ( ٢٧ تموز في الحساب الغربي ) ، اعلنت الحكومة  
القيصرية التعبئة العامة ، وفي ١٩ تموز ( اول آب ) ، اعلنت المانيا الحرب  
على روسيا .

وهكذا نزلت روسيا الى ميدان القتال .

وقد بدأ لينين والبلاشفة ، قبل ابتداء الحرب بامد ، بانها ستنفجر لا محالة .  
ووضع لينين ، في المؤتمرات الاشتراكية الالمانية ، اقتراحاته الرامية الى تحديد  
خطة السلوك الثوري للاشتراكيين في حالة الحرب .

، بين لينين ان الحرب تلازم الرأسمالية ملازمة لا مناص منها . فان نهب  
اراضي الغير ، وفتح المستعمرات واغتصابها ، والاستيلاء على اسواق جديدة ،  
كل ذلك اتخذه الدول الرأسمالية اكثر من مرة ، ذريعة للقيام بحروب فتح  
وتوسع . فالحرب هي بالنسبة للاقطار الرأسمالية ، حالة طبيعية مشروعة ، مثل  
استثمار الطبقة العاملة سواء بسواء .

وقد أصبحت الحروب محتومة الوقوع، خصوصاً منذ ان تطورت الرأسمالية نهائياً، في اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين، الى اعلى وآخر درجة في تطورها: الى الاستعمار (١). ففي عهد الاستعمار اصبح لاتحادات الرأسماليين الكبرى (الاحتكارات) وللبنوك، دور حاسم في حياة الدول الرأسمالية. وصار الرأسمال المالي، هو السيد الأمر في الدول الرأسمالية. فأخذ يطالب بأسواق جديدة، وبلاستيلاء على مستعمرات جديدة، وعلى ميادين جديدة لتصدير رؤوس الاموال، وعلى منابع جديدة للمواد الاولية.

ولكن جميع بقاع الكرة الارضية كانت، منذ اواخر القرن التاسع عشر، مقسمة بين الدول الرأسمالية. الا ان الرأسمالية، في عهد الاستعمار، تتطور بصورة غير متساوية، بصورة متفاوتة جداً وبقفزات: فهذه اقطار كانت قديماً تحتل المكان الاول، تُطور الآن صناعتها ببطء نسبياً، وتلك اقطار اخرى كانت قديماً متأخرة، تلحق بالاولى وتسبقها بقفزات سريعة، فتتعادل النسبة بين القوى الاقتصادية والعسكرية للدول الاستعمارية، ويظهر الاتجاه الى تقسيم العالم تقسماً جديداً. فالنضال في سبيل هذا التقسيم الجديد للعالم، هو الذي يجعل الحرب الاستعمارية أمراً لا مفر منه. فحرب ١٩١٤ كانت حرباً لاعادة تقسيم العالم ومناطق النفوذ. وقد عملت جميع الدول الاستعمارية سلفاً وخلال مدة طويلة لتحضيرها وتمهيتها. فالمسؤولون عنها هم استعماريو جميع الاقطار.

ان المانيا والنمسا من جهة، وفرنسا وانكلترا ومعها روسيا، التي كانت

(١) الاستعمار، ويسميه بعض الكتاب العرب « امبرياليزم » او « امبريالية » تمييزاً له عن المعنى الشائع للاستعمار في اللغة العربية، اذ يراد به غالباً مجرد الاستيلاء على اراضي الغير فقط، وهو ما يقابل كلمة « كولونياليزم » الفرنسية، بينما الاستعمار بمعنى الامبرياليزم ليس ذلك فقط، بل هو، كما يجد القارئ في سياق هذا الفصل نفسه، مجموعة نظام، خصائصه كثيرة، في رأسها سيادة الاحتكارات الرأسمالية في البلدان الصناعية المتقدمة وسيطرة الرأسمال المالي، وتصدير الرساميل على نطاق واسع.. الخ.. وكذلك الاستيلاء على اراضي الغير، فهو طبعاً من خصائص الاستعمار بمعنى الامبرياليزم. ( هيئة التمريب ) .

تابعة لهما ، من جهة اخرى ، هي الاقطار التي عملت بوجه خاص لتهيئة هذه الحرب . ففي عام ١٩٠٧ ، ظهر الاتفاق الثلاثي بين انكلترا وفرنسا وروسيا وهو المعروف باسم « الحلف » . اما التحالف الاستعماري الآخر ، فكان يضم المانيا والامبراطورية النمساوية المجرية وايطاليا . غير ان ايطاليا تركت هذا التحالف عند ابتداء حرب ١٩١٤ ، ثم انضمت فيما بعد الى « الحلف » الثلاثي . وكانت بلغاريا وتركيا تؤيدان المانيا والامبراطورية النمساوية المجرية . كانت المانيا في استعدادها للحرب الاستعمارية ، تبغي ان تتزعزع من انكلترا وفرنسا مستعمراتها ، ومن روسيا اوكرانيا وبولونيا وولايات البلطيق . وكانت المانيا ، يبنائها سكة حديد بغداد ، تهدد سيطرة انكلترا في الشرق الادنى . اما انكلترا فكانت تحشى ازدياد تسليح المانيا البحري .

وكانت روسيا القيصرية ترمي الى تمزيق تركيا ، وتحلم بانتزاع مضيق الدردنيل ، الذي يربط البحر الاسود بالبحر الابيض المتوسط وبلاستيلاء على استنبول . وكان من جملة مشاريع الحكومة القيصرية ايضا ، اقتطاع جزء من الامبراطورية النمساوية المجرية ، هو غاليسيا .

اما انكلترا فكانت تريد الحرب لاجل قهر مزاحمتها الخطيرة ، المانيا ، التي كانت بضائعها تحمل ، اكثر فأكثر ، محل البضائع الانكليزية في السوق العالمية . وعدا ذلك ، كانت انكلترا تمني نفسها بانتزاع بلاد ما بين النهرين (١) وفلسطين من تركيا ، وتوطيد قدمها في مصر .

وكان الرأسماليون الفرنسيون يريدون ان ينتزعوا من المانيا حوض السار ، ومعه الازراس واللورين ، وجميعها غنية بالفحم والحديد . وكانت المانيا قد اقتطعت الازراس واللورين من فرنسا في نهاية حرب ١٨٧٠ - ١٨٧١ .

وهكذا فان التناقضات الخطيرة الناشئة بين هذين الفريقين من الدول الرأسمالية ، هي التي ادت الى الحرب الاستعمارية .

وكانت حرب السلب والنهب هذه ، الرامية الى تقسيم العالم من جديد ،

تمس مصالح جميع البلدان الاستعمارية ، ولذلك أنجرت اليها قيا بعد ، اليابان والولايات المتحدة وعدد من الدول الاخرى .  
فأصبحت الحرب عالمية .

وقد هيأت البورجوازية الحرب الاستعمارية بنكتم شديد ، دوت علم الشعوب . وعندما اندلعت نيرانها ، اخلقت كل حكومة استعمارية تسعى جهدها لكي تبرهن بانها ليست هي التي هاجمت جيرانها ، بل انها هي نفسها ضحية العدوان . فكانت البورجوازية تتخدع الشعب باخفاؤها اهداف الحرب الحقيقية ، وصبغتها الاستعمارية التوسعية . وكانت كل حكومة استعمارية تعلن انها تقوم بالحرب دفاعاً عن الوطن .

أما انتهازيو الاممية الثانية ، فقد ساعدوا البورجوازية على خدع الشعب . ان هؤلاء الاشتراكيين الديموقراطيين ، التابعين للاممية الثانية ، قد خانوا بتدالة ، قضية الاشتراكية ، قضية تضامن البروليتاريا الاممي . ولم يكتفوا بعدم الوقوف في وجه الحرب ، بل ، على العكس ، ساعدوا البورجوازية على اثارة عمال الدول المتجارية وفلاحها بعضهم على بعض ، بحجة الدفاع عن الوطن . لم يكن من باب المصادفة ان دخلت روسيا الحرب الاستعمارية ، الى جانب « الحلف » ، اي الى جانب فرنسا وانكلترا . اذ ينبغي ان لا ننسى ان الصناعات الرئيسية في روسيا كانت ، قبل عام ١٩١٤ ، في ايدي الرأسمال الاجنبي ، وخصوصاً الرأسمال الفرنسي والانكليزي والبلجيكي ، اي رأسمال البلدان الداخلة في « الحلف » . فكانت اهم مصانع التعدين في روسيا ، في ايدي الرأسماليين الفرنسيين ، وبوجه الأجمال كانت صناعة التعدين ، بثلاثة ارباعها تقريباً ( ٧٢ بالمئة ) ، تابعة للرأسمال الاجنبي . ولم يكن الوضع يختلف عن ذلك في صناعة الفحم في حوض الدونيتز . وكان ما يقرب من نصف آبار البترول في ايدي الرأسمال الانكليزي — الفرنسي . وكان قسم كبير من ارباح الصناعة الروسية يذهب الى البنوك الاجنبية ، وخصوصاً الانكليزية — الفرنسية . فجميع هذه الظروف ، مضافة الى القروض التي عقدها القيصر في

انكلترا وفرنسا ، وقد بلغت المليارات ، كانت تربط القيصرية بالاستعمار الانكليزي الفرنسي ، وتجعل روسيا بلداً تابعاً وشبه مستعمرة لهذين البلدين .

كانت البورجوازية الروسية ، اذ اشتهرت الحرب ، تمني نفسها بتحسين اوضاعها : وذلك بالاستيلاء على اسواق جديدة ، والاعتناء على حساب الطلبات العسكرية ومعدات الجيوش ، وفي الوقت نفسه قمع الحركة الثورية ، باستغلال الوضع الناشئ عن الحرب .

لم تكن روسيا القيصرية مهيأة للحرب . فقد كانت صناعتها متأخرة جداً عن صناعة الاقطار الرأسمالية الاخرى ، ومعظم مصانعها ومعاملها قديمة وذات تجهيزات آلية بالية . ولم تكن الزراعة صالحة لأن تكون اساساً اقتصادياً متيناً لحرب طويلة الامد ، نظراً لنظام الملكية نصف الاقطاعي ، وفقر جماهير الفلاحين وخراهم .

وكان القيصر يستند بوجه خاص الى اقطاعي الارض . وكان كبار ملاكي الاراضي المرفقين في الرجعية ، بالتحالف مع كبار الرأسماليين ، يسيطرون على البلاد وعلى دوما الدولة ، سيطرة السادة . وكانوا يؤيدون سياسة الحكومة القيصرية ، الداخلية والخارجية ، تأييداً تاماً . لقد كانت البورجوازية الاستعمارية الروسية تعتمد على الاتوقراطية القيصرية ، اعتمادها على قبضة مغلقة بقفاز من حديد ، تستطيع ، من جهة ، ان تضمن لها الاستيلاء على اسواق جديدة وارض جديدة ، ومن جهة اخرى ، ان تسحق حركة العمال والفلاحين الثورية .

وكان حزب البورجوازية الحرة — حزب الكاديت — يمثل دور المعارضة ، الا انه كان يدعم بلا تحفظ ، سياسة الحكومة القيصرية الخارجية .

اما حزب البورجوازية الصغيرة ، الحزب الاشتراكي الثوري وحزب المنشفيك ، فانها ، منذ ابتداء الحرب ، عملاء ، وهما مستتران وراء علم الاشتراكية ، على مساعدة البورجوازية في خدع الشعب وفي اخفاء حقيقة الحرب وطابعها الاستعماري الغتصائي . فكانا يدعوان الى ضرورة صيانة « الوطن » البورجوازي والدفاع عنه ضد « البرابرة البروسيين الالمان » ، ويؤيدان سياسة

« الاتحاد المقدس » ، وهكذا كانا يساعدان حكومة القيصر الروسي على القيام بالحرب ، كما كان الاشتراكيون الديموقراطيون الالمان يساعدون حكومة القيصر الالمانى على القيام بالحرب ضد « برايرة روسيا » .  
ان الحزب البلشفي وحده ، بقي اميناً لعلم الاممية الثورية المجيد ، وحده بقي متمسكاً ، بكل صلابه ، بالمواقف الماركسية ، مواقف النضال الحازم ضد الاوتوقراطية القيصرية ، وضد كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين ، وضد الحرب الاستعمارية . لقد تمسك الحزب البلشفي ، منذ بدء القتال ، بوجهة النظر القائلة بان الحرب قد نشبت لا للدفاع عن الوطن ، بل للاستيلاء على اراضي الغير ، ولنهب الشعوب الاخرى ، في مصلحة كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين ، وان من واجب العمال ان يشهروا ، بحزم وصلابة ، الحرب على هذه الحرب .

وكانت الطبقة العاملة تؤيد الحزب البلشفي .  
والحقيقة ان النشوة الوطنية البورجوازية التي أخذ بها ، في بداية الحرب ، المثقفون والعناصر الكولاحية بين الفلاحين ، سرت ايضاً الى قسم من العمال . ولكن هذا القسم كان يضم ، على الخصوص ، أعضاء من « اتحاد الشعب الروسي » — اتحاد الرعاع — وقفة من العمال ذوي الميول الاشتراكية الثورية والمنشفية . ومن الواضح ان هؤلاء لم يكونوا يفصحون ، ولم يكن من الممكن ان يفصحوا ، عن حالة العمال الفكرية . ان هذه العناصر هي التي اشتركت في المظاهرات الشوفينية ( ١ ) التي قامت بها البورجوازية ، ونظمتها الحكومة القيصرية ، في الايام الاولى من الحرب .

---

( ١ ) : شوفينية : تمصب قومي اعمى وعداء نحو الشعوب الاخرى . ( هيئة التعريب )



## ٢ - احزاب الامية الثانية تقف في جانب حكوماتها الاستعمارية - الامية الثانية تنفسخ وتتحول الى احزاب اشتراكية شوفينية لا رابطة بينها .

حذر لينين ، اكثر من مرة ، من انتهازية الامية الثانية وتذبذب زعمائها . وكان لا ينفك يقول ، دون انقطاع ، ان زعماء الامية الثانية ليسوا ضد الحرب الا بالكلام ، وان من الممكن جداً في حالة نشوب الحرب ان يتخلوا عن مواقفهم ، وان يقفوا في جانب البورجوازية الاستعمارية ، وان يصبحوا من انصار الحرب . وقد تحققت نبوءة لينين منذ بدء نشوب القتال .

في عام ١٩١٠ ، كان مؤتمر الامية الثانية المنعقد في كوبنهاغن ( عاصمة الدانمرك ) ، قد قرر بان يصوت الاشتراكيون في البرلمانات ضد الاعتمادات الحربية . وخلال حرب البلقان ، عام ١٩١٢ ، اعلن مؤتمر الامية الثانية المنعقد في بال ( سويسرا ) ، ان عمال جميع الاقطار يعتبرون ان من الجريمة ان يتقاتلوا فيما بينهم لاجل زيادة ارباح الرأسمالين . ذاك هو الموقف الذي اتخذوه بالكلام ، في المقررات .

ولكن عندما قصفت رعود الحرب الاستعمارية ، واصبح من الواجب تطبيق هذه المقررات ، تكشف زعماء الامية الثانية عن خداعين ، خونة للبروليتاريا ، وخدم للبورجوازية . فقد غدوا من انصار الحرب .

في ٤ آب ١٩١٤ ، صوتت الاشتراكية الديموقراطية الالمانية في البرلمان للاعتمادات الحربية ولدعم الحرب الاستعمارية . وحذت حذوها الاكثرية الكبرى من الاشتراكيين في فرنسا وانكلترا وبلجيكا والاقطار الاخرى . لقد انتطعت الامية الثانية عن الوجود . وتشتت احزاباً اشتراكية شوفينية لا رابطة بينها ، يجارب احدها الآخر .

ان زعماء الاحزاب الاشتراكية ، خائني البروليتاريا ، انتقلوا الى مواقف

الاشتراكية — الشوفينية ومواقف الدفاع عن البورجوازية الاستعمارية ، فساعدوا الحكومات الاستعمارية على خدع الطبقة العاملة ، وعلى تسميتها بـ "التعصب القومي" . لقد تستر هؤلاء الاشتراكيون الخونة ، بعلم الدفاع عن الوطن ، فراحوا يثيرون العمال الالمان على العمال الفرنسيين ، والعمال الانكليز والفرنسيين على العمال الالمان . ولم يبق في الاممية الثانية من امين المواقف الاممية ، سوى اقلية ضئيلة سارت ضد التيار ، سارت وليس لديها ما يكفي من الثقة بالنفس ، وينقصها كثير من العزيمة ، الا انها سارت ضد التيار على كل حال .

ان الحزب البلشفي وحده رفع ، منذ البداية ، وبدون ادنى تردد ، علم النضال الحازم ضد الحرب الاستعمارية ، وقد بين لينين في موضوعاته عن الحرب الاستعمارية ، التي كتبها في خريف ١٩١٤ ، ان انهيار الاممية الثانية لم يكن وليد المصادفة . فقد هلكت الاممية الثانية بفضل الانتهازيين ، الذين كانت احسن ممثلي البروليتاريا يدعون ، منذ امد طويل ، الى الحذر منهم . كانت احزاب الاممية الثانية ، منذ ما قبل الحرب ، مصابة بالانتهازية . وكان الانتهازيون يدعون علناً الى التخلي عن النضال الثوري ، ويروجون نظرية « اندماج الرأسمالية بصورة سلمية في الاشتراكية » . وكانت الاممية الثانية ترفض مكافحة الانتهازية ، وتقول بوجوب مسالمتها ، وتفسح لها المجال لكي تقوى وتشتد . فالاممية الثانية بحكم انتهاجها سياسة تفاهم ومسألة تجاه الانتهازية ، أصبحت هي نفسها انتهازية .

كانت البورجوازية الاستعمارية تشتري ، على الدوام ، بواسطة الارباح التي تجنيها من مستعمراتها ومن استثمار الاقطار المتأخرة ، الفئات العليا من العمال الاختصاصيين وهم من يُسمون : ارستوقراطية العمال ، فتمنحهم اجوراً مرتفعة وصدقات اخرى . وقد خرج من صفوف هذا الصنف من العمال ، العديد من قادة النقابات والتعاونيات ، والعديد من اعضاء المجالس البلدية والنيابية ، والعديد من الموظفين في الصحافة والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية . وفي زمن

الحرب ، أصبح هؤلاء الناس ، خوفاً من فقدان مراكزهم ، خصوم الثورة ومدافعين مستكبين عن بورجوازيتهن وعن حكوماتهم الاستعمارية .

لقد انقلب الانتهازيون الى اشتراكيين — شوفينيين .

وكان هؤلاء ، وبينهم المنشفيك والاشتراكيون الثوريون الروس ، يدعون الى « السلام الاجتماعي » بين العمال والبورجوازيين داخل بلادهم ، والى الحرب ضد الشعوب الاخرى خارج بلادهم . كانوا يضللون الجماهير عن مسيبي الحرب الحقيقيين ، فيعلنون ان بورجوازية بلادهم ليست مسؤولة عنها . وقد أصبح كثير من الاشتراكيين الشوفينيين وزراء في حكوماتهم الاستعمارية . ولم يكن الاشتراكيون الشوفينيون المقنعون ، المعروفون بالوسطيين ، أقل خطراً على قضية البروليتاريا من زملائهم . فاب الوسطيين — من امثال كلوتسكي وتروتسكي ومارتوف وغيرهم — كانوا يبررون موقف الاشتراكيين الشوفينيين المفضوحين ويدافعون عنهم ، اي انهم كانوا ، مع الاشتراكيين الشوفينيين ، يخونون البروليتاريا ، ساترين خيانتهم بعبارات « يسارية » عن النضال ضد الحرب ، عبارات ترمي الى تضليل الطبقة العاملة . فكان الوسطيون ، في الواقع ، يؤيدون الحرب ، اذ ان اقتراحهم بعدم التصويت ضد الاعتمادات الحربية وبالاستنكاف عن التصويت ، كان بمثابة تأييد للحرب . وكانوا يطلبون مثلهم في ذلك مثل الاشتراكيين الشوفينيين ، ترك النضال الطبقي في اثناء الحرب لئلا يضائق ذلك حكوماتهم الاستعمارية في قيادة الحرب . وكان الوسطي تروتسكي يقف ضد لينين وضد الحزب البلشفي في جميع القضايا الهامة المتصلة بالحرب وبالاشتراكية .

بدأ لينين ، منذ اول الحزب ، يجمع القوى لانشاء امية جديدة ، هي الامية الثالثة . وكانت اللجنة المركزية للحزب البلشفي قد وضعت ، في البيان الذي اذاعته ضد الحرب في تشرين الثاني ١٩١٤ ، مهمة انشاء امية ثالثة ، عوضاً عن الامية الثانية التي افلست افلاساً مخجلاً .

وفي شباط ١٩١٥ ، كلف لينين الرفيق ليتفينوف ، بان يتكلم في مؤتمر

الاشتراكيين في البلدان الحليفة ، المنعقد في لندن . فطلب ليتفينوف خروج الاشتراكيين ( فاندرفيلد ، سيمبا ، غيد ) من الحكومات البورجوازية في بلجيكا وفرنسا ، وقطع كل صلة بالاستعماريين ورفض التعاون معهم . وطلب من جميع الاشتراكيين ان يناضلوا بحزم ضد حكوماتهم الاستعمارية ، وان يستنكروا التصويت على الاعتمادات الحربية . ولكن صوت ليتفينوف رن<sup>١</sup> في المؤتمر وحيداً منفرداً .

وفي اوائل ايلول ١٩١٥ ، اجتمع اول مؤتمر للاميين في زيرفالد (١) . وقد وصف لينين هذا المؤتمر بأنه « خطوة اولى » في طريق تطور الحركة الامة ضد الحرب . وفي هذا المؤتمر انشأ لينين جناح زيرفالد اليساري . بيد ان الحزب البلشفي وحده ، وعلى رأسه لينين ، كان يتخذ ، في جناح زيرفالد اليساري هذا ، موقفاً صحيحاً ضد الحرب ، موقفاً يذهب حتى نتائجه النهائية . وقد اصدر جناح زيرفالد اليساري ، مجلة « السباق » باللغة الالمانية ، فكانت مقالات لينين تنشر فيها .

وفي العام ١٩١٦ ، امكن عقد مؤتمر ثان للاميين في قرية كيانتال بسويسرا ، وهو المؤتمر المعروف باسم مؤتمر زيرفالد الثاني . وكانت قد ظهرت في ذلك الحين جماعات من الاميين في كل الاقطار تقريباً . فان انفصال العناصر الامة عن الاشتراكيين الشوفيين اصبح ادق وواضح . على ان الامر الاعظم شأنًا هو ان الجماهير نفسها كانت قد تطورت اذ ذاك نحو اليسار تحت تأثير الحرب وما ولدته من مصائب . وكان بيان كيانتال نتيجة الاتفاق بين مختلف الكتل التي تجاهت في المؤتمر . وقد سجل هذا البيان خطوة الى امام بالنسبة لبيان زيرفالد .

غير ان مؤتمر كيانتال نفسه ، لم يقر المبادئ الاساسية للسياسة البلشفية وهي : تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية ، وانكسار كل من الحكومات الاستعمارية في الحرب ، وتأليف امة ثالثة . الا ان مؤتمر كيانتال

(١) هيئة التعريب )

(١) : مكان في سويسرا .

ساعد على استخلاص العناصر الامة التي الفت فيما بعد ، الامة الثالثة ، الامة الشيوعية .

وقد انتقد لينين اخطاء الاميين المتقلبين ؛ الاشتراكيين الديموقراطيين اليساريين ، امثال روزا لو كسمبورغ وكارل ليننخت ، الا انه في الوقت نفسه ساعدهم على اتخاذ موقف صحيح .

### ٣ — نظرية الحزب البلشفي وخطته في قضايا الحرب والسلم والثورة

لم يكن البلاشفة مسالين بسطاء ، يتلهفون على السلم مكتفين بالدعاية له ، كأكثرية الاشتراكيين الديموقراطيين اليساريين . كان البلاشفة يعلنون انهم من انصار نضال ثوري نشيط في سبيل السلم ، نضال يذهب الى حد القضاء على حكم البورجوازية الاستعمارية المثيرة للحرب . وكانوا يربطون قضية السلم بقضية انتصار الثورة البروليتارية ، معتبرين ان اخن وسيلة لتصفية الحرب والحصول على سلم عادل ، سلم بدون الحاق و غرامات ، هي القضاء على حكم البورجوازية الاستعمارية .

وفي وجه ما ارتكبه المنشفيك والاشتراكيون الثوريون من جحود وانكار للثورة ، وفي وجه شعار الخيانة الداعي الى احترام « الاتحاد المقدس » اثناء الحرب ، وضع البلاشفة شعار « تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية » . وكان معنى هذا الشعار ان من واجب الشغيلة ، بما فيهم العمال والفلاحون المسلحون واللابسون لباس الجندي ، ان يديروا اسلحتهم الى بورجوازياتهم نفسها وان يلقبوا حكمها ، اذا كانوا يريدون التخلص من الحرب والحصول على سلم عادل .

وفي وجه السياسة المنشفية والاشتراكية — الثورية ، سياسة الدفاع عن الوطن البورجوازي ، نادى البلاشفة بسياسة « اندحار حكومتهم نفسها في الحرب الاستعمارية » . وكان معنى ذلك وجوب التصويت ضد الاعتمادات

الحرية ، وانشاء منظمات ثورية لا شرعية في الجيش ، وتشجيع التآخي بين الجنود في الجبهة ، وتنظيم نضال العمال والفلاحين الثوري ضد الحرب ، وتحويل هذا النضال الى ثورة ضد حكومتهم الاستعمارية .

كان البلاشفة يعتبرون ان اهون الشرين على الشعب في الحرب الاستعمارية ، هو انكسار الحكومة القيصريّة عسكريا ، ما دام هذا الانكسار يسهل انتصار الشعب على القيصريّة ونضال الطبقة العاملة الظافر في سبيل تحريرها من العبودية الرأسمالية ومن الحروب الاستعمارية . وكان لينين يعتبر ان ليس من واجب الثوريين الروس فصص ، بل من واجب الاحزاب الثورية للطبقة العاملة في جميع الاقطار المتحاربة ، ان تهج سياسة قوامها اندحار حكوماتها الاستعمارية .

لم يكن البلاشفة ضد كل حوب ، بل كانوا ضد حرب الفتح ، ضد الحرب الاستعمارية فقط . كانوا يعتبرون ان هناك نوعين من الحروب :

أ : الحرب العادلة التي لا ترمي الى الالحاق ، الحرب التحريرية ، وهدفها اما الدفاع عن الشعب ضد عدوان من الخارج وضد المحاولات الرامية الى استعباده ، واما تحرير الشعب من العبودية الرأسمالية ، واما اخيرا . تحرير المستعمرات والبلدان التابعة من نير المستعمرين .

ب : الحرب غير العادلة ، حرب الالحاق ، وهدفها الاستيلاء على اقطار اخرى واستعباد شعوب اخرى .

وكان البلاشفة يؤيدون الحرب من النوع الاول . اما الحرب الاخرى ، فكان البلاشفة يعتبرون ان من الواجب توجيه نضال حازم ضدها ، نضال يذهب الى حد الثورة وقلب الحكومة الاستعمارية .

وكان للمؤلفات النظرية التي وضعها لينين في ايام الحرب ، اهمية عظمى للطبقة العاملة في العالم باسره . ففي ربيع عام ١٩١٦ كتب مؤلفه الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية . وهو كتاب اوضح فيه لينين ان الاستعمار هو المرحلة العليا للرأسمالية ، المرحلة التي تحولت فيها الرأسمالية من رأسمالية « مقدمة » - كما كانت قبلاً - الى رأسمالية طفيلية ، الى رأسمالية آخذة في التعفن ، فالاستعمار هو رأسمالية تحتضر . غير ان ذلك لم يكن يعني طبعاً ان

الرأسمالية تستعمل من نفسها بدون ثورة البروليتاريا، او انها ستبلغ من نفسها غاية التفسخ وتتهار. لقد علم لينين دائماً ان خلع الرأسمالية مستحيل بدون ثورة تتجزأها الطبقة العاملة . ولذلك ، بعد ان عرّف لينين الاستعمار بانه رأسمالية تحضر ، بين في مؤلفه ، في الوقت نفسه ، ان « الاستعمار هو عتبة الثورة الاجتماعية للبروليتاريا » .

أوضح لينين ان الاضطهاد الرأسمالي يزداد شدة في عهد الاستعمار ، وان سخط البروليتاريا في ظروف الاستعمار يتعاظم بدون انقطاع ضد أسس الرأسمالية ، وان عناصر الانفجار الثوري تتكاثر في داخل الاقطار الرأسمالية . وبين لينين ان الازمة الثورية في الاقطار المستعمرة والتابعة تتفاقم في عهد الاستعمار ، وان السخط على الاستعمار يشتد وينمو ، وان عوامل حرب تحريرية ضد الاستعمار تتجمع وتتراكم .

واوضح لينين ان التفاوت في تطور الرأسمالية يستفحل في ظروف الاستعمار ، كما تستفحل تناقضات الرأسمالية ، وان النضال في سبيل اسواق لتصدير البضائع والرساميل ، وفي سبيل المستعمرات ومنابع المواد الاولية ، يجعل من المحتم وقوع حروب استعمارية دورية في سبيل تقسيم العالم من جديد . وبين لينين ان نتيجة هذا التطور المتفاوت للرأسمالية تقع الحروب الاستعمارية التي تضعف قوى الاستعمار ، وتجعل من الممكن صدع جبهة الاستعمار هناك حيث تبدو اكثر ضعفاً .

وعلى اساس ذلك كله ، وصل الى الاستنتاج بان صدع الجبهة الاستعمارية وقطعها من قبل البروليتاريا في نقطة واحدة او عدة نقاط ، هو شيء ممكن تماماً ؛ وان انتصار الاشتراكية ممكن ، بادىء الامر ، في عدة بلدان او حتى في بلد واحد ، وان انتصار الاشتراكية في جميع الاقطار في آن واحد مستحيل ، بسبب تطور الرأسمالية المتفاوت . وان الاشتراكية ستنتصر اولاً في بلد واحد او في عدة بلدان ، بينما تبقى البلدان الاخرى مدة من الزمن ، بلداناً بورجوازية .

وفما يلي نص هذا الاستنتاج العبقري كما صاغه لينين في مقالين كتبهما خلال الحرب الاستعمارية :

اولا - « التفاوت في التطور الاقتصادي والسياسي هو للرأسمالية قانون مطلق ، وينتج من ذلك ان انتصار الاشتراكية ممكن ، بادىء الامر ، في عدد صغير من البلدان الرأسمالية او في بلد رأسمالي واحد . فالبروليتاريا المنتصرة في هذا البلد ، بعد ان تنزع عن الرأسماليين ملكيتهم وتنظم الانتاج الاشتراكي عندها ، تنهض ضد بقية العالم الرأسمالي ، جاذبة اليها الطبقات المظلومة في البلدان الاخرى... » ( مقتطف من مقال « حول شعار الولايات المتحدة الاوروبية » المكتوب في آب ١٩١٥ - لينين ، المؤلفات المختارة - المجلد ١ - ص ٧٥٥ ) .

ثانياً - « ان تطور الرأسمالية يجري في مختلف الاقطار بصورة غير متساوية ، تتفاوت غاية التفاوت ، وليس من الممكن ان يكون الامر على غير ذلك في نظام الانتاج البضائي . ومن هنا كانت هذه النتيجة التي تفرض نفسها بنفسها ، وهي ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر في جميع البلدان في آن واحد . فهي ستنتصر اولاً في بلد واحد او في عدة بلدان ، بينما تبقى البلدان الاخرى مدة من الزمن بلداناً بورجوازية او ما قبل البورجوازية . وتؤدي هذه الوضعية ، لا الى حدوث احتكاكات فحسب ، بل تؤدي ايضاً الى سعي بورجوازية البلدان الاخرى سعيّاً مباشراً الى سحق البروليتاريا المنتصرة في الدولة الاشتراكية ، وفي هذه الاحوال ، تصبح الحرب من قبلنا ، حرباً مشروعة وعادلة ، اذ تكون حرباً في سبيل الاشتراكية ، في سبيل تحرير الشعوب الاخرى من نير البورجوازية . » ( مقتطف من مقال « البرنامج العسكري للثورة البروليتارية » ، خريف ١٩١٦ - لينين ، المؤلفات المختارة - المجلد ١ - ص ٨٨٦ ) .

كانت هذه نظرية جديدة ، نظرية كاملة عن الثورة الاشتراكية ، وعن امكان انتصار الاشتراكية في كل بلد على حدة ، وعن شروط انتصارها ، وعن



آفاق انتصارها، وهي نظرية كان لينين قد حدد أسسها منذ عام ١٩٠٥ في كراسه خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية .

كانت هذه النظرية تختلف اختلافاً عميقاً عن المفهوم الذي كان منشراً بين الماركسيين في مرحلة الرأسمالية ما قبل الاستعمارية ، حين كان الماركسيون يعتبرون ان انتصار الاشتراكية مستحيل في بلد واحد ، وان الاشتراكية ستنتصر في جميع البلدان المتقدمة في آن واحد . فعلى أساس المعلومات البرهانية عن الرأسمالية الاستعمارية ، المفصلة في مؤلفه القيم الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية ، قلب لينين ذلك المفهوم من حيث انه مفهوم شاخ وفات اوانه ، وصاغ مفهوماً نظرياً جديداً اصبح ، بحسبه ، من المقرر ان انتصار الاشتراكية في جميع البلدان في آن واحد هو مستحيل ، وان من الحق ان انتصار الاشتراكية في بلد رأسمالي واحد مأخوذ على حدة هو ممكن .

ان ما يجعل لنظرية لينين عن الثورة الاشتراكية قيمة لا تقدر ، ليس انها اغنت الماركسية بنظرية جديدة وطورتها الى امام فحسب ، فاهميتها هي في انها ايضاً تفتح امام البروليتاريين في مختلف البلدان آفاقاً ثورية ، وتحفز مبادرتهم الى شن الهجوم على بورجوازياتهم القومية ، وتعلمهم كيفية الاستفادة من ظروف الحرب لتنظيم هذا الهجوم ، وتوطد ايمانهم بانتصار الثورة البروليتارية . هكذا كان المفهوم النظري والخططي للبلاشفة في قضايا الحرب والسلام والثورة .

وكان البلاشفة يقومون بنشاطهم العملي في روسيا ، مستندين الى هذا المفهوم .

ومنذ بدء الحرب ، اخذ النواب البلاشفة في مجلس الدوما ، بادايف وبتروفسكي ومورانوف وصامويلوف وشاغوف ، بالرغم من الاضطهاد البوليسي الوحشي ، يظفون على عدد من المنظمات لاجل شرح موقف البلاشفة من الحرب والثورة . وفي تشرين الثاني ١٩١٤ ، اجتمعت الكتلة البلشفية في دوما الدولة لمناقشة الموقف الواجب اتخاذه من الحرب . وفي اليوم

الثالث ، اعتقل جميع المشتركين في الاجتماع . وحكمت المحكمة على جميع النواب مجرماتهم حقوقهم المدنية وبنفيهم الى سيبيريا الشرقية . وقد وجهت اليهم الحكومة القيصرية تهمة «الخيانة العظمى» .

وقد بينت المحاكمة مدى النشاط الذي قام به نواب الدوما ، وكان هذا النشاط عنوان شرف لحزبنا . ووقف النواب البلاشفة موقفاً جريئاً امام المحكمة القيصرية واستخدموها منبرا لفضح سياسة الفتح القيصرية .

اما كامينيف الذي شملته الدعوى نفسها ، فقد سلك مسلكاً آخر مختلفاً كل الاختلاف . فهو تجاه «اول خطر» ، تنكر ، عن خوف وجبن ، لسياسة الحزب البلشفي ، واعلن في المحاكمة انه غير متفق مع البلاشفة في قضية الحرب . ولا ثبات ذلك طلب جلب المشفيكي يوردانسكي كشاهد .

قام البلاشفة بعمل كبير موجه ضد لجان الصناعات الحربية ، وضد مساعي المشفيك لاختضاع العمال لنفوذ البورجوازية الاستعمارية . لقد كان للبورجوازية مصلحة حيوية في ان تمثل الحرب الاستعمارية للجميع كأنها قضية الشعب بأسره . وقد حصلت البورجوازية على نفوذ كبير في شؤون الدولة ، اذ انشأت منظماتها الوطنية الخاصة على نطاق روسيا كلها ، وهي : اتحادات «الزمستفو» (١) والمدن . وبقي عليها اخضاع العمال ايضاً لقيادتها ونفوذها . فتصورت وسيلة حبيبتها صالحة لبلوغ مآربها ، هي انشاء «فرق عمال» الى جانب لجان الصناعات الحربية . فتبنى المشفيك فكرة البورجوازية هذه . وكان للبورجوازيين مصلحة في اشراك ممثلي العمال في لجان الصناعات الحربية هذه ، لكي يقوموا بين جماهير العمال بالدعاية لتقوية انتاجية العمل في مصانع القنابل والمدافع والبنادق والرصاص وغيرها من المنشآت المشتتة للدفاع . « كل شيء لاجل الحرب » ، كل شيء لخدمة الحرب » : هكذا كان شعار البورجوازية . وهو شعار يعني في الحقيقة : « اغتنِ قدر استطاعتك من انتاج ادوات الحرب ومن الحاق اراضي الغير » . وقد ساهم المشفيك بقسط كبير في هذا المشروع الوطني المزعوم ،

الذي طلعت به البورجوازية . فجعلوا من انفسهم اعوانا للرأسماليين ، وراحوا يدعون العمال بحماسة الى الاشتراك في انتخاب «فرق العمال» . اما البلاشفة فكانوا ضد هذا المشروع ، ودعوا الى مقاطعة لجان الصناعات الحربية ، وحققوا هذه المقاطعة بنجاح . الا ان قسما من العمال اشتراك ، مع ذلك ، في اعمال هذه اللجان ، تحت قيادة المنشفيكي المعروف ككفوزديف والعميل الجاسوس ابروسيموف . ولما اجتمع مندوبو العمال ، في ايلول ١٩١٥ ، لمباشرة الانتخاب النهائي لـ «فرق العمال» في لجان الصناعات الحربية ، تبين ان معظم المندوبين هم ضد الاشتراك في اللجان ، فقد اتخذت اكثريةهم قرارا يشجب الاشتراك في لجان الصناعات الحربية ، ويعلن ان العمال يضعون امامهم مهمة النضال لاجل السلام وللاجل القضاء على القيصرية .

وقام البلاشفة بعمل هام في الجيش والاسطول . فكانوا يبينون لجمهور الجنود والبحارة من هم المسؤولون عن ويلات الحرب وآلام الشعب التي لم يسمع بمثلا ، ويوضحون لهم ان الثورة هي الوسيلة الوحيدة امام الشعب للتخلص من المجزرة الاستعمارية . وكان البلاشفة ينشئون خلايا (١) في الجيش والاسطول ، وفي جبهات القتال وفي فصائل المؤخرة ، ويوزعون نداءات ضد الحرب .

وفي قلعة كرونشتاد البحرية ، الف البلاشفة « الفرقة المركزية للمنظمة العسكرية في كرونشتاد » . وكانت متصلة اتصالا متينا باجنحة الحزب في بتروغراد (٢) ، والى جانب لجنة الحزب في بتروغراد انشئت منظمة عسكرية للعمل بين جيوش الحامية . وقد كتب رئيس الاوخرانا في بتروغراد ، في آب ١٩١٦ ، تقريرا جاء فيه : « ان العمل في فرقة كرونشتاد منظم تنظيما جديا جدا ، وسريا . والمشتراكون فيها هم جميعا اناس صامتون متكلمون . ولهذا الفرقة ايضا يمثلون على اليابسة » .

---

(١) : خلية : فرقة . (هيئة التعريب)

(٢) : بتروغراد : هو الاسم الجديد الذي اطلق على مدينة بطرسبرج في عام ١٩١٤ ، وقد سميت بعد الثورة الاشتراكية لينغراد . (هيئة التعريب)

وكان الحزب يقوم في الجبهة بالدعاية لاجل التآخي بين جنود الجيوش المتحاربة ، ويؤكد ان العدو هو البورجوازية العالمية ، وان ليس من الممكن انهاء الحرب الاستعمارية الا بتحويلها الى حرب اهلية ، وذلك بان يدير الجنود اسلحتهم الى صدر بورجوازياتهم وحكومتها . فتمددت الحالات التي كانت فيها هذه الوحدة العسكرية او تلك ترفض القيام بالهجوم . ووقعت حوادث من هذا النوع في عام ١٩١٥ ، وبوجه خاص في عام ١٩١٦ .

وقام البلاشفة بعمل كبير خصوصاً في جيوش الجبهة الشمالية التي كانت معسكرة في ولايات البلطيق . وفي اوائل عام ١٩١٧ ، قدم الجنرال روزكي ، القائد العام لجيش الجبهة الشمالية ، تقريراً الى رؤسائه عن النشاط الثوري الكبير الذي يقوم به البلاشفة في هذه الجبهة .

احدثت الحرب انعطافاً كبيراً في حياة الشعوب ، وفي حياة الطبقة العاملة العالمية . فقد وضعت في الميزان مقدرات الدول ، ومصير الشعوب ، ومصير الحركة الاشتراكية . ولذلك كانت في الوقت نفسه محكا ، وتجربة ، لكل الاحزاب وكل التيارات التي كانت تسمي نفسها اشتراكية . اُتبقى هذه الاحزاب وهذه التيارات امينة لقضية الاشتراكية ، لقضية الاممية ، ام انها ستفضل خيانة الطبقة العاملة وتطوي اعلامها وتلقيها على اقدام بورجوازياتها القومية ؟ كانت المسألة موضوعة على هذا الشكل .

وقد اظهرت الحرب ان احزاب الاممية الثانية لم تستطع الصمود امام التجربة ، وانها خانت الطبقة العاملة وأخذت اعلامها امام بورجوازياتها القومية ، بورجوازياتها الاستعمارية .

وكيف كان من الممكن ان تسلك هذه الاحزاب غير هذا السلوك ، وهي التي كانت تزعم الانتهازية في صفوفها ، وهي التي كانت مثقفة بروح التنازل للانتهازيين والقوميين ؟

لقد اظهرت الحرب ان الحزب البلشفي هو الحزب الوحيد الذي اجتاز

التجربة بشرف وبقي اميناً الى النهاية لقضية الاشتراكية ، لقضية الاممية البروليتارية .

وهو امر مفهوم : اذ لم يكن من الممكن ان يجتاز التجربة الكبرى ، ويبقى اميناً لقضية الطبقة العاملة ، لقضية الاشتراكية والاممية ، الاحزاب من طراز جديد ، حزب تربى على روح النضال الحازم ضد الانتهازية ، حزب متحرر من الانتهازية والتعصب القومي .  
وكان هذا الحزب ، هو الحزب البلشفي .



#### ٤ - اندحار الجيش القيصري في الجبهة - الغراب الاقتصادي - ازمة القيصرية .

كانت الحرب في عامها الثالث ، وكانت تخطف ملايين النفوس البشرية من قتلى وجرحى ومن ضحايا الاوبئة التي ولدتها الحرب . وكانت البورجوازية وكبار ملاكي الاراضي يثرون ويفتنون ، بينما يزداد على العمال والفلاحين البؤس والحرمان . وقد عصفت الحرب بالاقتصاد الوطني الروسي وخربته . فان حوالي ١٤ مليوناً من اصحاء الشغيلة سُحبوا من الانتاج والحقوا بالجيش ، وتوقفت المصانع والمعامل . وتناقضت المساحات المزروعة فقهاً بسبب قلة السواعد . كان السكان وجنود الجبهة جائعين ، وبلا احذية وملابس . لقد كانت الحرب تبتلع جميع موارد البلاد .

وكان الجيش القيصري يلقي الهزيمة بعد الهزيمة . والمدفعية الالمانية تصب وابلاً من القنابل على الجيوش القيصرية التي كانت تنقصها المدافع والقنابل ، وحتى البنادق . فيحدث ان لا يكون لثلاثة رجال سوى بندقية واحدة . وفي معبران الحرب ، اكتشفت خيانة وزير الحرية سوخوملينوف ، الذي تبين انه على اتصال بالجواسيس الالمان . فكان سوخوملينوف يعرقل تموين الجبهة بالذخائر ويتركها بلا مدافع ولا بنادق ، تنفيذاً للأوامر التي كان يتلقاها:

من مصالح الجاسوسية الالمانية. وكان الكثيرون من وزراء القيصر وجنرالاته يساهمون سرّاً في نجاحات الجيش الالمانى، فينتقلون اليه الاسرار الحربية بالاتفاق مع القيصرية التي كانت على صلة بالالمان . فلم يكن من الغريب اذن ان يلقي الجيش القيصري الهزائم وان يضطر الى التراجع . فنحو عام ١٩١٦ كانت الالمان قد استولوا على بولونيا وعلى قسم من ولايات البلطيق .

كانت جميع هذه الحوادث تثير حقد العمال والفلاحين والجنود والمثقفين وغضبهم على الحكومة القيصرية ، وتقوي الحركة الثورية بين الجماهير الشعبية ضد الحرب وضد القيصرية وتزيد بها تفاقماً ، سواء في المؤخرة ام في الجبهة ، وفي وسط البلاد ام في اطرافها .

واخذ الاستياء يشمل ايضاً البورجوازية الاستعمارية الروسية . اذ كانت تثير سخطها وغضبها ان ترى مشعوذين أفاكين ، من طراز راسبوتين ، يسيطرون اسبداً في البلاط الامبراطوري ، ويسعون جهاراً الى عقد صلح منفرد مع الالمان . وكانت تزداد اقتناعاً يوماً عن يوم بان الحكومة القيصرية عاجزة عن قيادة الحرب الى الظفر ، وتحشى ان تقبل القيصرية ، لاجل انقاذ اوضاعها ، بعقد صلح منفرد مع الالمان . ولذا قررت البورجوازية الروسية ان تقوم بانقلاب في القصر الامبراطوري ، فتخلع القيصر نقولا الثاني وتتصب مكانه قيصرأً مرتبطاً بالبورجوازية ، هو ميشيل رومانوف . وكانت تمنى نفسها ، من وراء ذلك ، باصابة عصفورين بحجر واحد : اولاً ، التسلل الى الحكم وضمان متابعة الحرب الاستعمارية ، ثانياً ، استدراك هجوم الثورة الشعبية الكبرى ، التي كانت تتصاعد موجاتها ، بانقلاب صغير داخل القصر الامبراطوري .

وكانت البورجوازية الروسية تلتقى في هذا المشروع التأييد التام من الحكومتين الانكليزية والفرنسية ، اذ كانتا تريان ان القيصر عاجز عن متابعة الحرب ، وتحشيان ان ينتهي به الامر الى عقد صلح منفرد مع الالمان . واذا عقدت الحكومة القيصرية صلحاً منفرداً ، فان حكومتى انكلترا وفرنسا ، بفقدتهما روسيا ، تفقدان حليفاً في الحرب لا يقتصر دوره على اجتذاب قوى

العدو نحو جبهاته فحسب ، بل يقدم ايضاً الى فرنسا عشرات الالوف من خيرة الجنود الروسين . ولهذا كانتا تساعدان البورجوازية الروسية في مساعيها للقيام بانقلاب في القصر .

وهكذا اصبح القيصر في عزلة .

وفي الوقت الذي كانت فيه المصائب تتوالى في الجبهة ، كان الخراب الاقتصادي يتفاقم . ففي ايام كانون الثاني وشباط ١٩١٧ ، بلغت ازمة المواد الغذائية والمواد الاولية والوقود اقصى حدتها . ووقف وقوفاً تاماً تقريباً شحن المواد الغذائية الى بتروغراد وموسكو . واخذت المؤسسات الصناعية تغلق ابوابها الواحدة بعد الاخرى ، فتزايد في انتشار البطالة . واصبحت حالة العمال ابوجه خاص ، لا تطاق . واخذت جماهير شعبية اعمق فاعمق ، تقتنع بان ليس لهذه الحالة غير المحتملة الا مخرج واحد ، هو القضاء على الاوتوقراطية القيصرية .

كان جلياً ان القيصرية تجتاز ازمة مميتة .

وقد فكرت البورجوازية في حل الازمة بانقلاب في القصر .

الا ان الشعب حلها على طريقته هو .



٥ — ثورة شباط — سقوط القيصرية — انشاء

المجالس السوفياتية لنواب العمال والجنود — تأليف

الحكومة المؤقتة — الازدواج في السلطات .

بدأ العام ١٩١٧ باضراب ٩ كانون الثاني . وجرت خلال هذا الاضراب مظاهرات في بتروغراد ، وموسكو ، وباكو ، ونيجنى — نوفغورود . وتجب الإشارة الى ان ما يقرب من ثلث العمال جميعاً في موسكو ، اشتركوا في الاضراب يوم ٩ كانون الثاني . وجرت مظاهرة من الفني شخص في شارع تفيرسكوي فرقتها الشرطة الخيالة . وفي بتروغراد انضم الجنود الى المتظاهرين

في شارع فيبورغ .  
وقد كتبت شرطة بتروغراد في تقريرها : « ان فكرة الاضراب العام  
تكسب كل يوم انصاراً جديداً . انها تصبح شعبية كما صارت في عام ١٩٠٥ » .  
وكان المنشفيك والاشتراكيون الثوريون يبذلون جهدهم لادخال الحركة  
الثورية التي انطلقت شرارتها ، في النطاق الذي تريده البورجوازية الحرة .  
وعند افتتاح دوما الدولة في ١٤ شباط ، اقترح المنشفيك تنظيم موكب من  
العمال يتجه نحو الدوما . الا ان جماهير العمال تبعت البلاشفة ، وعوضاً عن  
الذهاب الى الدوما ، راحت تتظاهر .

في ١٨ شباط ١٩١٧ ، انفجر في بتروغراد اضراب معمل بوتيلوف ، وفي  
٢٢ شباط انضم الى الحركة عمال اكثر المشروعات الكبرى . وفي ٢٣ شباط  
( ٨ اذار ) ، وهو يوم النساء الاممي ، نزلت العاملات الى الشوارع ، تلبية  
لنداء اللجنة النبلشفية في بتروغراد ، للتظاهر ضد المجاعة والحرب والقيصرية .  
ودعمت هذه المظاهرة حركة اضرابية عامة من عمال بتروغراد ، فتحول  
الاضراب السياسي الى مظاهرة سياسية عامة ضد النظام القيصري .

وفي ٢٤ شباط ( ٩ اذار ) ، تضاعفت المظاهرة قوة ، وبلغ عدد العمال  
المضربين هذه المرة ٢٠٠ الف .

وفي ٢٥ شباط ( ١٠ اذار ) ، امتدت الحركة الثورية الى جميع عمال بتروغراد .  
وتحولت الاضرابات السياسية في مختلف الاحياء الى اضراب سياسي عام في  
المدينة بأسرها . ففي كل مكان مظاهرات واشتباكات ، وفوق رؤوس  
الجماهير المتظاهرة تخفق اعلام حمراء تحمل هذه الشعارات : « ليسقط القيصر ! »  
« لتسقط الحرب ! » ، « نريد خبزاً ! » .

وفي صبيحة ٢٦ شباط ( ١١ اذار ) ، اخذ الاضراب السياسي والمظاهرة  
يتحولان الى محاولات لثورة مسلحة . فقد راح العمال ينزعون سلاح البوليس  
والدرك ، ويتسلحون هم انفسهم . الا ان الاصطدام المسلح مع الشرطة في  
ساحة زنامنسكايا انتهى باطلاق الرصاص على المظاهرة .



وانذر الجنرال خبالوف ، قائد منطقة بتروغراد العسكرية ، العمال بوجود استئناف العمل في ٢٨ شباط (١٣ اذار) ، والا ارسلوا الى الجبهة. وفي ٢٥ شباط ( ١٠ اذار ) ، ابلغ القيصر الجنرال خبالوف : «اني آمر بوقف الاضطرابات في العاصمة منذ الغد» .

ولكن اصبح من غير الممكن «وقف» الثورة !

ففي نهار ٢٦ شباط (١١ اذار) ، قامت السرية الرابعة للفوج الاحياطي التاسع لفيلق بافلوسكي ، باطلاق النار ، لا على العمال ، بل على فضاءل الشرطة الخيالة التي كانت تتبادل اطلاق الرصاص مع العمال . وهكذا احتدم النضال شديدا غنيذا في سبيل اكتساب تأييد الجيش ، خصوصا من جانب العائلات اللواتي كن يستصرخن الجنود مباشرة ، ويتآخين معهم ، ويدعونهم الى مساعدة الشعب على قلب الاوتوقراطية القيصرية البغيضة .

اما النشاط العملي للحزب البلشفي ، فكان يقوده مكتب اللجنة المركزية لحزبنا ، الموجود آنذاك في بتروغراد ، وعلى رأسه الرفيق مولوتوف . وفي ٢٦ شباط (١١ اذار) ، اذاع مكتب اللجنة المركزية بيانا يدعو الى متابعة النضال المسلح ضد القيصرية ، وإلى انشاء حكومة ثورية موقفة .

في ٢٧ شباط (١٢ اذار) ، رفضت القوات العسكرية في بتروغراد اطلاق النار على العمال وانتقلت الى جانب الشعب الثائر . ولم يكن عدد الجنود الثائرين يتجاوز في الصباح ١٠ الاف ، فاصبح في المساء اكثر من ٦٠ ألفاً .

وشرع العمال والجنود الثائرون يعتقلون الوزراء والجنرالات القيصرين ، ويطلقون سراح الثوريين المسجونين ، فلا يكاد المعتقلون السياسيون يستعيدون حريتهم حتي ينضموا الى النضال الثوري .

وكان تبادل اطلاق الرصاص في الطرقات مستمرا مع رجال الشرطة والدرك الذين ركزوا المدافع الرشاشة في عتابر المنازل . الا ان انتقال الجيش سريعا الى جانب العمال قرر مصير الاوتوقراطية القيصرية .

ولما وصل نأ الثورة الطافرة في بتروغراد الى المدن الاخرى والى الجبهة

اخذ العمال والجنود يعزلون الموظفين القيصريين في كل مكان .

هكذا انتصرت ثورة شباط الديموقراطية البورجوازية .

وقد انتصرت لان محركتها كانت الطبقة العاملة التي ترأست حركة ملايين الفلاحين ، المتجلبين بلباس الجندي ، في سبيل «السلام والخبز والحرية» . فزعامة البروليتاريا هي التي قادت الثورة الى النجاح .

« ان البروليتاريا هي التي قامت بالثورة : هي التي قدمت برهان البطولة ، وجادت بدمها ، وجرت وراءها اوسع جماهير الشغيلة والسكان الفقراء » .  
— هذا ما كتبه لينين في الايام الاولى من الثورة (لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٠ — ص ٢٣ — ٢٤ ، الطبعة الروسية) .

ان ثورة ١٩٠٥ الاولى كانت قد هيأت الانتصار السريع للثورة الثانية ، عام ١٩١٧ . وقد قال لينين في هذا الصدد :

« لو لم تقم البروليتاريا الروسية خلال ثلاث سنوات ، من ١٩٠٥ الى ١٩٠٧ ، باعظم المعارك الطبقة حيث بسطت نشاطها الثوري الى مداه ، لما كانت الثورة الثانية اسرعت بهذا المقدار ، بمعنى ان مرحلتها البدائية ما كانت لتتم خلال بضعة ايام » (المراجع ذاته — الصفحة ١٣)

ظهرت مجالس السوفييات منذ الايام الاولى للثورة . والى تلك المجالس ، التي انشأها العمال والجنود الثائرون ، استندت الثورة الظافرة . كانت ثورة ١٩٠٥ قد بينت ان مجالس السوفييات هي هيئات الثورة المسلحة ، وانها في الوقت نفسه نواة حكم جديد ثوري ، وكانت فكرة مجالس السوفييات حية في نفوس جماهير العمال ، فحققوها غداة قلب القيصرية مع هذا الفارق وهو ان مجالس السوفييات عام ١٩٠٥ كانت تضم نواب العمال فحسب ، اما في شباط ١٩١٧ ، فقد تألفت ببادرة البلاشفة مجالس سوفيائية لنواب العمال والجنود . وبينما كان البلاشفة ينهضون مباشرة بعبء القيادة في نضال الجماهير في الشارع ، كان الحزبان التفاهميان ، حزب المنشفيك والحزب الاشتراكي الثوري ، يستوليان على مقاعد النيابة في مجالس السوفييات ، ويضمنان لنفسهما

الاكثرية فيها . وما ساعد على ذلك ، الى حد ما ، أن اكثرية زعماء الحزب البلشفي كانوا في السجن او في المنفى ( كان لينين في الغربة ، وستالين وسفردولوف منفين الى سيبيريا ) ، في حين ان المنشفيك والاشتراكيين الثوريين يروحون ويغدون بكل حرية في شوارع بتروغراد . وهكذا تسلم ممثلو الحزبين التفاهمين المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، مقاعد الرئاسة في سوفيات بتروغراد وفي لجنته التنفيذية . وحدث مثل ذلك ايضاً في موسكو وعدة مدن اخرى . ولم يحصل البلاشفة على الاكثرية في مجالس السوفيات منذ البداية ، الا في ايفانوفو — فوزنيسانسك وكراسنويارسك وبضع مدن اخرى .

وكان الشعب المسلح ، العمال والجنود ، بايقادهم بمثلهم الى مجالس السوفيات ، ينظرون اليها على انها هيئة الحكم الشعبي . وكانوا يعتبرون ، بل كانوا مقتنعين ، أن المجالس السوفياتية لنواب العمال والجنود ستحقق مطالب الشعب الثورية ، وان الصلح سيعقد قبل كل شيء آخر .

الا ان طيبة العمال والجنود المتناهية لم تلبث ان عادت عليهم بنتائج مزعجة . فان الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك لم تكن تخطر لهم ببال فكرة وضع حد للحرب ، والحصول على السلام . بل كانوا عازمين على الاستفادة من الثورة لمتابعة الحرب . اما فيما يتعلق بالثورة ومطالب الشعب الثورية ، فان الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك كانوا يعتبرون ان الثورة قد انتهت ، ولم يبق سوى توطيدها ، والدخول في طريق تعايش « عادي » ، دستوري ، مع البورجوازية . ولذلك اتخذت القيادة الاشتراكية الثورية والمنشفيكية ، في سوفيات بتروغراد ، كل ما بوسعها من تدابير لطمس قضية وقف الحرب ، وقضية السلام ، ولتسليم الحكم الى البورجوازية .

وفي ٢٧ شباط ( ١٢ اذار ) ١٩١٧ ، عمد النواب الاحرار ( ١ ) في دوما الدولة ، بعد ما اتفقوا بين الكواليس مع الزعماء الاشتراكيين الثوريين

والمنشفيك ، الى تأليف اللجنة الموقته لدوما الدولة ، وعلى رأسها رئيس الدوما الرابعة ، رودزيانكو ، الذي كان من كبار ملاكي الاراضي ومن انصار النظام الملكي . وبعد بضعة ايام ، اتفقت اللجنة الموقته مع الزعماء الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك الموجودين في اللجنة التنفيذية لسوفييات العمال والجنود ، بدون علم البلاشفة ، على تأليف حكومة جديدة لروسيا : هي الحكومة البورجوازية الموقته ، وعلى رأسها الامير لفوف ، الذي كان القيصر نقولا الثاني ، قبل ثورة شباط ، يفكر بمجعله وزيره الاول . وكانت الحكومة الموقته تضم زعيم حزب الكاديت ، ميليوكوف ، وزعيم الاوكتوبريين ، غوتشكوف ، وممثلين آخرين نافذين لطبقة الرأسماليين . وقد أُدخل الاشتراكي الثوري كرنسكي ، في هذه الحكومة ، كممثل لـ « الديموقراطية » .

هكذا سلم الزعماء الاشتراكيون الثوريون والمنشفيك في اللجنة التنفيذية لسوفييات ، الحكم الى البورجوازية . ولما أُطلع سوفييات العمال والجنود على الواقع ، وافق باكثرية على نشاط الزعماء الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، بالرغم من احتجاجات البلاشفة .

وعلى هذه الصورة ، انشئت في روسيا السلطة الجديدة للدولة ، المؤلفة — كما قال لينين — من ممثلي «البورجوازية وكبار ملاكي الاراضي المتبرجين » . ولكن كان الى جانب الحكومة البورجوازية ، سلطة اخرى . هي سوفييات نواب العمال والجنود . وكان نواب الجنود مؤلفين بصورة رئيسية من فلاحين مجندين . فكان سوفييات نواب العمال والجنود هو هيئة التحالف بين العمال والفلاحين ضد السلطة القيصرية ، وفي الوقت نفسه ، هيئة سلطة العمال والفلاحين انفسهم ، هيئة ديكتاتورية الطبقة العاملة والفلاحين . فنشأ عن ذلك تشابك طريف بين السلطين ، بين الديكتاتوريتين : ديكتاتورية البورجوازية الممثلة في الحكومة الموقته ، وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الممثلة في سوفييات نواب العمال والجنود .

كان هنالك ازدواج في السلطات .

كيف نفسر كون المنشفيك والاشتراكيين الثوريين أصبحوا ، في البداية ، اكثرية في مجالس السوفيات ؟

كيف نفسر تسليم العمال والفلاحين المنتصرين ، باختيارهم ، زمام السلطة الى ممثلي البورجوازية .

كان لينين يفسر ذلك بالامر التالي : وهو ان ملايين من الناس الذين لم يألفوا ممارسة السياسة من قبل ، فتحوا اعينهم على الحياة ، وشعروا بانفسهم منجذبين اليها . وكان اكثر هؤلاء من صغار المستثمرين ، ومن فلاحين ، ومن عمال كانوا الى امد غير بعيد فلاحين ، اي من اناس يحتلون مكاناً وسطاً بين البورجوازية والبروليتاريا . فقد كانت روسيا في ذلك الحين ، بين جميع الاقطار الاوروبية الكبرى ، القطر المميز بصفته البورجوازية الصغيرة البارزة . وفي هذا القطر « نهضت موجة بورجوازية صغيرة اغرقت كل شيء ، وطحنت البروليتاريا الواعية لا بعددها وحسب ، بل بعقليتها ايضاً ، اي انها أعدت اوساطاً واسعة من العمال بنقلها اليهم مفاهيمها — مفاهيم البورجوازية الصغيرة ، في السياسة » . ( لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٠ ، صفحة ١١٥ — الطبعة الروسية ) .

ان هذه الموجة من عنصر البورجوازية الصغيرة ، هي التي رفعت الى فوق ، حزبي البورجوازية الصغيرة ، المنشفيكي والاشتراكي الثوري .

وأورد لينين ايضاً سبباً آخر ، هو التغير الذي طرأ على تركيب البروليتاريا خلال الحرب ، وعدم كفاية درجة الوعي والتنظيم لديها في بداية الثورة . ففي اثناء الحرب ، حدثت تغييرات هامة في البروليتاريا نفسها ، فان ما يقرب من ٤٠ بالمائة من ملاكات العمال ضموا الى الجيش ، بينما تسرب عدد كبير من صغار الملاكين والصناع واصحاب الدكاكين ، الغرباء عن عقلية البروليتاريا ، الى المعامل فراراً من التجنيد .

وهذه العناصر من البورجوازية الصغيرة في دنيا العمال ، هي التي كانت تؤلف التربة التي استمد منها ساسة البورجوازية الصغيرة ، المنشفيك

والاشتراكيون الثوريون ، غذاءهم .

لهذا السبب وقعت ، في الشهور الاولى للثورة ، الجماهير الشعبية الواسعة التي لم تألف ممارسة السياسة ، والتي طغت عليها موجة العنصر البورجوازي الصغير ، واسكرتها الانتصارات الاولى للثورة ، وقعت تحت تأثير احزاب التفاهم . ولهذا السبب رضيت هذه الجماهير بالتخلي للبورجوازية عن سلطة الدولة ، لظنها ، في حسن نيتها ، ان السلطة البورجوازية لن تضايق نشاط مجالس السوفييات .

فكان امام الحزب البلشفي مهمة العمل ، بصبر وأناة ، لايضاح الحالة امام الجماهير ، فيرفع القناع عن الصبغة الاستعمارية للحكومة المؤقتة ، ويفضح خيانة الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، ويبين بانه ليس من الممكن الحصول على السلام الا بان تحل حكومة السوفييات محل الحكومة المؤقتة .

وقد انكب الحزب البلشفي على اداء هذه المهمة باعظم ما يمكن من النشاط والعزم .

فأعاد تنظيم صحافته العلنية . فلم تمض خمسة ايام على ثورة شباط ، حتى صدرت جريدة البرافدا في بتروغراد . وبعد بضعة ايام اخرى ، صدرت جريدة الاشتراكي الديموقراطي في موسكو . وسار الحزب على رأس الجماهير التي اخذت تفقد ثقها بالبورجوازية الحرة ، والمنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، واخذ يوضح للجنود ، والفلاحين ، بصبر كبير ، ضرورة القيام بعمل مشترك مع الطبقة العاملة ، مبنياً لهم ان الفلاحين لن يحصلوا لا على السلام ، ولا على الارض اذا لم تتابع الثورة تطورها ، واذا لم تحل حكومة السوفييات محل الحكومة البورجوازية المؤقتة .

# الخلاصة

نشبت الحرب الاستعمارية بسبب التفاوت في تطور الاقطار الرأسمالية ، بسبب انقطاع التوازن بين الدول الرئيسية ، بسبب اقتناع الرأسماليين بضرورة تقسيم جديد للعالم ، بواسطة الحرب ، ويجاد توازن جديد بين القوى .

وما كانت الحرب لتكون لها القوة الهدامة ، بل ربما ما كانت سارت بذلك للعنف ، لو ان احزاب الاممية الثانية لم تحن قضية الطبقة العاملة ولم تنقض قرارات مؤتمرات الاممية الثانية ضد الحرب ، ولو انها قررت ان تقف هي ، وان تنهض الطبقة العاملة ضد الحكومات الاستعمارية ، ضد مثيري الحرب .

وكان الحزب البلشفي الحزب البروليتاري الوحيد الذي بقي أميناً لقضية الاشتراكية والاممية ، واثار الحرب الاهلية ضد حكومته الاستعمارية . اما سائر احزاب الاممية الثانية ، التي كانت ، بواسطة فئاتها القائدة ، مرتبطة بالبورجوازية ، فانها وجدت نفسها تحت نفوذ الاستعمار ، وانضمت الى المعسكر الاستعماري .

ان الحرب التي كانت نتيجة للأزمة العامة للرأسمالية ، زادت في خطورة هذه الأزمة واطعنت الرأسمالية العالمية . وكان عمال روسيا والحزب البلشفي اول من عرفوا ، في العالم ، كيف يستغلون ضعف الرأسمالية ، ويحرقون جبهة الاستعمار ، ويقلبون القيصر ، ويخلقون المجالس السوفياتية لنواب العمال والجنود .

ان الجماهير الواسعة من البورجوازيين الصغار ، والجنود ، وكذلك من العمال وثقوا بالحكومة الموقفة وايدوها ، اذا سكرتهم الانتصارات الاولى للثورة ، واطمانوا لوعود المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، الذين كانوا يزعمون ان كل شيء سيسير بعد الان على ما يرام .

فكانت مهمة الحزب البلشفي ان يوضح لمجاهير العمال والجنود ، السكاري  
بنشوة الانتصارات الاولى ، انهم لا يزالون بعيدين عن الانتصار التام للثورة ،  
وان السلطة ما دامت في ايدي الحكومة البورجوازية الموقته ، وما دام انصار  
التفاهم ، المنشفيك والاستراكيون الثوريون ، سائدين في المجالس السوفياتية ،  
فان الشعب لن يحصل لا على السلام ، ولا على الارض ، ولا على الخبز ، وان  
من الضروري ، لاجل الانتصار نهائياً ، القيام بخطوة اخرى الى امام ، وتسليم  
السلطة الى مجالس السوفيات .



## الفصل السابع

حزب البلاشفة في مرحلة التهيئة  
لثورة اكتوبر الاشتراكية وانجازها  
(نيسان ١٩١٧ — ١٩١٨)

•

١ - الحالة في البلاد بعد ثورة شباط - خروج الحزب  
من الوضع المخزي وانتقاله الى العمل السياسي العلني -  
وصول لينين الى بتروغراد - موضوعات لينين في  
نيسان - اتجاه الحزب نحو الانتقال الى الثورة الاشتراكية.

كانت الحوادث ، ومسلكت الحكومة الموقفة ، تؤكد كل يوم اكثر فاكثراً  
صحة خطة البلاشفة ، وتبين بوضوح متعاضد ان الحكومة الموقفة ليست مع  
الشعب بل ضده ، وليست مع السلم بل مع الحرب ، وانها لا تريد ولا تستطيع  
ان تعطي لا السلام ولا الارض ولا الخبز . وكان عمل البلاشفة لايضاح الموقف  
بجد تربة صالحة .

ففيما كان العمال والجنود يسقطون الحكومة القيصيرية ، ويدكون  
الملكية حتى جذورها ، كانت الحكومة الموقفة تميل ميلاً واضحاً  
الى الابقاء على الملكية . وفي ٢ آذار ١٩١٧ ارسلت الى القيصر رسالة  
رسولين هما غوتشكوف وشولفين . لقد كان في نية البورجوازية تسليم مقاليد

السلطة الى ميشيل، شقيق نقولا رومانوف (١). ولكن حين صاح غوتشكوف،  
محتجاً خطاباً القاه في اجتماع لعمال سكة الحديد : « عاش الامبراطور ميشيل ! »  
طالب العمال باعتقال غوتشكوف على الفور وتفتيشه ، وهم يرددون ،  
بغضب ، المثل القائل : « الفجل البري ليس احلى مذاقاً من الفجل الاسود » .  
كان من الواضح ان العمال لن يسمحوا ببعث الملكية .

وفيا العمال والفلاحون ، الذين قاموا بالثورة وسفكوا دمهم من اجلها ،  
ينتظرون وضع حد للحرب ، ويطالبون بالخبز والارض ، ويلحون في اتخاذ  
تدابير حاسمة للنضال ضد الخراب الاقتصادي كانت الحكومة المؤقتة تصم اذنيها  
عن هذه المطالب الشعبية الحيوية . ذلك انها ، وهي المؤلفة من ابرز ممثلي  
الرأسماليين وكبار ملاكي الاراضي ، ما كان ليخطر لها حتى في بال ان تلي مطلب  
الفلاحين بتسليمهم الارض ، كما انها ما كانت تستطيع اعطاء الشفيلة خبزاً ، اذ  
كان ذلك يقتضي المساس بمصالح كبار تجار القمح ، واستعمال كل الوسائل لاختد  
القمح من كبار ملاكي الاراضي والكولاك ، وهو امر ما كانت لتجرؤ  
عليه ، لانها كانت هي نفسها مرتبطة بمصالح هذه الطبقات . ولم يكن في وسعها  
كذلك ان تحقق السلم . فان ارتباطها بالاستعماريين الانكليز والفرنسيين كان  
يجعلها بعيدة عن التفكير في انهاء الحرب ، وتسعى على العكس الى استغلال  
الثورة لاشراك روسيا في الحرب الاستعمارية اشراكاً اوسع وانشط ، بغية  
تحقيق مراميها الاستعمارية ، وهي الاستيلاء على استنبول والمضائق ، وكذلك  
على غاليليا .

كان من الواضح ان ثقة الجماهير الشعبية في سياسة الحكومة المؤقتة ستزول  
وتنتهي في يوم قريب .

واضح تماماً ان ازدواج السلطة الذي نشأ بعد ثورة شباط ، لم يعد من  
الممكن ان يدوم طويلاً ، لان سير الحوادث كان يقتضي بتركز السلطة في  
نقطة واحدة : اما في يد الحكومة ، واما في يد مجالس السوفيات .

صحيح ان سياسة التفاهم ، سياسة المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، كانت لا تزال تلقى تأييداً بين الجماهير الشعبية . فقد كان عدد غير قليل من العمال ، وعدد اكبر من الجنود والفلاحين ، لا يزالون يؤمنون بان « المجلس الأنسبي سيأتي قريباً فيسوي كل شيء على احسن وجه » ، ويعتقدون ان الحرب لم تكن تجري من اجل الفتح ، بل هي الضرورة فرضتها للدفاع عن الدولة . وكان لينين يسمي هؤلاء الناس «دفاعيين» (١) منخدعين عن حسن نية ، اذ كانوا لا يزالون يعتبرون ان سياسة الوعود والمواعظ التي يسير عليها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون ، هي سياسة صحيحة . ولكن كان من الواضح ان عمر هذه الوعود وهذه المواعظ ليس طويلاً ، لان سير الحوادث وسلوك الحكومة الموقته اصبحا يبينان ويبرهنان كل يوم ان السياسة التفاهمية التي يسير عليها الاشتراكيون الثوريون والمنشفيك هي سياسة ماطلة وتغريب بالسذج من الناس .

ولم تكن الحكومة الموقته تقتصر دائماً على سياسة النضال الخفي ضد حركة الجماهير الثورية ، سياسة التآمر على الثورة بين «الكواليس» ، بل كانت تلجأ احياناً الى محاولات للقيام بهجوم مكشوف على الحريات الديموقراطية ، ومحاولات ل«اعادة الطاعة الى نصابها» خصوصاً بين الجنود ، ومحاولات ل«اقرار النظام» اي لادخال الثورة في الاطار الذي تريده البورجوازية . ولكنها ، رغم جهودها في هذا السبيل ، لم تتمكن من بلوغ مراميها ، فكانت الجماهير تحقق الحريات الديموقراطية وتماسها بجرارة : حرية الكلام ، والصحافة ، والجمعيات ، والاجتماع ، والتظاهر . واصبح العمال والجنود لا يألون جهداً في الاستفادة على اوسع وجه من الحقوق الديموقراطية التي فازوا بها للمرة الاولى ، للاشتراك بنشاط في حياة البلاد السياسية ، ولفهم الحالة الجديدة فهماً عميقاً وتقرير السلوك

(١) : دفاعيون : هي تعريب لكلمة «اوبوروتسه» الروسية وكانت تطلق في روسيا خلال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ، على الاشتراكيين المناصرين للحرب الاستعمارية .  
(هيئة التعريب)

الواجب انتهاجه .

ان منظمات الحزب البلشفي التي عملت بصورة غير مشروعة في ظروف القيصرية القاسية ، خرجت بعد ثورة شباط ، من الوضع السري وصارت تقوم بعمل سياسي وتنظيمي مكشوف . وكان عدد اعضاء المنظمات البلشفية لا يتجاوز في ذلك الوقت . ٤ او ٥ الفاً . غير انهم كانوا ملاكات تمرست بالنضال . وقد اعيد تنظيم لجان الحزب وفق قواعد المركزية الديمقراطية ، واصبحت كل هيئات الحزب ، من القاعدة الى القمة ، تؤلف بطريق الانتخاب .

ان انتقال الحزب الى الوضع المشروع ، كشف عن الاختلافات التي كانت موجودة في قلبه . فان كامينيف وبعض مناضلي منظمة موسكو ، مثل ريكوف وبوبنوف ونوغين ، اتخذوا موقفاً نصف منشفيكى قوامه تأييد الحكومة المؤقتة وسياسة «الدفاعيين» تأييداً مشروطاً . اما ستالين ، وكان قد عاد حديثاً من المنفى ، ومولوتوف والآخرين ، ومعهم اكثرية الحزب ، فكانوا يدعون الى سياسة عدم الثقة بالحكومة المؤقتة ، ويناضون «الدفاعية» ويدعون الى النضال النشط في سبيل السلام ، الى النضال ضد الحرب الاستعمارية . وكان عدد من مناضلي الحزب يترددون ، مفسحين بذلك عن تأخرهم السياسي الناجم عن بقائهم مدة طويلة في السجن او في المنفى . وكان غياب لينين ، زعيم الحزب ، يحدث فراغاً محسوساً .

وفي ٣ (١٦) نيسان ١٩١٧ ، عاد لينين الى روسيا بعد نفى أطول .

وكان لقدمه شأن بالغ في الحزب وفي الثورة .

وحين كان لينين لا يزال في سويسرا ، كتب ، وقد وصلته فقط اولى انباء الثورة ، الى الحزب والى الطبقة العاملة في روسيا ، رسائله المعروفة : «رسائل من بعيد» ، وقد جاء فيها :

«ايها العمال ! لقد اتيت بمعجزات من البطولة البروليتارية والشعبية في الحرب الاهلية ضد القيصرية ، وعليكم ان تأتوا بمعجزات من التنظيم البروليتاري والشعبى لتهيئة انتصاركم في

المرحلة الثانية من الثورة». (لينين — المؤلفات الكاملة —  
المجلد ٢٠ — الصفحة ١٩ — الطبعة الروسية)

وصل لينين الى بتروغراد في ليلة ٣ نيسان . وقد حفلت محطة فنلندا  
وساحتها بالوف من العمال والجنود والبحارة تجمعوا لاستقباله . فلما ترجل من  
القطار اخذت الجماهير حماسة لا توصف ، وقد رفعوا زعيمهم على الاكف  
وحملوه الى القاعة الكبرى في المحطة . وهنا حاول المنشفيكيان تشيكيذره  
وسكوبيليف ان يلقياً باسم سوفيات بتروغراد ، خطابي «ترحيب» « يعبران  
فيهما عن املهما» في ان يجد لينين «لغة مشتركة» مع المنشفيك . ولكن لينين  
لم يصغ اليهما ، بل تعداهما وتوجه مباشرة الى جماهير العمال والجنود ، والقي  
من على ظهر سيارة مصفحة ، الخطاب المشهور الذي دعا فيه الجماهير الى  
النضال لتحقيق انتصار الثورة الاشتراكية . «لتحي الثورة الاشتراكية !»  
هكذا ختم لينين اول خطاب القاه بعد سنوات طويلة من النفي .

منذ ما وصل لينين الى روسيا ، انصرف بكل عزمته الى العمل الثوري ،  
والقي ، غداة وصوله ، تقريراً عن الحرب والثورة في اجتماع للبلاشفة ، ثم كرر  
موضوعات هذا التقرير في اجتماع حضره بالاضافة الى البلاشفة جماعة من المنشفيك .  
وهذه الموضوعات هي المعروفة بموضوعات نيسان المشهورة ، التي اعطت  
الحزب والبروليتاريا خطة ثورية واضحة للانتقال من الثورة البورجوازية الى  
الثورة الاشتراكية .

وكان لموضوعات لينين هذه شأن بالغ في الثورة ، وفي نشاط الحزب  
اللاحق ايضاً . لقد سجلت الثورة انعطافاً هائلاً في حياة البلاد ، وكان الحزب  
في ظروف النضال الجديدة — بعد خلع القيصرية — بحاجة الى اتجاه جديد  
للسير بجرأة وبقدم ثابتة في الطريق الجديدة . وموضوعات لينين هي التي  
اعطت الحزب هذا الاتجاه .

تضمنت موضوعات نيسان برنامجاً عبقرياً لنضال الحزب في سبيل الانتقال  
من الثورة الديمقراطية البورجوازية الى الثورة الاشتراكية ، في سبيل الانتقال

من المرحلة الاولى للثورة الى المرحلة الثانية : الى مرحلة الثورة الاشتراكية .  
وكان كل التاريخ الماضي للحزب قد هياه للنهوض بهذه المهمة العظيمة . فمُنذ  
عام ١٩٠٥ ، كان لينين قد قال في كراسه خطتان للاشتراكية الديمقراطية  
في الثورة الديمقراطية ، ان البروليتاريا ستشرع ، بعد اسقاط القيصرية ، في  
تحقيق الثورة الاشتراكية . غير ان العنصر الجديد في موضوعات نيسان ، هو  
انها خطت برنامجاً واقعياً ملموساً ، مدعوماً من الناحية النظرية ، للمباشرة  
بالانتقال الى الثورة الاشتراكية .

كانت التدابير الانتقالية ، في الميدان الاقتصادي ، هي : تأميم كل اراضي  
البلاد مع مصادرة اراضي كبار الملاكين ، دمج البنوك جميعها في بنك وطني .  
واحد يخضع لمراقبة سوفيات نواب العمال ، اقامة رقابة على الانتاج الاجتماعي  
وعلى توزيع المنتجات .

وفي الميدان السياسي ، كان لينين يقترح الانتقال من الجمهورية البرلمانية  
الى جمهورية السوفيات . وهي خطوة جدية الى الامام في ميدان الماركسية  
النظرية والعملية . فعنى ذلك الحين ، كان النظريون الماركسيون يعتبرون  
ان الجمهورية البرلمانية هي احسن شكل سياسي للانتقال الى الاشتراكية . اما  
الان ، فكان لينين يقترح الاستعاضة عن الجمهورية البرلمانية بجمهورية  
السوفيات ، باعتبارها احسن شكل للتنظيم السياسي للجمع ، في مرحلة  
الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وقد جاء في الموضوعات :

« ان الشيء الفذ في الوضع الروسي القائم ، انما هو الانتقال  
من المرحلة الاولى للثورة ، التي اعطت الحكم للبورجوازية نتيجة  
عدم كفاية الوعي والتنظيم لدى البروليتاريا ، الى المرحلة الثانية  
لثورة ، التي يجب ان تعطي الحكم للبروليتاريا ، ولفئات الفقيرة  
من الفلاحين . » ( لينين : المؤلفات المختارة - المجلد الثاني - ص ٣ )  
وجاء فيها في مكان آخر :

« لا جمهورية برلمانية — فالرجوع اليها بعد قيام مجالس السوفييات لنواب العمال ، يكون خطوة الى الوراء — بل جمهورية المجالس السوفياتية لنواب العمال والاجراء الزراعيين والفلاحين ، في البلاد باسرها ، من القاعدة الى القمة » ( المرجع ذاته — ص ٤ ) .

وكان لينين يقول أن الحرب ، حتى في عهد الحكومة الجديدة ، الحكومة الموقته ، لا تزال حرب نهب ، حربا استعمارية . ومهمة الحزب هي ان يشرح ذلك للجماهير ، وان يبين لها ان انتهاء الحرب بصلح ديموقراطي حقاً لا يصلح مفروض بالقوة ، شيء مستحيل بدون قلب البورجوازية .

اماميا يتعلق بالحكومة الموقته ، فكان الشعار الذي وضعه لينين بشأنها هو : « لا تأييد للحكومة الموقته على الاطلاق ! »

وبين لينين كذلك في موضوعاته ، ان حزبنا ما يزال اقلية في مجالس السوفييات في الوقت الحاضر ، وان كتلة المنشفيك والاشتراكيين الثوريين تسيطر على هذه المجالس ، وتشكل اداة يتمد بها نفوذ البورجوازية الى البروليتاريا . ولذلك فمهمة الحزب هي :

« ان يشرح للجماهير ان مجلس السوفييات لنواب العمال هو الشكل الوحيد الممكن للحكومة الثورية ، واذن ، فلا يمكن ان تكون مهمتنا ، ما دامت هذه الحكومة خاضعة لنفوذ البورجوازية ، الا ان نشرح للجماهير بصبر ومثابرة وعناد ، اخطاء خطتها . ويكون ذلك على الخصوص بان نكيف انفسنا وفق المطالب العملية لهذه الجماهير . فما دمنا اقلية ، نقوم بالانتقاد وتوضيح الاخطاء ، مؤكدين في الوقت نفسه ضرورة انتقال كل سلطة الدولة الى مجالس السوفييات لنواب العمال . » ( المرجع ذاته — ص ٤ ) .

ومعنى ذلك ان لينين لم يكن يدعو الى الثورة المسلحة على الحكومة الموقته التي كانت تستمع آنذاك بثقة مجالس السوفييات ، لم يكن يدعو الى قلب هذه

الحكومة ، بل كان يريد ، عن طريق الايضاح و كسب الانصار ، احراز الاكثرية في مجالس السوفيات ، وتعديل سياسة هذه المجالس ، ومن ثم بواسطة هذه المجالس ، تغيير تركيب الحكومة وسياستها .  
وكان معنى ذلك ، الاتجاه نحو تطور الثورة تطوراً سلمياً .

وكان لينين يطلب ، بعدئذ ، خلع «التياب الوسخة» ، بالعدول عن تسمية الحزب باسم الاشتراكي — الديمقراطي . فقد كانت احزاب الاممية الثانية ، وكذلك المنشيك الروس ، يسمون انفسهم «اشتراكيين ديمقراطيين» . وقد دنس الانتهازيون ، خائنو الاشتراكية ، هذا الاسم وشأنه . ولذا اقترح لينين تسمية الحزب البلشفي: **الحزب الشيوعي** . كما كان ماركس وانجلس يسميان حزبهما . وهو اسم صحيح من الناحية العلمية ، ما دام الهدف النهائي للحزب البلشفي هو بلوغ الشيوعية . ان الانسانية ليس في وسعها ان تتقل مباشرة الا من الرأسمالية الى الاشتراكية ، اي الى جعل وسائل الانتاج ملكاً مشتركاً ، وتوزيع المنتجات بين الناس ، كل حسب عمله . ولكن لينين كان يقول بان حزبنا ينظر الى ابعد ، فالاشتراكية لا بد من ان تتحول وتتطور شيئاً فشيئاً الى الشيوعية التي يحمل علمها هذا الشعار : «من كل حسب كفاءته ، ولكل حسب حاجته» .

وكان لينين يطلب اخيراً ، في موضوعاته ، انشاء اممية جديدة ، اممية ثالثة ، محررة من الانتهازية ومن الاشتراكية — الشوفينية ، هي الاممية الشيوعية .

وقد اثارت موضوعات لينين صيحات الحق في صفوف البورجوازية والمنشيك والاشتراكيين الثوريين .

فأذاع المنشيك نداء الى العمال يبدأ بهذا التحذير : «الثورة في خطر» . وكان الخطر في رأي المنشيك هو ان البلاشفة وضعوا مطلب انتقال السلطة الى ايدي مجالس السوفيات لنواب العمال والجنود .  
ونشر بليخانوف في جريدته **يدينيستفو** (الوحدة) مقالا وصف فيه خطاب



لينين بأنه خطاب هذيان . وتمثل بليخانوف بكلمات المنشفي تشيكيده الذي كان قد صرح : « سيطر لينين وحده خارج الثورة ، اما نحن ، فستابع طريقنا » .

وفي ١٤ نيسان انعقد المجلس العام البلشفي لمنظمة بتروغراد — المدينة ، فوافق على موضوعات لينين واتخذها اساساً لاعماله .

وبعد مدة وجيزة ، وافقت منظمات الحزب المنطقية بدورها على موضوعات لينين .

وهكذا تبنى الحزب بأسره موضوعات لينين ببالغ الارتياح ، باستثناء افراد قلائل من طراز كامينيف وريكوف وبياتاكوف .

## ٢ — بدء ازمة الحكومة الموقته — انعقاد

المجلس العام للحزب البلشفي في نيسان .



فما البلاشفة يستعدون لتطوير الثورة ودفعها الى امام ، كانت الحكومة الموقته تتابع العمل ضد الشعب . ففي ١٨ نيسان ، ادلى وزير الخارجية ميليكوف بتصريح الى الحلفاء قال فيه : « ان الشعب بأسره يريد خوض الحرب العالمية حتى الانتصار النهائي ، والحكومة الموقته عازمة على الوفاء بتمهدياتها لحلفائنا وفاء كاملاً » .

وهكذا كانت الحكومة الموقته تقسم بان تبقى امينة للمعاهدات القيصرية وتعد بان تسفك ايضاً وايضاً من الدم الشعبي بمقدار ما يطلب الاستعماريون للحصول على « النهاية الظافرة » .

في ١٩ نيسان اطلع العمال والجنود على التصريح (« مذكرة ميليكوف ») . وفي ٢٠ نيسان دعت اللجنة المركزية للحزب البلشفي الجماهير الى الاحتجاج على السياسة الاستعمارية التي تسيير عليها الحكومة الموقته . وفي يومي ٢٠ و ٢١

نيسان (٣ و ٤ ايار) ١٩١٧ نزل الى الشارع ما لا يقل عن مئة الف من جماهير العمال والجنود يتظاهرون سخطاً على «مذكرة ميليو كوف»، وعلى اعلامهم هذه الشعارات: «انثروا المعاهدات السرية!»، «لتسقط الحرب!»، «كل السلطة للسوفيات!». وتوافد العمال والجنود من الضواحي نحو مركز المدينة، نحو مقر الحكومة المؤقتة. ووقعت في شارع نيفسكي وفي نقاط اخرى من المدينة اصطدامات مع جماعات من البورجوازية.

وقد دعا اعداء الثورة الالقاء، امثال الجنرال كورنيوف، الى اطلاق النار على المتظاهرين، بل لقد اعدوا لهذا الامر عدته، ولكن الوحدات العسكرية التي تلقت هذه الاوامر رفضت تنفيذها.

وفي اثناء المظاهرة التي فريق ضئيل من اعضاء لجنة الحزب في بتروغراد (باغدانيف وآخرون) شعار قلب الحكومة المؤقتة حالاً. فشجبت اللجنة المركزية للحزب البلشفي سلوك هؤلاء المغامرين «اليساريين» بشدة، اذ كانت تعتبر ان هذا الشعار ليس في اوانه، وانه غير صحيح، ومن شأنه ان يضايق الحزب في مسعاه الى اكتساب الاكثوية في مجالس السوفيات الى جانبه، كما يناقض اتجاه الحزب نحو تطوير الثورة سلمياً.

لقد سجلت حوادث ٢٠ و ٢١ نيسان بدء ازمة الحكومة المؤقتة. وكان ذلك اول صدع خطير في سياسة التفاهم التي يسير عليها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون.

وفي ٢ ايار ١٩١٧ طرد ميليو كوف وغوتشكوف من الحكومة المؤقتة تحت ضغط الجماهير.

وتألفت اول حكومة مؤقتة ائتلافية، ضمت الى جانب ممثلي البورجوازية، وزراء من المنشفيك (سكوبيليف وتسيرتيلي)، واشتراكيين ثوريين (تشرنوف وكرنسكي وآخرين).

وهكذا، فان المنشفيك الذين كانوا، عام ١٩٠٥، يعتبرون اشراك ممثلي الاشتراكية الديمقراطية في حكومة مؤقتة ثورية، امرا غير مقبول،

وجدوا الان ان من المقبول اشتراك ممثلهم في حكومة مؤقتة عدوة للثورة.  
كان معنى ذلك ، انتقال المنشفيك والاشتراكيين الثوريين الى معسكر  
البورجوازية عدوة الثورة .

في ٢٤ نيسان ١٩١٧ ، افتتح المجلس العام البلشفي السابع (مجلس نيسان).  
وهو اول مجلس عقده البلاشفة علناً منذ وجود الحزب . وهو من حيث اهميته  
يحتل في تاريخ الحزب مكانة مؤتمراً للحزب .

لقد اظهر مجلس نيسان الوطني ما اصبحت عليه الحزب من نمو وتطور عظيم.  
وقد حضر المجلس ١٣٣ مندوباً باصوات فعلية و ١٨ مندوباً باصوات استشارية.  
وكان هؤلاء المندوبون يمثلون ٨٠ الف عضو منظم في الحزب .

وقد ناقش المجلس ووضع خطة الحزب في كل القضايا الاساسية المتصلة  
بالحزب والثورة ، كقضايا الوضع العام ، والحزب ، والحكومة المؤقتة ،  
ومجالس السوفييات ، والمسألة الزراعية ، والمسألة القومية ، وغيرها .

وطور لينين في تقريره المبادئ التي سبق له ان صاغها في موضوعات  
نيسان : مهمة الحزب هي ان يحقق الانتقال من المرحلة الاولى للثورة — تلك  
المرحلة «التي اعطت الحكم الى البورجوازية ، الى المرحلة الثانية من الثورة ،  
التي يجب ان تعطي الحكم الى البروليتاريا والفئات الفقيرة من الفلاحين »  
(لينين). فعلى الحزب ان يتجه نحو تهيئة الثورة الاشتراكية . اما مهمة الحزب  
المباشرة القريبة ، فقد صاغها لينين في شعار : « كل الحكم للسوفييات »!

وكان شعار « كل الحكم للسوفييات » يعني وجوب الانتهاء من ازدواج  
السلطات ، اي الانتهاء من انقسام السلطة بين الحكومة المؤقتة ومجالس  
السوفييات ، ووجوب تسليم كل الحكم للسوفييات ، وطرد ممثلي كبار ملاكي  
الاراضي والرأسماليين من هيئات الحكم .

وقرر المجلس ان من اهم مهمات الحزب ، ان يوضح للجماهير دون كلل  
« ان الحكومة المؤقتة هي من حيث طبيعتها ، اداة سيطرة كبار ملاكي  
الاراضي والبورجوازية » ، وان يكشف كذلك عن سوء المغبة من سياسة

الغفام ، سياسة الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، الذين يحددون الشعب بوعود كاذبة ويعرضونه لضربات الحرب الاستعمارية وضربات اعداء الثورة . ووقف كامينيف وريكوف في المجلس وتكلما ضد لينين . فكرر ما يقوله المنشفيك من ان روسيا لم تصبح بعد ناضجة للثورة الاشتراكية ، وان الجمهورية البورجوازية ، دون سواها ، ممكنة في روسيا . واقترحا على الحزب وعلى الطبقة العاملة الاكتفاء « بمراقبة » الحكومة الموقته . فيها ، من حيث الجوهر ، كانا ، مثلها مثل المنشفيك ، يدعوان الى الابقاء على الرأسمالية والحفاظ على حكم البورجوازية .

كذلك زينوفيف ، وقف ضد لينين ، وذلك في مسألة هل يبقى الحزب البلشفي في جماعة زيرفالد ، ام يقطع صلاته بها ، وينشئ امية جديدة ؟ فقد اظهرت سنوات الحرب ان هذه الجماعة ، مع قيامها بالدعوة الى السلام ، لم تقطع عملياً صلاتها بالدفاعيين ، البورجوازيين . ولهذا الحزب لينين على ضرورة الخروج من هذه الجماعة فوراً وتنظيم امية جديدة هي الامية الشيوعية . اما زينوفيف فاقترح البقاء مع الزيرفالدين . الا ان لينين شجب موقف زينوفيف بحزم ، ووصف خطته بانها خطة « مغرقة في الانتهازية وضارة » ! وناقش مجلس نيسان ايضا المسألة الزراعية والمسألة القومية .

وبناء على تقرير لينين عن المسألة الزراعية ، اتخذ المجلس قرارا يقضي بمصادرة اراضي كبار الملاكين ، ووضعها تحت تصرف لجان الفلاحين ، وبتأميم كل اراضي البلاد . ودعا البلاشفة جماهير الفلاحين الى النضال في سبيل الارض وبينوا لهم ان الحزب البلشفي هو الحزب الثوري الوحيد الذي يساعد الفلاحين عملياً على تفويض سلطان كبار ملاكي الاراضي .

وكان لتقرير الرفيق ستالين عن المسألة القومية اهمية كبرى . فمنذ ما قبل الثورة ، وعلى اعتاب الحرب الاستعمارية ، كان لينين وستالين قد وضعوا مبادئ سياسة الحزب البلشفي في المسألة القومية . وكانا يقولان بان من واجب الحزب البروليتاري ان يؤيد حركة التحرر الوطني التي تقوم بها الشعوب

المظلومة ضد الاستعمار . وبذلك كان الحزب البلشفي يدافع عن حق الامم في التصرف بنفسها بما في ذلك حقها في الانفصال وتأسيسها في دول مستقلة . وقد دافع الرفيق ستالين ، مقرر اللجنة المركزية ، عن وجهة النظر هذه امام المجلس العام للحزب .

وعارض بياتا كوف موقف لينين وستالين ، وكان منذ سنوات الحرب ، يقف مع بوخارين موقفاً قومياً شوفينياً في المسألة القومية . وكنا كلاهما ضد حق الامم في التصرف بنفسها .

وكان موقف الحزب الحازم الثابت في المسألة القومية ، ونضاله في سبيل المساواة التامة بين الامم ، ومحو كل اشكال الاضطهاد القومي وعدم التساوي بين القوميات ، قد اكسبه عطف كل القوميات المظلومة وتأييدها .

وفيما يلي نص القرار الذي اتخذته مجلس نيسان العام عن المسألة القومية :

« ان سياسة الاضطهاد القومي ، الموروثة عن الاوتوقراطية والملكية ، تجد كل تأييد من قبل كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين والبورجوازية الصغيرة ، الذين يريدون بذلك ان يحافظوا على امتيازاتهم الطبقية ، وان يفرقوا بين عمال مختلف القوميات . والاستعمار الحديث ، الذي يقوي الميل الى السيطرة على الشعوب الضعيفة واخضاعها ، هو عامل جديد في تفاقم الاضطهاد القومي .

« ان محور نير الاضطهاد القومي ، بمقدار ما هو ممكن في المجتمع الرأسمالي ، لا يتم الا في ظل نظام وجهاز للدولة ، جمهوري وديموقراطي حازم يؤمن التساوي التام بين كل الامم وكل اللغات .

« يجب ان يُعترف لكل الامم الداخلة في تكوين روسيا ، بحق الانفصال بحرية وتشكيل دولة مستقلة . فان انكار هذا الحق وعدم اقرار التدابير التي تضمن تطبيقه عملياً ، معناه

تأييد سياسة الفتح او الالحاق . ان اعتراف البروليتاريا بحق  
الامم في حرية الانفصال ، هو وحده الذي يؤمن التضامن التام  
بين عمال مختلف الامم ويساعد على تقارب الامم تقارباً  
ديموقراطياً حقيقياً ..

« ولا يجوز المزج بين مسألة حق الامم في الانفصال الحر ،  
ومسألة الفائدة من انفصال هذه الامة او تلك في هذا الوقت  
او ذاك . فهذه المسألة الاخيرة ، يجب على حزب البروليتاريا  
ان يفصل فيها في كل حالة خاصة بصورة مستقلة تماماً ، وفقاً  
لما تقتضيه مصالح التطور الاجتماعي بمجموعه ، ومصالح نضال  
البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية .

« ان الحزب يطالب بحكم ذاتي منطقي واسع ، وبالعفاء  
المراقبة من فوق ، وبالعفاء اللغة الرسمية الاجبارية للدولة ،  
وبتحديد حدود المناطق ذات الحكم الذاتي وذات الادارة الذاتية  
على اساس قيام السكان المحليين انفسهم بتقدير الشروط  
الاقتصادية، والاخلاق، والعادات، والتركيب القومي للسكان .. الخ.  
« ويرفض حزب البروليتاريا رفضاً باتاً ما يسبونه «الاستقلال

الذاتي الثقافي القومي» ، اي سحب الشؤون المدرسية وغيرها من  
صلاحية الدولة وتسليمها الى نوع من المجالس القومية . فان  
العمال القاطنين في مكان واحد، بل وحتى المشتغلين في معمل واحد،  
يفرقهم هذا الاستقلال الذاتي الثقافي القومي تقريباً مصطنعاً  
حسب انتمائهم لهذه «الثقافة القومية» او تلك ، اي انه يقوي صلة  
العمال بالثقافة البورجوازية لمختلف الامم ، في حين ان مهمة  
الاشتراكية الديموقراطية هي تقوية الثقافة الالامية للبروليتاريا  
العالمية .

« ويطلب الحزب ادخال قانون اساسي في الدستور يلغي  
الامتيازات ، ويلغي كل انتقاص من حقوق الاقليات القومية

مهما كان .

« ان مصالح الطبقة العاملة تتطلب اندماج عمال جميع القوميات القاطنة في روسيا في منظمات بروليتارية موحدة ، سياسية او نقابية او تعاونية او ثقافية ... الخ . فان مثل هذا الاندماج لعمال مختلف القوميات في منظمات موحدة ، هو وحده الذي يسمح للبروليتاريا بان تقوم بنضال ظافر ضد الرأسمال الدولي ، وضد القومية البورجوازية . » ( ستالين — الماركسية والقضية الوطنية وقضية المستعمرات ، ص . ٣٠٧ - ٣٠٨ ، الطبعة الفرنسية ، المطبوعات الاجتماعية الدولية ، باريس ١٩٣٧ ) .

هكذا فضح مجلس نيسان العام ، الخطة الانتهازية المخالفة للينينية ، التي كان يدعو اليها كامينيف وزينوفيف وبياتاكوف وبوخارين وريكوف وانصارهم القلائل .

لقد سار المجلس بالاجماع مع لينين فاتخذ موقفاً واضحاً في كل القضايا الهامة ، واتجه في خطته نحو انتصار الثورة الاشتراكية .

•

### ٣ - نجاح الحزب البلشفي في العاصمة — فشل هجوم جيش الحكومة الموقرة على الجبهة — قمع مظاهرة العمال والجنود في تموز

على اساس قرارات مجلس نيسان العام ، عمد الحزب الى القيام بعمل كبير واسع لاكتساب الجماهير وتنقيتها وتنظيمها للنضال . وكانت خطة الحزب في هذه المرحلة قائمة على ايضاح السياسة البلشفية بصبر واثابة ، وفضح سياسة المنشفيك والاشتراكيين الثوريين التفاهمية ، بغية عزل هذين الحزبين عن الجماهير والاستيلاء على الاكثرية في مجالس السوفيات .

وكان البلاشفة ، عدا نشاطهم في مجالس السوفيات ، يقومون بعمل واسع

في النقابات ولجان المصانع والمعامل .

وقام البلاشفة بعمل كبير خصوصاً في الجيش . فاخذت تتألف منظمات عسكرية في كل مكان . وعمل البلاشفة دون كلل ، سواء في الجبهة او في المؤخرة ، لتنظيم الجنود والبحارة . وكانت الجريدة البلشفية في الجبهة : او كوبنايا برافيدا ( حقيقة الخنادق ) تقوم بدور كبير في نشر الفكرة الثورية بين الجنود .

وبفضل هذا النشاط الذي بذله البلاشفة في الدعاية والتعريض ، راح العمال ، منذ الشهور الاولى للثورة ، يجددون مجالس السوفييات في مدن عديدة ، وخصوصاً مجالس السوفييات في الاحياء ، فيطردون المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، وينتخبون عوضاً عنهم انصار الحزب البلشفي .

وكان عمل البلاشفة يعطي نتائج طيبة في بتروغراد بوجه خاص .

فمن ٣٠ ايار الى ٣ حزيران ، انعقد مجلس عام للجان المعامل والمصانع في بتروغراد ، فسار ثلاثة ارباع المندوبين مع البلاشفة . ان البروليتاريا بمجموعها تقريبا ، في هذه المدينة ، تبعت الشعار البلشفي : « كل الحكم للسوفييات ! »

وفي ٣ ( ١٦ ) حزيران ، انعقد المؤتمر الاول لمجالس السوفييات في روسيا . وكان البلاشفة لا يزالون اقلية في مجالس السوفييات ، اذ لم يكن معهم الا عدد يزيد قليلا عن ١٠٠ مندوب ، مقابل عدد يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مندوب من المنشفيك والاشتراكيين الثوريين وغيرهم .

فضح البلاشفة بقوة ، في مؤتمر السوفييات الاول ، سياسة التفاهم مع البورجوازية وعواقبها الوحشية القتالة ، وكشفوا القناع عن الطبيعة الاستعمارية للحرب . والقي لينين خطابا برهن فيه صحة الخطة البلشفية ، وصرح بان حكم السوفييات فقط يستطيع اعطاء الحزب للشغيلة والارض للفلاحين وتحقيق السلام وانتشال البلاد من الخراب .

وكانت تجري في الوقت نفسه حملة جماهيرية كبرى في احياء العمال في بتروغراد لتنظيم مظاهرة وتقديم مطالب لمؤتمر السوفييات . فقررت اللجنة التنفيذية لسوفييات بتروغراد تعيين يوم ١٨ حزيران ( اول تموز ) موعداً



للتظاهر ، رغبة منها في اجتناب حدوث مظاهرة عفوية للعمال ، وسعيًا وراء استغلال الروح الثورية لدى الجماهير في سبيل مآربها . وكان المنشفيك والاشتراكيون الثوريون يأملون ان تجري الحركة تحت شعارات موجهة ضد البلاشفة . ولكن الحزب البلشفي سارع الى اتخاذ الاستعدادات لهذه المظاهرة بكل عزيمة ، وكسب الرقيق ستالين في البرافدا : « ان مهمتنا هي الحصول على ان تجري مظاهرة ١٨ حزيران في بتروغراد تحت شعاراتنا الثورية » .

وفي ١٨ حزيران ١٩١٧ ، مرّ المتظاهرون امام نصب التذكاري لضحايا الثورة . وكانت المظاهرة استعراضاً حقيقياً لقوى الحزب البلشفي ، وقد دلت على تقدم الروح الثورية بين الجماهير وعلى ثقة الجماهير المتعاظمة بالحزب البلشفي . اما شعارات المنشفيك والاشتراكيين الثوريين الداعية الى الثقة بالحكومة الموقته وضرورة متابعة الحزب ، فقد غرقت في بحر الشعارات البلشفية ، اذ مر ٤٠٠ الف متظاهر حاملين اعلاماً عليها الشعارات التالية : « لتسقط الحزب ! » « ليسقط الوزراء الرأسماليون العشرة ! » ، « كل الحكم للسوفييات ! » وكان معنى ذلك انهيار المنشفيك والاشتراكيين الثوريين انهياراً كاملاً ، وانهيار الحكومة الموقته في العاصمة .

غير ان الحكومة الموقته قررت متابعة سياستها الاستعمارية مستندة الى تأييد مؤتمر السوفييات الاول . وفي يوم ١٨ حزيران بالذات ، وتنفيذاً لارادة الاستعماريين الانكليز والفرنسيين ، دفعت الجنود في الجبهة الى الهجوم . وكانت البورجوازية ترى في هذا الهجوم الوسيلة الوحيدة للقضاء على الثورة ، اذ كانت تأمل ان تأخذ في حالة الانتصار ، كل السلطة في يدها ، وان تدفع السوفييات الى الورا ، وان تسحق البلاشفة . وفي حالة الفشل يكون من الممكن القاء المسؤولية على البلاشفة انفسهم ، باتهامهم بتفسيخ الجيش .

ولم يكن ثمة مجال للشك بان الهجوم سيفشل . وهو ما حدث فعلاً . فان اعياء الجنود وعدم فهمهم الغاية من الهجوم وعدم ثقتهم بقيادة غريبة عنهم في تركيبها ، ونقص الذخيرة والمدفعية ، كل ذلك ادى الى فشل الهجوم في الجبهة .

وقد احدث نبالا المهجوم وفشله تأثيراً كبيراً في العاصمة ، وتجاوز سخط العمال والجنود كل حد . واطضح ان الحكومة المؤقتة قد خدعت الشعب حين صرحت عن عزمها على انتهاج سياسة سلمية ، وتبين انها تريد متابعة الحرب الاستعمارية ، كما تبين ان لجنة السوفييات التنفيذية المركزية في روسيا، وكذلك سوفييات بتروغراد ، لم يريدوا او لم يستطيعوا التصدي لاعمال الحكومة المؤقتة الاجرامية ، وانجرأ في ذيلها .

طفح الغضب الثوري عند العمال والجنود في بتروغراد ، وجرت في ٣ تموز ( ١٦ تموز ) في حي فيبورغ مظاهرات عفوية كانت تستمر طوال النهار . وقد بدأت متفرقة ، ثم ما لبثت ان تحولت الى مظاهرة عظيمة مسلحة تحت شعار انتقال الحكم الى السوفييات . وكان الحزب البلشفي ضد قيام حركة مسلحة في ذلك الحين ، اذ كان يعتبر ان الازمة الثورية لم تنضج بعد ، وان الجيش والمليشيات ليست على استعداد لتأييد الثورة المسلحة في العاصمة ، وان ثورة مسلحة منعزلة وقبل اوانها في بتروغراد يمكن فقط ان تسهل لاعداء الثورة سحق طليعة الثورة . ولكن عندما اصبح من الواضح ان ليس من الممكن رد الجماهير عن التظاهر ، قرر الحزب البلشفي الاشتراك في المظاهرة حتى يعطيها صبغة سلمية ومنظمة . وقد نجح الحزب في ذلك . فان مئات الالوف من المتظاهرين توجهوا نحو مقر مجلس سوفييات بتروغراد ولجنة مجالس السوفييات التنفيذية المركزية في روسيا ، حيث طلبوا الى مجالس السوفييات اخذ الحكم في يدها وقطع كل صلة بالبورجوازية الاستعمارية وانتهاج حياسة سلم فعالة ناجعة . وبالرغم من الصبغة السلمية للمظاهرة ، جردت ضد المتظاهرين فصائل رجعية من الجنونكر ( التلاميذ الضباط ) ومن الضباط ، فسالت دماء العمال والجنود غزيرة في شوارع بتروغراد . وكانت اشد الوحدات تأخراً وعداوة للثورة ، قد استدعيت من الجبهة لقمع حركة العمال .

وبعدما تم للمنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، بالتحالف مع البورجوازية والجنرالات البيض ، قمع مظاهرة العمال والجنود ، ارتدوا على الحزب البلشفي .

فحُطمت مكاتب تحرير البرافدا، وعطلت البرافدا وسولدانسكايا برافدا (حقيقة الجنود) وعدد من الجرائد البلشفية الاخرى. وصرع الجنوكر في الشارع العامل فوينوف لا شيء سوى انه كان يبيع جريدة لستوك برافدي (صحيفة الحقيقة). وبدأ نزع سلاح الحرس الاحمر، وسُحبت وحدات الحامية الثورية من العاصمة وارسلت الى الجبهة. وجرت الاعتقالات في الجبهة والمؤخرة. وصدرت في ٧ تموز مذكرة توقيف بحق لينين، واعتقل عدد من المناضلين البلاشفة البارزين، ونهبت مطبعة تروود (العمل) التي كانت تطبع فيها النشرات البلشفية. واذاع النائب العام في بتروغراد بلاغاً يقول ان لينين وكثيرين غيره من البلاشفة قد احيلوا الى القضاء بتهمة «الخيانة العظمى» وتنظيم الثورة المسلحة. وكانت التهمة ضد لينين، قد «فبركها» من اولها الى آخرها، هيئة اركان حرب الجنرال دينيكين، استناداً الى شهادات نفر من الجواسيس والخبرين.

وهكذا انغمست الحكومة الائتلافية الموقته، التي يشترك بها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون البارزون امثال تسيريتيلي وسكوبيليف وكيرنسكي، في مستنقع الاستعمار والرجعية بشكل مكشوف. فبدلاً من سياسة سلم، انتهجت سياسة متابعة الحرب. وعوضاً عن صيانة حقوق الشعب الديموقراطية، سلكت سياسة محو هذه الحقوق وقمع العمال والجنود بقوة السلاح.

ان ما لم يجرؤ عليه ممثلاً البورجوازية غوتشكوف وميليكوف، اقدم عليه «الاشتراكيون» كرنسكي وتسيريتيلي وتشرنوف وسكوبيليف. هكذا انتهى الازدواج في السلطات.

انتهى في صالح البورجوازية، اذ ان كل السلطة انتقلت الى يد الحكومة الموقته، وتحولت مجالس السوفيات بقيادتها المنشفيكية والاشتراكية الثورية الى ذيل للحكومة.

وانتهت المرحلة السلمية للثورة، بعد ما اصبحت الكلمة للحراب.

#### ٤ - اتجاه الحزب البلشفي نحو تحضير الثورة المسلحة - المؤتمر السادس للحزب .

اجتمع المؤتمر السادس للحزب البلشفي، في بتروغراد ، وسط حملة استفزاز هائلة شنتها صحافة البورجوازية والبورجوازية الصغيرة . وكان المؤتمر ينعقد بعد انقضاء عشر سنوات على مؤتمر الحزب الخامس الذي انعقد في لندن ، وبعد مرور خمس سنوات على المجلس العام البلشفي الذي انعقد في براغ . واستمر المؤتمر من ٢٦ تموز الى ٣ آب ١٩١٧ ، وجرى بصورة لا شرعية . وقد اكفى الحزب بالاعلان في الصحافة عن دعوة المؤتمر للانعقاد ، دون تعيين المكان الذي ينعقد فيه . وجرت الجلسات الاولى في حي فيبورغ . اما الجلسات الاخيرة فعقدت في بناية مدرسية بالقرب من باب «نارفا» حيث تقوم اليوم دار للثقافة . وكانت الصحافة البورجوازية تطالب باعتقال المؤتمرين . وكان جواشيس الشرطة جادين في البحث وهم يصرفون باسنانهم ، ولكن جهودهم ذهبت هباء ولم يستطيعوا اكتشاف المكان الذي كان المؤتمر منعقدا فيه . وهكذا كان البلاشفة ، بعد مرور خمسة اشهر على قلب القيصرية ، مضطرين للاجتماع سرا ، وكان لينين زعيم الحزب البروليتاري مضطرا الى الاختباء في كوخ من اغصان الشجر قرب محطة رازليف . لم يستطع لينين حضور المؤتمر بسبب ملاحظات جواسيس الحكومة الموقفة ، ولكنه قاده من مخباء بواسطة تلامذته ورفاقه بالسلاح في بتروغراد : ستالين ، سفردلوف ، مولوتوف ، اورجونيكيديزه .

وقد حضر المؤتمر ١٥٧ مندوباً باصوات فعلية ١٢٨ مندوباً باصوات استشارية . وكان عدد اعضاء الحزب في ذلك العهد يقرب من ٢٤٠ الفاً . وفي ٣ تموز، اي قبل سحق مظاهرة العمال وحين كان نشاط البلاشفة لا يزال علنياً، كان لدى الحزب ٤١ جريدة منها ٢٩ باللغة الروسية و١٢ باللغات الاخرى . ان تدابير الارهاب التي اتخذت ضد البلاشفة والطبقة العاملة في ايام تموز لم تنتقص من نفوذ حزبنا ، بل على العكس زادته قوة . وقد قدّم مندوبو المنظمات المحلية كثيراً من الوقائع الشاهدة على ان العمال والجنود كانوا يغادرون المنشفيك والاشتراكيين الثوريين بصورة جماهيرية ويسمونهم بازدراء « اشتراكيين — سبّانين » . وكان العمال والجنود اعضاء الحزبين المنشفيكي والاشتراكي الثوري يمزقون بطاقتهم الحزبية ويتروكون حزبهم واللجنة على شفاههم ، ثم يأتون الى البلاشفة طالبين قبولهم في صفوفهم . وكانت المسألتان الاساسيتان في المؤتمر هما التقرير السياسي للجنة المركزية ، والحالة السياسية . وقد بين الرفيق ستالين في هذين التقريرين بما ينبغي من الدقة والوضوح ، ان الثورة تنمو وتتطور بالرغم من جهود البورجوازية لسحقها . ووضح ان الثورة تطرح على بساط البحث عدداً من القضايا هي : تطبيق مراقبة العمال على الانتاج وعلى توزيع المنتجات ، اعطاء الارض للفلاحين ، نقل الحكم من ايدي البورجوازية الى ايدي الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء . وقال ان الثورة من حيث صبغتها اخذت تصبح ثورة اشتراكية .

كانت حالة البلاد السياسية قد تبدلت بصورة ملموسة منذ ايام تموز . فلم يعد هناك ازدواج في السلطات . فقد رفضت مجالس السوفيات ، ذات القيادة المنشفيكية والاشتراكية الثورية ، ان تأخذ السلطة كلها . ولهذا اصبحت عاجزة . وتمركزت السلطة في يد الحكومة المؤقتة البورجوازية التي كانت تتابع نزاع سلاح الثورة وتخطيط منظماتها وضرب الحزب البلشفي . وزالت امكانيات تطور الثورة تطوراً سليماً ، ولم يبق الا شيء واحد ، كما قال الرفيق ستالين هو : اخذ الحكم بالقوة ، عن طريق قلب الحكومة المؤقتة . ولكن اخذ الحكم

بالقوة امر لا تستطيعه الا البروليتاريا المتحالفة مع فقراء الريف .  
كانت مجالس السوفييات التي بما زال يقودها المنشفيك والاشتراكيون  
الثوريون ، قد انزلت الى معسكر البورجوازية ، ولم يعد من الممكن ان  
تقوم في الحالة الحاضرة الا بدور هيئة مساعدة للحكومة الموقته . ولذلك قال  
الرفيق ستالين بانه اصبح من الواجب ، بعد ايام تموز ، سحب شعار « كل  
الحكم للسوفييات ! » . غير ان التخلي مؤقتاً عن هذا الشعار لا يعني ابدأ التخلي  
عن النضال في سبيل حكم السوفييات . فالمسألة لا تتناول مجالس السوفييات بوجه  
عام من حيث هي هيئات الكفاح الثوري ، بل تتناول فقط مجالس السوفييات  
الموجودة، التي يقودها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون .  
ثم اعلن الرفيق ستالين :

« ان المرحلة السلمية للثورة قد انتهت ، واقبلت المرحلة غير السلمية ، مرحلة  
المعارك والانفجارات ... » (محاضر المؤتمر السادس لحزب العمال الاشتراكي  
الديموقراطي في روسيا ، ص ١١١ ، الطبعة الروسية ) .  
وهكذا اتجه الحزب نحو الثورة المسلحة .

ولكن وُجد في المؤتمر اناس تجلّ فيهم نفوذ البورجوازية ، فعارضوا اتجاه  
الحزب نحو الثورة الاشتراكية .  
فان التروتسكي « بروبراجنسكي » اقترح ان يشار في القرار المتعلق بالاستيلاء  
على الحكم ، الى انه لا يمكن توجيه البلاد في طريق الاشتراكية الا اذا اندلعت  
الثورة البروليتارية في الغرب .

فعارض الرفيق ستالين هذا الاقتراح التروتسكي وقال :  
« ليس هناك ما ينفي امكان ان تكون روسيا بالذات هي  
البلد الذي يشق الطريق الى الاشتراكية . ينبغي نبذ الفكرة  
البالية القائلة بان اوروبا وحدها يمكن ان تدلنا على الطريق .  
هناك نوعان من الماركسية : ماركسية عقائدية جامدة  
وماركسية حيّة ، وانا اقف في صف الاخيرة » ( المرجع ذاته  
ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ) .

اما بوخارين الذي كان يدافع عن المواقف التروتسكية، فقد زعم ان الفلاحين ذوو مزاج «دفاعي»، وانهم متكثرون مع البورجوازية، ولن يتبعوا الطبقة العاملة. فبين الرفيق ستالين في جوابه على بوخارين ان الفلاحين يختلفون. فهناك فلاحون اغنياء يؤيدون البورجوازية الاستعمارية، وهناك الفلاحون الفقراء الذين يودون التحالف مع الطبقة العاملة، وهم سيؤيدونها في النضال في سبيل انتصار الثورة. ورد المؤتمر تعديلات بر يوبراجنسكي وبوخارين وصادق على مشروع القرار الذي قدمه الرفيق ستالين .

وناقش المؤتمر البرنامج الاقتصادي للحزب البلشفي وصادق عليه . وكانت نقاطه الاساسية هي: مصادرة اراضي كبار الملاكين وتأميم كل الارض في البلاد، تأميم البنوك ، تأميم الصناعة الكبرى، اقامة رقابة العمال على الانتاج والتوزيع. و اشار المؤتمر اشارة خاصة الى اهمية النضال في سبيل اقامة رقابة العمال على الانتاج، هذه الرقابة التي ستلعب دوراً عظيماً عند الانتقال الى تأميم الصناعة الكبرى. واكد المؤتمر السادس تأكيداً قوياً ، في كل ما اتخذه من قرارات ، موضوعاً لينين عن تحالف البروليتاريا والفلاحين الفقراء من حيث هو شرط لانتصار الثورة الاشتراكية .

وشجب المؤتمر النظرية المنشفيكية عن حياد النقابات . وبين ان المهمات الخطيرة التي تنتظر الطبقة العاملة في روسيا لا يمكن تنفيذها الا اذا ظلت النقابات منظمات طبقية مناضلة، معترفة بقيادة الحزب البلشفي السياسية .

واتخذ المؤتمر قراراً عن «اتحادات الشبيبة» التي كانت تبرز اذ ذاك بصورة عفوية على الغالب . وقد استطاع الحزب بنشاطه اللاحق ان يجعل من منظمات الشبيبة هذه قوته الاحتياطية .

وناقش المؤتمر فيما اذا كان يجب على لينين ان يسلم نفسه للقضاء . فكان كامينيف وريكوف وتروتسكي وآخرون ، يعتبرون ، حتى قبل المؤتمر ، ان على لينين ان يستسلم لحكمة اعداء الثورة . الا ان الرفيق ستالين عارض في استسلام لينين معارضة شديدة حازمة . وافر المؤتمر وجهة نظر الرفيق ستالين،

باعتبار ان ما سيجري لن يكون محاكمة بل تصفية حساب. ولم يخامر المؤتمر اي شك في ان البورجوازية لا تريد سوى شيء واحد، هو ازالة لينين جسدياً، باعتباره اشد عدو خطراً عليها. واحتج المؤتمر احتجاجاً حازماً ضد الاضطهاد البوليسي الذي تشهده البورجوازية على قادة البروليتاريا الثورية، وبعث برسالة تحية الى لينين. وافر المؤتمر السادس نظاماً داخلياً جديداً للحزب. وكان هذا النظام الداخلي ينص على ان كل منظمات الحزب يجب ان تُبنى على اسس **المركزية الديمقراطية**. وكان معنى ذلك :

- ١ — تأليف كل هيئات الحزب القيادية من القمة الى القاعدة عن طريق الانتخاب.
- ٢ — على كل هيئات الحزب ان تقدم لمنظمتها تقارير دورية عن نشاطها.
- ٣ — التقيد الصارم بالنظام الحزبي ، وخضوع الاقلية للاكثرية .
- ٤ — قرارات الهيئات العليا اجبارية اطلاقاً بالنسبة للهيئات السفلى ولكل اعضاء الحزب .

وكان النظام الداخلي يقول بان قبول الاعضاء الجدد في الحزب يجري بواسطة منظمات القاعدة بناء على تركيبة عضوين في الحزب وبعد مصادقة الاجتماع العام لاعضاء المنظمة التي يعينها الامر .

ووافق المؤتمر السادس على قبول جماعة « الميجر ايوتسي » ( ما بين الفروع ) وزعيمهم تروتسكي ، في الحزب ، وكانت هذه الجماعة الصغيرة موجودة في بتروغراد منذ عام ١٩١٣ ، وكانت مؤلفة من منشفيك تروتسكيين وعدد من البلاشفة القدماء الذين كانوا قد تركوا الحزب . وكان موقف هؤلاء « الميجر ايوتسي » في اثناء الحرب موقف منظمة وسطية ، فكانوا يناضلون ضد البلاشفة ولكنهم كانوا كذلك على خلاف مع المنشفيك حول نقاط عديدة ، اي ان موقفهم كان موقفاً بين الطرفين ، موقفاً وسطياً ، متردداً . وقد اعلن « الميجر ايوتسي » في المؤتمر السادس ، انهم متفقون والبلاشفة على كل النقاط ، وطلبوا قبولهم في الحزب . فاجابهم المؤتمر الى طلبهم ظناً منه بانهم ربما اصبحوا مع الزمن بلاشفة حقيقيين . وفي الحقيقة اصبح بعض « الميجر ايوتسي » مثل



فولداريسكي واورينسكي وآخرين أيضاً ، بلاشفة فيما بعد . اما تروتسكي وبعض  
اصدقائه المقربين ، فقد تبين فيما بعد انهم دخلوا الحزب لا للعمل لفائدته بسبل  
لتمزيق اوصاله ولنسفه من الداخل .

كانت كل مقررات المؤتمر السادس ترمي الى تهيمته البروليتاريا والفلاحين  
الفقراء للثورة المسلحة . فقد وجه المؤتمر كل الحزب نحو الثورة المسلحة ، نحو  
الثورة الاشتراكية .

وكان البيان الذي اذاعه المؤتمر باسم الحزب يدعو العمال والجنود والفلاحين  
الى الاستعداد للمعارك الحاسمة ضد البورجوازية ، وينتهي بالكلمات التالية :  
« استعدوا للمعارك الجديدة ، يارفاق الكفاح ! كدسوا  
القوى ، شكلوا وحداتكم الكفاحية بحزم وشجاعة وهدوء ودون  
ان تؤخذوا بالاستغزازات ! تحت علم الحزب ايها البروليتاريون  
والجنود ! تحت علمنا ايها المظلومون في الارياض ! »

### ٥- مؤامرة الجنرال كورنيلوف على الثورة — سحق المؤامرة — انتقال سوفييات بتروغراد وسوفييات موسكو الى جانب البلاشفة .

ما ان ملكت البورجوازية زمام الحكم كله ، حتى استعدت لسحق مجالس  
السوفييات التي اصبحت بلا حول ولا قوة ، واتجهت نحو اقامة ديكتاتورية  
مكشوفة عدوة للثورة . وقد بلغت الوقاحة بالمليونير ديابوشينسكي ان صرح  
قائلاً ان المخرج الوحيد للحالة ، هو في رأيه « ان تأخذ يد المجاعة المعروفة العجفاء  
ويد البؤس بخناق اصدقاء الشعب المزيفين : السوفييات والبلجان الديموقراطية » .  
وكانت المجالس العرفية تعيث في الجبهة ، واحكام الاعدام ترى على الجنود .  
وفي ٣ آب ١٩١٧ طلب القائد العام الجنرال كورنيلوف تطبيق الحكم بالاعدام  
في المؤخرة ايضاً .

وفي ١٢ آب افتتح في موسكو ، في المسرح الكبير ، مجلس الدولة الذي  
دعته الحكومة الموقته للانعقاد لتعبئة قوى البورجوازية وكبار ملاكي الاراضي .

وكان جل الحاضرين في المؤتمر من ممثلي كبار ملاكي الاراضي والبورجوازية والجنرالات والضباط والقوزاق. وكان بعض المنشفيك والاشتراكيين الثوريين يمثلون فيه مجالس السوفييات .

ويوم افتتاح مجلس الدولة ، نظم البلاشفة في موسكو ، على سبيل الاحتجاج اضراباً عاماً شمل اكثرية العمال . ووقعت كذلك اضرابات في عدة مدن اخرى . وقد هدد الاشتراكي الثوري كرنسكي ، وهو النموذج الحي للمدعي المغرور ، في خطابه في المجلس بان يقمع « بالحديد وفي الدماء » كل المحاولات للقيام بحركة ثورية ، بما في ذلك محاولات الفلاحين للاستيلاء بالقوة على اراضي كبار الملاكين . اما عدو الثورة الجنرال كورنيوف ، فكان يطلب « الغاء اللجان ومجالس السوفييات » ، ... فقط ، لا غير .

ولم تلبث ان حجت لمرکز القيادة العامة مواكب اصحاب البنوك وكبار التجار واصحاب المصانع ، مقدمين للجنرال كورنيوف اموالهم وتأييدهم . وشوهد ايضاً بين هؤلاء « الحجاج » ممثلو « الحلفاء » اي ممثلو انكلترا وفرنسا الذين طلبوا التعجيل في الهجوم على الثورة .

وهكذا اتجه السير حثيثاً نحو مؤامرة الجنرال كورنيوف على الثورة . وكانت هذه المؤامرة « نهياً علناً » . واشاع المتآمرون لتضليل الناس ان البلاشفة يهيئون ثورة مسلحة في بتروغراد في يوم ٢٧ آب ، بمناسبة مرور ستة اشهر على الثورة . وقد انقضت الحكومة الموقته وفي رأسها كرنسكي على البلاشفة ، وشددت الارهاب ضد حزب البروليتاريا . وجمع الجنرال كورنيوف من جهته جيوشاً للزحف على بتروغراد وابادة مجالس السوفييات وتأليف حكومة ديكتاتورية عسكرية .

وكان الجنرال كورنيوف قد اتفق في بادى الامر مع كرنسكي حول مؤامره ضد الثورة . غير ان كرنسكي انقلب في اللحظة الاخيرة وتخلي فجأة عن شريكه ، اذ خشي ان تعمد الجماهير الشعبية ، حين نهوضها لسحق حركة كورنيوف ، الى تكليس الحكومة البورجوازية ايضاً في طريقها اذا لم تعلن

هذه الحكومة تخليها حالاً عن كورنيوف .

وفي ٢٥ آب وجه كورنيوف الى بتروغراد سرية الفرسان الثالثة تحت امرة الجنرال كريموف معلناً انه يريد «انقاذ الوطن». وجواباً على عصيات كورنيوف ، وجهت اللجنة المركزية للحزب البلشفي دعوة الى العمال والجنود للرد رداً حازماً بالسلاح على هذه الحركة المعادية للثورة . فسلح العمال بسرعة واستعدوا للمجابهة ، وازداد افراد الحرس الاحمر خلال تلك الايام عدة اضعاف . وعبأت النقابات اعضاءها ، ووقفت التشكيلات العسكرية الثورية في بتروغراد على قدم الاستعداد للقتال ، وحُفرت الخنادق حول بتروغراد ونصبت الاسلاك الشائكة واقتلعت خطوط السكة الحديدية . واقبل من كرونشتاد عدة آلاف من البحارة المسلحين للدفاع عن العاصمة . وارسل مندوبون لملاقاة «الفرقة الوحشية» التي كانت تتقدم نحو بتروغراد . ولما اوضح المندوبون للجنود - وهم جيليوت من القفقاس - حقيقة مؤامرة كورنيوف ، رفضت «الفرقة الوحشية» السير على بتروغراد ! وارسل كذلك عدد من الدعاة الى وحدات كورنيوف الاخرى . وفي كل مكان معرض للخطر انشئت لجان ثورية وهيئات لقيادة النضال ضد كورنيوف .

فاستولى على الزعماء المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، بما فيهم كرنسكي ، ذعر مييت ، واخذوا يحاولون خلال هذه الايام ، ان يجدوا حماية لدى البلاشفة ، اذ اقتنعوا بان البلاشفة هم في العاصمة القوة الحقيقية الوحيدة التي في استطاعتها ان تقهر كورنيوف .

الا ان البلاشفة عند تعبتهم الجماهير لسحق كورنيوف ، لم يتخلوا قط عن نضالهم ضد حكومة كرنسكي ، فكانوا يفضحون امام الجماهير حكومة كرنسكي والمنشفيك والاشتراكيين الثوريين الذين كانوا في الواقع يسهلون سياساتهم مؤامرة كورنيوف المعادية للثورة .

وبفضل كل هذه التدابير ، تم سحق مؤامرة كورنيوف ، وانتحر الجنرال كريموف . اما كورنيوف وزميلاه دينيكيين ولو كومسكي فقد اعتقلوا . غير

ان كورنيسكي لم يلبث ان اطلق سراهم بعد ذلك بقليل .  
ان سحق مغامرة كورنيوف اظهر ، دفعة واحدة ، النسبة بين قوى الثورة  
وقوى اعداء الثورة ، واطهر ان معسكر اعداء الثورة باسره فاشل خاسر ،  
ابتداء من الجنرالات وحزب الكاديت الى المنشفيك والاشتراكيين الثوريين  
المتخبطين في شباك البورجوازية . وصار من الواضح ان سياسة الاستمرار في  
حرب منهكة ، والخراب الاقتصادي الذي اولدته هذه السياسة ، قد زعزعا  
نهائيا نفوذهم بين الجماهير الشعبية .

واظهر سحق كورنيوف ايضا ان الحزب البلشفي قد غا واصبح القوة  
الحاسمة في الثورة ، القوة القادرة على تحطيم جميع محاولات اعداء الثورة . ولم  
يكن حزبنا بعد ، حزبا حاكما ، ولكن تبين خلال محاولة كورنيوف انه القوة  
الحاكمة الحقيقية ، مادام العمال والجنود ينفذون تعليماته دون تردد .

واظهر سحق كورنيوف اخيرا ان مجالس السوفييات ، التي كان يبدو  
انها قد ماتت ، تنطوي على قوة عظيمة للمقاومة الثورية ، اذ لم يكن ثمة مجال  
للسك في ان مجالس السوفييات ولجانها الثورية هي التي سدت الطريق امام  
جيوش كورنيوف وزعزعت قواها .

ان النضال ضد كورنيوف بعث الحياة في مجالس السوفييات لنواب العمال  
والجنود ، وحررها من قيود سياسة التفاهم ، واخذ بيدها الى جادة النضال  
الثوري الواسعة ، ووجهها الى جانب الحزب البلشفي .

واخذ نفوذ البلاشفة في مجالس السوفييات ينمو بصورة لم يسبق لها مثيل .  
كذلك نفوذهم في الارياض كان ينمو بسرعة .

فقد اظهر عصيان كورنيوف للجماهير الفلاحين الواسعة ان كبار ملاكي  
الاراضي والجنرالات ، اذا تم لهم سحق البلاشفة ومجالس السوفييات ، فسوف  
ينتقلون الى مهاجمة الفلاحين . ولذا ازدادت الجموع الكبرى من الفلاحين الفقراء  
التفافاً حول البلاشفة . كما ان الفلاحين المتوسطين الذين كان ترددهم قد منع  
تقدم الثورة خلال المرحلة الممتدة من نيسان الى آب ١٩١٧ ، بدأوا ، بعد

سحق كورنيولوف ، يتجهون باختيارهم نحو الحزب البلشفي ، فينضمون الى جماهير الفلاحين الفقراء . وهكذا اخذت جماهير الفلاحين الواسعة تدرك شيئاً فشيئاً ان الحزب البلشفي هو الحزب الوحيد الذي يستطيع ان يخلصها من الحرب وان يقهر كبار ملاكي الاراضي وان يعطي الفلاحين الارض . واخذت حوادث احتلال اراضي كبار الملاكين النبلاء من قبل الفلاحين تتكاثر الى حد كبير في ايلول وتشرين الاول ١٩١٧ ، واصبح لجوء الفلاحين الى حرق هذه الاراضي بالقوة حادثاً عاماً يمتد الى كل انحاء البلاد . واصبحت المواعظ وبعثات التأديب عاجزة عن ايقاف الفلاحين الناهضين الى الثورة . لقد كانت الثورة في صعود .

واتت مرحلة تنشيط مجالس السوفيات وتجديدها ، مرحلة بلشفتها . فاخذت المصانع والمعامل والتشكيلات العسكرية ، عند تجديد نوابها ، ترسل الى مجالس السوفيات ممثلي الحزب البلشفي عوضاً عن المنشفيك والاشتراكيين الثوريين . وفي ٣١ آب ، غداة الانتصار على كورنيولوف ، اعلن سوفييات بتروغراد انخيازه للسياسة البلشفية . واستقال مكتب سوفييات بتروغراد السابق المؤلف من الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك وعلى رأسهم تشيكيدزه ، متخلياً عن مكانه للبلاشفة . وفي ٥ ايلول انحاز سوفييات نواب العمال في موسكو الى البلاشفة . واستقال كذلك المكتب المنشفيكي والاشتراكي الثوري في سوفييات موسكو . وترك مكانه للبلاشفة .

وكان ذلك كله دليلاً على ان الشروط الاساسية الضرورية للثورة المسلحة الطافرة قد نضجت .

فبرز من جديد شعار « كل الحكم للسوفييات ! » . ولكنه لم يعد ذلك الشعار القديم ، شعار تسليم السلطة الى مجالس السوفييات المنشفيكية والاشتراكية الثورية ، بل صار شعار ثورة السوفييات على الحكومة الموقفة ، لكي تنتقل السلطة الكاملة في البلاد الى مجالس السوفييات التي يقودها البلاشفة .

أما احزاب التفاهم فقد ساد الارتباك صفوفها .  
وتحت ضغط الفلاحين ذوي الافكار الثورية تألف بين الاشتراكيين الثوريين  
جناح يساري عرف باسم الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » وقد اعلن هؤلاء  
استيائهم من سياسة التفاهم مع البورجوازية .  
وتألف بين المنشفيك ايضاً فريق من « اليساريين » عرفوا باسم « اليمين »  
وكانوا يميلون نحو البلاشفة .

أما الفوضيون ، وكانوا جماعة لا شأن لها من حيث النفوذ ، فقد تفرقوا  
نهائياً الى كتل صغيرة ، واختلط بعضهم بالعناصر المجرمة من حشالة المجتمع  
— اللصوص والجواسيس — وانقلب بعضهم الى مغتصبين « مثاليين » يهبون  
الفلاحين وصغار المنتجين في المدينة ، ويصادرون نوادي العمال ومراكزهم  
وما وفروه من دراهم ، وارتمى البعض الآخر علناً في معسكر اعداء الثورة ،  
سعيّاً وراء تنظيم حياتهم الشخصية من فئات موائد البورجوازية . ولكنهم  
كانوا جميعاً ضد كل سلطة بما في ذلك خصوصاً سلطة العمال والفلاحين  
الثورية ، لاقتناعهم بان السلطة الثورية لن تسمح لهم بنهب الشعب وتبذير  
الملكية الشعبية .

بعد سحق كورنيلوف قام المنشفيك والاشتراكيون الثوريون بمحاولة  
جديدة لاضعاف النهوض الثوري الذي كان يشتد ويزداد قوة . ولهذا الغاية  
جمعوا في ١٢ ايلول ١٩١٧ مؤتمراً ديمقراطياً لروسيا ، مؤلفاً من ممثلي  
الاحزاب الاشتراكية ومجالس السوفيئات التفاهمية والنقابات والزمستفو  
والاوساط الصناعية والتجارية وبعض التشكيلات العسكرية . والتف المؤتمر في  
قلبه ما اسموه « البرلمان التمهيدي » (مجلس الجمهورية الموقت) . وكان التفاهميون  
يأملون ان يتمكنوا ، بواسطة هذا البرلمان التمهيدي ، من وقف الثورة وتحويل  
البلاد عن طريق الثورة السوفياتية الى طريق التطور الدستوري البورجوازي ،

طريق الحياة البرلمانية البورجوازية . ولكنها كانت محاولة فاشلة قام بها ساسة مفلسون لارجاع دولاب الثورة الى الوراء . وكان من الواضح تماماً ان هذه المحاولة ستفشل فشلاً مخزياً . وهو ما حدث فعلاً . فقد هزأ العمال بالتمرينات البرلمانية التي كان التفاهميون يقومون بها . وزيادة في السخرية والتهمك اطلقوا على البرلمان اسم « الحمام التمهيدي » !

وقد قررت اللجنة المركزية للحزب البلشفي مقاطعة «البرلمان التمهيدي» . ووضح ان الفرقة البلشفية في هذا «البرلمان التمهيدي»، المؤلفة من اناس من نوع كامينيف وتيودورفيتش ، لم تكن تريد مغادرة قاعة هذا البرلمان ، غير أن لجنة الحزب المركزية اجبرتها على ذلك .

كان الحاح كامينيف وزينوفييف على ضرورة الاشتراك في البرلمان التمهيدي يرمي الى صرف الحزب عن الاستعداد للثورة المسلحة . وقد تكلم الرفيق ستالين في احدى جلسات الفرقة البلشفية في مجلس روسيا الديمقراطي ، بغراض معارضة شديدة في هذا الاشتراك ، ووصف البرلمان التمهيدي بانه «نتاج اجهاض الحركة الكورنيلوفية» .

كان لينين وستالين يعتبران الاشتراك في البرلمان التمهيدي ، ولو لمدة قصيرة من الزمن ، خطأ خطيراً ، لما يمكن ان يولده هذا الاشتراك لدى الجماهير من اوهام عن ان البرلمان التمهيدي قادر حقاً على تحقيق شيء ما للشغيلة .

وفي الوقت نفسه كان البلاشفة يهينون بجد وثبات انعقاد المؤتمر الثاني للسوفييات ، آمليين ان يحرزوا فيه الاكثرية . وتحت ضغط مجالس السوفييات البلشفية ، وبالرغم من العراقل التي خلقها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون الذين كانوا مسيطرين على اللجنة المركزية لمجالس السوفييات لعموم روسيا ، حدد النصف الثاني من شهر اكتوبر ١٩١٧ موعداً لانعقاد المؤتمر الثاني للسوفييات .

٦ - ثورة اكتوبر المسلحة في بتروغراد .  
واعتقال الحكومة المؤقتة - مؤتمر السوفييات  
الثاني وتأليف الحكومة السوفياتية - مراسيم  
مؤتمر السوفييات الثاني عن السلام وعن الارض -  
انتصار الثورة الاشتراكية -  
اسباب انتصار الثورة الاشتراكية .

كان البلاشفة يتهاونون بعزيمة كبرى للثورة المسلحة . وكان لينين يقول  
ان البلاشفة بعدما احزوا الاكثرية في المجالس السوفياتية لنواب العمال  
والجنود في العاصمة موسكو وبتروغراد - أصبح في امكانهم ومن واجبهم  
ان يأخذوا الحكم . وقال لينين مستعرضاً ما تم من خطوات : « ان  
اكثريه الشعب منا

وأعطى لينين في مذكراته ورسائله الى اللجنة المركزية والمنظمات البلشفية ،  
البرنامج الواقعي المأموس لتحقيق الثورة المسلحة : كيفية الاستفادة من  
الوحدات العسكرية والاسطول الاحمر والحرس الاحمر ، وما هي المراكز  
والنقاط الحاسمة التي ينبغي الاستيلاء عليها في بتروغراد لتأمين نجاح الثورة  
المسلحة ، الخ ...

وفي ٧ اكتوبر جاء لينين سراً من فنلندا الى بتروغراد ، وفي ١٠  
اكتوبر انعقدت جلسة اللجنة المركزية ، تلك الجلسة التاريخية التي تقر فيها  
القيام بالثورة المسلحة في وقت قريب . وكان قرار اللجنة المركزية التاريخي  
الذي كتبه لينين يقول :

« ترى اللجنة المركزية ان الوضع الدولي للثورة الروسية  
(حركة المرد المسلحة في الاسطول الالماني من حيث هي  
ظاهرة خطيرة لنمو الثورة الاشتراكية العالمية في اوروبا بأسرها ،



التهديد باجراء صلح بين المستعمرين بقصد خنق الثورة الروسية)، وكذلك الوضع العسكري (القرار القاطع الذي اتخذته البورجوازية الروسية وكرنسكي وزملاؤه بتسليم بتروغراد الى الالمان)، ثم احراز حزب البروليتاريا الاكثرية في مجالس السوفيات — كل ذلك بالاضافة الى نهوض الفلاحين وحدوث انعطاف في الثقة الشعبية لصالح حزبنا (انتخابات موسكو)، واخيراً الاستعداد الواضح لمغامرة كورنييلوفية ثانية (سحب الجيوش من بتروغراد، نقل القوزاق الى هذه المدينة، محاصرة القوزاق لمدينة منسك، الخ) — ان كل هذه الوقائع تضع الثورة المسلحة على بساط البحث.

«ولما كانت اللجنة المركزية تعتبر ان الثورة المسلحة لا بد ولا مناص منها، وانها قد بلغت النضج التام، فهي تدعو كل منظمات الحزب الى استمداد نشاطها من هذا الواقع، وان تبحث وتحل على هذا الاساس كل المسائل العملية (مثلاً مؤتمر السوفيات للمنطقة الشمالية، انسحاب الجيوش من بتروغراد، حوادث موسكو ومنسك، وغير ذلك)». (لينين: المؤلفات المختارة، المجلد الثاني، ص ١٥٤).

وقف في وجه هذا القرار التاريخي وصوت ضده عضوان من اعضاء اللجنة المركزية هما كامينيف وزينوفييف. فانها، كالمشفيك، كانا يحملان بمجمهورية برلمانية بورجوازية ويفترقان على الطبقة العاملة بزعمهما انها لا تملك القوة الكافية للقيام بالثورة الاشتراكية، وانها ليست بعد، على ما يكفي من النضج لاختد الحكم.

اما تروتسكي فلم يصوت في هذه الجلسة ضد القرار بصورة مباشرة. ولكنه اقترح ادخال تعديل من شأنه ان يحبط الثورة المساجة ويجعلها هباء. فقد اقترح عدم البدء بالثورة المسلحة قبل افتتاح مؤتمر السوفيات الثاني. وكان

معنى ذلك تطويل امد الثورة المسلحة والمماطلة فيها ، و اعلان موعدها مقدماً واطلاع الحكومة الموقفة على ذلك .

وارسلت اللجنة المركزية للحزب البلشفي مندوبين الى الدونباس ( حوض الدونيتز ) والاورال وهلسنغفورس وكرونشتاد والى الجهة الجنوبية الغربية ... الخ ، لتنظيم الثورة المسلحة في الملحقات . وقد كلف الحزب الرفاق فوروشيلوف ومولوتوف وجيرجنسكي واورجونيكيديزه وكيروف وكاغانوفيتش وكويبيشيف وفرونزه وياروسلافسكي وآخرين بقيادة الثورة المسلحة في الملحقات . وكان الرفيق جدانوف في شادرينسك ( في الاورال ) يقود العمل في الجيش . وكان مندوبو اللجنة المركزية يشرحون لقادة المنظمات البلشفية برنامج الثورة المسلحة ويهيئون بهم لدعم الثورة المسلحة في بتروغرد . وطبقاً لتعليمات لجنة الحزب المركزية انشئت لجنة عسكرية ثورية تابعة لسوفييات بتروغراد ، فاصبحت هيئة اركان الثورة المسلحة ، المعترف بها من الجميع .

وخلال ذلك كانت الرجعية عدوة الثورة هي ايضا تهيم قواها على عجل . فألف اتحاد معاد للثورة اسمه « اتحاد الضباط » . وكان اعداء الثورة يؤلفون في كل مكان هيئات اركان لتشكيل افواج صدام . وفي اواخر اكتوبر كان لدى الرجعية ٣٤ فوجاً ، وانشئت سرايات مؤلفة باسرها من فرسان القديس جاورجيوس .

ووضعت حكومة كرنسكي على بساط البحث مسألة نقل الحكومة الى موسكو ، وكان ذلك دليلاً على استعدادها لتسليم بتروغراد الى الالمان لاجل قمع الثورة في العاصمة . ولكن احتجاج العمال وجنود الحامية اجبر الحكومة الموقفة على البقاء في بتروغراد .

وفي ١٦ اكتوبر انعقدت جلسة واسعة للجنة الحزب المركزية ، وانتخبت مركزاً حزبياً لقيادة الثورة المسلحة ، وعلى رأسه الرفيق ستالين . وكان هذا المركز ، وهو النواة القائدة في اللجنة العسكرية الثورية التابعة لسوفييات

بتروغراد ، هو الذي قاد الثورة المسلحة عملياً .

وقد وقف الانهزاميان زينوفيف وكامينيف مرة أخرى، في جلسة اللجنة المركزية ، يعارضان الثورة المسلحة . وعندما خذلتها اللجنة المركزية قراراً ابداء رأيهما ضد الثورة المسلحة وضد الحزب علناً ، في الصحافة . وفي ١٨ اكتوبر نشرت جريدة **نوفاياجيزن** (١) المنشفية تصريحاً لكامينيف وزينوفيف عن تحضير البلاشفة لثورة مسلحة يعتبرانها كخفامرة . وهكذا أفشى كامينيف وزينوفيف للاعداء قرار اللجنة المركزية عن القيام بالثورة المسلحة وتنظيمها في القريب العاجل . وكان ذلك خيانة واضحة . وقد كتب لينين بصدد ذلك : « ان كامينيف وزينوفيف قد ساهما الى رودزيانكو وكرنسكي قرار لجنة حزبها المركزية عن الثورة المسلحة » . ووضع لينين امام اللجنة المركزية مسألة طرد زينوفيف وكامينيف من الحزب .

اتخذ اعداء الثورة حالا ، على اثر اصدار الحائنين لهم ، كل التدابير لقمع الثورة المسلحة وسحق الحزب البلشفي الذي هو هيئة اركان الثورة . وعقدت الحكومة الموقفة جلسة سرية قررت فيها التدابير اللازمة لمكافحة البلاشفة . وفي ١٩ اكتوبر استدعت الحكومة الموقفة الى بتروغراد ، على جناح السرعة ، جيوشاً من الجبهة . ونزلت دوريات قوية تجول في الطرقات . ونجحت الرجعية عدوة الثورة في تجميع قوى هامة في موسكو ايضاً . وكانت الحكومة الموقفة قد وضعت خطتها ، وهي : قبل افتتاح المؤتمر الثاني للسوفيات بيوم واحد ، مهاجمة معهد سمولني — الذي كان مقر اللجنة المركزية البلشفية — واحتلاله وسحق المركز القيادي البلشفي . ولهذا الغاية استقدمت الحكومة الى بتروغراد جيوشاً كانت تعتقد انها امينة لها .

غير ان ايام الحكومة الموقفة وساعاتها كانت معدودة . ولم تكن ثمة قوة تستطيع وقف السير الطافر للثورة الاشتراكية .

في ٢١ اكتوبر ارسل البلاشفة مفوضين من قبل اللجنة العسكرية الثورية الى جميع الوحدات الثورية . وخلال الايام السابقة للثورة المسلحة ، استعدت الوحدات العسكرية وكذلك المصانع والمعامل ، بعزيمة كبرى للقتال ، وُاعطيت مهام دقيقة للمدعرتين **أفروروا** ( الفجر ) و **زاريا** سفوبودي ( فجر الحرية ) .

ولكن في جلسة سوفيات بتروغراد ، وبدافع الادعاء والغطرسة ، افشى تروتسكي للعدو التاريخ الذي حدده البلاشفة للقيام بالثورة المسلحة . فلمنع حكومة كرنسكي من احباط الثورة المسلحة ، قررت اللجنة المركزية للحزب البدء بالثورة وانجازها قبل موعدها ، اي قبل افتتاح المؤتمر الثاني للسوفيات بيوم واحد .

وفي ٢٤ اكتوبر ( ٦ تشرين الثاني ) ، بادر كرنسكي في الصباح الباكر الى اصدار مرسوم بتعطيل جريدة الحزب البلشفي المركزية: **رابوتشي بوت** ( طريق العمال ) ، ووجه مصفحات الى ادارة تحريرها والى مطبعة البلاشفة . ولكن حوالي الساعة العاشرة صباحاً ، ووفقاً لتعليمات الرفيق ستالين ، رد الحرس الاحمر والجنود الثوريون هذه المصفحات واقاموا حراسة مشددة على ابواب المطبعة وادارة تحرير جريدة **رابوتشي بوت** . وفي الساعة الحادية عشرة صدرت **رابوتشي بوت** وفيها نداء الى خلع الحكومة الموقته . وفي الوقت نفسه ، بناء على تعليمات المركز الحزبي الذي كان يقود الثورة المسلحة ، وُجهت على عجل الى معهد سمولني فصائل من الجنود الثوريين والحرس الاحمر .

لقد بدأت الثورة المسلحة .

وفي ٢٤ اكتوبر ليلا ، وصل لينين الى سمولني واخذ بيديه قيادة الثورة المسلحة . وظلت تغد على سمولني طيلة الليل وحدات ثورية من الجيش وفصائل من الحرس الاحمر ، فيوجهها البلاشفة نحو مركز العاصمة لمحاصرة القصر الشتوي الذي كانت الحكومة الموقته معتصمة فيه .

وفي ٢٥ اكتوبر (٧ تشرين الثاني) احتل الحرس الاحمر والجيش  
الثورية المحطات والبريد والبرق والوزارات وبنك الدولة .  
وُحل البرلمان التمهيدي .

واصبح معهد سمولني ، الذي كان مقر سوفينات بتروغراد والليجة  
المركزية البلشفية ، مركزا لهيئة اركان الثورة ، وعنه تصدر اوامر القتال .  
لقد برهن عمال بتروغراد خلال هذه الايام انهم اجتازوا ، تحت قيادة  
الحزب البلشفي ، مدرسة كانت لهم نعم المدرسة . وكانت وحدات الجيش  
الثورية ، التي هيأها للثورة المسلحة عمل البلاشفة ، تنفذ اوامر القتال بامانة ،  
وتقاتل جنبا الى جنب مع الحرس الاحمر . ولم يتأخر الاسطول عن الجيش  
في هذا المضمار . فقد كانت قلعة كرونشتاد البحرية حصناً للحزب البلشفي  
وكانت منذ زمن طويل لا تعترف بسلطة الحكومة الموقته .

وفي ٢٥ اكتوبر دشنت المدرعة افرووا ، بتصرف مدافعها المصوبة الى  
القصر الشتوي ، افتتاح عهد جديد : عهد الثورة الاشتراكية الكبرى .

وفي ٢٥ اكتوبر ( ٧ تشرين الثاني ) اذاع البلاشفة نداء « الى مواطني  
روسيا » يعلن اسقاط الحكومة الموقته البورجوازية ، وانتقال سلطة الدولة  
الى السوفيات .

وكانت الحكومة الموقته قد تحصنت في القصر الشتوي تحت حماية الجنود  
وفصائل الصدام . وفي ليل ٢٥ - ٢٦ اكتوبر هاجم العمال والجنود  
والبخارة الثوريون القصر الشتوي واستولوا عليه والقوا القبض على الحكومة  
الموقته .

لقد انتصرت الثورة المسلحة في بتروغراد .

وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من مساء ٢٥ اكتوبر  
( ٧ تشرين الثاني ) ١٩١٧ ، افتتح في سمولني المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات  
في روسيا ، بينما كانت الثورة المسلحة في اوجها في بتروغراد ، والحكم قد  
اصبح فعلياً في ايدي سوفيات بتروغراد .

وكان البلاشفة قد حصلوا في المؤتمر على الاكثريّة الكبرى ، اما المنشفيك  
وجماعة البوند والاشتراكيون الثوريون اليسينيون ، فلما رأوا ان نجهم قد  
أفل ، غادروا المؤتمر معلنين انهم يرفضون الاشتراك في اعماله . وتلوا بيانا  
وصفوا فيه ثورة اكتوبر بانها « مؤامرة عسكرية » . فشجب المؤتمر موقف  
المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، واسار الى انه لا يكتفي بعدم الاسف  
لانسحابهم ، بل يعلن اغتباطه لهذا الانسحاب ، اذ يصبح المؤتمر ، بخروج  
الخنوة منه ، مؤتمراً ثورياً حقيقياً لنواب العمال والجنود .  
واعلن المؤتمر ان السلطة كلها قد انتقلت الى ايدي مجالس السوفيات ،  
واذا ع ناداء جاء فيه :

« ان المؤتمر ، مستنداً الى ارادة الاكثريّة العظمى من العمال  
والجنود والفلاحين ، ومستنداً الى الثورة المسلحة الظافرة التي قام  
بها عمال بتروغراد وحاميتها ، يأخذ السلطة كلها بيديه » .  
وفي ليل ٢٦ اكتوبر ( ٨ تشرين الثاني ) ١٩١٧ ، أقر مؤتمر السوفيات  
للتاني الموسوم عن السلام . وقد دعا فيه البلدان المتحاربة الى عقد هدنة في الحال ،  
مدتها ثلاثة اشهر على الاقل ، للقيام بمفاوضات لاجل السلام . ومع توجيه النداء  
الى حكومات البلدان المتحاربة وشعوبها ، وجه المؤتمر نداءه في الوقت نفسه  
الى « العمال الواعين في انكلترا وفرنسا والمانيا » بوصفها اكثر ائمة الانسانية  
تقدماً واكبر الدول المشتركة في الحرب الحاضرة » . وقد دعا المؤتمر هؤلاء  
العمال الى اسداء معونتهم لاجل « نجاح قضية السلام ومعها قضية تحرير الجماهير  
العاملة والمستثمرة من كل استعباد وكل استثمار » .

وفي الليلة نفسها أقر مؤتمر السوفيات الثاني الموسوم عن الارض وبموجبه  
« يلغى جالاً حق كبار الملاكين في ملكية الارض دون اي تعويض » . وكان  
هذا القانون الزراعي مستمداً من تفويض عام من الفلاحين وضع بالاستناد الى  
٢٤٢ تفويضاً محلياً . ووفقاً لنصوص هذا التفويض ، 'يلغى حق الملكية الخاصة  
على الارض الى الابد ، ويستعاض عنه بملكية الامة ، بملكية الدولة للارض .

فتسلم اراضي كبار الملاكين والاديرة واقطاعات النبلاء الى جميع الشغيلة ويكون لهم فيها حق التصرف المجاني .

وقد استلم الفلاحون من ثورة اوكتوبر الاشتراكية بموجب هذا المرسوم اكثر من ١٥٠ مليون دسياتين (الدسياتين = ١٢٠٩٢ هكتار) من الاراضي الجديدة التي كانت حتى ذلك الحين في ايدي كبار الملاكين والبورجوازية والاسرة المالكة القيصرية والاديرة والكنيسة .

وتحرر الفلاحون من عبء اجور الارض السنوية التي كانوا يدفعونها لكبار الملاكين وكانت تبلغ ٥٠٠ مليون روبل ذهبي .

واصبحت كل الثروة التي يحتويها باطن الارض ( البترول ، الفحم ، المعادن الخ..) وكذلك الغابات والمياه ، ملكاً للشعب .

واخيراً تألفت في مؤتمر السوفيات الثاني اول حكومة سوفياتية وهي : مجلس مفوضي الشعب . وقد تألف المجلس بكليته من البلاشفة وانتخب لينين رئيساً لاول مجلس لمفوضي الشعب .

هكذا انتهى المؤتمر الثاني التاريخي لمجالس السوفيات .

وعاد المندوبون الى مناطقهم لاذاعة نبأ انتصار مجالس السوفيات في بتروغراد ولتأمين انتشار الحكم السوفياتي على البلاد بأسرها .

لم تنتقل السلطة الى السوفيات في كل مكان في الوقت نفسه . فبقيا كانت السلطة السوفياتية قد قامت في بتروغراد ، كانت شوارع موسكو لا تزال تشهد معارك عنيفة شديدة استمرت اياماً عديدة . فان الاحزاب المعادية للثورة ، المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ، يساعدوا الحرس الابيض والجنونكر ، أشهرت على العمال والجنود نضالاً مسلحاً لمنع انتقال السلطة الى ايدي سوفيات موسكو . ولم يمكن قهر العصاة واقامة حكم السوفيات في موسكو الا بعد مرور ايام عديدة .

وفي بتروغراد نفسها وقعت في بعض الاحياء ، خلال الايام الاولى التي تلت انتصار الثورة ، محاولات رجعية معادية للثورة هدفها تقويض الحكم

السوفيياتي . كذلك في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٧ ، تمكن كرنسكي ، الذي فر من بتروغراد اثناء الثورة المسلحة ولجأ الى منطقة الجبهة الشمالية ، من جمع عدد من وحدات القوزاق والقاها على بتروغراد بقيادة الجنرال كراسنوف . وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٧ ، اثارت المنظمة الرجعية المعادية للثورة المسماة « لجنة انقاذ الوطن والثورة » ، وعلى رأسها اشتراكيون ثوريون ، حركة عصيان بين الجنونكر في بتروغراد نفسها . ولكن العصاة قُهرُوا دون كبير عناء . فخلال يوم واحد ، في مساء ١١ تشرين الثاني ، سحق البحارة والحرس الاحمر عصيان الجنونكر ، وفي ١٣ تشرين الثاني هزم الجنرال كراسنوف قرب مرتفعات بولكوفو . وقاد لينين بنفسه المعركة لقمع العصيان ضد السوفييات ، كما فعل اثناء ثورة اكتوبر المسلحة . وكانت صلابته التي لا تتزعزع ، وقيته الهادىء بالانتصار يلهمان الجماهير ويرسان صفوفها . فتم قهر العدو ، واعطى الجنرال كراسنوف ، الذي وقع اسيراً ، « كلمة شرف » بانه لن يتناضل بعد الان ضد الحكم السوفيياتي ، فاطلق سراحه بناء على « كلمة الشرف » هذه . ولكن كراسنوف خان فيما بعد وعده الذي قطعه على نفسه كجنرال . اما كرنسكي فقد تنكر في زي امرأة وهرب « الى جهة مجهولة » .

وفي موهيليف ، في مقر القيادة العامة للجيش ، حاول كذلك الجنرال دوخونين القيام بعصيان . وكانت الحكومة السوفياتية قد دعت دوخونين الى الدخول حالا في مفاوضات مع القيادة الالمانية لعقد هدنة ، فرفض الانصياع لتعليمات الحكومة ، فاصدرت السلطة السوفياتية امراً بأقالته ، وثار الجنود فحطموا مقر القيادة العامة وقتلوا دوخونين .

كذلك حاول النيل من حكم السوفييات الانتهازيون المعروفون في داخل الحزب : كامينيف وزينوفيف وريكوف وشليابينيكوف وآخرون . فقد طلبوا تأليف « حكومة اشتراكية متجانسة » يشترك فيها المنشفيك والاشتراكيون الثوريون الذين خلعتهم ثورة اكتوبر منذ قليل . وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧ صوتت اللجنة المركزية للحزب البلشفي على قرار برفض



الاتفاق مع هذه الاحزاب المعادية للثورة . اما كامينيف وزينوفييف فقد وُصفاً بجائنين للثورة . وفي ١٧ تشرين الثاني اعلن كامينيف وزينوفييف وريكوف وميليويتن انسحابهم من اللجنة المركزية لعدم موافقتهم على سياسة الحزب . وفي اليوم نفسه ، ١٧ تشرين الثاني ، اعلن نوغن باسمه الشخصي وباسم ريكوف ، و ف . ميليويتن وتيودوروفيتش و ا . شليابينيكوف وريازانوف ويورنيف ولارين ، الذين كانوا اعضاء في مجلس مفوضي الشعب ، انهم غير موافقين على سياسة اللجنة المركزية للحزب ، وانهم ينسحبون من مجلس مفوضي الشعب . وقد احدث قرار هذه الحفنة من الجبناء ابتهاجاً في صفوف اعداء ثورة اكتوبر . بوراحت البورجوازية واعوانها يضطربون ويصيحون بان البلشفية في انهيار ، ويتنبأون بهلاك الحزب البلشفي . غير ان هذه الحفنة من الجبناء الهاربين لم ترزع الحزب لحظة واحدة . فقد وصفتهم اللجنة المركزية ، باحتقار ، بانهم فارّون من الثورة واعوان للبورجوازية ، ثم انتقلت الى بحث جدول الاعمال .

اما الاشتراكيون الثوريون « اليساريون » فرغبة منهم في الاحتفاظ بنفوذهم بين جماهير الفلاحين التي كانت تميل ميلاً واضحاً الى البلاشفة ، قرروا عدم تشكيل علاقاتهم مع البلاشفة والمحافظة مؤقتاً على الجبهة الموحدة معهم . واعترف مؤتمر مجالس السوفيئات الفلاحية المنعقد في تشرين الثاني ١٩١٧ بكل ماحقته ثورة اكتوبر الاشتراكية وبجميع مراسيم السلطة السوفياتية . وعقد اتفاق مع الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » ودخل عدد منهم في مجلس مفوضي الشعب ( وهم كوليغايف ، سيريدونوفا ، بروشيان ، وشتاينبرغ ) . ولكن هذا الاتفاق لم يدم الا الى حين توقيع معاهدة برست ليتوفسك وتشكيل لجان الفلاحين الفقراء ، عندما اخذ يحدث تفريق عميق بين الفلاحين ، واصبح الاشتراكيون الثوريون « اليساريون » اكثر فاكثراً ممثلين لمصالح الكولاك ، فاثاروا عصياناً ضد البلاشفة وسحقهم السلطة السوفياتية . بين اكتوبر ١٩١٧ ، وكانون الثاني — شباط ١٩١٨ ، تمكنت الثورة

السوفياتية من الانتشار الى البلاد بأسرها . وكان حكم السوفيات يسير منتشراً على اراضي البلاد الواسعة بسرعة عظيمة الى درجة ان لينين وصفه بـ « الزحف الظافر » للحكم السوفياتي .

لقد انتصرت ثورة اوكتوبر الاشتراكية الكبرى . وبين الاسباب العديدة التي ادت الى هذا الانتصار ، السهل نسبياً ، الذي احرزته الثورة الاشتراكية في روسيا ، ينبغي الاشارة الى الاسباب الرئيسية التالية :

١ - كان امام ثورة اوكتوبر عدو ضعيف نسبياً ، سيء التنظيم ، قليل التجربة في السياسة ، هو البورجوازية الروسية . فالبورجوازية الروسية التي لم تكن بعد قوة اقتصادية ، والتي كانت تابعة كلياً لمشتريات الحكومة ، لم يكن لديها لا الاستقلال السياسي ولا المبادرة الكافية للضروريان لايجاد مخرج من الحالة . فهي لم تكن تملك تجربة التطبيقات وعمليات التضييل السياسية الواسعة النطاق التي تبرع فيها مثلاً البورجوازية الفرنسية ، كما انه لم يكن لديها ، في التراضيات والمساومات الدنيئة البارة الواسعة المدى ، مثل المدرسة التي تملكها مثلاً البورجوازية الانكليزية . فحتى الامس القريب ، كانت البورجوازية الروسية لا تزال تسعى وراء تفاهم مع القيصر الذي خلعته ثورة شباط ، ثم الما وصلت بعد ذلك الى الحكم لم تجد احسن من متابعة سياسة القيصر المكروه بخطوطها الكبرى . فكانت ، كالقيصر ، تريد « الحرب الى النهاية الظافرة » . رغم ان الحرب اصيحت حملاً لا يطاق على كاهل البلاد ، ونهكت الشعب والجيش نهكاً تاماً . وكانت ، كالقيصر ، تريد المحافظة ، من حيث الاساس ، على ملكية النبلاء للارض ، رغم ان الفلاحين كانوا يعانون الموت والهلاك من قلة الارض ومن نير كبار الملاكين . اما فيما يتصل بالسياسة نحو الطبقة العاملة ، فقد ذهبت البورجوازية الروسية في حقدها على العمال الى ابعد مما ذهب القيصر ، فهي لم تسع فقط الى الابقاء على ارهاق اصحاب المصانع والمعامل للعمال وتقويته ، بل جعلته ايضاً لا يطاق ولا يغفر بلجوئها الى تسريح العمال

فلا غرابة اذا لم ير الشعب فرقاً جوهرياً بين سياسة القصر وسياسة البورجوازية ، واذا تحول حقه على القصر الى حقه على حكومة البورجوازية المؤقتة .

وطالما كان الحزبان التفاهيمان ، الاشتراكي الثوري والمنشفيكي ، يتمتعان ببعض النفوذ على الشعب ، تيسر للبورجوازية ان تستر وراءهما وان تحافظ على الحكم . ولكن منذ ما فضح المنشفيك والاشتراكيون الثوريون انفسهم كعملاء للبورجوازية الاستعمارية ، فقدوا نفوذهم على الشعب ، اصبحت البورجوازية وحكومتها المؤقتة معلقين في الهواء .

٢ — كان على رأس ثورة اكتوبر تلك الطبقة الثورية ، طبقة العمال في روسيا ، هذه الطبقة التي تمرست بنيران المعارك ، والتي مرت خلال حقبة قصيرة من الزمن ، بثورتين ، واكتسبت على اعتاب الثورة الثالثة ، هبة واعتباراً اولياها زعامة الشعب في النضال لاجل السلام والارض والحرية والاشتراكية . فلو لم يكن على رأس الثورة هذا الزعيم المتمتع بثقة الشعب ، الذي هو الطبقة العاملة في روسيا ، لما تحقق تحالف العمال والفلاحين ، ولولا هذا التحالف لما تمكنت ثورة اكتوبر من الانتصار .

٣ — كان للطبقة العاملة في روسيا حليف جدي في الثورة هو الفلاحون الفقراء الذي كانوا يؤلفون الاكثرية العظمى من سواد الفلاحين . ان تجربة اشهر الثورة الثمانية التي يمكن مقارنتها ، دون تردد ، بتجربة عشرات السنين من التطور « العادي » ، لم تذهب سدى بالنسبة للجماهير الكادحة من الفلاحين . فقد تيسر لهم خلال هذه المدة ان يجتبروا عملياً جميع الاحزاب في روسيا ، وان يقتنعوا بان الكاديت والاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، ما كانوا ينوون تكبير علاقاتهم بصورة جدية مع كبار ملاكي الاراضي ، ولا سفك دماهم في سبيل الفلاحين ، وان في روسيا حزباً واحداً فقط ليس له اي ارتباط بكبار ملاكي الاراضي ، وهو على استعداد لسحقهم في سبيل تلبية حاجات

الفلاحين ، وهذا الحزب هو الحزب البلشفي . هذا الواقع هو الذي صار  
الاساس الحقيقي لتحالف البروليتاريا والفلاحين الفقراء . وهذا التحالف بين  
الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء هو الذي حدد سلوك الفلاحين المتوسطين الذين  
ترددوا مدة طويلة ، ثم فقط على اعتاب الثورة المسلحة في اكتوبر ، تحولوا  
كما ينبغي الى صف الثورة ، واتحدوا مع الفلاحين الفقراء .

ولا حاجة للبرهان بان ثورة اكتوبر ما كانت لتنتصر لولا هذا التحالف .

٤- كان على رأس الطبقة العاملة هذا الحزب المختبر الحنك في المعارك  
السياسية : الحزب البلشفي . فان حزباً مثل الحزب البلشفي فقط ، لديه ما  
يكفي من الجرأة لقيادة الشعب الى الهجوم الحاسم ، وما يكفي من التبصر  
لاجتناّب كل انواع العثرات على الطريق المؤدية الى الهدف ، ان مثل هذا  
الحزب وحده كان في استطاعته ان يجمع بصورة ملائمة وان يدمج في سبل  
ثوري واحد ، حركات ثورية مختلفة كالحركة الديمقراطية العامة في سبيل  
السلام ، وحركة الفلاحين الديمقراطية في سبيل الاستيلاء على اراضي كباه  
الملاكين ، وحركة التحرر الوطني لدى الشعوب المظلومة المناضلة في سبيل  
المساواة القومية ، وحركة البروليتاريا الاشتراكية في سبيل تقويض  
البورجوازية وتشديد ديكتاتورية البروليتاريا .

ولا ريب ان اندماج هذه السيول الثورية المختلفة في سبل ثوري عارم  
واحد ، هو الذي قرر مصير الرأسمالية في روسيا .

٥ - بدأت ثورة اكتوبر والحرب الاستعمارية في معيها ، والدول  
البورجوازية الرئيسية منقسمة الى معسكرين متعادين ، وليس في امكانها  
لانشغالها بالحرب فيما بينها وبالعامل على اضعاف بعضها بعضاً ، ان تتدخل بصورة  
جدية في « الشؤون الروسية » وان تنهض بصورة نشيطة ضد ثورة اكتوبر .  
ولا ريب ان هذا الظرف قد سهل الى حد كبير انتصار ثورة اكتوبر  
الاشتراكية .

## ٧- نضال الحزب البلشفي في سبيل توطيد الحكم السوفياتي - صلح برست ليتوفسك - المؤتمر السابع للحزب .

كان لا بد لتوطيد الحكم السوفياتي من تهديم جهاز الدولة البورجوازي القديم وتخطيطه اربا اربا ، وانشاء جهاز جديد للدولة السوفياتية في مكانه . وكان لا بد بعدئذ ، من تخطيط بقايا الجماعات المميّزة القديمة ، ونظام الاضطهاد القومي ، والغاء امتيازات الكنيسة ، ومحو الصحافة المعادية للثورة ، وكل المنظمات المعادية للثورة على مختلف اشكالها من علنية وسرية ، وحل المجلس التأسيسي البورجوازي . وكان من الضروري اخيراً ، بعد ما تم تأميم الارض ، تأميم كل الصناعة الكبرى ايضاً ، ومن ثم الخروج من حالة الحرب ، اي انتهاء الحرب التي كانت تعرقل اكثر من اي شيء آخر توطيد الحكم السوفياتي .

وقد تم انجاز هذه التدابير جميعها خلال بضعة اشهر ، من اواخر ١٩١٧ حتى اواسط ١٩١٨ .

فاعمال العرقلة والتخريب التي كان ينظمها الاشتراكيون الثوريون والمنشفيك بواسطة موظفي الوزارات ، حُطمت وُصِفَت . فأُلغيت الوزارات واقامت في مكانها ادارات سوفياتية ومفوضيات للشعب . وانشى المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني لادارة صناعة البلاد . ونظمت اللجنة فوق العادية لكل روسيا «فيتشيك» بقيادة ف . جرجنسكي ، ومهمتها مكافحة اعداء الثورة واعمال التخريب . وصدر مرسوم بانشاء الجيش الاحمر والاسطول الاحمر . وحلّ المجلس التأسيسي الذي جرت الانتخابات لتكوينه بصورة رئيسية قبل ثورة اكتوبر ، وكان هذا المجلس قد رفض تصديق مراسيم مؤتمر السوفيات الثاني عن السلام وعن الارض وعن انتقال الحكم الى السوفيات .

ولاجل ازالة بقايا الاقطاعية والاصناف المميّزة ومحو عدم المساواة في كل ميادين الحياة الاجتماعية محواً نهائياً ، صدرت مراسيم بالغاء الاصناف المميّزة وبالغاء جميع انواع القيود القائمة على اساس قومي او طائفي ، وبفصل الكنيسة عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وبمنح المساواة للنساء وباقامة التساوي في

الحقوق بين القوميات في روسيا .

واصدرت الحكومة السوفياتية قراراً خاصاً معروفاً باسم « اعلان حقوق شعوب روسيا » ينص على ان تطور شعوب روسيا بحرية ، وتساويها التام في الحقوق ، بحمان ومكرسان بالقانون .

وفي سبيل ذلك القوة الاقتصادية للبورجوازية من اساسها ، وتنظيم الاقتصاد الجديد ، الاقتصاد الوطني السوفياتي ، وفي سبيل تنظيم الصناعة الجديدة السوفياتية بوجه خاص ، جرى تأميم البنوك والسكك الحديدية والتجارة الخارجية والاسطول التجاري وكل الصناعة الكبرى بجميع فروعها : اي صناعات الفحم والتعدين والبتترول والمنتجات الكيماوية والانشاءات الميكانيكية والنسيج وتصفية السكر ... الخ ...

وفي سبيل تحرير بلادنا من التبعية المالية للرأسماليين الاجانب ومن استثمارهم ، ألغيت جميع القروض الاجنبية التي عقدها القيصر والحكومة الموقته . فان شعوب بلادنا لم تكن راغبة في دفع الديون التي أخذت لمتابعة حرب النهب والسلب ، والتي كانت تجعل روسيا مستعبدة للرأسمال الاجنبي .

ان هذه التدابير وما ماثلها حطمت ، الى اعماق الجذور ، قوة البورجوازية وكبار ملاكي الاراضي والموظفين الرجعيين والاحزاب المعادية للثورة ، ووطدت الى حد كبير الحكم السوفياتي في داخل البلاد .

غير انه لم يكن من الممكن اعتبار وضع الحكم السوفياتي وطيداً تماماً ما دامت روسيا في حالة حرب مع المانيا والنمسا . فلأجل توطيد الحكم السوفياتي بشكل نهائي ، كان من الضروري الانتهاء من الحرب . ولهذا اشهر الحزب النضال في سبيل السلام منذ الايام الاولى لاتتصار ثورة اوكتوبر .

لقد اقترحت الحكومة السوفياتية « على جميع الشعوب المتحاربة وعلى حكوماتها الدخول دون امهال في مفاوضات لعقد سلم ديموقراطي عادل » . ولكن « الحلفاء » — انكلترا وفرنسا — رفضوا اقتراح الحكومة السوفياتية . ونظراً لرفض فرنسا وانكلترا التفاوض من اجل السلم ، قررت الحكومة

السوفياتية ، تنفيذاً لارادة مجالس السوفيات ، ان تباشر المفاوضات مع  
المانيا والنمسا .

وقد بدأت المفاوضات في ٣ كانون الاول في برست ليتوفسك . وفي ٥  
كانون الاول وُقِع بين الطرفين اتفاق هدنة يقضي بوقف الاعمال الحربية  
موقتاً .

جرت المفاوضات في وضع كان الاقتصاد الوطني فيه يعاني الخراب  
والانهيار ، والبلاذ قد أتعبتا الحرب ونهكتها ، وقواتا العسكرية تغادر  
الجبهة التي اخذت تتبعثر وتتفسخ . وتبين خلال المفاوضات ان الاستعماريين  
الالمان يريدون الاستيلاء على اقسام واسعة من اراضي الامبراطورية القيصرية  
القديمة ، اما بولونيا واورانيا والولايات البلطيقية فيريدون تحويلها الى دول  
تابعة لالمانيا .

كانت متابعة الحرب في هذه الظروف معناها تعريض كيان الجمهورية  
السوفياتية المنشأة حديثاً الى خطر الهلاك . فوجدت الطبقة العاملة وجماهير  
الفلاحين نفسها امام ضرورة القبول بشروط السلم القاسية والتراجع امام اخطر  
وحش مفترس في ذلك الوقت : وهو الاستعمار الالمانى ، وذلك للحصول على  
فترة مهادة ، وتوطيد الحكم السوفياتي وانشاء جيش جديد هو الجيش الاحمر ،  
قادر على الدفاع عن البلاد ضد هجمات الاعداء .

فقام جميع اعداء الثورة ، من المنشفيك والاشتراكيين الثوريين الى افراد  
الحرس الابيض المفضوحين ، بحملة دعاية محمومة ضد توقيع معاهدة السلم .  
وكانت خطتهم واضحة ، فكانوا يريدون احباط مفاوضات السلم ، واستفزاز  
الالمان الى الهجوم ، ووضع الحكم السوفياتي الذي لم يتيسر له بعد توطيد  
اركانه ، تحت ضربات قاسية ، وتعريض انتصارات العمال والفلاحين الى  
خطر محقق .

وكان لهم في هذه المهمة السوداء حليفان هما تروتسكي و« تابعه » بوخارين  
الذي كان مع راديك وبياتاكوف ، يتأسس جماعة معادية للحزب سميت نفسها

لاخفاء حقيقتها جماعة «الشيوعيين اليساريين». فاشهر تروتسكي و«الشيوعيون اليساريون» في داخل الحزب نضالاً عنيفاً ضد لينين ، مطالبين بمتابعة الحرب . وكان من الواضح ان هؤلاء الناس ، بموقفهم هذا ، اغا يخدمون الاستعماريين الالمان واعداء الثورة في داخل البلاد ، اذ كانوا يرمون الى تعريض الجمهورية السوفياتية الفتية ، التي لم يكن لديها جيش بعد ، الى ضربات الاستعمار الالمانى . لقد كانت سياسة استفزاز وخيانة مقنعة بمهارة بعبارات يسارية .

في ١٠ شباط ١٩١٨ ، انقطعت مفاوضات السلم في برست ليتوفسك . فرغم اصرار لينين وستالين ، باسم اللجنة المركزية ، على وجوب توقيع السلم ، خرق تروتسكي ، وكان اذ ذاك رئيس الوفد السوفياتي في برست ليتوفسك ، تعليمات الحزب البلشفي الصريحة وخانها ، فصرح بان الجمهورية السوفياتية ترفض توقيع السلم بالشروط التي تقترحها المانيا ، وفي الوقت نفسه اخبر الالمان ان جمهورية السوفيات لن تحارب ، وستتابع تسريح جيشها .

لقد كان ذلك عملاً شنيعاً فظيعاً . وما كان للاستعماريين الالمان ان يمنوا انفسهم باكثر من ذلك من خائن مصالح البلاد السوفياتية .

قطعت الحكومة الالمانية الهدنة ، واستأنفت الهجوم . فتراجعت بقايا جيشنا القديم امام ضغط القوات الالمانية وانهزمت . وتقدم الالمان بسرعة كبرى واستولوا على مساحات واسعة وهددوا بتروغراد . وكان في نية الاستعمار الالمانى ، بعد ما توغل في الاراضي السوفياتية ، ان يقضي على الحكم السوفياتي ويجعل من وطننا مستعمرة له . ولم يكن في استطاعة الجيش القيصري المبعثر ان يقاوم جحافل الاستعمار الالمانى ، فكان يتراجع تحت ضربات القوات الالمانية .

غير ان التدخل العسكري المسلح الذي شنه الاستعماريون الالمان اثار نهوضاً ثورياً عظيماً في البلاد . فجواباً على نداء الحزب والحكومة السوفياتية بان « الوطن الاشتراكي في خطر » ، سارعت الطبقة العاملة الى تأليف وحدات الجيش الاحمر بحماسة وحرارة . وردت الفصائل الفتية لهذا الجيش الجديد



جيش الشعب الثوري هجوم الوحش الالماني ، المسلح أتم تسليح ، ببسالة وبطولة . وقوبل الغزاة المهاجمون برد عنيف قرب نارفا وبسكوف ، ووقف تقدمهم نحو بتروغراد . واصبح يوم ٢٣ شباط الذي ردت فيه جيوش الاستعمار الالماني ، يوم ميلاد الجيش الاحمر الفتي .

وكانت لجنة الحزب المركزية قد اقرت ، منذ ١٨ شباط ، اقتراح لينين بتوجيه برفية الى الحكومة الالمانية لعقد السلم حالا . غير ان الالمان كانوا يتابعون الهجوم للحصول على شروط للسلم تؤمن لهم فوائد اكبر . ولم تقبل الحكومة الالمانية بتوقيع السلم الا في ٢٢ شباط ، وذلك ضمن شروط اقصى علينا بكثير من شروط المفاوضات الاولى .

واضطر لينين وستالين وسفردلوف الى القيام باشد واعنف نضال داخل اللجنة المركزية ضد تروتسكي وبوخارين والتروتسكيين الآخرين ، للحصول على قرار في مصلحة السلم . وقد اوضح لينين بان بوخارين وتروتسكي : « قد ساعدا ، في الواقع ، الاستعماريين الالمان وعوقلا تقدم الثورة وتطورها في المانيا » . ( لينين ، المؤلفات المختارة ، المجلد ٢ ، الصفحة ٣٣٨ )

وفي ٢٣ شباط قررت اللجنة المركزية قبول شروط هيئة الاركان الالمانية وتوقيع السلم . ان خيانة تروتسكي وبوخارين كلفت الجمهورية السوفياتية ثمناً غالياً . فقد اخذت المانيا لثوانيا واستونيا ، فضلاً عن بولونيا ، وفصلت اوكرانيا عن الجمهورية السوفياتية لتصبح دولة تابعة لالمانيا ، وتعهدت الجمهورية السوفياتية بدفع غرامة للالمان .

وكان « الشيوعيون اليساريون » يتابعون خلال ذلك نضالهم ضد لينين وينحدرون اكثر فاكثراً في مستنقع الخيانة .

فان المكتب المنطقي للحزب الشيوعي في موسكو ، الذي استولى عليه مؤقتاً « الشيوعيون اليساريون » ( بوخارين ، اوسيتسكي ، ياكوفليف ، ستوكوف ، مانستيف ) اتخذ قراراً انقسامياً بعدم الثقة باللجنة المركزية ، واعلن « ان انقسام الحزب في وقت قريب اصبح امراً لا يمكن تلافيه » .

وذهب « الشيوعيون اليساريون » في موقفهم الى حد اتخاذ قرار معاد للسوفييات ، فقد جاء في قرارهم : « اننا نعتبر ان من المفيد ، لمصلحة الثورة العالمية ، مجابهة امكان ازالة الحكم السوفياتي الذي اخذ يصبح الآن حكماً شكلياً محضاً » .

وقد قال لينين عن هذا القرار بانه « غريب وفضيع » .

وفي ذلك الحين لم يكن واضحاً بعد للحزب السبب الحقيقي لانتهاج تروتسكي و « الشيوعيين اليساريين » هذا السلوك المعادي للحزب . ولكن تبين اخيراً ( في اوائل ١٩٣٨ ) خلال محاكمة المنظمة المعادية للسوفييات المسماة « كتلة اليمينيين والتروتسكيين » ان بوخارين وفرقة « الشيوعيين اليساريين » التي كان يقودها ، كانوا يهيئون بالاتفاق مع تروتسكي والاشتراكيين الثوريين « اليساريين » مؤامرة ضد الحكومة السوفياتية . وكانت غاية بوخارين وتروتسكي وشركائهما عرقلة معاهدة السلم في برست ليتوفسك واعتقال لينين وستالين وسفردلوف وقتلهم ، وتأليف حكومة جديدة من البوخارينيين والتروتسكيين والاشتراكيين الثوريين « اليساريين » .

وكانت فرقة « الشيوعيين اليساريين » ، اذ تحبك مؤامرتها المعادية للثورة ، تقوم في الوقت نفسه ، مؤيدة من تروتسكي ، بهجوم مكشوف على الحزب ، ساعية الى تمزيق اوصال الحزب وتقسيمه وبعثرة صفوفه . غير ان الحزب التفت في ذلك الوقت العصيب حول لينين وستالين وسفردلوف وأيد اللجنة المركزية في قضية السلم وفي جميع القضايا الاخرى .

وظلت فرقة « الشيوعيين اليساريين » منعزلة مدحورة .

ولاجل تسوية قضية السلام بصورة نهائية ، عقد الحزب مؤتمره السابع . افتتح المؤتمر في ٦ آذار ١٩١٨ ، وهو اول مؤتمر عقده حزبنا بعد استيلائه على الحكم . وكان فيه ٤٦ مندوباً بصوت فعلي و ٥٨ مندوباً بصوت استشاري . وكان عدد اعضاء الحزب الممثلين في المؤتمر ١٤٥ الفاً . ولكن في الواقع كان اعضاء الحزب اذ ذاك لا يقلون عن ٢٧٠ الفاً . وسبب هذا الفرق هو ان ضرورة التعجيل بمقعد المؤتمر لم تعط قسماً هاماً من المنظمات الوقت

الكافي لارسال مندوبيها ، كما ان المنظمات التي احتل الالمان مؤقتاً اراضيها لم تتمكن من ارسال مندوبين عنها .

وقد التى لينين في المؤتمر تقريراً عن سلم برست ليتوفسك ، قال فيه :  
« ان الازمة الصعبة التي يجتازها حزبنا بسبب تأليف معارضة يسارية في قلبه هي من اعظم الازمات التي عرفتها الثورة الروسية » ( لينين ، المؤلفات المختارة ، مجلد ٢ ، ص ٣٥٣ ) .

وقبل القرار الذي اقترحه لينين عن سلم برست ليتوفسك بـ ٣٠ ضد ١٢ واستنكاف ٤ . وفي اليوم التالي كتب لينين في مقال عنوانه « سلم مشؤوم » ما يلي :

« ان شروط السلم قاسية الى آخر حد . غير ان التاريخ سيلفظ كلمته الاخيرة . فالى العمل لاجل التنظيم والتنظيم والتنظيم ! فالمستقبل لنا رغم جميع الحن ! » ( لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٢ ، الصفحة ٢٨٨ ، الطبعة الروسية ) .

وكان قرار المؤتمر يشير الى ان قيام الدول الاستعمارية في المستقبل ايضاً بهجمات عسكرية على الجمهورية السوفياتية هو امر لا بد منه ، ولهذا يعتبر المؤتمر ان مهمة الحزب الاساسية هي اتخاذ احزم التدابير واشدها لرفع مستوى النظام في صفوفه نفسها ، وبين العمال والفلاحين ايضاً ، لتهيئة الجماهير للدفاع بمنتهى التفاني عن الوطن الاشتراكي ، ولتنظيم الجيش الاحمر وتعليم السكان تعليماً عسكرياً عاماً .

وبعد ما وافق المؤتمر على صحة الخطة اللينينية فيما يتصل بسلم برست ليتوفسك ، شجب موقف تروتسكي وبوخارين ، واستنكر محاولة « الشيوعيين اليساريين » المدحورين ، متابعة عملهم الانقسامي في المؤتمر نفسه .

ان عقد سلم برست ليتوفسك سمح للحزب بكسب الوقت لتوطيد الحكم السوفياتي وتنظيم اقتصاديات البلاد .

وسمح عقد السلم بالاستفادة من النزاعات والاصطدامات في معسكر

الاستعمار ( الحرب التي ما زالت مشمرة بين الكتلة الالمانية النمساوية وبين دول الحلف ) وادخال النفسخ في قوى العدو ، وتنظيم الاقتصاد السوفياتي وانشاء الجيش الاحمر .

وسمح عقد السلم للبروليتاريا بالمحافظة على تأييد الفلاحين لها ، وبجمع القوى لسحق الجبرالات البيض خلال الحرب الاهلية .

ان لينين علم الحزب البلشفي ، في مرحلة ثورة اوكتوبر ، كيف ينبغي الهجوم بشجاعة وجسارة وعزيمة ، عندما تكون الظروف اللازمة لذلك متوافرة . وفي مرحلة برست ليتوفسك علم لينين الحزب كيف ينبغي التراجع بانتظام ، عندما تكون قوى العدو ظاهرة التفوق على قوانا ، وذلك للعمل بمنتهى العزيمة والقوة ، على تهيئة هجوم جديد على الاعداء .

وقد برهن التاريخ صحة خطة لينين .

وقرر المؤتمر السابع تغيير اسم الحزب وتعديل برنامجه . واصبح يدعى منذئذ « الحزب الشيوعي ( البلشفي ) في روسيا » . وكان لينين هو الذي اقترح تسمية حزبنا « الحزب الشيوعي » لان هذا الاسم ينطبق تماماً على الهدف الذي يرمي اليه الحزب ، وهو تحقيق الشيوعية .

وانتخبت لجنة خاصة لوضع برنامج الحزب الجديد مؤلفة من لينين وستالين وآخرين ، واتخذ المشروع الذي وضعه لينين اساساً لهذا البرنامج .

وهكذا انجز المؤتمر مهمة تاريخية كبرى : فقد ضرب الاعداء المتحصبين في قلب حزبنا ، اي « الشيوعيين اليساريين » والتروتسكين ، ونجح في سحب البلاد من الحرب الاستعمارية وفي الحصول على السلام ، على المهادنة ، وسمح للحزب بكسب الوقت لتنظيم الجيش الاحمر ، ووضع امام الحزب واجب ادخال التنظيم الاشتراكي الى الاقتصاد الوطني .

٨ - برنامج لينين لمباشرة البناء الاشتراكي -  
لجان الفلاحين الفقراء وتطويع الكولاك - تمرد  
الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » وسحقه -  
مؤتمر السوفييات الخامس وقرار دستور الجمهورية  
السوفياتية الاتحادية الاشتراكية الروسية .

بعدها وقع الحكم السوفياتي على السلم ، وحصل على مهادنة ، شرع  
في عمل واسع في ميدان البناء الاشتراكي . وقد سمي لينين المرحلة الممتدة من  
تشرين الثاني ١٩١٧ الى شباط ١٩١٨ مرحلة « هجوم الحرس الاحمر على  
الرأسمال » . وخلال النصف الاول من عام ١٩١٨ ، تمكن الحكم السوفياتي  
من تحطيم القوة الاقتصادية للبورجوازية وجمع في يديه مقاليد المراكز  
القيادية في الاقتصاد الوطني ( المصانع والمعامل والبنوك وسكك الحديد والتجارة  
الخارجية والاسطول البحري التجاري ... الخ ) وحطم الجهاز البورجوازي  
لسلطة الدولة ، وانتصر في تصفية المحاولات الاولى التي قام بها اعداء الثورة  
لتقويض الحكم السوفياتي .

الا ان كل ذلك لم يكن كافياً ، بل كان بعيداً جداً عن الكفاية .  
فلمسير الى امام ، كان من الواجب ، بعد تهديم النظام القديم ، الانتقال الى  
بناء النظام الجديد . ولهذا بدأ في ربيع ١٩١٨ ، الانتقال الى مرحلة جديدة  
في البناء الاشتراكي ، مرحلة الانتقال من « تجريد المغتصبين » الى توطيد  
الانتصارات التي تحققت توطيداً منظماً ، اي الى بناء الاقتصاد الوطني السوفياتي .  
وكان لينين يعتبر ان من الضروري الاستفادة من المهادنة الى اقصى حد  
للتشروع في بناء اسس الاقتصاد الاشتراكي . فكان على البلاشفة ان يتعلموا  
تنظيم الانتاج وقيادته على طريقة جديدة . وقد كتب لينين ان الحزب البلشفي  
قد افزع روسيا ، ان الحزب البلشفي انتزع روسيا من الاغنياء لمصلحة الشعب ،  
والآن يجب على الحزب البلشفي ان يتعلم كيف يحكم روسيا .

كان لينين يعتقد ان المهمة الرئيسية في هذه المرحلة هي احصاء كل ما  
ينتجه الاقتصاد الوطني ومراقبة الابواب والطرق التي يستعمل فيها مجموع

الاتاج . فقد كانت العناصر البورجوازية الصغيرة هي السائدة في اقتصاديات البلاد . وكان الملايين من صغار الملاكين في المدينة والقرية يشكون تربة خصبة لتطور الرأسمالية ، وكان هؤلاء الملاكون الصغار لا يعترفون لا بنظام العمل ولا بنظام الدولة ، ولا يخضعون لا للاحصاء ولا للمراقبة . وكان من اهم مصادر الخطر في ذلك الوقت العصب سعي العنصر البورجوازي الصغير الى الاحتكار والربح والجلشع في التجارة و محاولة صغار الملاكين وصغار التجار ان يثروا ويغنوا على حساب بؤس الشعب .

فشهر الحزب نضالا حازما شديداً ضد التراخي في الاتاج ، وضد الخروج على نظام العمل في الصناعة . فقد كانت الجماهير تألف ببطء عادات العمل الجديدة ، ولذلك صار النضال في سبيل التقيد بالنظام هو المهمة المركزية في تلك المرحلة .

وأكد لينين ضرورة تنمية المباشرة الاشتراكية في الصناعة وادخال الاجرة على اساس القطعة ، والنضال ضد جعل الاجور في مستوى واحد ، وان تطبق ، الى جانب تدابير التثيف والاقتناع ، الاساليب الزجرية ضد المستغلين الذين يريدون انتزاع اكثر مما يمكن من الدولة ، وضد الذين يتكاسلون ويقومون باعمال الاحتكار . وكان يعتبر ان النظام ( ١ ) الجديد ، نظام العمل ، النظام القائم على العلاقات الرفاقية ، النظام السوفياتي \_ ، سيصوغه ملايين الشغيلة خلال عملهم اليومي . وكان يقول « ان تحقيق ذلك سيستغرق مرحلة تاريخية كاملة » ( لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، الصفحة ٤٤ ، الطبعة الروسية ) .

جميع هذه القضايا المتصلة بالبناء الاشتراكي ، المتصلة بانشاء علاقات انتاج جديدة ، علاقات اشتراكية ، عاجلها لينين في مؤلفه المشهور : المهات المباشرة للحكم السوفياتي .

وحول هذه القضايا ايضاً اشهر « الشيوعيون اليساريون » النضال ضد لينين جنباً الى جنب مع الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك . فراح بوخارين واوسينسكي والآخرين يحملون على ادخال التقيد بالنظام ، وعلى الادارة الموحدة في المشروعات ، وعلى استعمال الاختصاصيين في الصناعة ، وعلى تطبيق

مبدأ المردود التجاري (١). وكانوا ينسجون الافتراءات على لينين زاعمين ان هذه السياسة تعني الرجوع الى الانظمة البورجوازية . وكان « الشيوعيون اليساريون » يروجون في الوقت نفسه لوجهة النظر التروتسكية القائلة بان البناء الاشتراكي وانتصار الاشتراكية في روسيا مستحيلان .

ولم تكن هذه العبارات « اليسارية » التي يرددها « الشيوعيون اليساريون » سوى ستار للدفاع عن الكولاك ، والمتكاسلين ، والمحتكرين ، الذين كانوا اعداء التقييد بأي نظام وينظرون بعداء الى تنظيم الدولة للحياة الاقتصادية وكذلك الى الاحصاء والمراقبة .

وبعد تسوية المسائل المتصلة بتنظيم الصناعة الجديدة ، السوفياتية ، التفت الحزب الى القضايا المتعلقة بالريف . وكان نضال الفلاحين الفقراء ضد الكولاك اذ ذاك في معيانه .

فقد كان الكولاك يزدادون قوة ، ويستولون على الاراضي التي انتزعت من كبار الملاكين . فكان من الواجب مساعدة الفلاحين الفقراء . وكاث الكولاك ، في نضالهم ضد الدولة البروليتارية ، يرفضون ان يبيعوها القمح على اساس الاسعار الثابتة ، ويريدون اجبار الدولة السوفياتية ، عن طريق المجاعة ، على العدول عن التدابير الاشتراكية . فوضع الحزب مهمة سحق الكولاك اعداء الثورة . ونظمت بعثات كبرى من العمال الى الريف لتنظيم الفلاحين الفقراء والتغلب على الكولاك الذين يجسسون الزائد من القمح .

وقد كتب لينين بهذه المناسبة مايلي :

« ايها الرفاق العمال ! اذكروا ان الثورة في وضع حرج . لا تنسوا انكم انتم ، وانتم وحدكم ، تستطيعون انقاذ الثورة . اننا بحاجة الى عشرات الالوف من نخبة العمال ، من عمال الطليعة المخلصين للاشتراكية ، الذين لا يمكن اغراؤهم بالرشوة ولا ان تمتد يدهم الى سرقة ، القادرين على انشاء قوة حديدية ضد الكولاك والمحتكرين والصوص والمرتشين والمخربين ... هذا ما نحن بحاجة

(١) : اي ان يعمل كل مشروع صناعي دون خسارة ، اي بشكل يؤمن به كل لوازمه ونفقاته بقواه الخاصة وحسب البرنامج ، دون اللجوء الى مساعدات من ميزانية الدولة .  
(هيئة التعريب)

اليه « ( لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد ٢٣ ، الصفحة ٢٥ ، الطبعة الروسية ) .

وأعلن لينين ان « النضال في سبيل التمح هو النضال في سبيل الاشتراكية . » وعلى اساس هذا الشعار جرى تنظيم العمال للزحف على الارياض ، واتخذت مراسم عديدة تقيم الديكتاتورية في ميدان التموين وتعطي هيئات مفوضية التموين سلطات استثنائية لشراء القمح بالاسعار المحددة الثابتة .

وتألفت طبقاً لمرسوم ١٦ حزيران ١٩١٨ ، **لجان الفلاحين الفقراء** ، فلبعت دوراً كبيراً في النضال ضد الكولاك وفي اعادة توزيع الاراضي المصادرة ، وتوزيع ادوات الاستثمار ، وخزن المحصول الزائد الذي كان في حوزة الكولاك ، وتموين المراكز العمالية والجيش الاحمر . وانتقل خمسون مليون هكتار اراضي الكولاك الى ايدي الفلاحين الفقراء والمتوسطين . وصودر من الكولاك قسم كبير من وسائل الانتاج اصلحة الفلاحين الفقراء . وكان تنظيم لجان الفلاحين الفقراء فاتحة مرحلة جديدة في تطور الثورة في الريف . فقد كانت هذه اللجان نقاط الاستناد لديكتاتورية البروليتاريا في القرية ، وعززت دورها جري الى حد كبير تكوين ملاكات للجيش الاحمر من الفلاحين .

ان زحف البروليتاريين الى القرية وتنظيم لجان الفلاحين الفقراء وطدا الحكم السوفياتي في الارياض ، وكان لهما اهمية سياسية كبرى في اكتساب الفلاح المتوسط الى جانب الحكم السوفياتي .

وفي اواخر ١٩١٨ ، عندما انجزت لجان الفلاحين الفقراء مهمتها ، انتهى وجودها ، واندثرت في مجالس السوفيات الريفية .

في ٤ تموز ١٩١٨ انتخب مؤتمر السوفيات الخامس ، وشهر فيه الاشتراكيون الثوريون اليساريين ، نضالاً عنيفاً ضد لينين دفاعاً عن الكولاك . وقد طلبوا وقف النضال ضد الكولاك والعدول عن ارسال فصائل التموين المؤلفة من العمال الى الريف . ولما اقتنع الاشتراكيون الثوريون « اليساريون » بان



اكثرية المؤتمر تعارض خططهم معارضة حازمة ، شقوا عصا الطاعة في موسكو واستولوا على طريق « تريوخ سفياتيلسكي » ، وصوبوا منه نيران المدافع على الكرملين ، ولكن البلاشفة سحقوا خلال ساعات قليلة هذه المغامرة التي قام بها الاشتراكيون الثوريون « اليساريون » ، وقد حاولت منظمات الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » المحلية في نقاط عديدة من البلاد ، ان تقوم كذلك بحركات عصيان ، ولكن المغامرة سحقت بسرعة في كل مكان . وقد تبين الان في محاكمة المنظمة المعادية للسوقيات المسماة « كتلة اليمينيين والتروتسكيين » ، ان عصيان الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » قد جرى بمعرفة بوخارين وتروتسكي وبموافقتها ، وانه كان جزءاً من البرنامج العام للمؤامرة المعادية للثورة التي حبكها البوخارينيون والتروتسكيون والاشتراكيون الثوريون « اليساريون » ضد الحكم السوفياتي .

وفي ذلك العهد نفسه ، تسلسل الاشتراكي الثوري « اليساري » بلومكين في الذي اصبح فيما بعد عميلاً لتروتسكي — الى مقر السفارة الالمانية وقتل السفير ميروباخ بقصد اثارة الحرب مع المانيا . غير أن الحكومة السوفياتية تمكنت من اجتناب الحرب واحباط هذا الاستفزاز الذي قام به اعداء الثورة .

واقر مؤتمر السوفييات الخامس دستور الجمهورية السوفياتية الاتحادية الروسية ، وهو اول دستور سوفياتي .

# الخلاصة

خلال ثمانية اشهر ، من شباط الى اكتوبر ١٩١٧ ، انجز الحزب البلشفي مهمة من اصعب المهمات : فقد اكتسب اكثرية الطبقة العاملة ، في مجالس السوفيات ، وجذب الى جانب الثورة الاشتراكية ملايين من الفلاحين ، وانتزع هذه الجماهير من نفوذ احزاب البورجوازية الصغيرة ( الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك والفوزيين ) ، وفضح خطوة فخطوة سياسة هذه الاحزاب الموجهة ضد مصالح الشغيلة . وقام الحزب البلشفي بنشاط سياسي كبير على الجبهة وفي المؤخرة لتهيئة الجماهير لثورة اكتوبر الاشتراكية .

والعناصر الحاسمة في تاريخ الحزب خلال هذه المراحل هي : عودة لينين من المهجر ، موضوعات نيسان التي وضعها لينين ، المجلس العام للحزب المنعقد في نيسان ، مؤتمر الحزب السادس . وقد استمدت الطبقة العاملة من قرارات الحزب القوة والثقة بالظفر ووجدت فيها الجواب على اهم مسائل الثورة . ووجه مجلس نيسان الحزب نحو النضال لاجل الانتقال من الثورة الديمقراطية البورجوازية الى الثورة الاشتراكية . اما المؤتمر السادس فقد وجه الحزب نحو الثورة المسلحة ضد البورجوازية وحكومتها الموقته .

ان الحزبين التفهميين ، الاشتراكي الثوري والمنشفيكي ، وكذلك الفوزيين والاحزاب الاخرى غير الشيوعية ، وصلوا في تطورهم الى نهايته . فقد اصبحوا جميعاً ، حتى قبل ثورة اكتوبر ، احزاباً بورجوازية ، واخذوا يدافعون عن كيان النظام الرأسمالي وسلامته . وقد قاد الحزب البلشفي وحده نضال هذه الجماهير في سبيل قلب البورجوازية واقامة حكم السوفيات . وحطم البلاشفة في الوقت نفسه محاولات الانهزاميين في داخل الحزب ، امثال زينوفيف وكامينيف وريكوف وبوخارين وتروتسكي وبياتاكوف ، الذين كانوا يسعون الى صرف الحزب عن طريق الثورة الاشتراكية .

ان الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الفقراء والحائزة على تأييد الجنود والبحارة ، قوّضت حكم البورجوازية، تحت قيادة الحزب البلشفي ، واقامت حكم السوفييات وشيدت دولة من طراز جديد : هي الدولة السوفياتية الاشتراكية ، والفت ملكية كبار الملاكين للأرض ، ووضعت الأرض تحت تصرف الفلاحين ، وامت كل اراضي البلاد ، وصادرت املاك الرأسماليين ، ونجحت في الخروج من الحرب ، وفي توقيع السلم ، وحصلت على المهادة اللازمة ، وخلقت بذلك الظروف المناسبة لتطوير الانشاء الاشتراكي .

لقد قضت ثورة اكتوبر الاشتراكية على الرأسمالية ، وانتزعت من البورجوازية وسائل الانتاج ، وحولت المصانع والمعامل والأرض وسكك الحديد والبنوك الى ملك للشعب بأسره ، الى ملك اجتماعي .

وشيّدت ديكتاتورية البروليتاريا ، وسامت الطبقة العاملة قيادة دولة عظيمة واسعة ، وجعلت من هذه الطبقة الطبقة الحاكمة .

لقد افتتحت ثورة اكتوبر الاشتراكية عهداً جديداً في تاريخ الانسانية ، هو عهد الثورات البروليتارية .

## الفصل الثامن

حزب البلاشفة في مرحلة التدخل  
العسكري الاجنبي والحرب الاهلية  
( ١٩١٨ - ١٩٢٠ )

•

### ١ - بدء التدخل العسكري الاجنبي - المرحلة الاولى من الحرب الاهلية .

تم عقد السلم مع المانيا في برست ليتوفسك ، وتوطدت دعائم الحكم السوفياتي بنتيجة ما اتخذته من الاجراءات الاقتصادية الثورية . وقد تم هذان الحدثان فيما الحرب في الغرب في ابان احتدامها . فاقوعا اشد الذعر في صفوف الاستعماريين الغربيين لاسيما استعماريي الدول الحليفة .

كان هؤلاء يخشون ان يؤدي توقيع السلم بين المانيا وروسيا الى تخفيف وضع المانيا العسكري وبالتالي جعل وضع الجيوش الحليفة في الجبهة اشق واوعر . كذلك كانوا يجزعون من ان يؤدي قيام السلم بين روسيا ومانيا الى تقوية الاندفاع نحو السلم في جميع البلدان وعلى جميع الجبهات ، فتصدع قضية الحرب ، اي قضية الاستعماريين ، وتعرض الى الخطر . وكانوا يخافون اخيراً ان يصبح قيام الحكم السوفياتي في اراضي بلاد واسعة مترامية الاطراف ،

وان تصبح نجاحاته الداخلية اثر هدم سلطان البورجوازية ، مثالا تسري عدواه الى العمال والجنود في الغرب . فان هؤلاء ، وقد شملهم استياء عميق من حرب ما زالت تستطيل ، يمكن ان يفعلوا ما فعله الروس فيحولوا حراجهم الى صدور اسياهم ومضطهديهم . لهذه الاسباب جميعها قررت حكومات الدول الخليفة الشروع في تدخل عسكري في روسيا لهدم الحكم السوفياتي واقامة حكم بورجوازي يعيد النظام الرأسمالي الى البلاد ، ويلغي معاهدة السلم مع المانيا ، ويقيم من جديد جبهة حرب ضد المانيا والنمسا .

وبما زاد في اقبال المستعمرين الخلفاء ، بطيبة خاطر ، على هذه المهمة السافلة السوداء ، انهم كانوا مقنعين بتقلل الحكم السوفياتي ، ولم يساورهم الشك في انه سينهار سريعا اذا ما بذل اعداؤه ما ينبغي من جهود .

ان نجاحات الحكم السوفياتي وتوطد اركانه ، بعثت كذلك ذعرا أشد واعظم في صفوف الطبقات الخلوعة ، — كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين — وفي صفوف الاحزاب المهزومة — الكاديت والمنشفيك والاشتراكيين الثوريين والفوضويين والقوميين البورجوازيين من كل لون — وفي صفوف جنرالات الحرس الابيض ، والضباط القوزاق ... الخ ...

فمنذ الايام الاولى لانتصار ثورة اكتوبر ، اخذت هذه العناصر المعادية تجهز صائحة بان الحكم السوفياتي لن يجد تربة صالحة في روسيا ، وانه مقضي عليه ، وانه هالك حتماً خلال اسبوع او اسبوعين ، او خلال شهر ، واذا طال اجله فلن يزيد على شهرين او ثلاثة . ولكن لما كان حكم السوفيات ، رغم تعاويد اعدائه ، يستمر في وجوده ويزداد رسوخاً ، رأى اعداء الحكم السوفياتي داخل روسيا ان لا مندوحة من الاعتراف بان هذا الحكم امنع جانباً بما كانوا يحسبون ، وان القضاء عليه يقتضي جهوداً جديدة ونضالا ضارياً من قبل جميع القوى المعادية للثورة . ولذلك قرروا القيام بعمل عصياني واسع في سبيل جمع القوى المعادية للثورة ، وللملة ملاكات عسكرية باساليب الخداع والاغراء

وبكل اسلوب، وتنظيم تمردات ولا سيما في مناطق القوزاق والمناطق التي يكون فيها الكولاك .

وهكذا برزت الى عالم الوجود ، منذ النصف الاول من عام ١٩١٨ ، قوتان واضحتان مستعدتان لتقويض الحكم السوفياني وهما : استعمارىو الدول الحليفة ، واعداء الثورة الداخلون في روسيا .

ولم تكن اى من هاتين القوتين تملك الوسائل الكافية لكي تعمل وحدها لقلب الحكم السوفياني . فكان لدى اعداء الثورة في روسيا بعض الملاكات العسكرية وبعض الموارد في الرجال ، خصوصاً من فئات القوزاق العليا ومن الكولاك ، وهي موارد ضرورية للقيام بعصيان ضد الحكم السوفياني ، ولكن اعداء الثورة لم يكن لديهم مال ولا سلاح . اما الاستعماريون الاجانب فكان لديهم ، على العكس ، المال والسلاح ، غير انهم لا يستطيعون « تخصيص » قوى عسكرية كافية للتدخل ، وذلك ليس فقط لان هذه القوى لازمة لمواصلة الحرب ضد المانيا والنمسا ، بل لسبب آخر ايضاً هو ان هذه القوى قد لا تكون مضمونة تماماً للنضال ضد الحكم السوفياني .

ان المالبسات التي اكتنفت النضال ضد حكم السوفيات فرضت اندماج هاتين القوتين المعاديتين للسوفيات الخارجية والداخلية . وقد تم هذا الاندماج في النصف الاول من ١٩١٨ .

هكذا جرى التدخل العسكري الاجنبي ضد الحكم السوفياني ، تدعّمه العصيانات المعادية للثورة التي قام بها اعداء الحكم السوفياني في داخل روسيا . هكذا انتهت المهادنة وبدأت في روسيا الحرب الاهلية ، اي حرب عمال وفلاحى شعوب روسيا ضد اعداء الحكم السوفياني الخارجيين والداخلين . لقد شن استعماريو انكلترا وفرنسا واليابان والولايات المتحدة الاميركية التدخل العسكري دون اعلان الحرب ، مع ان هذا التدخل كان حرباً ضد روسيا ، بل كان حرباً من ابشع ما عرف . فان هؤلاء الاشقياء ، قطاع الطرق « المتمدنين » تسلبوا خلسة ، كما يفعل اللصوص ، وانزلوا قواتهم في الاراضي الروسية .

انزل الانكليز والفرنسيون قواتهم في شمالي روسيا ، فاحتلوا اراخانجل ومورمانسك، ودعوا هناك عصيان الحرس الابيض، وخلعوا حكم السوفيات، وشكلوا حكومة من الحرس الابيض اسموها «حكومة شمالي روسيا» . وانزل اليابانيون قواتهم في فلاديفوستوك واحتلوا المناطق الساحلية وسكنتوا مجالي السوفيات ودعوا العصاة من الحرس الابيض ، الذين اعادوا النظام البورجوازي فيما بعد .

وفي القفقاس الشمالي ، شكل الجنرالات كورنيوف والكسييف وديكين، بمساعدة الانكليز والفرنسيين ، «جيش متطوعة» من الحرس الابيض، واثاروا العصيان بين الفئات العليا من القوزاق ، وانطلقوا في زحف على السوفيات . وفي منطقة الدون ، قام الجنرالان كراسنوف ومامونتوف ، يساعدهما الاستعماريون الالمان سراً ( اذ لم يكونوا يقرون على مد يد المساعدة اليها علناً بسبب معاهدة السلم المعقودة بينهم وبين روسيا ) باثارة عصيان بين قوزاق الدون ، واحتلا منطقة الدون وانطلقا كذلك في زحف على السوفيات .

وفي منطقة الفولغا الوسطى وسيبيريا ، آلت التدخلات الانكليزية الفرنسية الى تنظيم عصيان في الفيلق التشيكوسلوفاكي . وكانت الحكومة السوفياتية قد اجازت لهذا الفيلق ، المؤلف من اسرى الحرب ، ان يعود الى وطنه عن طريق سيبيريا والشرق الاقصى . غير ان الاشتراكيين الثوريين والانكليز والفرنسيين استغلوه في اثناء الطريق للقيام بعصيان ضد الحكم السوفياتي . وكان عصيان الجيش التشيكوسلوفاكي بمثابة اشارة الانطلاق لعصيان الكولاك في حوض الفولغا وسيبيريا ، وكذلك لتمرّد عمال معامل فوتينسك واجيفسك الذين كانوا ينقادون للاشتراكيين الثوريين . وفي منطقة الفولغا ، تشكلت حكومة سامارا المؤلفة من الحرس الابيض والاشتراكيين الثوريين ، كما تآلفت في اومسك حكومة الحرس الابيض السيبيرية .

ولم تشتك المانيا ، ولم يكن بوسعها ان تشتك ، في تدخل الكتلة الانكليزية الفرنسية اليابانية الاميركية . وذلك راجع بالدرجة الاولى الى حالة الحرب

القائمة بينها وبين هذه الكتلة . ولكن رغم ذلك ، ورغم معاهدة الصلح القائمة بين روسيا والمانيا ، لم يشك احد من البلاشفة في ان حكومة الامبراطور غليوم هي ، بالنسبة لبلاد السوفيات ، عدو لا يقل ضراوة عن المتدخلين الانكليز والفرنسيين واليابانيين والاميركيين . وفي الواقع ، فعل الاستعماريون الالمان كل ما هو ممكن وغير ممكن لعزل البلاد السوفياتية واطعافها واهلاكها . فسلخوا عن روسيا السوفياتية اوكرانيا ، ولو ان ذلك تم ، في الحقيقة ، وفق « معاهدة » مع مجلس الرادا الاوكرانية ، كذلك ادخلوا جيوشهم الى هذه البلاد بناء على طلب « الرادا » الاوكرانية المعادية للثورة ، والتي كانت في يد الحرس الابيض ، وراحوا ينهبون الشعب الاوكراني ويستولونه بشكل وحشي ، وحرّموا عليه كل اتصال بروسيا السوفياتية . واقتطعوا من روسيا السوفياتية منطقة عبر القفقاس حيث ادخلوا ، بطلب من القوميين الجورجيين والاذريجانيين ، قوات المانية وتركية ، وسيطروا في باكو وتفليس سيطرة الاسياد . واخذوا بناصر الجنرال كراسنوف ، المتمرد في منطقة الدون . صحيح انهم ناصروه سراً ، ولكنهم لم يدّخروا وسيلة في هذا السبيل ، مقدمين له الذخائر والمؤن .

وهكذا وجدت روسيا السوفياتية نفسها منقطعة عن مناطقها الرئيسية التي تمدها بالاغذية والمواد الاولية والوقود .

كانت الحالة صعبة شاقة في روسيا السوفياتية في هذه المرحلة . فالخبز نقد ، واللحم نضب ، وعض الجوع العمال بنابه . وكان يوزع على عمال موسكو ولينينغراد خمسون غراماً من الخبز كل يومين . بل مرت ايام لم يوزع فيها الخبز ابداً . وتوقفت المصانع عن العمل او كادت بسبب فقدان المواد الاولية والوقود . غير ان الطبقة العاملة لم تحز عزائنها ولم تحمد شجاعتها ، والحزب البلشفي لم تحز عزائنه ولم تحمد شجاعته . ان مصاعب هذه الفترة التي لم يسمع لها بمثيل ، والنضال الضاري ضد هذه المصاعب ، اظهرت كم هو خصب لا ينضب العزم الكامن في الطبقة العاملة ، وكم هي عظيمة ولا تقاس بمقياس



قوة نفوذ الحزب البلشفي وهيته .

اعلن الحزب ان البلاد باسرها هي معسكر محارب ، واعداد تنظيم كل الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية على اساس الحرب . واعلنت الحكومة السوفياتية ان « الوطن الاشتراكي في خطر » ودعت الشعب الى المقاومة . والقي لينين شعار : « كل شيء من اجل الجبهة » ، فخرج مئات الالوف من العمال والفلاحين ، الى الانخراط متطوعين اختياريين في صفوف الجيش الاحمر . وذهب الى الجبهة ما يقرب من نصف اعضاء الحزب والشبيبة الشيوعية . لقد استنهض الحزب الشعب الى الحروب في سبيل سلامة الوطن ضد غزوة قوات التدخل الاجنبي ، وضد عصيان الطبقات المستثمرة التي قوّضتها الثورة . وكان مجلس الدفاع العمالي والفلاحي الذي ألقه لينين ، يقود عموم الجبهة بالرجال والمؤن والاعدة والذخائر . وكان من نتيجة الانتقال من مبدأ التطوع الاختياري الى مبدأ الخدمة العسكرية الاجبارية ، ان توافدت على الجيش الاحمر فئات جديدة من المجندين يرقى عددها الى مئات الالوف من الرجال ، ولم تمض فترة وجيزة حتى بلغ عدد الجيش الاحمر مليون جندي .

ورغم وضع البلاد الصعب الشاق ، ورغم ان الجيش الاحمر كان ما يزال فتياً ، ولم يتيسر له بعد ان يشتد ساعده ، فان التدابير التي اتخذت من اجل الدفاع ادت الى نجاحات اولية بئينة . فقد رُدَّ الجنرال كراسنوف عن تزاريتسين حين كان يعتقد ان سقوطها بيده امر محتم ، وقذف به الى ما وراء الدون . وحُصر نشاط الجنرال دينيكين ضمن بقعة قليلة الاتساع من القفقاس الشمالي ، ولقي الجنرال كورنيلوف مصرعه في معركة مع الجيش الاحمر ، وطردت من قازان وسيمبرسك وسامارا قوات التشيكوسلوفاكيين وعصابات الاشتراكيين الثوريين والحرس الابيض ، ودُحرت نحو الاورال . وسحق العصيان الذي قام به سافنكوف ، من الحرس الابيض ، في ياروسلافل ، وكان لوكهارت ، رئيس البعثة الانكليزية في موسكو ، هو الذي نظم هذا العصيان . وقد القي القبض على لوكهارت نفسه . اما الاشتراكيون الثوريون الذين اغتالوا

الرفيقتين اوريتسكي وفولودراسكي ، وديرورا مؤامرة سافلة على حياة لينين ، فقد قوبل ارهابهم الابيض ضد البلاشفة ، بالارهاب الاحمر ، فتم سحقهم في جميع مراكز روسيا الوسطى التي لها ولو شيء من الاهمية .

وكان الجيش الاحمر الفتى يتصلب ويشدد عوده في المعارك مع الاعداء ، ولعب المفوضون الشيوعيون ، الذين كانوا يعملون في الجيش الاحمر آنذاك ، دوراً حاسماً في توطيد الجيش ، وفي تثقيفه السياسي وتقوية كفاءته العسكرية وروح النظام فيه .

وادرك الحزب البلشفي ان نجاحات الجيش الاحمر هذه لا يمكن ان تقرر مصير العمليات الحربية ، فهي ليست سوى نجاحاته الاولى . وادرك الحزب ان ثمة معارك جديدة اعظم شأنًا وشبكة الوقوع ، وان البلاد لن تستطيع استرجاع مناطق تربيها بالاغذية والمواد الاولى والمحروقات ، الا بنتيجة معارك ضارية طويلة الامد ضد الاعداء . ولذلك اخذ البلاشفة يستعدون بقوة لحرب طويلة الاجل ، وقرروا وضع المؤخرة بكاملها في خدمة الجبهة .

واقامت الحكومة السوفياتية نظام الشيوعية الحربية . فوضعت تحت رقابتها ، فضلا عن الصناعة الكبيرة ، الصناعة المتوسطة والصغيرة ايضاً ، بغية تكديس بضائع الاستهلاك الواسع وتزويد الجيش والقرية بها . وافقرت نظام الحصر في تجارة القمح ، ومنعت التجارة الفردية به ، ووضعت نظام اقتطاع قوامه احصاء وأخذ كل الفاض من المنتجات الغذائية لدى الفلاحين ، لتكديس احتياطي من الحنطة ولتموين الجيش والعمال بالمواد الغذائية . واخيراً ، فرضت العمل الاجباري على الطبقات كافة . وحين فرض الحزب العمل اليدوي على البورجوازيين ، وحرر بذلك العمال لكي يقوموا بعمل آخر اعظم شأنًا من اجل الجبهة ، فهو انما حقق المبدأ القائل : « من لا يعمل لا يأكل » .

هذه المجموعة من التدابير التي اقتضاها الدفاع عن البلاد ، في ظروف فائقة الصعوبة وكانت ، تدابير ذات صفة مؤقتة ، هي التي سميت الشيوعية الحربية .

استعدت البلاد لحرب اهلية طويلة وشاقة ضد اعداء الحكم السوفياني ،  
الداخلين والخارجيين . وكان عليها ان ترفع عدد الجيش الاحمر ، نحو اواخر  
عام ١٩١٨ ، الى ثلاثة أضعافه . وكان عليها تكديس الوسائل لتموين هذا  
الجيش.

وقد كتب لينين في تلك الايام :

« كنا قررنا ان يكون لدينا جيش قوامه مليون جندي  
عند حلول الربيع . واليوم ، يلزمنا جيش قوامه ثلاثة ملايين .  
وفي وسعنا ان نملك هذا الجيش وسنملكه ! »



## ٢ - اندحار المانيا عسكرياً - الثورة في المانيا -

### تأليف الاممية الثالثة - المؤتمر الثامن للحزب .

فيما كانت البلاد السوفياتية تستعد للمعارك الجديدة ضد التدخل الاجنبي ،  
كانت تجري في الغرب ، حوادث حاسمة سواء في مؤخرة البلدان المتحاربة او  
على جبهاتها . فالحرب وأزمة المواد الغذائية تأخذان مجنبا المانيا والنمسا .  
وفيما انكثرتا وفرنسا واميركا الشمالية تجند ايضا وايضاً قوى احتياطية جديدة ،  
شارف احتياطي المانيا والنمسا الضئيل على النفاد . لقد اصبح واضحاً ان المانيا  
والنمسا ، وقد نزفتا ونهكتا ، صائرتان الى اندحار قريب .

والى جانب ذلك ، كان يتعاضم في المانيا والنمسا غضب الشعب على هذه  
الحرب المشؤومة المهلكة التي استطالت دون نهاية ، وعلى موقف الحكومتين  
الاستعماريتين في هذين البلدين ، اللتين أدتا بالشعب الى الهزيمة والمجاعة . وقد  
ساهم في تكوين هذه الحالة النفسية ، التأثير الثوري العظيم الذي أحدثته ثورة  
اكتوبر ، وتأخي الجنود السوفيانيين مع الجنود النمساويين والامارات على  
الجبهة منذ ما قبل عقد السلم في برست ليتوفسك ، ثم تأثير وقف الحرب  
مع روسيا السوفياتية وعقد السلم معها . فان المثل الذي ضربته روسيا ، حيث

وضع الشعب حداً للحرب البغيضة عن طريق خلع حكومته الاستعمارية ، كان لا بد ان يكون درساً للعالم النمساويين والامان . اما الجنود الالمان الذين كانوا في الجبهة الشرقية ونقلوا بعد سلم برست ليتوفسك الى الجبهة الغربية ، فما كان من الممكن الا ان يفسخوا الجيش الالمانى باحاديثهم عن تأخيهم مع الجنود السوفياتيين وكيف استطاع هؤلاء ان يتخلصوا من الحرب . اما الجيش النمساوي فقد بدأ يفسخ قبل ذلك بكثير ، للأسباب نفسها .

بنتيجة هذه العوامل مجتمعة ، اشتد الطموح الى السلم في الجيوش الالمانية ، ولم تعد لديها المقدرة السابقة على القتال ، وراحت تتقهقر امام ضغط جيوش الدول الحليفة . اما في المانيا نفسها ، فقد نشبت ، في تشرين الثاني ١٩١٨ ، ثورة اطاحت بالامبراطور غليوم وحكومته .

فاضطرت المانيا الى الاعتراف بالهزيمة ، والى طلب الصلح من دول الحلف . وهكذا تددت المانيا ، بضربة واحدة ، من دولة من الدرجة الاولى الى مستوى دولة من الدرجة الثانية .

وكان لهذا الحدث بعض المغزى السلبي بالنسبة الى الحكم السوفياتي ، ذلك لانه كان يجعل دول الحلف ، وهي منظمة التدخل العسكري ضد حكم السوفيات ، القوة المهيمنة السائدة في اوروبا وآسيا ، ويتيح لها ان توغل في تدخلها وان تضرب حصاراً حول البلاد السوفياتية ، وان تضيق الخناق على الحكم السوفياتي . وهو ما جرى بالفعل كما سنرى فيما بعد . ولكن هذا الحدث كان له ، من جهة اخرى ، اثر ايجابي اعظم . اذ انه خفف العبء عن البلاد السوفياتية تخفيفاً اساسياً . فاولاً ، استطاع الحكم السوفياتي ان يبطل معاهدة برست ليتوفسك ، معاهدة النهب والسلب ، وان يكف عن الدفع باسم غرامة الحرب ، وان يشترع في نضال صريح ، عسكري وسياسي ، لتحرير استونيا وليتوانيا وبيلوروسيا وليتوانيا واوكرانيا وعبر القفقاس من نير الاستعمار الالمانى . وثانياً — وهو الاهم — كان وجود نظام جمهوري في وسط اوروبا ، اي في المانيا ، ووجود مجالس سوفياتية من نواب العمال والجنود ، لا بد ان يحدث

تأثيراً ثورياً — وقد احدث هذا التأثير بالفعل — في بلدان اوروبا مما يؤدي حتماً الى تقوية وضع الحكم السوفياتي في روسيا . صحيح ان الثورة في المانيا كانت ثورة بورجوازية لا اشتراكية ، وان مجالس السوفيات فيها كانت اداة طليعة في يد البرلمان البورجوازي ، لان الاشتراكيين الديمقراطيين دعاة التفاهم — اشباه المنشفيك في روسيا — هم الذين كانوا سائدين فيها ، وهو ما يفسر ضعف هذه الثورة . اما مدى ضعفها فيشهد عليه ، مثلاً ، انها تركت دون عقاب مقتل ثورين مرموقين امثال روزا لو كسمبورغ وكارك لينبخت اللذين اغتالهما قتل من الحرس الابيض الالمانى . غير انها كانت ثورة على كل حال . فقد خلع الامبراطور غليوم ، وافلت العمال من قيودهم ، وهذا وحده كان لا بد ان يطلق الثورة في الغرب ، كان لا بد ان يحدث نهوضاً في الثورة في البلدان الاوروبية .

بدأ النهوض الثوري في اوروبا . ففي النمسا تطورت الحركة الثورية واتسعت . وفي هنغاريا ( المجر ) ، برزت جمهورية سوفياتية . وعلى اساس الموجة الثورية ، ظهرت الى الوجود الاحزاب الشيوعية في اوروبا . لقد نشأت تربة حقيقية لجمع الاحزاب الشيوعية في الامة الثالثة ، الامة الشيوعية .

وفي آذار ١٩١٩ ، في المؤتمر الاول للاحزاب الشيوعية لختلف البلدان المنعقد في موسكو ، تأسست الامة الشيوعية بمبادرة من لينين والبلاشفة . وقد حال حصار الاستعماريين واضطهادهم دون وصول كثير من المندوبين الى موسكو ، ورغم ذلك ، حضر المؤتمر الاول مندوبون من اهم البلدان الاوروبية والاميركية . وقد قاد لينين اعمال المؤتمر .

ابان لينين ، في تقريره عن الديمقراطية البورجوازية وديكتاتورية البروليتاريا ، مغزى الحكم السوفياتي من حيث هو الديمقراطية الحقيقية للكادحين . وافر المؤتمر بياناً موجهاً الى البروليتاريا العالمية يدعوها فيه الى النضال الحاسم في سبيل الديكتاتورية البروليتارية ، في سبيل انتصار مجالس

السوفيات في جميع البلدان .  
وألفت المؤتمر لجنة تنفيذية للكومنتون ، اي الهيئة التنفيذية للاممية  
الثالثة ، الاممية الشيوعية .

وهكذا نشأت منظمة بروتيتارية ثورية اممية من طراز جديد ، هي  
الاممية الشيوعية ، الاممية الماركسية — اللينينية .

وفي وضع من الظروف المتناقضة : اي في ظروف اشتداد ساعد الكتلة  
الرجعية المؤلفة من دول الحلف ضد الحكم السوفياتي ، من جهة ، وفي  
ظروف النهضة الثورية في اوربا ، وخاصة في البلدان المغلوبة عسكرياً ، هذه  
النهضة التي حسنت حال البلاد السوفياتية ، من جهة اخرى : في هذه الظروف  
المتناقضة ، انعقد المؤتمر الثامن لحزبنا ، في آذار — ١٩١٩ .

وقد حضر المؤتمر ٣٠١ مندوب لهم اصوات فعلية يمثلون ٣١٣٧٦٦  
عضواً في الحزب . اما المندوبون ذوو الاصوات الاستشارية فبلغ عددهم مئة  
ومندوبين ( ١٠٢ ) .

وعندما افتتح لينين المؤتمر ، كرّس كلمته الاولى لذكرى واحد من  
خيرة منظمي الحزب البلشفي ، هو . م . سفيردولوف ، الذي توفي عشية  
افتتاح المؤتمر .

اقرّ المؤتمر البرنامج الجديد للحزب . ويشتمل هذا البرنامج على بيان  
الصفات المميزة للرأسمالية ، ولمراحلها العليا : الاستعمار . وفي البرنامج مقارنة  
بين نظامين للدولة : الديموقراطي البورجوازي والسوفياتي . ويعرض البرنامج  
بالتفصيل المهمات الواقعية المأموسة التي تترتب على الحزب في النضال في سبيل  
الاشتراكية ، وهي : السير حتى النهاية في تجريد البورجوازية بما تملك ،  
تنظيم اقتصاديات البلاد وفقاً لمنهاج اشتراكي موحد ، اشراك النقابات في  
تنظيم الاقتصاد الوطني ، التقيد بالنظام الاشتراكي للعمل ، الاستفادة من  
الاختصاصيين في الاقتصاد الوطني تحت اشراف الهيئات السوفياتية ، اجتذاب  
الفلاحين المتوسطين تدريجياً وباتظام الى عمل البناء الاشتراكي .

وأقر المؤتمر اقتراح لينين بأن يتضمن البرنامج، الى جانب تعريف الاستعمار باعتباره المرحلة العليا للرأسمالية ، وصف الرأسمالية الصناعية والاقتصاد البضاعي البسيط ، وهو الوصف الموجود في البرنامج القديم الذي أقره المؤتمر الثاني للحزب . وكان لينين يرى ان من الضروري التنويه، في البرنامج، بما في اقتصادنا من تركيب وتعقيد ، فيشار الى ان في البلاد اشكالا اقتصادية مختلفة بما في ذلك الاقتصاد البضاعي الصغير الذي يمثله الفلاح المتوسط . ولهذا وقف لينين ، خلال مناقشة البرنامج، بشدة وحزم ضد وجهات النظر المنافية للبشفية ، التي ابداهها بوخارين ، اذ اقترح ان تحذف من البرنامج النقاط المتعلقة بالرأسمالية وبالانتاج البضاعي الصغير وباقتصاد الفلاح المتوسط . وكانت آراء بوخارين تعبر عن رأي المنشفيك والروتسكيين بانكار دور الفلاح المتوسط في انشاء النظام السوفياتي . وفي الوقت نفسه كان بوخارين يطمس ويخفي ظهور العناصر الكولاحية وغوها ، هذه العناصر التي يوئدها الاقتصاد الفلاحي البضاعي الصغير .

كذلك دحض لينين آراء بوخارين وبياتا كوف ، المناوئة للبشفية ، في القضية الوطنية . فقد عارض كلاهما في ان يتضمن البرنامج فقرة عن حق الامم في تقرير مصيرها ، كما عارضا مساواة الامم في الحقوق ، بحجة ان هذا الشعار سيمنع انتصار الثورة البروليتارية كما يمنع اتحاد البروليتاريين من مختلف القوميات . فدحض لينين مفاهيم بوخارين وبياتا كوف الاستعمارية الشوفينية الضارة المشؤومة .

واحتلت مسألة الموقف من الفلاح المتوسط مكاناً هاماً في اعمال المؤتمر الثامن . فبعد صدور المرسوم المعروف عن الارض، اخذت القرية تصبح اكثر فاكثر قرية فلاحين متوسطين . واصبح الفلاح المتوسط يؤلف الان اكثرية السكان الفلاحين . ولما كان الفلاحون المتوسطون يتأرجحون بين البورجوازية والبروليتاريا ، فقد اصبح حلّهم الفكرية وسلوكهم اهمية عظمى فيما يتصل

بصائر الحرب الاهلية والانشاء الاشتراكي. وكان مآل الحرب الاهلية مرتين، الى حد كبير ، بهذين السؤالين : الى اي طرف سينحاز الفلاح المتوسط ، ومن هي الطبقة التي ستكسب الفلاحين المتوسطين الى جانبها ، البروليتاريا ام البورجوازية ؟ فان التشيكيوسلوفاكيين والحرس الابيض والكولاك والاشتراكيين الثوريين والمنشفيك توصلوا في صيف ١٩١٨ الى تقويض الحكم السوفيياتي في حوض الفولغا ، لان قسماً هاماً من الفلاحين المتوسطين دعمهم ووقف بجانبهم . وحدث الامر نفسه خلال حركات العصيان التي نظمها الكولاك في روسيا الوسطى . ولكن ، اعتباراً من خريف ١٩١٨ ، طرأ تحول على الحالة الفكرية لدى جماهير الفلاحين المتوسطين ، وكان هذا التحول في مصلحة الحكم السوفيياتي . فقد رأت جماهير الفلاحين ان انتصار الحرس الابيض يؤدي الى عودة حكم كبار ملاكي الاراضي ، والى استرجاع الارض من الفلاحين ، والى عودة النهب والسياسات والتنكيل بالفلاحين . وكان نشاط لجان الفلاحين الفقراء ، التي سحقت الكولاك ، من العوامل التي ساهمت في التحول الفكري الذي طرأ على جماهير الفلاحين . في ضوء ذلك كله ، اعطى لينين ، في تشرين الثاني ١٩١٨ ، الشعار التالي :

« ينبغي الوصول الى اتفاق مع الفلاح المتوسط ، دون التوقف لحظة واحدة عن النضال ضد الكولاك ، مع الاستناد بقوة الى الفلاحين الفقراء فقط » . ( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد ٢٣ ، ص ٢٩٤ ، الطبعة الروسية ) .

من الراجح ان تردد الفلاحين المتوسطين لم ينعدم تماماً . غير انهم صاروا اقرب الى الحكم السوفيياتي ، وصار تأييدهم له أقوى وأثبت . وقد ساعدت على ذلك الى حد كبير ، السياسة التي اوصى مؤتمر الحزب الثامن باتباعها تجاه الفلاحين المتوسطين .

لقد كان المؤتمر الثامن نقطة انعطاف في سياسة الحزب حيال الفلاحين المتوسطين . فان تقرير لينين ومقررات المؤتمر عينت خطة جديدة في معالجة



هذه القضية . وطلب المؤتمر من منظمات الحزب ومن جميع الشيوعيين ان يميزوا بدقة تامة بين الفلاحين المتوسطين وبين الكولاك ، وان يعملوا على اجتذاب الفلاحين المتوسطين الى جانب الطبقة العاملة بالاصغاء والانتباه الى مطالبهم وحاجاتهم . فكان ينبغي النضال ضد تأخر الفلاح المتوسط عن طريق الاقتناع لا عن طريق الوسائل الزجرية او اساليب العنف . ولذلك اوعز المؤتمر بتحقيق الاجراءات الاشتراكية في الريف ( كانشاء الكومونات والتعاونيات الزراعية ) دون اللجوء الى الاكراه . وفي كل الظروف التي يقع فيها مساس بمصالح الفلاح المتوسط الحيوية ، ينبغي الوصول الى اتفاقيات عملية معه ، والتساهل والتنازل له فيما يخص الوسائل الآيلة الى تحقيق التحولات الاشتراكية . واقترح المؤتمر اتباع سياسة التحالف الوثيق مع الفلاح المتوسط ، على ان يُحفظ للبروليتاريا الدور القيادي في هذا التحالف .

كانت السياسة الجديدة حيال الفلاحين المتوسطين ، التي اعلنها لينين في المؤتمر الثامن ، تتطلب من البروليتاريا ان تستند بقوة الى الفلاحين الفقراء ، وان تحقق تحالفاً وثيقاً مع الفلاح المتوسط ، وان تشن النضال على الكولاك . اما قبل المؤتمر الثامن ، فقد انتهج الحزب ، بصورة عامة ، سياسة قوامها جعل الفلاح المتوسط على الحياد . وكان معنى ذلك ان الحزب اراد من الفلاح المتوسط ان لا يقف بجانب الكولاك وبجانب البورجوازية بوجه عام . غير ان ذلك لم يعد يفي بالمطلوب الان . لهذا انتقل المؤتمر من السياسة الرامية الى كسب حياد الفلاح المتوسط الى التحالف الوثيق معه ، للنضال ضد الحرس الابيض وضد التدخل الاجنبي ، وكذلك لتأمين النجاح في الانشاء الاشتراكي . ان الخطوة التي اقرها المؤتمر تجاه الجماهير الاساسية من الفلاحين ، اي تجاه الفلاحين المتوسطين ، لعبت دوراً حاسماً في تأمين الظفر في الحرب الاهلية ضد التدخل الاجنبي واعوانه من الحرس الابيض . ففي خريف ١٩١٩ عندما كان على الفلاحين ان يختاروا بين الحكم السوفياتي وبين دينيكين ، انحاز الفلاحون

الى جانب السوفيات ، فانتصرت ديكتاتورية البروليتاريا على أشد اعدائها خطراً .

واحتلت قضية بناء الجيش الاحمر مجالاً خاصاً في اعمال المؤتمر . وقد ظهرت في المؤتمر المعارضة المسماة « المعارضة العسكرية » . وقد جمعت عدداً لا يستهان به من « الشيوعيين اليساريين » القداماء . غير ان « المعارضة العسكرية » كانت تضم ايضاً ، علاوة على ممثلي « الشيوعية اليسارية » المدحورة ، مناضلين لم يسبق لهم ان اشتركوا في اية معارضة ، ولكنهم كانوا غير راضين عن قيادة تروتسكي في الجيش . وكان معظم المندوبين العسكريين مستائين جداً من تروتسكي ، وساخطين على ركوعه امام الاختصاصيين من الجيش القيصري القديم الذين خاننا قسم منهم خيانة صريحة خلال الحرب الاهلية ، كما كانوا غاضبين من موقف تروتسكي المشحون وقاحه واستهتاراً وعداءاً تجاه الملاكات البلشفية القديمة في الجيش . وذكرت في المؤتمر امثلة « مستمدة من الواقع » تبين منها كيف اراد تروتسكي ان يعدم رمياً بالرصاص عدداً من المسؤولين العسكريين الشيوعيين في الجيش ، وذنهم الوحيد انهم لم يحظوا برضاه ، وهي خدمة مباشرة منه للعدو . ولم يحل دون تنفيذ حكم الاعدام هؤلاء الرفاق سوى تدخل اللجنة المركزية واحتجاجات المناضلين العسكريين في الجيش .

غير ان « المعارضة العسكرية » ، الى جانب نضالها ضد تشويه سياسة الحزب العسكرية من قبل تروتسكي ، كانت تدافع في الوقت نفسه عن وجهات نظر خاطئة في عدد من القضايا المتعلقة بتكوين الجيش . وقد وقف لينين وستالين بكل حزم ضد هذه « المعارضة العسكرية » التي كانت تدافع عن بقايا الروح والعادات التي خلفتها في الجيش فضائل الانصار ، وتنازل ضد انشاء جيش احمر نظامي ، وضد الاستفادة من الخبراء العسكريين ، وضد النظام الحديدي الذي بدونه لا يمكن ان يكون الجيش جيشاً حقيقياً . وقد طلب الرفيق ستالين ، في رده على « المعارضة العسكرية » ، انشاء جيش نظامي مشرب بروح نظامية صارمة ، وقال :

« اما ان ننشئ جيشاً حقيقياً من العمال والفلاحين ، وخاصة من الفلاحين ، مشعباً بروح النظام الصارم ، فنحمي الجمهورية ، واما ان نسير نحو هلاكنا ! »

وبعد ان رد المؤتمر سلسلة اقتراحات تقدمت بها « المعارضة العسكرية » ، وجه المؤتمر ضربات شديدة الى تروتسكي ، وطالب بتحسين عمل المؤسسات العسكرية المركزية وبتقوية دور الشيوعيين في الجيش .  
وبنتيجة اعمال اللجنة العسكرية المنبثقة عن المؤتمر ، أمكن الوصول الى قرار اجماعي من المؤتمرين حول المسألة العسكرية .  
ان قرارات المؤتمر في المسألة العسكرية ، أدت الى تقوية الجيش وتقريبه ايضاً وايضاً الى الحزب .

ونوقشت في المؤتمر بعدئذ ، المسائل المتعلقة ببناء الحزب والمجالس السوفياتية وبدور الحزب القيادي في عمل المجالس السوفياتية . ورد المؤتمر خلال المناقشات رداً حاسماً على جماعة سابرونوف — اوسينسكي الانتهازية ، التي كانت تنكر دور الحزب القيادي في عمل المجالس السوفياتية .  
واخيراً ، امام سيل المنتسبين الجدد الى الحزب ، اتخذ المؤتمر قراراً حول تحسين التركيب الاجتماعي للحزب ، والشروع في تسجيل جديد .  
وكان ذلك فاتحة اول تطهير لصفوف الحزب .



٣ — اشتداد التدخل — الحصار على بلاد السوفيات — حملة كوتلتشاك وسحق دينيكين — حملة دينيكين وسحق كوتلتشاك — هدنة الاشهر الثلاثة — المؤتمر التاسع للحزب .

بعد دحر المانيا والنمسا قررت دول الحلف زج قوات عسكرية هامة ضد البلاد السوفياتية . فعقب هزيمة المانيا وانسحاب جيوشها من اوكرانيا وعبر القفقاس حل محلها الانكليز والفرنسيون فأتوا باساطيلهم الى البحر الاسود وانزلوا جنودهم في اوديسا وعبر القفقاس . وقد بلغت

الهمجية بالغزاة الحلفاء ، الذين كانوا يتصرفون تصرف الاسياد في المناطق المحتلة ، انهم ما كانوا يتورعون عن اعدام جماعات بكاملها من العمال والفلاحين . واخيراً ، بعد احتلال تركستان ، بلغ بهم الاستهتار والوقاحة انهم ساقوا الى ما وراء بحر قزوين ستة وعشرين مناضلاً بلشفيّاً من قواد منظمة بأكو ، وهم الرفاق : شاؤميان ، فيوليتوف ، جاباريدزه ، ماليغن ، عزيز بيكوف ، كورغانوف وغيرهم ، وهناك اعدموهم بالرصاص بصورة وحشية ، بمساعدة الاشتراكيين الثوريين .

وبعد فترة وجيزة أعلن المحتلون ضرب الحصار على روسيا ، فقطعت المواصلات البحرية وجميع طرق المواصلات الاخرى مع العالم الخارجي . وهكذا حوصرت البلاد السوفياتية وطوقت تقريباً من جميع الجهات . في تلك الآونة ، عقدت دول الحلفاء أملها الرئيسي على الاميرال كولتشاك ، وهو ضيعتها في سيبيريا ، في مدينة اومسك . فأعلن تنصيبه « وصياً أعلى على عرش روسيا » ، وخضعت له جميع القوى المعادية للثورة في روسيا . وهكذا صارت الجبهة الشرقية هي الجبهة الرئيسية .

« وفي ربيع ١٩١٩ ، بلغ كولتشاك ، على رأس جيش لجب ، ضفاف الفولغا تقريباً . فألقت خيرة قوى البلاشفة ضد كولتشاك ، وُجند اعضاء الكومسمول (١) والعمال . وفي نيسان ١٩١٩ ، أنزل الجيش الاحمر بكولتشاك هزيمة شنعاء ، وبعد فترة وجيزة ، بدأ تراجع الجيش الكولتشاكي على طول خط الجبهة .

وفي اوج هجوم الجيش الاحمر على الجبهة الشرقية ، اقترح تروتسكي خطة تدعو الى الرية ، وهي : الوقوف امام الاورال ، والكف عن ملاحقة كولتشاك ، ونقل الجيوش من الجبهة الشرقية الى الجبهة الجنوبية . الا ان

---

(١) : الكومسمول : اتحاد الشيبة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي .

لجنة الحزب المركزية ادركت تماماً ان من المستحيل ترك الاورال وسيبيريا في ايدي كولتشاك، فهو هناك لا يلبث ان يستعيد قواه وينهض من كبوته بمعونة اليابانيين والانكليز، فرفضت هذه الخطة، واعطت التعليمات بمتابعة الهجوم. فاستقال تروتسكي لعدم موافقته على هذه التعليمات فرفضت اللجنة المركزية استقالته، ولكنها اجبرته على التنحي بلا ابطاء عن ادارة العمليات الحربية على الجبهة الشرقية. واخذ هجوم الجيش الاحمر يتطور ضد كولتشاك بقوة اكبر. وأنزل الجيش الاحمر بكولتشاك سلسلة من الهزائم الجديدة، وحرر من نير البيض الاورال وسيبيريا حيث دعمت الجيش الاحمر حركة انصار عظيمة انبثقت في مؤخرة البيض.

وفي صيف ١٩١٩، كلف الاستعماريون الجنرال يودينيتش الذي كان على رأس اعداء الثورة في المنطقة الشمالية الشرقية ( في بلاد البلطيق، قرب بتروغراد )، بأن يحول انتباه الجيش الاحمر عن الجبهة الشرقية بشن هجوم على بتروغراد. وكان بالقرب من بتروغراد حصنان أثرت في حاميتهما الدعاية المعادية للثورة التي قام بها ضباط قدماء، فاعلنت هذه الحامية العصيان على الحكم السوفياني، كذلك اكتشفت مؤامرة معادية للثورة في هيئة اركان الجبهة. واخذ العدو يهدد بتروغراد. غير ان التدابير السريعة التي اتخذها الحكم السوفياني، بمساعدة العمال والبحارة، أتاح له تحرير الحصنين المتمردين من البيض، وانزال الهزيمة بقوات يودينيتش، والقذف بها الى داخل استونيا.

ان انكسار يودينيتش امام بتروغراد، سهّل النضال ضد كولتشاك. وفي عام ١٩١٩، هُزمت جيوش كولتشاك بصورة نهائية. واعتقل كولتشاك نفسه واعدم رمياً بالرصاص في ايركوتسك، بعد محاكمته من قبل اللجنة الثورية.

هكذا انتهى امر كولتشاك.

وكان الشعب في سييريا يردد هذه الاغنية عن كولتشاك :  
سترة انكليزية ،  
وشريطة فرنساوية ،  
وتبغ من اليابان ،  
ووصي من أومسك..كان!

\*

هلهلت السترة  
وطارت الشريطة ،  
ونفد الدخان ،  
وهرب الوصي ... كان !

ولما رأى الغزاة ان كولتشاك لم يحقق الآمال التي عقدوها عليه ، عدّوا خطة هجومهم على الجمهورية السوفياتية : وترتب عليهم ان يسحبوا من اوديسا قوات التدخل التي انزلوها فيها ، ذلك لان هذه القوات ، لدى احتكاكها بجيوش الجمهورية السوفياتية ، سرت اليها الروح الثورية ، فاخذت تثور على اسنادها الاستعماريين . وهكذا ثار في اوديسا البجارة الفرنسيون . ولهذا ، فبعد هزيمة كولتشاك ، وجهت دول الحلفاء اكبر انتباهها الى الجنرال دينيكن ، شريك كورنييلوف ، ومنظم « جيش المتطوعة » . وكان دينيكن يعمل في هذا الوقت ضد الحكم السوفياتي في الجنوب ، في منطقة الكوبان . وكانت دول الحلف قد أمدّت جيشه بكمية كبيرة من الاسلحة والمعدات ، وقذفت به نحو الشمال ضد الحكم السوفياتي . وهكذا اصبحت الجبهة الجنوبية هي الجبهة الرئيسية .

شرع دينيكن في حملته الكبرى على الحكم السوفياتي في صيف عام ١٩١٩ . وكان تروتسكي قد قوّض الجبهة في الجنوب ، فنزلت بجيوشنا الهزيمة تلو الهزيمة . وفي منتصف تشرين الاول كان البيض قد احتلوا كل اوكرانيا ، واستولوا على اوريل واخذوا يهددون تولا ، وهي المدينة التي كانت تمون الجيش الاحمر

بالخرطوش والبنادق والرشاشات. واقتربت قوات البيض من موسكو، وباتت الجمهورية السوفياتية في وضع اكثر من حرج. فأرسل الحزب نذير الخطر، ودعا الشعب الى المقاومة. والقي لينين شعار: «الجميع الى النضال ضد دينيكين». وبوحي البلاشفة وإلهامهم، بذل العمال والفلاحون قصارى جهدهم وقواهم لسحق العدو.

ولاجل تنظيم العمل لسحق دينيكين، ارسلت اللجنة المركزية الى الجبهة الجنوبية الرفاق ستالين وفوروشيلوف وارجونيكيدزه وبوديونى، ونُحى تروتسكي عن قيادة عمليات الجيش الاحمر في الجنوب.

قبل وصول الرفيق ستالين، كانت هيئة اركان الجبهة الجنوبية قد وضعت، بالاتفاق مع تروتسكي، خطة ترمي الى نقل الهجوم الرئيسي ضد دينيكين من تساريتسين الى نوفوروسيسك، مع المرور عبر سهوب الدون، حيث يجد الجيش الاحمر نفسه في منطقة محرومة تماماً من سبل المواصلات ومأهولة بالقوزاق الذين كان قسم كبير منهم ما يزال، في ذلك الحين، تحت تأثير الحرس الابيض. فانتقد الرفيق ستالين هذا المشروع انتقاداً شديداً، واقترح على اللجنة المركزية خطته هو لسحق دينيكين، وقوامها توجيه الهجوم الرئيسي على خط خاركوف - دونباس - روستوف. وكانت هذه الخطة تؤمن لقواتنا التقدم في هجومها على دينيكين تقدماً سريعاً، بفضل العطف الواضح الذي يكنه السكان لجيشنا خلال سيره عبر مناطق عمالية وفلاحية. وعلاوة على ذلك، فان وجود شبكة غنية من الخطوط الحديدية في هذه المنطقة، يسمح بتموين قواتنا بانتظام بكل ما هو ضروري لها. واخيراً. تفتح هذه الخطة المجال لتحرير الدونباس وتأمين الوقود لبلادنا.

فوافقت لجنة الحزب المركزية على خطة الرفيق ستالين. وفي النصف الثاني من شهر تشرين الاول عام ١٩١٩، بعد ان قاوم دينيكين مقاومة ضارية، هزمه الجيش الاحمر في المعارك الحاسمة التي دارت رحاها امام اوريل وفورونيغ. فأخذ دينيكين يتراجع بسرعة، ثم راح يتدحرج تدحرجاً نحو الجنوب،

وقواتنا في اثره . وفي مطلع عام ١٩٢٠ ، كانت اوكرانيا باسرها والقفقاس الشمالي قد تحررا من البيض .

وفي اثناء المعارك الحاسمة على الجبهة الجنوبية ، عاد الاستعماريون من جديد الى قذف جيش بودينيتش على بتروغراد لكي يحرقوا قسماً من التوات السوفياتية نحو الشمال ويجسّسوا وضع جيوش دينيكين . وقد بلغ البيض مشارف المدينة . الا ان البروليتاريا الباسلة في بتروغراد جعلت من صدرها حصناً للدفاع عن اول مدينة للثورة . وسار الشيوعيون ، كما يفعلون دائماً ، في مقدمة الصفوف . وبعد معارك حامية الوطيس ، اندحرت القوات البيضاء ، وقُذفت من جديد الى ما وراء حدود بلادنا ، الى استونيا . هكذا انتهى امر دينيكين ايضاً .

وبعدما تم سحق كولتشاك ودينيكين ، سادت فترة مهادنة قصيرة . ولما رأى الاستعماريون ان الجيوش البيضاء تقى هزائم منكرة ، وان التدخل يحبط ، وان الحكم السوفياتي يزداد قوة ومنعة في جميع انحاء البلاد ، فيما ينسو في اوروبا الغربية سخط العمال على حرب التدخل ضد الجمهورية السوفياتية ، رأى الاستعماريون كل ذلك فشرعوا في تعديل موقفهم من الدولة السوفياتية . وفي كانون الثاني ١٩٢٠ ، قررت انكلترا وفرنسا وايطاليا رفع الحصار عن روسيا السوفياتية . وانفتحت بذلك ثغرة هامة في جدار التدخل .

ولم يكن معنى ذلك طبعاً ان الدولة السوفياتية قد انتهت من التدخل ومن الحرب الاهلية . فما زال هنالك خطر هجوم من جانب بولونيا الاستعمارية . كما ان الغزاة لم يطردوا بعد نهائياً من الشرق الاقصى ومن عبر القفقاس ومن القرم . بيد ان البلاد السوفياتية حصلت على هدنة موقته اتاحت لها ان توجه قسماً اكبر من الجهود نحو التعبير الاقتصادي . وصار بوسع الحزبان يهتم بالمسائل الاقتصادية .

كان عدد كبير من العمال الاختصاصيين قد هجروا الانتاج ابان الحرب



الاهلية ، بسبب اغلاق المصانع والمعامل . فدعا الحزب هؤلاء العمال للعمل مجدداً في الانتاج ضمن اختصاصهم . ووجه بضعة آلاف من الشيوعيين لاعادة تنظيم النقلات والمواصلات التي كانت في وضع حرج . فبدون اعادة خطوط النقل والمواصلات الى حالها الطبيعية ، لم يكن من الممكن الانصراف جدياً الى اعادة تشييط الفروع الرئيسية للصناعة . وانتظم عمل الترميم وتحسن . وبوشر باعداد برنامج لكهربية روسيا . وكان خمسة ملايين من الجنود المجر تحت السلاح ، ولم يكن بالامكان تسريحهم نظراً لخطر الحرب المحدث . فحولت بعض وحدات الجيش الاحمر الى جيوش عمل ، واستفيد منها في مهام التعبير الاقتصادي . وتحول مجلس الدفاع العالي والفلاحي الى مجلس العمل والدفاع . ولتسهيل اعماله ، أنشئت بجانبه لجنة مناهج الدولة : (غوسبلان) .

في هذا الوضع افتتح في اواخر آذار ١٩٢٠ المؤتمر التاسع للحزب . وحضر المؤتمر ٥٥٤ مندوباً لهم اصوات فعلية يمثلون ٩٧٨،٦١١ عضواً في الحزب ، كما حضره ١٦٢ مندوباً لهم اصوات استشارية .

وحدد المؤتمر ما على البلاد من مهمات اقتصادية مباشرة في حقل النقل والصناعة ، وأكد بصورة خاصة على ضرورة مساهمة النقابات في التعبير الاقتصادي .

وعني المؤتمر عناية خاصة بقضية البرنامج الاقتصادي الموحد الذي كان يهدف في الدرجة الاولى الى انهاء وسائل النقل وقضية الوقود وصناعة التعدين . وقد احتلت كهربية الاقتصاد الوطني بامره المكان الرئيسي في البرنامج ، وقد وصفه لينين مشروع الكهربية بانه « برنامج عظيم لعشر سنين او عشرين سنة » . وعلى هذا الاساس ، وضع فيما بعد ، المنهاج الشهير المعروف باسم « غويلرو » ( اي منهاج الدولة لكهربية روسيا ) وقد تجاوزته بلادنا اليوم تجاوزاً كبيراً . وأنزل المؤتمر هزيمة منكرة بجماعة « المركزية الديموقراطية » ، وهي فئة معادية للحزب اتخذت موقفاً ضد القيادة الموحد في الصناعة وضد المسؤولية الشخصية للمديري للصناعة ، ودافعت عن فكرة « قيادة جماعية » لا حدود لها ،

وعن مبدأ عدم المسؤولية في قيادة الصناعة . وقام بالدور الرئيسي في هذه الجماعة المعادية للحزب كل من سابرونوف واوسينسكي وف. سميرنوف ، ودعمهم في المؤتمر ريكوف وتومسكي .

#### ٤ - عدوان الاقطاعيين البولونيين على بلاد السوفيات - مغامرة الجنرال فرانجل - تداعي الخطة البولونية - سحق فرانجل - نهاية التدخل .

رغم سحق كولتسك ودينيكين ، ورغم ان بلاد السوفيات وسعت رقعتها اكثر فاكثرت بتحريرها من البيض ومن الغزاة المتدخلين ، مناطق الشمال وتركستان وسيبيريا والدون واوكرانيا وغيرها ، ورغم ان الحلفاء اضطروا الى رفع الحصار عن روسيا ، رغم ذلك كله أبت دول الحلفاء الاعتراف بان الحكم السوفياتي قد برهن أنه لا يغلب وأنه هو الظافر المنتصر . ولذلك قررت ان تحاول تدخلا جديداً ضد البلاد السوفياتية . وفي هذه المرة قرر الغزاة ان يستخدموا ، من جهة ، بلسودسكي ، وهو قومي بوجوازي معاد للثورة كان الرئيس الفعلي للدولة البولونية ، ومن جهة اخرى فرانجل الذي جمع حوله في القرم فلور جيبش دينيكين وراح يهدد الدونباس واوكرانيا . ان بولونيا الاقطاعية وفرانجل كانا ، حسب تعبير لينين ، بمثابة الديدن اللتين حاول الاستعمار العالمي بواسطتهما خنق البلاد السوفياتية .

وكان للبولونيين برنامجهم وهو الاستيلاء على قسم من اوكرانيا السوفياتية يمتد حتى الضفة اليمنى من الدينير ، واحتلال بيلوروسيا السوفياتية ، واقامة حكم الاقطاعيين البولونيين في هذه المناطق ، وتوسيع رقعة حدود الدولة البولونية « من البحر الى البحر » ، اي من دانتيغ الى اوديسا . ثم ، لقاء المساعدة التي كان على الجنرال فرانجل ان يقدمها لهم ، كان البولونيون يفكرون بمساعدته على تحطيم الجيش الاحمر واعادة حكم كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين مجدداً الى روسيا السوفياتية .

وقد وافقت دول الحلف على هذا البرنامج .

وذهبت سدى جميع المحاولات التي بذلتها الحكومة السوفياتية لاجراء مفاوضات مع بولونيا للمحافظة على السلم واجتناب الحرب . فان بلسودسكي ما كان ليريد حتى السماع بمحدث السلم . لقد كان يريد القتال . وكان يحسب ان القوات الحمراء قد نهكتها المعارك التي خاضتها ضد كوتلشاك ودينيكين ، فهي لن تصمد امام هجوم القوات البولونية . وهكذا انتهت فترة الهدنة القصيرة الامل .

في نيسان ١٩٢٠ ، اجتاحت القوات البولونية حدود اوكرانيا السوفياتية واستولت على كييف ، وبدأ فرائجل هجومه في الوقت نفسه ، واخذ يهدد الدونباس . وجواباً على هجوم الجيش البولوني قامت القوات الحمراء بهجوم معاكس على طول خط القتال . وبعد ما حررت كييف وطردت الاقطاعيين البولونيين من اوكرانيا وبيلوروسيا ، بلغت القوات الحمراء في اندفاعها الهجومي على الجبهة الجنوبية ابواب لفوف في غاليسيا ، فيما اخذت جيوش الجبهة الغربية تفرع ابواب فرسوفيا . لقد كانت جيوش الاقطاعيين البولونيين على اعتاب هزيمة كاملة .

الا ان التصرفات المشبوهة التي قام بها تروتسكي واعوانه في هيئة اركان الجيش الاحمر ، اجهضت النجاحات التي احرزها الجيش الاحمر . فان هجوم الجيش الاحمر في الجبهة الغربية باتجاه فرسوفيا ، سار - بجزيرة تروتسكي وتوخاشفسكي - بشكل غير منظم على الاطلاق . فلم يترك للقوات الحمراء الوقت اللازم لتوطيد المواقع التي استولت عليها ، كما ان الوحدات الامامية دُفعت الى امام اكثر من اللازم ، اما الذخائر والقوات الاحتياطية فقد أُبقيت في المؤخرة بعيدة اكثر من اللازم ، وهكذا بقيت الوحدات الامامية بدون ذخيرة وبدون احتياطي ، واستطال خط الجبهة بدون نهاية ، وبالتالي اصبح من السهل خرقها . وبنتيجة ذلك كله ، عندما استطاع قسم بسيط من الجيش البولوني خرق جبهتنا الغربية في احدى نقاطها ، اضطرت

قواتنا التي بقيت بدون ذخيرة ، الى الانكفاء والتقهقر . اما جيوش الجبهة الجنوبية التي طرقت ابواب « لفوف » وردت البولونيين هناك ، فقد منعها « رئيس المجلس الحربي للثورة » ، تروتسكي ، من احتلال لفوف وامرها بان تعجل في ارسال فرق الخيالة ، وهي القوة الرئيسية في الجبهة الجنوبية ، الى الشمال الشرقي البعيد ، بحجة دعم الجبهة الغربية ، مع انه لم يكن من الصعب على اي انسان ان يدرك ان الاسيلاء على لفوف احسن مساعدة ممكنة للجبهة الغربية ، في حين ان انسحاب فرق الخيالة من الجبهة الجنوبية ورحيلها عن منطقة لفوف معناه ، في الواقع ، تقهقر القوات السوفياتية على الجبهة الجنوبية ايضاً . وهكذا فان تروتسكي ، باصداره امر الخيانة هذا ، قضى على جيوشنا في الجبهة الجنوبية بالتراجع ، وهو تراجع لم يكن له اي اساس ولم تفهم جيوشنا ما هو الداعي له . وقد تم هذا التراجع بين فرح الاقطاعيين البولونيين وتهليلهم .

لقد كان ذلك بمثابة معونة مباشرة ، ولكن ليس لجبهتنا الغربية ، بل للاقطاعيين البولونيين ولدول الحلف .

بعد مضي عدة ايام ، تم وقف هجوم القوات البولونية ، وتأهبت قواتنا لهجوم معاكس جديد . غير ان بولونيا ، التي لم تعد لديها القوة لمواصلة الحرب ، والتي اخذها الفزع من هجوم معاكس يقوم به الجيش الاحمر ، عدلت عن مطامعها في قسم اوكرانيا الواقع على الضفة اليمنى من الدنيبر وفي بيلوروسيا ، وآثرت ان تبرم صلحاً مع روسيا . وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، عقدت في ريفا معاهدة سلم مع بولونيا . ووفقاً لهذه المعاهدة احتفظت بولونيا ببغاليسيا وبجزء من بيلوروسيا .

بعدما عقدت الجمهورية السوفياتية السلم مع بولونيا ، صممت على الانتهاء من فراجل . وكان هذا قد تلقى من الانكليز والفرنسيين اسلحة حديثة ومصفحات ودبابات وطائرات وتجهيزات مختلفة . وكان فراجل يملك وحدات صدام من الحرس الابيض ، مؤلفة بالدرجة الاولى من ضباط بيض . ولكن

فراجل لم ينتج في تجنيد قوى ، ولو ضئيلة ، من الفلاحين والقوزاق حول القوات التي انزلها في الكوبان ومنطقة الدون. غير ان فراجل بلغ ، مع ذلك ، الدونباس ، واخذ يهدد مناطقنا الفحمية . وكان مما يعتقد وضع الحكم السوفياتي ، ان الجيش الاحمر كان اذ ذاك قد اخذ التعب منه كل مأخذ. فقد كان على الجنود الحمر ان يتقدموا الى امام في شروط صعبة الى اقصى حد ، وهم يهاجمون قطعات فراجل من جهة ، ويسحقون في الوقت نفسه العصابات الفوضوية الماخنوفية ( انصار ماخنوف ) التي كانت تساعد فراجل . ولكن رغم ان التفوق التكتيكي كان في جانب فراجل ، ورغم ان الجيش الاحمر لم تكن لديه دبابات ، فقد استطاع الجيش الاحمر مع ذلك ان يقذف بفراجل الى شبه جزيرة القرم . وفي تشرين الثاني ١٩٢٠ ، احتلت القوات الحمراء مواقع بيويكوب الحصينة ، وتسللت الى شبه جزيرة القرم ، وسحقت قوات فراجل وحررت القرم من الحرس الابيض والغزاة . وصارت شبه جزيرة القرم منطقة سوفياتية .

ان انهيار المشاريع الاستعمارية البولونية وسحق فراجل سجلا ختام مرحلة التدخل العسكري .

وفي نهاية عام ١٩٢٠ ، بدأ تحرير عبر القفقاس من نير القوميين البورجوازيين ، جماعة « حزب المساواة » في اذربيجان ، والقوميين المنشفيك في جيورجيا ، والطاشناق في ارمينيا . وانتهت هذه الحملة بانتصار الحكم السوفياتي في اذربيجان وارمينيا وجيورجيا .

ولكن ذلك لم يكن يعني وقف التدخل وفقاً تاماً . فقد استمر التدخل الياباني في الشرق الاقصى حتى عام ١٩٢٢ . كما حدثت محاولات جديدة لتنظيم التدخل ( الاتامان سيونوف والبارون اونجرون في الشرق ، تدخل الحرس الابيض الفنلنديين في كاريليا سنة ١٩٢١ ) . بيد ان الاعداء الرئيسيين لبلاد السوفيات ، وقوات التدخل الاساسية ، سحقت حوالى اواخر سنة ١٩٢٠ .

ان حرب الغزاة الاجانب والحرس الابيض الروسي ضد السوفيات ،  
انتهت بانتصار السوفيات .

وصانت الجمهورية السوفياتية استقلال دولتها ، ووجودها الحر .  
ذلك كان نهاية التدخل العسكري الاجنبي والحرب الاهلية .  
ذلك كان الانتصار التاريخي للحكم السوفياتي .



ه — كيف ولماذا انتصرت بلاد السوفيات على القوى المتساندة  
المتألبة عليها ، قوى التدخل الانكليزي الفرنسي الياباني  
البولوني ، وقوى اعداء الثورة البورجوازيين وكبار  
ملاكي الاراضي والحرس الابيض في روسيا ؟

اذا تصفحنا الصحافة الكبرى الاوروبية والاميركية في عهد التدخل ،  
استطعنا ان نتبين ، دون غناء ، ان ما من كاتب مرموق ، عسكري او مدني ،  
وما من عليم خبير بالفن العسكري ، كان يعتقد بظفر الحكم السوفياتي . بل  
على العكس ، فان جميع الكتاب البارزين ، وجميع الخبراء بالمسائل الحربية ،  
ومؤرخي الثورات لكل البلدان والشعوب ، وجميع الذين يسمونهم رجال العلم ،  
كانوا يصيحون بصوت واحد ان ايام الحكم السوفياتي معدودة ، وان اندحاره  
امر لا مفر منه .

وكان يقيّنهم بظفر التدخل يستند الى ان بلاد السوفيات ليس لديها بعد ،  
جيش احمر مكوّن ، بل كان عليها ، ان صح القول ، ان تؤلفه على الماشي .  
في حين ان الغزاة المتدخلين والحرس الابيض يملكون جيشاً على قدم الاستعداد  
نوعاً ما .

ومن ثم كان يقيّنهم هذا يستند الى ان الجيش الاحمر ليس لديه ملاكات  
عسكرية مجربة ، لان القسم الاعظم من الملاكات العسكرية انحاز الى جانب

اعداء الثورة ، في حين ان الغزاة المتدخلين والحرس الابيض لديهم مثل هذه الملاكات .

كذلك كان يقينهم بظفر التدخل يستند الى ان الجيش الاحمر يعاني نقصاً في الاسلحة والذخائر من حيث الكمية والكيفية معاً ، بسبب تأخر الصناعة الحربية الروسية ، ولم يكن بوسعه ان يتلقى المعدات العسكرية من البلدان الاخرى لان روسيا مطوقة من كل جانب بسبب الحصار ، في حين ان جيش الغزاة المتدخلين والحرس الابيض مزود وسيظل يتزود بأحسن طراز من الاسلحة والذخائر والمعدات .

واخيراً كان يقينهم هذا يستند الى ان جيش الغزاة المتدخلين والحرس الابيض يحتل اغنى المناطق بالمنتجات الغذائية ، في حين ان الجيش الاحمر مقطوع عن هذه المناطق ويعاني النقص في المواد الغذائية وفي الواقع ، كانت جميع هذه النواقص والثغرات موجودة في وحدات الجيش الاحمر .

فمن هذه الناحية ، ولكن من هذه الناحية فقط ، كان السادة المتدخلون على حق تماماً .

فكيف نفسر ، في هذه الحالة ، ان الجيش الاحمر ، وفيه هذا المقدار من النواقص الجدية استطاع ان ينتصر على جيش الغزاة المتدخلين والحرس الابيض ، وهو خال من مثل هذه النواقص ؟

١ - لقد انتصر الجيش الاحمر لان سياسة الحكم السوفياتي ، التي كانت الجيش الاحمر يحارب باسمها ، كانت سياسة صحيحة عادلة منطبقه على مصالح الشعب ، ولان الشعب ادرك وفهم ان هذه السياسة صحيحة عادلة ، وانها سياسته هو نفسه ، فدعها الى النهاية .

لقد كان البلاشفة يعلمون ان جيشاً يحارب باسم سياسة غير صحيحة وغير عادلة لا يدعمها الشعب ، لا يمكن ان يكتب له النصر . وتلك كانت ، على الضبط ، حال جيش الغزاة المتدخلين والحرس الابيض . لقد كان هذا الجيش

يملك كل شيء : قواداً قدماء مجربين ، ومعدات عسكرية متدانة ، وذخائر . واعتدة ومؤونة . فلم يكن يعوزه الا شيء واحد : هو تأييد شعوب روسيا وعطفها . ذلك لان شعوب روسيا لم تكن تريد - ولا يسعها - ان تشذ ازر سياسة معادية للشعب يقوم بها الغزاة المتدخلون و « الاوصياء على العرش » من البيض . وهكذا انهزم جيش الغزاة المتدخلين والحرس الابيض .

٢ - لقد انتصر الجيش الاحمر لانه بقي وفيّاً مخلصاً لشعبه حتى النهاية ، ولهذا احبه الشعب وائده من حيث هو جيشه . لقد انبثق الجيش الاحمر من الشعب ، فاذا كان باراً بشعبه ، كما يبر الولد بامه ، كان الشعب بجانبه ، وكان لا بد ان ينتصر . اما الجيش الذي يقف ضد شعبه فلا بد ان يمتنى بالانحدار والهزيمة .

٣ - لقد انتصر الجيش الاحمر لان الحكم السوفياتي نجح في انهاض المؤخرة باسرها ، انهاض البلاد باجمعها ، للعمل في سبيل الجبهة . ان جيشاً لا يملك مؤخرة قوية تدعم جبهته بكل الوسائل ، هو جيش مكتوب له الانحدار والهزيمة . وكان البلاشفة يعلمون ذلك ولهذا حوّلوا البلاد الى معسكر حربي يمون الجبهة بالاسلحة والذخائر والاعتدة والمواد الغذائية وبما يلزم من الملاكات لاملأ الثغرات .

٤ - لقد انتصر الجيش الاحمر : أ - لان الجنود الحمر كانوا على بينة من هدف الحرب ومراميها ويدركون انها صحيحة عادلة ، ب - لان ادراك عدالة هدف الحرب ومراميها كان يقوي روح النظام والطاعة بين الجنود ويرفع من مقدرتهم الكفاحية ، ج - ولذلك اعطت جماهير الجنود الحمر ، في كل لحظة خلال نضالها ضد الاعداء ، البرهان على نكران للذات لا مثيل له ، وعلى بطولة جماهيرية لم يسبق لها نظير .

٥ - لقد انتصر الجيش الاحمر لان نواته القيادية ، في المؤخرة والجبهة ، كانت الحزب البلشفي ، الحزب الموحد المتلاحم بنظامه وتراص صفوفه ، القوي بروحه الثورية وباستعداده لتقديم كل التضحيات في سبيل ظفر القضية العامة ، الحزب الذي لا يضاهي في كفاءته على تنظيم الملايين من الجماهير وعلى



حيادتها قيادة صحيحة رشيدة في الاوضاع المعقدة المتشابكة . وقد قال لينين : « اذا امكن ان تحدث المعجزة التي حدثت ، فذلك فقط بفضل ان الحزب كان على قدم الاستعداد ، وان الحزب كان يسوده نظام صارم ، وان نفوذ الحزب وهيبته كانا يوحدان جميع المؤسسات وجميع الادارات ، وان العشرات والمئات والالوف ومن ثم الملايين كانوا يتبعون شعارات اللجنة المركزية كرجل واحد ، وكذلك فقط بفضل ما تقدم من توضيحات لم يسمع بمثلا . لهذا فقط ، وجدنا انفسنا قادرين على الانتصار ، رغم ما قام به استعماريو الدول الخليفة واستعماريو العالم بأسره من غزوات تكررت مثنى وثلاث ورباع . »

( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد ٢٥ ، ص ٩٦ ، الطبعة الروسية ) .

٦ - لقد انتصر الجيش الاحمر : أ - لانه عرف كيف ينشئ في داخله قواداً عسكريين من طراز جديد ، امثال : فروتزه وفوروشيلوف وبوديونى وغيرهم ، ب - لانه كان يحارب بين صفوفه ابطال عريقون ، امثال : كوتوفسكي وتشابايوف ولازو وشورس وبارخومنكو وكثيرون غيرهم ، ج - لان تثقيفه السياسي كان يهتم به رجال مثل لينين وستالين ومولوتوف وكالينين وسفردلوف وكاغانوفيتش وارجونيكيدزه وكيروف وكوبيلشيف وميكويان وجدانوف واندرينف وبتروفسكي وياروسلافسكي وجرجنسكي وشاندنكو وميخيليس وخروششوف وشفرنيك وشكيريافوف وغيرهم ، د - لان الجيش الاحمر كان يضم بين صفوفه اولئك المنظمين والمحررين غير الاعتياديين ، وهم المفوضون العسكريون الذين كانوا يعلمهم يوحدون الجنود الحمر في صفوف متلاحمة كالخديد ، ويغرسون بينهم روح النظام والجرأة والشجاعة في القتال ، ويقمعون بعزم - سريعاً ودون هوادة - اعمال الخيانة التي تصدر عن بعض الافراد من هيئة القيادة ، وبالمقابل يدعون بشجاعة وحزم الهيبة والمجد للذين يكسبها القادة ، الحزبيون واللاحزبيون ، الذين اثبتوا اخلاصهم للحكم السوفياتي ، وظهروا كفاءتهم لقيادة وحدات الجيش الاحمر

بيد حازمة .

وكان لينين يقول : « لولا المفوضون العسكريون لما كان لدينا جيش ،

احمر » .

٧ — لقد انتصر الجيش الاحمر ، لانه في مؤخرة الجيوش البيضاء ، في مؤخرة كولتشاك ودينيكين وكراسنوف وفراجل ، كان يعمل سراً بلاشفة مدهشون ، حزبيون ولا حزبيون ، يستثيرون العمال والفلاحين الى الثورة على الغزاة والحرس الابيض ، وينسفون مؤخرات اعداء الحكم السوفيياتي ، فيسهلون بذلك تقدم الجيش الاحمر . وما من احد يجهل ان الانصار في اوكرانيا وسيبيريا والشرق الاقصى والاورال وبيلوروسيا وحوض الفولغا ، الذين زقوا مؤخرات البيض والغزاة المتدخلين ، ادوا للجيش الاحمر خدمة لا تقدر بثمن .

٨ — لقد انتصر الجيش الاحمر لان البلاد السوفيادية لم تكن وحيدة في نضالها ضد اعداء الثورة من الحرس الابيض والمتدخلين الاجانب ، ولان نضال الحكم السوفيادي ، وما احرزه من نجاحات ، اثار عطف البروليتاريين وتأيدهم في العالم بأسره . ففما كان الاستعماريون يسعون لخلق الجمهورية السوفيادية بالتدخل المسلح وبالحصار ، كان عمال هذه الدول الاستعمارية يناصرون السوفياديين ويساعدونهم . فان نضال العمال ضد الرأسماليين في البلاد المناوئة للجمهورية السوفيادية ، ساهم في اجبار هؤلاء الاستعماريين على الكف عن التدخل . فان عمال انكترا وفرنسا والبلدان الاخرى التي اشتركت في حملة التدخل ، كانوا ينظمون الاضرابات ويرفضون شحن المعدات الحربية المعدة لنجدة الغزاة والجنرالات البيض ، وكانوا يشكلون « لجان نضال » تحت شعار : « ارفعوا ايديكم عن روسيا » .

وكان لينين يقول : « ما ان رفعت البورجوازية العالمية يدها ضدنا ، حتى هب عمالها انفسهم يسكون بمعصمها » ( المصدر نفسه ، ص ٤٠٥ ) .

## الخلاصة

ان كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين الذين سحقتهم ثورة اكتوبر، عمدوا بالانفاق مع الجترالات البيض ، الى التآمر مع حكومات دول الحلف ضد مصلحة وطنهم ، لكي يقوموا جميعاً بعدوان عسكري على بلاد السوفيات ويقوضوا الحكم السوفياتي . وعلى هذا الاساس تم تنظيم التدخل العسكري من جانب الدول الحليفة ، وحرركات العصيان من جانب الحرس الابيض في اطراف روسيا ، وبنتيجة ذلك عُزلت روسيا عن قواعد تموينها بالاغذية والمواد الاولية .

وقد أدى انكسار المانيا العسكرية ووقف الحرب بين الكتلتين . الاستعماريتين في اوروبا الى تقوية دول الحلف ، وبالتالي الى اشتداد التدخل ، بما اثار متاعب ومصاعب جديدة لبلاد السوفيات .

وعلى عكس ذلك ، فان الثورة في المانيا وابتداء الحركة الثورية في البلدان الاوروبية خلقا وضعاً دولياً ملائماً للحكم السوفياتي ، وخففاً من الحالة التي كانت تعانيها البلاد السوفياتية .

وانهض الحزب البلشفي العمال والفلاحين الى الحرب من اجل سلامة الوطن ، ضد الغزاة الاجانب وضد البيض من البورجوازيين وكبار ملاكي الاراضي . وتم للجمهورية السوفياتية وجيشها الاحمر انزال الهزائم بضائع الدول الحليفة الواحد بعد الآخر : من كولتسك الى يودينيتش الى دينيكن الى كراسنوف الى فراانجل ، وكذلك طرد صنيعه اخرى من صنائع دول الحلف ، هو بلسودسكي ، من اوكرانيا وبيلوروسيا ، وهكذا تم ردّ التدخل

العسكري الاجنبي ، وقذفت قواته الى ما وراء حدود البلاد السوفياتية .  
هكذا انتهى اول اعتداء عسكري شنه الرأسمال العالمي على بلاد  
الاشتراكية ، بالاخفاق التام .

ان الاحزاب التي سحقتها الثورة وهي : الاشتراكيون الثوريون ،  
والمنشفيك ، والفوضيون ، والقوميون اخذوا ، خلال فترة التدخل ، يساندون  
الجنرالات البيض والغزاة المتدخلين ، ويحكيون المؤامرات ضد الجمهورية  
السوفياتية ، وينظمون الارهاب ضد المناضلين السوفياتيين . ان هذه  
الاحزاب التي كان لها قبل ثورة اكتوبر شيء من النفوذ في الطبقة العاملة ،  
فضحت نفسها تماماً في اثناء الحرب الاهلية ، وبدت للجماهير الشعبية على  
حقيقتها كأحزاب معادية للثورة .

ان مرحلة الحرب الاهلية والتدخل كانت مرحلة الهلاك السياسي لهذه  
الاحزاب ، ومرحلة الظفر النهائي للحزب الشيوعي في البلاد السوفياتية .

## الفصل التاسع

الحزب البلشفي في مرحلة الانتقال الى  
العمل السلمي لاهياء الاقتصاد الوطني .  
( ١٦٢١ — ١٩٢٥ )

•

### ١ — بلاد السوفيات بعد تصفية التدخل والحرب الاهلية — مصاعب مرحلة الاحياء .

بعد ما فرغت بلاد السوفيات من الحرب ، سارت في طريق عمل سلمي  
قوامه بناء الاقتصاد . فقد كان ينبغي شفاء جراح الحرب . كان ينبغي احياء  
الاقتصاد الوطني المهدم وادخال شيء من التنظيم على شؤون الصناعة والنقل  
والزراعة .

ولكن هذا الانتقال الى البناء السلمي كان لا بد ان يجري ضمن  
ظروف عسيرة الى اقصى حد . فالنصر الذي تم احرازه في الحرب الاهلية كان  
قد كلف غالياً . وكانت البلاد في خراب من جراء اربع سنوات من الحرب  
الاستعمارية وثلاث سنوات من الحرب ضد التدخل .

ان انتاج الزراعة الاجالي ، في سنة ١٩٢٠ ، لم يكن يمثل سوى نصف  
انتاج ما قبل الحرب تقريباً . وينبغي ان لا ننسى ان مستوى ما قبل الحرب  
كان هو مستوى الريف البائس في ايام القيصرية . وفوق ذلك ، كان عدد من  
المناطق قد مُني بموسم رديء في عام ١٩٢٠ . وكان اقتصاد الفلاحين في

حالة مضنية .

واصب من ذلك ايضاً ، كانت حالة الصناعة المصابة بخراب تام . فانتاج الصناعة الكبيرة لم يبلغ ، في ١٩٢٠ ، الا ما يقرب من سبع انتاج ما قبل الحرب . وكان معظم المعامل والمصانع متوقفاً عن العمل ، والمناجم كانت مخربة ومغمورة بالمياه ، وصناعة التعدين في حالة يرثى لها . وفي عام ١٩٢٠ يكمله ، لم يتجاوز انتاج الحديد الصب ١١٦٣٠٠ طن ، اي ما يقرب من ٣ بالمئة من انتاج ما قبل الحرب . ولم يكن في البلاد ما يكفي من الوقود . وكانت وسائل النقل في فوضى . وكان الاحتياطي من المعادن والمنسوجات قد استنزف تقريباً . وكان يعوز البلاد الزم الضروريات : كالخبز ، والدهن ، واللحم ، والاحذية ، والملابس ، وعيدان الثقاب ، والملح ، والبترول ، والصابون .

وخلال الحرب كان الناس قد رضوا بهذه الحرمانات وهذه النواقص ، حتى انهم لم يعودوا ينتبهون اليها في بعض الاحيان . اما الآن ، وقد انتهت الحرب ، فقد احس الناس فجأة بما تتطوي عليه هذه الحرمانات من وطأة ثقيلة لا تطاق ، وطلبوا تلافيها بغير ابطاء .

وقد ظهر الاستياء بين الفلاحين . ففي معمعان الحرب الاهلية كانت التحالف السياسي والعسكري بين الطبقة العاملة والفلاحين قد اُوجد واصبح قوياً . وكان هذا التحالف قائماً على اساس محدد : كان حكم السوفييات يضمن للفلاح الارض ويحميه من الملاك العقاري الكبير ، ومن الكولاك ، ويتلقى العمال من الفلاحين الغلال الحاصلة من اقتطاع الفائض عن حاجتهم . اما الآن فقد تبين ان هذا الأساس لم يبق كافياً .

فالدولة السوفياتية كانت قد رأت نفسها مضطرة الى ان تأخذ من الفلاح كل الفائض عن حاجته لكي يتمكن من سد حاجات الدفاع . ولولا اقتطاع هذه الفائض ، لولا سياسة الشيوعية الحربية ، لكان النصر في الحرب الاهلية مستحيلاً . فالحرب والتدخل هما اللذان فرضا هذه السياسة ، وقد قبلها الفلاحون

اذ ذاك ، ولم يكونوا يلقون بالا الى عدم وجود البضائع . ولكن لما وضعت الحرب اوزارها ، وزال خطر عودة الملاك العقاري الكبير ، اخذ الفلاح بيدي تدمره من اقتطاع كل ما يفيض عنه ، كما طلب تزويده بكمية كافية من البضائع .

ان كل نظام الشيوعية الحربية كان ، كما بين لينين ، قد اخذ يصطدم بمصالح الفلاحين .

وسرت موجة الاستياء في صفوف الطبقة العاملة ايضاً . فالبروليتاريا كانت قد تحملت العبء الرئيسي في الحزب الاهلية ، اذ ناضلت ببطولة وانكار ذات ، ضد قطاعان الحرس الابيض والغزاة ، وضد الخراب والمجاعة . وكان خيرة العمال ، واكثرهم ادراكاً ، واعظمهم اخلاصاً ، واشدهم استمسكاً بالنظام يضطرمون بلظى الحماسة الاشتراكية . ولكن التدهور الاقتصادي العميق كان يؤثر في الطبقة العاملة ايضاً . فالقليل النادر من المعامل والمصانع التي كانت لا تزال تعمل ، كانت تتدخل سيرها وقفات مفاجئة فادحة . وكان العمال مضطرين الى ان يتعاطوا شتى الحرف ، فيصنعون الزناد ( القنذاحات ) ويحملون الاكياس على ظهورهم ويتوجهون الى الريف لطلب المنتجات الغذائية . واخذ الضعف يدب الى الاساس الطبقي لديكتاتورية البروليتاريا ، وكانت الطبقة العاملة تتفتت وتتبعثر ، وكنت تشاهد عمالاً يذهبون الى الريف ، وينقطعون عن كونهم عمالاً ، ويفقدون صفتهم الطبقية . وكان الجوع والتعب يثيران استياء قسم من العمال .

فكان على الحزب ان يفكر بتوجيه جديد منطبق على الوضع الجديد ، فيما يتصل بكل قضايا الحياة الاقتصادية للبلاد .

وأكب الحزب على هذه المهمة .

على ان العدو الطبقي لم يكن نائماً ، بل كان يحاول ان يستغل الحالة الاقتصادية المضنية واستياء الفلاحين . فنشبت في سيبيريا واوكرانيا وفي مقاطعة تامبوف ( عصيان انطونوف ) فتن قام بها الكولاك ونظمها الحرس الابيض

والاشتراكيون الثوريون. ولوحظ تفاقم جديد في نشاط جميع العناصر المعادية للثورة : من منشفيك واشتراكيين ثوريين وفوضويين وحرس ابيض وقوميين بورجوازيين ، ولجأ العدو الى خطة جديدة للنضال ضد حكم السوفييات . فتمسك بالالوان السوفياتية ، وبدلاً من الشعار القديم الفاشل ، شعار : « لتسقط مجالس السوفييات » ، لقي العدو شعاراً جديداً : « مع السوفييات ، ولكن بدون الشيوعيين » .

وكانت الفتنة المعادية للثورة في قلعة كرونشتاد مثالا جلياً على خطة العدو الطبقي الجديدة . فقد بدأت الفتنة قبل ثمانية ايام من افتتاح المؤتمر العاشر للحزب ، في اذار ١٩٢١ . وكان على رأس هذه الفتنة الحرس الابيض المرتبطون بالاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، وبممثلي دول اجنبية .

وقد حاول القائمون بالفتنة ان يخفوا ، في اول الامر ، ارادتهم في اعادة حكم الرأسماليين وكبار الملاكين العقاريين وملكيتهم وراء عنوان «سوفيائي» ، فصاغوا الشعار التالي : « السوفييات بدون الشيوعيين » . لقد كان اعداء الثورة يريدون استغلال استياء الجماهير البورجوازية الصغيرة ، وقلب حكم السوفييات ، بالتسكع بشعار سوفيائي مزعوم .

لقد سهّل قيام فتنة كرونشتاد امران : تركيب بحارة البواخر الحربية الذي كان قد ازداد سوءاً ، وضعف المنظمة البلشفية في كرونشتاد . فالبحارة القدماء الذين كانوا قد ساهموا في ثورة اكتوبر ، كانوا كلهم تقريباً قد ذهبوا الى الجبهة ، حيث كانوا يقاتلون قتال الابطال في صفوف الجيش الاحمر . وقد انضمّت الى الاسطول افواج جديدة لم تكن قد تمرست بنار الثورة . كانت هذه الافواج مؤلفة من جماعة من الفلاحين لا تزال جافية الطباع تماماً وتعكس استياء جماهير الفلاحين من سياسة اقتطاع الفائض . اما المنظمة البلشفية في كرونشتاد في هذه المرحلة ، فكانت قد ضعفت ضعفاً شديداً من جراء سلسلة من التعبثات التي اجريت فيها لمد الجبهة بالرجال . هذا ما مكن المنشفيك والاشتراكيين الثوريين والحرس الابيض ، من التسلل الى كرونشتاد



والاستيلاء عليها .

لقد وضع القاتلون بالفتنة يدهم على قلعة من الطراز الاول ، وعلى الاسطول ، وعلى كمية كبرى من الاسلحة والقذائف . واخذت الرجعية العالمية وتشد اناسيد النصر . على انها بكرت كثيراً في ابتهاجها . فالجوش السوفيانية سمحت الفتنة في الحال . وجرد الحزب على اصحاب فتنة كرونشتاد خيرة ابنائه ، مندوبي المؤتمر العاشر للحزب ، وعلى رأسهم فوروشيلوف . ومشى الجنود الأحمر على كرونشتاد متقدمين فوق طبقة الجليد الرقيقة التي كانت تكسو الخليج . وقد غرق الكثيرون منهم حين انحطم الجليد تحت اقدامهم . لقد كان لا بد من مهاجمة حصون كرونشتاد المنيعة التي لا تقصم وانتزاعها عنوة . فكانت الغلبة للاخلاص للثورة ، كانت الغلبة للشجاعة ولارادة بذل الحياة في سبيل حكم السوفيات . واستولت القوات الحمراء عنوة على كرونشتاد ، وقضي على الفتنة .



## ٢ - المناقشة في الحزب حول النقابات - المؤتمر المباشر للحزب - انهزام المعارضة - السياسة الاقتصادية الجديدة ( نيب (١) ) .

كانت لجنة الحزب المركزية ، كانت اكثريتها اللينينية ، تدرك بوضوح تام انه ، بعد تصفية الحرب والانتقال الى العمل السلمي في بناء الاقتصاد ، لم يبق ثمة سبب للابقاء على نظام الشيوعية الحربية القاسي ، الذي فرضته حالة الحرب والحصار .

لقد كانت تدرك ان ضرورة اقتطاع الفائض لم تبق لازمة وانه قد اصبح

---

(١) نيب ، كلمة مؤلفة من الاحرف الاولى من الكلمات الروسية الثلاث التي تعني « السياسة الاقتصادية الجديدة » . وقد اطلقت هذه التسمية على المرحلة التي تلت انتهاء الحرب الاهلية والقضاء على التدخل . واطلقت كلمة « نيبان » على التجار والرأسماليين الذين افادوا من الوضع الذي خلقته « السياسة الاقتصادية الجديدة » ، واطلقت ايضاً على رجال الادارة الذين غالوا في هذه السياسة . ( هيئة التعريب )

من الواجب الاستعاضة عن ذلك بالضريبة العينية (١) ، وذلك بغية تمكين الفلاحين من التصرف ، كما يشاءون ، بالقسم الاعظم من فوائض انتاجهم . لقد كانت اللجنة المركزية مدركة ان هذا التدبير من شأنه ان يفسح المجال لاجل انغاش الزراعة ، وتوسيع انتاج الحبوب والزراعات الضرورية لتطوير الصناعة ، ولاجل تنشيط تداول البضائع في البلاد ، وتحسين تموين المدن ، واعطاء تحالف العمال والفلاحين ، اساساً جديداً ، اساساً اقتصادياً .

وكانت اللجنة المركزية مدركة ايضاً ان انماض الصناعة مهمة في الدرجة الاولى من الخطورة ، ولكنها كانت ترى انه يستحيل انعاش الصناعة بدون معونة الطبقة العاملة وتقاباتها . وكانت ترى ان من الممكن اثارة اهتمام العمال بذلك ، بافهامهم ان الخراب الاقتصادي عدو خطر على الشعب كالتدخل والحصار ، وكانت ترى ان بوسع الحزب والتقابات تأدية هذه المهمة ، بكل تأكيد ، اذا سلكا نحو الطبقة العاملة طريق الاقناع ، لا طريق اصدار الاوامر العسكرية ، كما كانت الحال في الجبهة ، حيث تكون هذه الاوامر ضرورية فعلاً . ولكن لم يكن جميع اعضاء الحزب يفكرون تفكير اللجنة المركزية . فان الفرق الصغيرة المعارضة : من تروتسكيين و«معارضة عمالية» ، و«شيوعيين يساريين» ، و«مركزيين ديموقراطيين» الخ ، قد ضلت سواء السبيل ؛ واخذت تتردد امام المصاعب التي كانت على وشك الظهور في مطلع عهد البناء السلمي للاقتصاد . وكان في الحزب عدد غير قليل من قدماء المنشيك ، وقدماء الاشتراكيين الثوريين ، وقدماء البونديين ، وقدماء البوروتيين (٢) وانصاف القوميين على انواعهم من المناطق الواقعة في اطراف روسيا . وكان معظم هؤلاء ينتمون الى هذه او تلك من الفرق المعارضة الصغيرة . ونظراً لكون

---

(١) اي التي تستوفي عيناً ، ومن نفس الحصول ، لا نقداً . ( هيئة التعريب )

(٢) الجناح الايسر من حزب الاشتراكيين الثوريين الاوكرانيين القومي المتعصب .

اصدر هذا الجناح حتى ١٩١٨ جريدته المركزية **بوروتيا** ( اي النضال ) .

( هيئة التعريب )

هؤلاء الناس ليسوا ماركسيين حقيقيين ، ولا يعرفون قوانين التطور الاقتصادي ، وليست لديهم الصلابة اللينينية ، فانهم لم يزدوا التشويش والتردد في هذه الفرق المعارضة الصغيرة الاتفاقاً . فكان بينهم من يفكرون بأنه يجب عدم اضعاف نظام الشيوعية الحربية الصارم ، بل على العكس ، ينبغي « المزيد من شد البراغي » . وكان بينهم آخرون يفكرون بأنه يجب على الحزب والدولة ان يقفا بمعزل عن عمل انعاش الاقتصاد الوطني ، وبأن هذا العمل ينبغي ان يعهد به بكامله الى النقابات .

وكان واضحاً انه امام هذا الاضطراب في بعض اوساط الحزب ، سيرز الى الوجود اناس وهواة مناقشة ، و« زعماء » معارضة من كل طراز ، سيسعون جهدهم ليفرضوا على الحزب الدخول في نقاش . وهو ما وقع فعلاً .

فقد ثارت المناقشة اول الامر ، حول دور النقابات ، بينما مسألة النقابات لم تكن بعد اذ ذاك هي المسألة الاساسية في سياسة الحزب . وكان المحرك الاول للمناقشة والنضال ضد لينين ، وضد الاكثريّة اللينينية في اللجنة المركزية ، هو تروتسكي . فرغبة منه في زيادة سوء الحالة ، القى خطاباً في جلسة للمندوبين الشيوعيين الى المجلس العام الخامس لنقابات روسيا ، في اوائل تشرين الثاني ١٩٢٠ ، وصاغ شعارات مريبة كانت تتحدث عن « شد البراغي » وعن « هز النقابات » . وكان تروتسكي يطلب ان يصار على الفور الى « تدويل النقابات » (١) . وكان ضد اسلوب الاقتناع حيال جماهير العمال . لقد كان يريد نقل الاسلوب العسكري الى النقابات . وكان تروتسكي ضد تطوير الديمقراطية في النقابات ، وضد انتخاب الهيئات النقابية . وبدلاً من اسلوب الاقتناع ، الذي لا يمكن ، دون وجوده ، تصوّر نشاط المنظمات العمالية ، كان التروتسكيون يعرضون اسلوب الاكراه لا اكثر ولا اقل ، اسلوب اصدار الاوامر ، لا غير . وحيث كان التروتسكيون

يصلون الى قيادة العمل النقابي ، كانوا ، بسياستهم ، يحملون الى النقابات الخلافات والانشقاق والتفكك . وكانوا بهذه السياسة ، يثيرون جمهور العمال اللاحزبيين ضد الحزب ، ويقسمون الطبقة العاملة .

وفي الواقع ، كانت المناقشة حول النقابات تتعدى نطاق المسألة النقابية الى حد بعيد . فكما بين ، فيما بعد ، قرار الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ( المنعقد في ١٧ كانون الثاني ١٩٣٥ ) ، كان النقاش يدور بالفعل « حول الموقف ازاء الفلاحين الذين كانوا يناهضون الشيوعية الحربية ، وحول الموقف نحو جمهور العمال اللاحزبيين ، وبصورة عامة ، حول موقف الحزب نحو الجماهير في المرحلة التي كانت الحرب الاهلية فيها قد قاربت نهايتها » . ( الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي في قراراته ، الجزء الاول ، ص ٦٥١ ، الطبعة الروسية ) .

وعلى اثر تروتسكي ، شوهد ظهور الفرق الاخرى للنضال ضد الحزب : « المعارضة العمالية » ( شليابينيكوف ، مدفيدف ، كولونتاي ، واخرون ايضاً ) و « المركزيين الديموقراطيين » ( سابرانوف ، دروبنيس ، بوغوسلافسكي ، اوسينسكي ، ف . سبيرنوف ، واخرون ايضاً ) ، والشيوعيين اليساريين ( بوخارين ، وبريوبراجنسكي ) .

فاما « المعارضة العمالية » فقد صاغت شعار تسليم ادارة كل الاقتصاد الوطني الى « مؤتمر المنتجين في روسيا » . لقد كانت تريد ان تجعل دور الحزب لا شيء وتكرر اهمية ديكتاتورية البروليتاريا في بناء الاقتصاد . كانت « المعارضة العمالية » تضع النقابات مقابل الدولة السوفياتية والحزب الشيوعي . كانت ترى ان الشكل الاعلى لتنظيم الطبقة العاملة ، ليس الحزب ، بل النقابات . لقد كانت « المعارضة العمالية » ، في الواقع ، فرقة نقابية — فوضوية للنضال ضد الحزب .

اما فرقة « المركزية الديموقراطية » ، فكانت تطالب بالحرية الكاملة للفرق الانقسامية والتكتلات . وكان هؤلاء الناس يسعون ، على غرار التروتسكيين ،

الى الانتقاص من دور الحزب القيادي في مجالس السوفيات وفي النقابات . وقد وصفهم لينين بانهم فرقة انقسامية من « الصخّابين » ، ووصف منهمجهم بانه منهج منشفيكي — اشتراكي — ثوري .

كان تروتسكي في نضاله ضد لينين وضد الحزب مدعوماً من قبل بوخارين . وكان بوخارين ، وبريورا جنسكي ، وسيريريا كوف ، وسوكولنيكوف ، قد ألتفوا فرقة « حائزة » . وكانت هذه الفرقة تدافع عن اسوأ الانقساميين ، اي عن التروتسكيين وتحميمهم . وقد وصف لينين سلوك بوخارين بانه « منتهى الانحطاط الفكري » . ولم يلبث البوخارينيون ان تحالفوا ، بصورة سافرة ، مع التروتسكيين ضد لينين .

وقد وجه لينين واللينينيون ضربتهم الرئيسية الى التروتسكيين ، الذين هم القوة الاساسية لتكتلات النضال ضد الحزب . فاثبتوا على التروتسكيين انهم لم يميزوا بين النقابات وبين المنظمات العسكرية ، وبينوا لهم انه لا يمكن نقل اساليب المنظمات العسكرية الى النقابات . ومقابل المناهج التي قدمتها فرق المعارضة ، صاغ لينين واللينينيون منهمجهم الخاص . وكان هذا المنهج يبين ان النقابات مدرسة للادارة ، مدرسة للادارة الاقتصادية ، مدرسة الشيوعية . فكل عملها ينبغي ان يقوم على اسلوب الاقتناع . بهذا الشرط فقط ، ستتمكن من تعبئة جميع العمال للنضال ضد الخراب الاقتصادي ، ومن اجتذابهم الى البناء الاشتراكي .

وقد التفتت منظمات الحزب حول لينين في النضال ضد فرق المعارضة . وكانت المعركة حامية بشكل خاص في موسكو . ففيها كانت المعارضة قد حشدت معظم قواها ، هادفة الى الاستيلاء على المنظمة الشيوعية في العاصمة . ولكن بلاشفة موسكو صدوا دسائس الانقساميين صداً حازماً . وقام نضال حاد ايضاً في منظمات الحزب الاوكرانية . غير ان بلاشفة اوكرانيا ، بقيادة الرفيق مولوتوف الذي كان اذ ذاك امين سر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اوكرانيا ، هزموا التروتسكيين وانصار شليابينيكوف . وظل الحزب

الشيوعي في اوكرانيا ، الحصن المنيع لحزب لينين . وفي باكو ، جرى تنظيم سحق المعارضة بقيادة الرفيق اوردجونيكيديزه . وفي آسيا الوسطى ، قاد الرفيق ل . كاغانوفيتش النضال ضد الفرق المعادية للحزب .

لقد انضمت جميع منظمات الحزب المحلية الرئيسية الى منهج لينين . وفي ٨ آذار ١٩٢١ ، افتتح المؤتمر العاشر للحزب . وقد حضر هذا المؤتمر ٦٩٤ مندوباً باصوات فعلية ، يمثلون ٧٣٢،٥٢١ عضواً في الحزب . كما كان هناك ٢٩٦ مندوباً لهم اصوات استشارية .

وقد رصد المؤتمر حصيلة المناقشة حول النقابات ، ووافق باكثرية ساحقة على منهج لينين .

وحين افتتح لينين المؤتمر ، اعلن ان المناقشة كانت ضرباً من الترف غير المقبول . وبيّن ان الاعداء كانوا ينيطون آمالهم بالنضال الداخلي والانقسام في الحزب الشيوعي .

وامام الخطر الجسيم الذي كان يهدد الحزب البلشفي وديكتاتورية البروليتاريا من جراء وجود فرق انقسامية ، اهتم المؤتمر العاشر اهتماماً خاصاً لقضية وحدة الحزب . فقدم لينين تقريراً حول هذا الموضوع . وشجب المؤتمر جميع فرق المعارضة ، واثار الى انها « في الواقع ، كانت تساعد اعداء الثورة البروليتارية الطبقيين » .

واوجب المؤتمر حل جميع الفرق الانقسامية على الفور ، وكلف جميع المنظمات بان تسهر سهرأ دقيقاً على عدم قيام اي عمل انقسامي ؛ وكان عدم تنفيذ قرار المؤتمر يؤدي الى الطرد فوراً من الحزب .

وفي حالة اقدام اعضاء من اللجنة المركزية على خرق النظام الحزبي او استئناف العمل الانقسامي او الاغضاء عنه ، فوَض المؤتمر الى اللجنة المركزية اتخاذ جميع العقوبات اللازمة بحق هؤلاء الاعضاء ، حتى بما في ذلك ، طردهم من اللجنة المركزية ومن الحزب .

وقد دُونت جميع هذه المقررات في قرار خاص بعنوان « حول وحدة

الحزب» ، اقترحه لينين ووافق عليه المؤتمر .

في هذا القرار ، يلفت المؤتمر انتباه جميع اعضاء الحزب الى ضرورة تحقيق وحدة صفوف الحزب وتماسكها ووحدة ارادة طليعة البروليتاريا ، خصوصاً في فترة كمرحلة المؤتمر العاشر ، التي فيها ساهمت الظروف في تقوية التردد بين السكان البورجوازيين الصغار في البلاد .

يقول القرار :

ومع ذلك ، فقبل المناقشة العامة في الحزب حول النقابات ، ظهرت بعض الدلائل على قيام نشاط انقسامي ، اي اننا شهدنا ظهور فرق لها مناهجها الخاصة ، مع ميل للانطواء ، الى حد ما ، على نفسها ، ولايجاد نظام تكتلي خاص لها . فمن الضروري ان يدرك جميع العمال الواعين ادراكاً واضحاً ان اي نشاط انقسامي مهما كان ، ينطوي على امور ضارة وغير مقبولة ، لان هذا النشاط انما يؤدي ، في الواقع ، بصورة محتومة ، الى اضعاف حسن التفاهم في العمل ، والى تقوية ما يقوم به الاعداء الذين يتشبثون باذيال الحزب الحكومي ، من محاولات متكررة هدفها تعميق الانقسام ( في الحزب ) واستغلاله لاهداف اعداء الثورة .

ويتابع المؤتمر قائلاً :

« ان استغلال اعداء البروليتاريا لكل نوع من انواع الانحراف عن الخطة الشيوعية الدقيقة قد برز باجلى الاشكال ، في فتنة كرونشتاد ، لما سارع اعداء الثورة البورجوازيون والحرس الابيض في جميع بلدان العالم الى اظهار استعدادهم للقبول حتى بشعارات النظام السوفييتي ، شرط ان يُقضى على ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا ، ولما استخدم الاشتراكيون الثوريون ، وبصورة عامة ، اعداء الثورة البورجوازيون ، شعارات العصيان المسلح في كرونشتاد ، ضد الحكومة السوفياتية

في روسيا ، زاعمين انهم يفعلون ذلك باسم سلطة السوفييات .  
ان مثل هذه الوقائع تثبت بصورة كافية ان الحرس  
الابيض يريدون ، ويستطيعون ، ان يتنكروا بثوب الشيوعيين ،  
بل ان يكونوا « اكثر جنوحاً الى اليسار » من الشيوعيين ،  
للوصول الى غاية واحدة ، هي اضعاف حصن الثورة البروليتارية  
في روسيا وهدمه . كما ان النشرات المنشفية التي وُزعت في  
بتروغراد ، قبيل فتنة كرونشتاد ، تدل ايضاً على ان المنشفيك  
قد استغلوا الاختلافات في داخل الحزب الشيوعي الروسي ، لاجل  
دفع القاتنين بفتنة كرونشتاد ، الاشتراكيين الثوريين والحرس  
الابيض ، ومساندتهم بالفعل ، مع تظاهر هؤلاء المنشفيك بالكلام  
بانهم ، فيما خلا بعض تحفظات صغيرة ، اعداء التمردات ، على حد  
قولهم ، وانصار الحكم السوفييات .»

ويشير القرار الى ان دعاية الحزب يجب ان تشرح شرحاً وافياً ما ينطوي  
عليه النشاط الانقسامى من ضرر وخطر بالنسبة لوحدة الحزب وتحقيق وحدة  
الارادة لدى طليعة البروليتاريا ، الامر الذي هو شرط اساسى لنجاح  
ديكتاتورية البروليتاريا .

ومن جهة اخرى ، يشير قرار المؤتمر ، الى ان دعاية الحزب يجب ان  
تشرح الشيء الخاص الموجود في الاساليب التاكتيكية الاخيرة التي استعملها  
اعداء سلطة السوفييات . يقول القرار :

« ان هؤلاء الاعداء الذين باتوا مقتنعين ، بعد اليوم ، بان  
كل محاولة معادية للثورة تجري بصورة سافرة ، تحت راية الحرس  
الابيض ، مكتوب لها الفصل ، يبذلون الالف جميع جهودهم  
لاستغلال الخلافات في داخل الحزب الشيوعي الروسي ، ولدفع  
حركة العداء للثورة الى امام ، بهذا الشكل او بذاك ، عن طريق  
تسليم الحكم الى التكتلات السياسية التي هي ، في الظاهر ، اقرب



ما يكون الى الاعتراف بسلطة السوفييات ( الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي في قراراته ، الجزء الاول ، ص ٣٧٣ — ٣٧٤ ، الطبعة الروسية ) .

ثم يشير القرار الى ان دعاية الحزب « يجب ان تبوز ايضاً تجربة الثورات السابقة ، حيث كان اعداء الثورة يساندون اقرب التكتلات البورجوازية الصغيرة الى الحزب الثوري المتطرف ، بغية زعزعة الديكتاتورية الثورية وقلبها ، وهكذا يهدون الطريق بعدئذ لانتصار اعداء الثورة التام ، الرأسماليين وكبار ملاكي الارض » .

وبالقرار « حول وحدة الحزب » ، ارتبط ارتباطاً وثيقاً قرار آخر « حول الانحراف النقابي والفوضوي في حزبنا » ، اقترحه لينين ايضاً ، ووافق عليه المؤتمر . وفي هذا القرار شجب المؤتمر العاشر المعارضة المسماة « المعارضة العمالية » . واعلن ان نشر افكار ذات اتجاه فوضوي — نقابي يتنافى مع الانتماء الى الحزب الشيوعي ، ودعا المؤتمر الحزب الى مكافحة هذا الانحراف مكافحة حازمة .

وتبنى المؤتمر العاشر قراراً عظيم الاهمية حول ابطال نظام اقتطاع الفائض ، وانشاء الضريبة العينية ، والانتقال الى السياسة الاقتصادية الجديدة ( نيب ) .

وفي هذا الانعطاف من الشيوعية الحربية الى النيب يتجلى كل ما تتصف به سياسة لينين من حكمة وصفاء نظر .

كان قرار المؤتمر يتحدث عن احلال الضريبة العينية محل اقتطاع الفائض . وكانت الضريبة الغذائية العينية اقل ارتفاعاً من الاقتطاع . وكان ينبغي اعلان مقدار الضريبة ، كل سنة ، قبل بذار الربيع . وكانت آجال التسليم محددة تحديداً مضبوطاً . ومتى سلم الفلاح

الضريبة ، كان له ان يتصرف بكل ما يبقى له زيادة عنها ، وله الحرية في بيع الفائض عنده كما يريد . وقد اشار لينين في تقريره الى ان حرية التجارة ستؤدي في البدء الى انتعاش الرأسمالية بعض الشيء في البلاد . وسيكون علينا ان نسمح بالتجارة الخصوصية وأنأذن لاصحاب العمل الخصوصيين بفتح مشاريع صغيرة . ولكن يجب الا يخيفنا ذلك . ان لينين كان يرى ان وجود قدر من حرية التجارة من شأنه ان يستثير اهتمام الفلاح باستثماراته ، وان يرفع انتاجية عمله ، وان يحدث نهوضاً سريعاً في الزراعة ، وكان يرى انه ، على هذا الاساس ، سيتم احياء صناعة الدولة ، ويزاح الرأسمال الخاص ، وانه ، بعد تكديس القوى والموارد ، يصبح في امكاننا ان نخلق صناعة جبارة تكون اساساً اقتصادياً للاستراكية ، ثم نباشر هجوماً قوياً لهدم بقايا الرأسمالية في البلاد .

لقد كانت شيوعية الحرب محاولة للاستيلاء عنوة ، بهجوم جبهي ، على قلعة العناصر الرأسمالية في المدينة والقرية . وقد توغل الحزب بعيداً في هذا الهجوم ، وتعرض لخطر الانفصال عن قاعدته . فكان لينين يقترح التراجع قليلاً الان ، والارتداد ، لفترة من الزمن ، الى مسافة اكثر قرباً من المؤخرة ، والانتقال من مهاجمة القلعة الى محاصرتها زمنياً اطول ، وذلك لاجل تكديس قوى ، ثم استئناف الهجوم .

اما التروتسكيون واعضاء المعارضة الآخرون ، فكانوا يرون ان النيب هو مجرّد تراجع . وكان هذا التفسير ملائماً لهم ، لانهم كانوا يهدفون الى اعادة الرأسمالية . فكان ذلك تفسيراً للنيب مؤذياً ومعادياً لللينينية عداء عميقاً . وفي الواقع ، فبعد سنة واحدة فقط من اقامة النيب ، اعلن لينين في المؤتمر الحادي عشر للحزب ان فترة التراجع قد انتهت ، والقي شعار

« اعداد الهجوم ضد الرأسمال الخاص في الاقتصاد » . ( لينين —  
المؤلفات الكاملة ، الجزء ٢٧ ، ص ٢١٣ ، الطبعة الروسية ) .

اما اعضاء المعارضة الذين كانوا ماركسيين سيئين وعلى جهل مطبق في  
السياسة البلشفية ، فلم يفهموا لا طبيعة النيب ولا صفة التراجع الذي جرى في  
مطلع النيب . وقد تكلمنا انفاً عن طبيعة النيب . واما فيما يتصل بصفة التراجع  
فينبغي القول ان التراجعات تختلف بعضها عن بعض . فهناك فترات يكون  
لزاماً فيها على الحزب او الجيش ان يتراجعا ، لانها قد منيا بهزيمة . وفي مثل  
هذه الحالات ، يتراجع الحزب او الجيش لكي يبقى سليماً ، ولكي يحفظ  
ملاكاته لمعارك جديدة . والتراجع الذي اقترحه لينين عند اقامة النيب لم يكن  
قط تراجعاً من هذا النوع ، نظراً لأن الحزب لم يكن قد مني بهزيمة ولا غلب ،  
بل كان هو نفسه قد قهر الغزاة والحرس الابيض خلال الحرب الاهلية .  
ولكن هناك فترات يوغل فيها الحزب المنتصر او الجيش ، كثيراً الى امام ،  
في هجومه ، فينجم عن ذلك خطر جدي . فالحزب المجرب او الجيش المجرب  
يرى ، في مثل هذه الحالات ، من الضروري ، بصورة عامة ، لكي لا ينفصل  
عن قاعدته ، ان يتراجع قليلاً ، فيقترب من مؤخرته ، ليصبح امتن ارتباطاً  
بقاعدته في المؤخرة ، وليجهز نفسه بكل ما هو ضروري ، ثم يستأنف الهجوم  
بثقة اكبر وبضمانات للنجاح . وهذا النوع من التراجع الموقت هو ، على وجه  
التدقيق ، ما حققه لينين في ظل النيب . وعندما عرض لينين امام المؤتمر الرابع  
للأممية الشيوعية الاسباب التي قررت اقامة النيب ، اعلن بكل صراحة قائلاً :  
« في هجومنا الاقتصادي انطلقنا الى امام اكثر مما ينبغي ، دون ان نؤمن  
لانفسنا قاعدة كافية » . ولهذا كان لزاماً القيام بتراجع موقت نحو  
مؤخرة أمينة .

لقد كانت مصيبة المعارضة ان جهلها لم يكن يمكنها ولم يمكنها قط من ان  
تفهم هذه الخاصة التي يتصف بها التراجع في ظل النيب .  
ان قرار المؤتمر العاشر عن النيب قد أمن تحالفاً اقتصادياً متيناً بين

الطبقة العاملة والفلاحين لاجل بناء الاشتراكية .

وهذه المهمة الاساسية قد ساعدها ايضاً قرار آخر من المؤتمر حول المسألة الوطنية . وكان الرفيق ستالين هو الذي قدم التقرير حول هذه المسألة . لقد قال الرفيق ستالين اننا قد محونا الاضطهاد القومي ، ولكن هذا لا يكفي . فهمتنا هي محو تركمة الماضي الثقيلة ، محو التأخر الاقتصادي والسياسي والثقافي عند الشعوب التي كانت مضطهدة فيما مضى . وينبغي ان تساعد هذه الشعوب على اللحاق بروسيا المركزية ، في هذا الميدان . ثم اشار الرفيق ستالين الى انحرافين في القضية الوطنية معادين للحزب : الشوفينية الاستعمارية ( الروسية الكبرى ) والتعصب القومي المحلي . وقد شجب المؤتمر كلا من هذين الانحرافين ، بوصفهما ضارين وخطرين على الشيوعية وعلى الاممية البروليتارية . ولكن المؤتمر وجه الضربة الاقوى الى الشوفينية الروسية الكبرى التي كانت تؤلف الخطر الرئيسي ، اي الى الموقف الشبيه بالموقف الذي كان يتخذه ، في عهد القيصرية ، الشوفينيون الروس الكبار ازاء الشعوب غير الروسية .



### ٣ - النتائج الاولى للنائب - المؤتمر الحادي عشر للحزب - تشكيل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية - موز لبنين - منهاج لبنين التعاوني - المؤتمر الثاني عشر للحزب

ان وضع النيب موضع التنفيذ قد لاقى المقاومة من العناصر غير الثابتة في الحزب . وقد تجلت هذه المقاومة من ناحيتين . فمن جهة ، كان يقف الصحابيون « اليساريون » ، والمسوخ السياسيون ، امثال لومينادزه وشاتسكين والآخرين ، الذين كانوا « يبرهنون » ان النيب هو التخلي عن انتصارات ثورة اكتوبر ، والعودة الى الرأسمالية ، وموت حكم السوفيات . ان هؤلاء الناس ، بسبب جهلهم السياسي وعدم معرفتهم قوانين التطور الاقتصادي ، ما كانوا يفهمون سياسة الحزب ، وكانوا يصابون بالذعر وينشرون حولهم التخاذل وتشبيط العزائم . ومن جهة اخرى ، كان هناك الاستسلاميون السافرون ، امثال

تروتسكي وراديك وزينوفييف وسو كولنيكوف وكامينيف وشليابينيكوف وبوخارين وريكوف ، وغيرهم ايضاً ، ممن لم يكونوا يؤمنون بامكان تطور بلادنا الاشتراكي . فقد كانوا ينحنون امام « جبروت » الرأسمالية ، وسعيّاً وراء تثبيت مواقع الرأسمالية في بلاد السوفييات ، كانوا يطالبون بمنح الرأسمال الخاص امتيازات هامة ، سواء في داخل البلاد ام في الخارج ، كما كانوا يطلبون تسليم الرأسمال الخاص سلسلة من مراكز قيادة الحكم السوفيياتي في الاقتصاد الوطني ، بشكل امتيازات ، او شركات مساهمة مختلطة يشترك فيها الرأسمال الخاص .

ان هؤلاء واولئك كانوا غرباء عن الماركسية واللينينية . وقد فضح الحزب كلا الفريقين وعزلهما . وردّ الحزب ردّاً حاسماً على ناشري الذعر ودعاة الاستسلام .

ان هذه المقاومة لسياسة الحزب كانت تذكر ، مرة اخرى ، بضرورة تطهير الحزب من العناصر غير الثابتة . ولذلك قامت اللجنة المركزية بعمل هام لتقوية الحزب ، بتنظيمها تطهير الحزب في سنة ١٩٢١ . وقد جرى التطهير في اجتماعات عامة بحضور الأحزابيين ومساهمتهم . وكان لينين قد اوصى بتنظيف الحزب « من المختلسين ، والشيوعيين المصابين بالبيروقراطية والشيوعيين غير المستقيمين والشيوعيين المائعين ، ومن المنشفيك الذين « جددوا دهان الواجهة » ولكن بقوا منشفيكيين في قرارة نفوسهم » . ( لينين - المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، الصفحة ١٣ ، الطبعة الروسية ) .

وبنتيجة التطهير ، فصل حوالي ١٧٠ ألفاً ، اي زهاء ٢٥ بالمئة من مجموع اعضاء الحزب .

ان التطهير قد قوى الحزب تقويّة كبيرة ، وحسّن تركيبه الاجتماعي ، وعزز ثقة الجماهير به ، ورفع نفوذه . واصبح الحزب أشد تماسكاً وقويت فيه روح النظام .

ان السنة الاولى من السياسة الاقتصادية الجديدة قد برهنت صحة هذه

السياسة . فالانتقال الى النيب عزز بشكل محسوس ، تحالف العمال والفلاحين القائم على اساس جديد . فتمت قدرة ديكتاتورية البروليتاريا وازدادت صلابتها وصُفِّيت اعمال الشقاوة التي كان يقوم بها الكولاك تصفية تامة تقريباً . واخذ الفلاحون المتوسطون ، منذ الغاء نظام اقتطاع الفوائض ، يعاونون النظام السوفيائي على مكافحة عصابات الكولاك . وكانت سلطة السوفييات تحتفظ في يديها بجميع مراكز قيادة الاقتصاد الوطني : الصناعة الكبرى ، والنقل والبنوك ، والارض ، والتجارة الداخلية ، والتجارة الخارجية . لقد احدث الحزب انعطافاً في الجبهة الاقتصادية . فخطت الزراعة سريعاً خطوات الى امام . وسجلت الصناعة والنقل نجاحاتها الاولى . وشهدنا نهوضاً اقتصادياً كان لا يزال بطيئاً جداً ، ولكنه كان نهوضاً اكيداً . وادرك العمال والفلاحون ان الحزب كان على الطريق القويم .

وفي آذار ١٩٢٢ ، انعقد المؤتمر الحادي عشر للحزب . وكان يضم ٥٢٢ مندوباً ذوي اصوات فعلية ، يمثلون ٥٣٢،٠٠٠ عضو في الحزب ، اي اقل من المؤتمر السابق . وكان هناك ١٦٥ مندوباً باصوات استشارية . ويعود هذا الهبوط في عدد الاعضاء الى التطهير الذي كان قد بدأ في صفوف الحزب .

وفي المؤتمر ، عرض الحزب رصيد السنة الاولى من السياسة الاقتصادية الجديدة ، فكان رصيذاً جعل في امكان لينين ان يعلن قائلاً :

« لقد تراجعنا خلال عام . وعلينا ان نقول الان باسم الحزب : كفى ! فقد تحقق الهدف الذي كان التراجع يرمي اليه . وهذه المرحلة تشرف على الانتهاء ، او هي قد انتهت . وهناك الان هدف آخر يفرض نفسه . هو اعادة تجميع القوى . »  
( لينين — المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، الصفحة ٢٣٨ ، الطبعة الروسية ) .

واشار لينين الى ان النيب معناه نضال حامي الوطيس ، نضال حتى الموت بين الرأسمالية والاشتراكية . « فلنن ستكون الغلبة ؟ » ذلك هو السؤال

الذي كان مطروحاً . ولأجل الانتصار ، ينبغي تأمين تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، وتحالف الصناعة الاشتراكية والاقتصاد الفلاحي ، وذلك بتطوير المبادلات بين المدينة والريف بجميع الوسائل . ومن الضروري ، لأجل هذه الغاية ، ان تتعلم حسن ادارة اقتصادنا ، وممارسة التجارة بأشكال متقنة .

في تلك المرحلة ، كانت التجارة تبدو على انها الحلقة الاساسية في سلسلة القضايا الموضوعة امام الحزب . فقبل حل هذه القضية ، لم يكن في الامكان تطوير تبادل البضائع بين المدينة والريف ، ولم يكن في الامكان تقوية التحالف الاقتصادي بين العمال والفلاحين ، ولم يكن في الامكان انهاض الزراعة وانتشال الصناعة من الخراب .

كانت التجارة السوفياتية ، في ذلك الوقت لا تزال شديدة الوهن . وكان الجهاز التجاري ضعيفاً جداً . فالشيوعيون لم يكونوا قد تعودوا التجارة بعد ، ولم يكونوا ، بعد ، قد تعلموا ، معرفة العدو ، النيباني ، ولم يكونوا ، بعد ، قد تعلموا كيف يكافحونه . فكان التجار الخصوصيون — النيبانيون — يستغلون ضعف التجارة السوفياتية ، ويستأثرون بتجارة المنسوجات والبضائع الاخرى الرائجة الاستعمال . وباتت قضية تنظيم تجارة الدولة والتجارة التعاونية ، على جانب عظيم من الاهمية .

وبعد المؤتمر الحادي عشر ، تضاعفت قوة النشاط الاقتصادي . ففضي بنجاح على عواقب الموسم السيء الذي اصاب البلاد . واستعاد الاقتصاد الفلاحي نهوضه بسرعة . واخذت السكك الحديدية تعمل احسن من ذي قبل . وكثرت عدد المعامل والمصانع التي اخذت تستأنف العمل .

وفي تشرين الاول ١٩٢٢ ، احتفلت الجمهورية السوفياتية بانتصار عظيم: لقد حرر الجيش الاحمر والانصار في الشرق الاقصى مدينة فلاديفوستك من التدخل الياباني ، وهي آخر قطاع من الارض السوفياتية كان لا يزال في ايدي الغزاة . - -

والآن ، وقد تم تحرير جميع اراضي البلاد من التدخل ، واصبحت مهام

البناء الاشتراكي والدفاع تتطلب المزيد من تعزيز التحالف بين شعوب بلاد السوفيات ، وُضعت على بساط البحث قضية تكتيل الجمهوريات السوفياتية تكتيلاً اوثق في اتحاد واحد ، في دولة واحدة . لقد كانت الغاية المبتغاة جمع كل القوى الشعبية لاجل بناء الاشتراكية . كانت الغاية المبتغاة تنظيم دفاع قوي عن البلاد . كانت الغاية المبتغاة تأمين تطور جميع قوميات وطننا تطوراً متناسقاً وتاماً . ولهذا كان من الواجب ازدياد التقارب بين شعوب بلاد السوفيات .

وفي كانون الاول ١٩٢٢ ، انعقد المؤتمر الاول لمجالس سوفيات الاتحاد السوفياتي . وبناء على اقتراح تقدم به لينين وستالين ، تحقق في هذا المؤتمر اتحاد الشعوب السوفياتية اتحاداً اختيارياً حراً في دولة واحدة هي : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وقد شمل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، في البدء ، كلا من : جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفياتية ، وجمهورية عبر القفقاس الاشتراكية الاتحادية السوفياتية ، وجمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفياتية ، وجمهورية بيلوروسيا الاشتراكية السوفياتية . وبعد ذلك بقليل ، تألفت في آسيا الوسطى ثلاث جمهوريات سوفياتية متحدة مستقلة هي : جمهورية اوزبكستان ، وجمهورية تركمانيا ، وجمهورية تدجيكيا . وجميع هذه الجمهوريات دخلت ايضاً في اتحاد الدول السوفياتية ، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، على اساس الموافقة الحرة والمساواة في الحقوق ، وعلى اساس احتفاظ كل منها بحقوقها في الخروج بحرية من الاتحاد السوفياتي

ان انشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية كان معناه تعزيز حكم السوفيات ، كان نصراً عظيماً لسياسة الحزب البلشفي اللينينية الستالينية ، في القضية الوطنية .

في تشرين الثاني ١٩٢٢ ، خطب لينين في الاجتماع الكامل لمجلس سوفيات موسكو . وقد عرض لينين رصيد السنوات الخمس لوجود حكم السوفيات ،



فابدى قناعته الراسخة بان « من روسيا النيب ستبثق روسيا الاشتراكية » . وكان هذا اخر خطاب له امام البلاد . ففي خريف ١٩٢٢ ، اناخت على الحزب مصيبة كبرى : لقد اصيب لينين بمرض خطير . وقد احس الحزب كله وجميع الشغيلة بان مرض لينين كان بمثابة خطب شخصي عظيم حلّ بكل منهم . فكلهم كانوا يعيشون في قلق مبرح خائفين على حياة لينين الذي يحبونه اشد الحب . ولكن لينين كان يتابع عمله ، حتى في اثناء مرضه . وقد كتب ، وهو في اخطر حالات المرض ، سلسلة من المقالات الجلية الالهية ، وتلك كانت اخر مقالاته ، فعرض فيها رصيد العمل الذي تم انجازه ورسم برنامجاً لبناء الاشتراكية في بلادنا قوامه اجتذاب جماهير الفلاحين الى هذا العمل : ولأجل اشراك هذه الجماهير في هذا العمل ، عرض لينين برنامجه التعاوني في نطاق البرنامج العام الذي قدمه .

كان التعاون بصورة عامة ، والتعاون الزراعي بصورة خاصة ، هو الذي يشكل ، في نظر لينين ، الوسيلة السهلة التناول والمفهومة لدى ملايين الفلاحين ، الوسيلة التي تتيح الانتقال من الاستثمارات الفردية الصغيرة الى الجمعيات الانتاجية الكبرى ، اي الى الكولخوزات . وقد بين لينين ان تطوير زراعة بلادنا يجب ان يمر عبر مساهمة الفلاحين في البناء الاشتراكي تحت شكل التعاون ، عن طريق ادخال مبادئ العمل الجماعي في الزراعة بصورة تدريجية ، وذلك في ميدان تصريف المنتجات الزراعية ، اول الامر ، ثم في ميدان انتاجها . وبين لينين انه حين توجد ديكتاتورية البروليتاريا وتحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، وحين تأمن القيادة للبروليتاريا بالنسبة الى الفلاحين ، وحين يكون عندنا صناعة اشتراكية ، يشكل التعاون الانتاجي المنظم تنظيمًا سديدًا والشامل لملايين الفلاحين الوسيلة التي تتيح بناء المجتمع الاشتراكي السكامل في بلادنا .

وفي نيسان ١٩٢٣ ، انعقد المؤتمر الثاني عشر للحزب ، وهو اول مؤتمر لم يستطع لينين حضوره منذ ان استولى البلاشفة على الحكم .

وقد ضم المؤتمر ٤٠٨ مندوبين باصوات فعلية يمثلون ٣٨٦ الف عضو في

الحزب ، اي اقل بما في المؤتمر السابق . وكان ذلك نتيجة التطهير الذي كان لا يزال جارياً والذي ادى الى فصل نسبة مثوية كبيرة من الاعضاء . اما المندوبون باصوات استشارية فكان عددهم ١٧ مندوباً .

وقد اخذ المؤتمر الثاني عشر للحزب بعين الاعتبار ، في مقرراته ، جميع التوجيهات التي اعطاها لينين في مقالاته الاخيرة ورسائله الاخيرة .

ورد المؤتمر رداً شديداً على جميع الذين حسبوا النيب تحلياً عن المواقع الاشتراكية ، وتسلياً لمواقفنا الى الرأسمالية ، وعلى جميع الذين كانوا يقترحون الاستسلام لعبودية الرأسمالية . وقد قدم هذه الاقتراحات الى المؤتمر كل من راديك وكراسين ، وكلاهما من اشباع تروتسكي . فقد اقترحا الاستسلام لرحمة الرأسمالين الاجانب ، وتسليمهم ، تحت شكل امتيازات ، الصناعات ذات الاهمية الحيوية للدولة السوفياتية . كما اقترحا وفاء الديون التي عقدتها الحكومة القيصرية وألغتها ثورة اوكتوبر . وقد وصم الحزب هذه الاقتراحات الاستسلامية بأنها خيانة . ان الحزب لم يرفض استخدام سياسة عقد الامتيازات ، واما قبل بها فقط في فروع معينة من الصناعة وضمن حدود تعود بالنفع على الدولة السوفياتية .

وكان بوخارين وسوكولنيكوف قد اقترحا ، حتى قبل المؤتمر ، الغاء احتكار التجارة الخارجية . وهذا الاقتراح كان مردده ايضاً الى طريقتهما في فهم النيب على انه تسليم مواقفنا للرأسمالية . وقد فضح لينين آنذاك بوخارين ووصفه بانه مدافع عن المحتكرين والنيبانيين والكولاك . وصد المؤتمر الثاني عشر تلك الهجمات التي وجهت ضد احتكار التجارة الخارجية ، الذي لا يجوز المساس به .

كذلك ، هزم المؤتمر تروتسكي الذي كان يحاول ان يفرض على الحزب سياسة مشؤومة نحو الفلاحين . وبين انه لا يمكن نسيان حقيقة واقعة هي كون الاستئثار الفلاحي الصغير هو السائد في البلاد . وأشار الى ان تطور الصناعة — بما في ذلك تطور الصناعة الثقيلة — لا ينبغي ان يجري ضد مصالح

جماهير الفلاحين، بل بالتحالف مع هذه الجماهير ، لمنفعة السكان الشغيلة بأسرهم .  
اقد كانت هذه القرارات موجّهة الى تروتسكي الذي كان ينبغي بناء الصناعة عن  
طريق استثمار الاقتصاد الفلاحي ، وكان يرفض ، في الواقع ، سياسة تحالف  
البروليتاريا مع الفلاحين .

وقد اقترح تروتسكي في ذات الوقت ، اغلاق معامل كبيرة وهامة للدفاع  
الوطني مثل معامل بوتيلوف ، ومعامل بريانسك وغيرها من المعامل ، التي  
كانت ، على حد قوله ، لا تدر ربحاً . وقد رفض المؤتمر بغضب واستنكار  
اقتراحات تروتسكي .

ووفقاً لاقتراح خطي ارسله لينين ، انشأ المؤتمر الثاني عشر هيئة موحدة  
مؤلفة من اللجنة المركزية للرقابة ومؤسسة التفتيش العمالية والفلاحية . وكان  
على هذه اللجنة أن تظلم بمهمة مثقلة بالمسؤولية هي : السهر على وحدة  
حزبنا وتقوية النظام في الحزب وفي الدولة ، وزيادة تحسين جهاز الدولة  
السوفياتية بجميع الوسائل .

واعار المؤتمر اهتماماً جدياً للمسألة الوطنية . وكان المقرر عن هذه المسألة  
الرفيق ستالين . فاشار الى الاهمية الدولية لسياستنا في المسألة الوطنية . فالشعوب  
المضطهدة في الغرب والشرق ترى في الاتحاد السوفياتي مثالا تاما على الطريقة  
الملائمة لحل المسألة الوطنية ومحو اضطهاد القوميات . واكد الرفيق ستالين  
ضرورة العمل بعزم لازالة التفاوت الاقتصادي والثقافي بين شعوب الاتحاد  
السوفياتي . ودعا الحزب بمجموعه الى النضال بحزم ضد الانحرافات في المسألة  
الوطنية : الشوفينية الروسية الكبرى والتعصب القومي البورجوازي المحلي .

وفضح المؤتمر اشباع الانحرافات القومية وكشف القناع عن سياستهم ذات  
المزاعم الاستعمارية حيال الاقليات القومية . ففي ذلك الوقت كان القوميون  
الجورجيون ، مديفاني وغيره ، يناهضون الحزب . فكانوا يعارضون انشاء  
اتحاد عبر القفقاس ، وتوطيد اواصر الصداقة بين شعوب عبر القفقاس . وكانوا  
يقفون من القوميات الاخرى في جيورجيا موقف شوفينيين استعماريين

حقيقين . فكانوا يطردون من تفليس جميع الذين ليسوا جيورجين ، ولا سيما الارمن . وقد اصدروا قانوناً ينص على ان كل امرأة جيورجية تتزوج من رجل غير جيورجي ، تفقد الجنسية الجيورجية . وكان تروتسكي وراديك وبوخارين وسكريبنيك وراكوفسكي يساندون القوميين الجيورجين .

وبعد المؤتمر بقليل ، عُقد مؤتمر خاص لمناضلي الجمهوريات القومية لدراسة المسألة الوطنية بصورة خاصة . وفي هذا المؤتمر كُشف القناع عن وجه كتلة القوميين البورجوازيين التتر : من امثال سلطان غاليف وغيره ، كما فُضحت ايضاً كتلة القوميين الاوزبكيين : من امثال فيض الله خوجايف والآخرين . لتد وضع المؤتمر الثاني عشر رصيد العاملين الاولين من السياسة الاقتصادية الجديدة : فكان رصيذاً يوحى التفاؤل واليقين بالنصر النهائي .

وقد اعلن الرفيق ستالين في المؤتمر : « ان حزبنا قد بقي متين اللحمه شديد التماسك ، وقد تمكن من القيام بانعطاف هائل ، وهو يسير الى امام خفاق البنود » .



- ٤ — النضال ضد المصاعب في احياء الاقتصاد الوطني —
- نشاط التروتسكيين بمناسبة مرض لينين —
- مناقشة جديدة في الحزب — هزيمة التروتسكيين —
- وفاة لينين — فوج لينين — المؤتمر الثالث عشر للحزب .

ادت السنوات الاولى من النضال لاحياء الاقتصاد الوطني الى نجاحات ذات شأن . وحوالي العام ١٩٢٤ ، لوحظ نهضة في جميع الميادين . فزادت المساحات المزروعة زيادة محسوسة منذ ١٩٢١ ، واخذ الاقتصاد الفلاحي يزداد قوة يوماً بعد يوم . وتطورت الصناعة الاستراكية وتقدمت . وغت الطبقة العاملة عددياً بشكل محسوس . وارتفعت الاجور ، وصار العمال والفلاحون يعيشون عيشة احسن واكثر يسراً مما في عامي ١٩٢٠ — ١٩٢١ .

غير ان نتائج الخراب الاقتصادي الذي لم تتم تصفيته بعد ، كانت لا تزال

محسوسة . فالصناعة لما تزل متأخرة عن مستوى ما قبل الحرب ، وتطورها لا يجاري تطور حاجات البلاد . وفي نهاية العام ١٩٢٣ ، كان في البلاد زهاء مليون من العمال العاطلين عن العمل . فان البطء في نمو الاقتصاد الوطني لم يكن يسمح بمحو البطالة . وكان تقدم التجارة يتخلله وقفات مفاجئة بسبب الارتفاع الفاحش في اسعار الاصناف المصنوعة في المدينة ، وهي اسعار كان يفرضها على البلاد النيبانيون الاصيلون وكذلك العناصر النيبانية في منظماتنا التجارية . وعلى هذا ، كان الروبل السوفيياتي يتعرض لمتوجبات قوية وقيمته في هبوط . كل ذلك كان يعوق تحسين حالة العمال والفلاحين .

وحوالي خريف ١٩٢٣ تفاقمت الصعوبات الاقتصادية بسبب ما ارتكبه هيئاتنا الصناعية والتجارية من خرق للسياسة السوفيياتية في الاسعار . فلو حظ فرق كبير بين اسعار البضائع الصناعية واسعار المنتجات الزراعية . فاسعار القمح منخفضة ، فيما اسعار الاصناف الصناعية فاحشة ، وكانت التفاعلات العامة في الصناعة مرتفعة ، مما ادى الى غلاء البضائع . وكان النقد الذي يكسبه الفلاحون من بيع قمحهم ، تنخفض قيمته بسرعة . وعلاوة على ذلك ، كانت التروتسكي بياتا كوف المتربع اذ ذاك في « المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني » ، قد اعطى قواد الصناعة تعليمات مجرمة تنص على سحب اكثر ما يمكن من الارباح من بيع البضائع الصناعية ، ورفع الاسعار رفعا لا حد له ، وذلك لتطوير الصناعة على حد زعمه . اما في الواقع ، فكان هذا الشعار النيباني يؤدي فقط الى تضيق قاعدة الانتاج الصناعي وخراب الصناعة . ففي مثل هذه الظروف ، لم يكن من مصلحة الفلاحين ان يقتنوا بضائع المدينة ، فكفوا عن شرائها . فنشأت ازمة في التصريف (١) وتركت اثرها في الصناعة . وبرزت مصاعب في دفع الاجور بما اثار استياء العمال . وحدث في بعض المعامل ان بعض العمال المتأخرين جداً تركوا العمل .

اوضحت اللجنة المركزية للحزب الطريق نحو ازالة هذه المصاعب

والتواقص. فأتخذت تدابير للقضاء على أزمة التصريف وخفضت اسعار المواد الواسعة الاستهلاك. وتقرر اجراء اصلاح تقدي قوامه اعتماد نقد متين ثابت هو التشرفونتر (١) ونظمت قضية دفع الاجور للعمال. وأقرت تدابير مؤدية الى تطوير التجارة عن طريق الهيئات السوفياتية والتعاونية ،والى ابعاد التجار الفرديين والمحتكرين من كل لون عن التجارة .

لقد كان من الضروري الانصراف الى العمل يداً واحدة ، وبسواعد مشرة : ذلك ما كان يفكر به ويعمل له الاناس المخلصون للحزب . ولكن لم يكن كذلك سلوك التروتسكيين . فقد انتهزوا فرصة غياب لينين الذي اجبره المرض الخطير على مغادرة الصفوف ، وشنوا هجوماً جديداً على الحزب وعلى قيادته .وقد قرروا ان الوقت ملائم لسحق الحزب وقلب قيادته . وهم في نضالهم ضد الحزب لم يتورعوا عن استغلال كل شيء ممكن : من اندحار الثورة في المانيا وبلغاريا في خريف عام ١٩٢٣ ، الى المصاعب الاقتصادية في البلاد ، الى مرض لينين . وفي هذه المرحلة على الضبط ، هذه المرحلة المحفوفة بالصعوبات بالنسبة للدولة السوفياتية عندما كان زعيم الحزب مشدوداً الى سريره ، بدأ تروتسكي هجمومه على الحزب البلشفي . فقد جمع حوله كل ما في الحزب من عناصر معادية للينينية ، ووضع منهجاً للمعارضة موجهاً ضد الحزب وضد قيادته وضد سياسته . وقد سُمي هذا المنهج بتصريح ال ٤٦ معارضاً . فقد اتحدت في النضال ضد حزب لينين كل فرق المعارضة : التروتسكيون ، وانصار « المركزية الديمقراطية » . وفلول « الشيوعيين اليساريين » وبقايا « المعارضة العمالية » . وقد تنبأوا في تصريحهم بازمة اقتصادية خطيرة وبانهيار الحكم السوفياتي ، وطالبوا بحرية تشكيل الكتل والفرق الانقسامية باعتبار ان ذلك هو المخرج الوحيد من الحالة .

اي انه كان نضالاً في سبيل اعادة تشكيل الفرق الانقسامية التي منعها المؤتمر العاشر للحزب بناء على اقتراح من لينين .

لم يضع التروتسكيون اية قضية ملموسة هدفها تحسين الصناعة او الزراعة او التجارة الوطنية او حالة الشغيلة ، فان شيئاً من ذلك لم يكن يثير اي اهتمام منهم . كان هناك شيء واحد يهتمون له ، هو انتهاز غياب لينين لاعادة تشكيل الفرق الانقسامية داخل الحزب وزعزعة اسس الحزب ، وزعزعة لجنته المركزية .

وعقب منهج الـ ٤٦ ، اذاع تروتسكي رسالة مرغ فيها ملاكات الحزب في الوحل ، وصاغ فيها سلسلة من الاتهامات الافتراضية الجديدة ضد الحزب . وقد كرر تروتسكي في هذه الرسالة المعزوفات المنشوية القديمة التي كان الحزب قد سمعها يرددتها مرات عديدة .

كان التروتسكيون يهاجمون ، قبل كل شيء ، جهاز الحزب . اذ كانوا يدركون ان الحزب لا يستطيع انه يحيا ويعمل دون جهاز متين البنين . ولذلك سعت المعارضة الى زعزعة هذا الجهاز وتهديمه ، الى اثاره اعضاء الحزب على جهازه ، واثارة الشباب على ملاكات الحزب القديمة . وكان تروتسكي في رسالته يبني أمله على الشبيبة الطلابية ، وعلى اعضاء الحزب الشباب الذين لم يكونوا مطلعين على تاريخ نضال الحزب ضد التروتسكية . وكان تروتسكي ، رغبة منه في كسب الشبيبة المدرسية ، يتملقها ويسميتها « اضمن بارومتر للحزب » ، وكان يصرح في الوقت نفسه ان الحرس اللينيني القديم آخذ في التفسخ . وقد ذكر تروتسكي زعماء الامية الثانية المتفسخين ، ملمحاً بنجسة وسفالة الى ان الحرس البلشفي القديم سائر على خطاهم . على ان تروتسكي ، بصيحاته حول تفسخ الحزب ، انما كان يحاول ستر تفسخه هو نفسه وتغطية مراميه المعادية للحزب .

وقد ارسل التروتسكيون وثيقتي المعارضة هاتين — منهج الـ ٤٦ ورسالة تروتسكي — الى الفروع والخلايا ، ووضعوها للمناقشة بين اعضاء الحزب . لقد كانوا يتحدثون الحزب ويستفزونهم الى النقاش والجدال .

وهكذا كان التروتسكيون ، كما فعلوا قبل المؤتمر العاشر خلال المناقشة

النقابية ، يفرضون الان ايضاً مناقشة عامة على الحزب .  
ورغم ان الحزب كان منهمكاً بقضايا اقتصادية اهم واعظم شأنها ، فقد قبل  
التحدي وفتح المناقشة .

شملت المناقشة مجموع الحزب ، واتخذ النضال طابعاً ضارباً حامي الوطيس  
في موسكو . فقد كان التروتسكيون يسعون الى الاستيلاء قبل كل شيء  
على منظمة العاصمة . غير ان المناقشة لم تكن في عون التروتسكيين بل هي قد  
ادانتهم ، فهزموا هزيمة شنعاء وتلقوا الضربات الساحقة على رؤوسهم في موسكو  
وكذلك في سائر الاتحاد السوفياتي ، ولم يصوت لصالحهم سوى بعض خلايا  
المدارس العالية والادارات .

وفي كانون الثاني ١٩٢٤ ، انعقد المجلس العام الثالث عشر للحزب ،  
فاستمع الى تقرير الرفيق ستالين الذي اعطى نتائج المناقشة . فشجب المجلس  
المعارضة التروتسكية معلناً بان الحزب يواجه فيها انخوفاً بورجوازيّاً صغيراً  
عن الماركسية . وقد نالت مقررات المجلس فيما بعد موافقة المؤتمر الثالث عشر  
للحزب والمؤتمر الخامس للاممية الشيوعية . فان البروليتاريا الشيوعية العالمية  
دعمت الحزب البلشفي وايدته في نضاله ضد التروتسكية .

بيد ان التروتسكيين لم يكفوا عن عملهم التهديمي . ففي خريف ١٩٢٤  
نشر تروتسكي مقالا عنوانه «دروس اكتوبر» حاول فيه ان يجعل التروتسكية  
تحل محل اللينينية . ولم يكن هذا المقال سوى نسيج من الافتراءات على حزبنا  
وعلى قائده لينين . وقد تهافت جميع اعداء الشيوعية والحكم السوفياتي على  
هذه اللائحة الافتراضية . وقد استقبل الحزب بحذق وغضب افتراء تروتسكي على  
تاريخ البلشفية الخافل بالبطولة . وفضح الرفيق ستالين محاولة احلال التروتسكية  
محل اللينينية ، وصرح في تعليقاته بقوله : « ان مهمة الحزب هي دفن  
التروتسكية من حيث هي تيار فكري » .

وكان المؤلف النظري الذي وضعه الرفيق ستالين بعنوان «اسس اللينينية»  
وصدر في ١٩٢٤ ، اهمية كبرى في سحق التروتسكية في الميدان الفكري ،



وفي الدفاع عن اللينينية . ان هذا الكتيب هو عرض فذ رائع ودعم نظري هام للينينية آنذاك ولا يزال يسلح الان بلاشفة العالم بأسره بالسلاح المرفه ، سلاح النظرية الماركسية اللينينية .

في المعارك ضد التروتسكية ، جمع الرفيق ستالين الحزب حول لجنته المركزية وعبأه للنضال المقبل في سبيل انتصار الاشتراكية في بلادنا . وقد استطاع الرفيق ستالين ان يثبت ان سحق التروتسكية فكرياً شرط ضروري لتأمين الحركة الظاهرة الى امام نحو الاشتراكية .

وقد قال الرفيق ستالين ، مستعرضاً نتائج هذه المرحلة من النضال ضد التروتسكية :

« بدون سحق التروتسكية ، من المستحيل تأمين الانتصار في ظروف النيب ( السياسة الاقتصادية الجديدة ) ، من المستحيل تحويل روسيا الحالية الى روسيا اشتراكية » .

بيد ان هذه النجاحات التي احرزتها سياسة الحزب اللينينية ، اتشحت بسواد النكبة العظمى التي اصاب الحزب والطبقة العاملة . ففي الواحد والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٤ مات في مدينة غوركي ، قرب موسكو ، قائدنا ومعلمنا : لينين ، مؤسس الحزب البلشفي . لقد تلقت الطبقة العاملة في العالم بأسره نبأ وفاة لينين كأفدح خسارة وأوجعها . وفي يوم تشييع لينين ، اعلنت البروليتاريا الالمانية وقف العمل لمدة خمس دقائق ، فجمدت السكك الحديدية ، وتوقف العمل في المصانع والمعامل . ان شغيلة العالم بأسره ، شيعوا بحزن عميق اباهم ومريهم ، وخير صديق لهم ومدافع عنهم : لينين .

واجابت الطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي على موت لينين بان ازدادت التفافاً ايضاً وايضاً حول الحزب اللينيني . ففي ايام الحداد هذه ، فكر ملياً كل عامل مدرك في موقفه من الحزب الشيوعي ، الحزب الذي يحقق تعاليم لينين . فانهاالت على لجنة الحزب المركزية ألوف وألوف من الطلبات الصادرة عن العمال للانضمام الى الحزب . فاستجابت اللجنة المركزية الى هذه الحركة التي

يقوم بها عمال الطليعة ، واعلنت قبول العمال الطليعيين في الحزب بصورة جماهيرية : وهي الحركة التي عرفت باسم فوج لينين . وقد دخل الحزب عشرات الالوف من العمال الجدد ، ودخله كل من كان على استعداد للتضحية بحياته في سبيل قضية الحزب ، في سبيل قضية لينين . وخلال فترة قصيرة ، انضم الى صفوف الحزب البلشفي اكثر من ٢٤٠.٠٠٠ عامل . لقد اقبل على الدخول في الحزب القسم المتقدم من الطبقة العاملة ، القسم الاعظم ادراكا وثوريةً ، القسم الاعظم شجاعة وجراً وتقيداً بالنظام . ذلك كان فوج لينين الذي انضم الى الحزب .

لقد بين موت لينين كم كان حزبنا قريباً من جماهير العمال ، وكم كان حزب لينين عزيزاً على العمال .

في ايام الحداد اللينينية هذه ، في المؤتمر الثاني للمجالس السوفياتية في الاتحاد السوفياتي ، اقدم الرفيق ستالين باسم الحزب قسماً عظيماً . قال :

« نحن ، معشر الشيوعيين ، اناس من جبهة خاصة ، اناس قدوا من نسيج خاص . نحن اولئك الذين يؤلفون جيش القائد البروليتاري العظيم ، جيش الرفيق لينين . وليس هناك ماهو اسمى من شرف الانتماء الى هذا الجيش . ليس هناك ما هو اسمى من لقب عضو في الحزب الذي مؤسسه وقائده هو الرفيق لينين . . .

« حين فارقنا الرفيق لينين ، عهد الينا بان نصون عالياً القلب المجيد ، لقب عضو الحزب ، وان نحفظ له طهره ونقاؤه . ونحن نقسم لك ، ايها الرفيق لينين ، بان ننفذ وصيتك بشرف !

« حين فارقنا الرفيق لينين ، اوصانا بان نصون وحدة حزبنا كما نصون انسان اعيننا . ونحن نقسم لك ، ايها الرفيق لينين ، باننا هنا ايضاً صنفق وصيتك بشرف !

« وحين فارقنا الرفيق لينين ، اوصانا بان نصون ديكتاتورية

البروليتاريا وان نوطد دعائهما . ونحن نقسم لك ، ايها الرفيق  
لينين ، باننا لن ندخر وسعاً ، هنا ايضاً ، لكي نحقق وصيتك  
بشرف !

« وحين غادرنا الرفيق لينين ، اوصانا بان نرسخ ونوطد  
بكل قوانا التحالف بين العمال والفلاحين . ونحن نقسم  
لك ، ايها الرفيق لينين ، باننا هنا ايضاً سننجز وصيتك  
بشرف !

« ولقد حدثنا الرفيق لينين دائماً ودون كلل عن ضرورة  
التحالف الاختياري الحر بين شعوب بلادنا ، وعن ضرورة تعاونها  
الاخوي في نطاق اتحاد الجمهوريات . وحين فارقنا الرفيق لينين ،  
اوصانا بان نوطد وان نوسع اتحاد الجمهوريات . ونحن نقسم  
لك ، ايها الرفيق لينين ، باننا سننجز بشرف وصيتك هذه  
ايضاً !

« لقد بين لنا لينين غير مرة ان تقوية الجيش الاحمر والسير  
به نحو الكمال هما مهمة من اعظم المهمات شأنًا امام حزبنا .  
فلنقسم اذن ايها الرفاق ، بالانوفر جهداً في سبيل تقوية جيشنا  
الاحمر واسطولنا الاحمر !

« وحين غادرنا الرفيق لينين ، اوصانا بالامانة لمبادئ الاممية  
الشيوعية ، ونحن نقسم لك ايها الرفيق لينين ، باننا لن نضن  
بحياتنا في سبيل توطيد وتوسيع اتحاد شغيلة العالم بامره ، الاممية  
الشيوعية ! »

ذلك كان عهد الحزب البلشفي لزعيمه لينين ، هذا العهد الذي سيبقى حياً  
خالداً على كبر العصور .

وفي ايار ١٩٢٤ ، انعقد المؤتمر الثالث عشر للحزب . وقد حضر

المؤتمر ٧٤٨ مندوباً بأصوات فعلية يمثلون ٧٣٥,٨٨١ عضواً في الحزب . وكانت هذه الزيادة الضخمة في عدد اعضاء الحزب بالنسبة للمؤتمر السابق ناشئة عن انضمام زهاء ٢٥٠ الف عضو جديد الى صفوف الحزب حين اعلان فوج لينين . وكان المندوبون بأصوات استشارية ٤١٦ مندوباً .

وقد شجب المؤتمر بالاجماع منهج المعارضة التروتسكية ، ونعته بأنه انحراف بورجوازي صغير عن الماركسية ، وأنه تحريف للينينية ، وايد المؤتمر قرارات المجلس العام الثالث عشر للحزب : « حول بناء الحزب » و « حول نتائج المناقشة » .

وتفصيلاً لمهمة العمل على تقوية التحالف بين المدينة والريف ، اعطى المؤتمر تعليمات ترمي الى الاستمرار في تطوير الصناعة ، وفي الدرجة الاولى الصناعة الخفيفة ، مع تأكيد في الوقت نفسه ضرورة التعجيل في اغناء صناعة التعدين .

وصادق المؤتمر على انشاء مفوضية الشعب للتجارة الداخلية ، ووضع امام جميع الهيئات التجارية مهمة الاستيلاء على السوق وازاحة الرأسمال الخاص من ميدان التجارة .

ووضع المؤتمر مهمة توسيع القروض الرخيصة التي تمنحها الدولة للفلاحين ، وازاحة المزايا من الريف .

واشار المؤتمر الى ان المهمة الرئيسية في العمل في الارياف ، هي شعار السعي بجميع الوسائل لتعميم التعاونيات بين جماهير الفلاحين .

واخيراً بين المؤتمر ما لحركة فوج لينين من اهمية عظيمة ، ولفت انتباه الحزب الى تقوية العمل لتثقيف اعضاء الحزب الشباب ، وبالدرجة الاولى افراد فوج لينين ، بمبادئ اللينينية .

هـ - الاتحاد السوفياتي في نهاية مرحلة العمل  
لأحياء الاقتصاد الوطني - مسألة الانشاء  
الاشتراكي وانتصار الاشتراكية في بلادنا -  
معارضة زينوفييف وكامينيف المسماة « المعارضة  
الجديدة » - المؤتمر الرابع عشر للحزب -  
التوجه نحو التصنيع الاشتراكي للبلاد .

انصرمت اربع سنوات من العمل العنيد الدائب يقوم به الحزب  
البلشفي والطبقة العاملة في طريق السياسة الاقتصادية الجديدة ، واشرف على  
النهاية العمل البطولي الرامي الى احياء الاقتصاد الوطني ، وتعاضلت اكثر  
فاكثر قوة الاتحاد السوفياتي الاقتصادية والسياسية .

في هذه الفينة ، كان الوضع الدولي قد تغير . فان الرأسمالية صمدت  
لاول هجوم ثوري قامت به الجماهير في اعقاب الحرب الاستعمارية . وسُحقت  
الحركة الثورية في المانيا وايطاليا وبلغاريا وبولونيا وفي عدد من البلدان  
الاخرى . وقد ساعد البورجوازية في ذلك زعماء الاحزاب الاشتراكية  
الديموقراطية التغاهمية . جاءت مرحلة التراجع الموقت ، الجزر الموقت ، للثورة .  
وجاءت مرحلة الاستقرار الموقت الجزئي للرأسمالية في اوروبا الغربية ،  
مرحلة توطيد مواقعها وتوطيداً جزئياً . غير ان استقرار الرأسمالية لم يمح  
التناقضات الاساسية التي تمرق المجتمع الرأسمالي ، بل على العكس ، فأت  
الاستقرار الجزئي للرأسمالية زاد في احتدام التناقضات بين العمال والرأسماليين ،  
وبين الاستعمار وشعوب المستعمرات ، وبين الجماعات الاستعمارية لمختلف  
البلدان . ان استقرار الرأسمالية هيئاً انفجاراً جديداً للتناقضات ، وازمات  
جديدة في بلدان الرأسمالية .

والى جانب استقرار الرأسمالية ، كان يجري استقرار الاتحاد السوفياتي .  
غير ان هذين الاستقرارين كانا مختلفان احدهما عن الآخر ، اختلافاً اساسياً

جذرياً . فقد كان الاستقرار الرأسمالي يندّر بازمة جديدة للرأسمالية ، اما استقرار الاتحاد السوفياتي فكان يعني نمواً جديداً في القوة الاقتصادية والسياسية لبلاد الاشتراكية .

وعلى الرغم من اندحار الثورة في الغرب ، ظل الوضع الدولي للاتحاد السوفياتي يقوى ويتوطد ، ولكن بسرعة اقل من ذي قبل .

ففي عام ١٩٢٢ ، دعي الاتحاد السوفياتي الى مؤتمر اقتصادي دولي عقد في مدينة جنوى الايطالية . وحاولت الحكومات الاستعمارية في هذا المؤتمر ، وقد شجعتها اندحار الثورة في البلدان الرأسمالية ، ان توقع ضغطاً جديداً على جمهورية السوفيات ، في شكل دبلوماسي هذه المرة . فطلب الاستعماريون من بلاد السوفيات طلبات بخجلة فاضحة : طلبوا اعادة المصانع والمعامل التي اغتبتها ثورة اوكتوبر الى الرأسماليين الاجانب ، ودفع جميع ديون الحكومة القيصرية . ومقابل هذين الشرطين ، كانت الدول الاستعمارية تمني الدولة السوفياتية بقروض ، وقروض تافهة فوق ذلك !

فرد الاتحاد السوفياتي هذه الطلبات .

ولم يسفر مؤتمر جنوى عن اية نتيجة .

كذلك التهديد بتدخل مسلح جديد ، الذي وجهه وزير الخارجية الانكليزي كورزون في ١٩٢٣ بشكل انذار ، قوبل بالرد الذي يستحقه .

فلما خبرت الدول الرأسمالية متانة الحكم السوفياتي ، واقتنعت بانه ثابت وطيّد ، اخذت ، دولة بعد دولة ، تعيد انشاء العلاقات الدبلوماسية مع بلادنا . فخلال العام ١٩٢٤ ، اقيمت العلاقات الدبلوماسية مع انكلترا وفرنسا واليابان وايطاليا .

ووضع ان بلاد السوفيات استطاعت الفوز بمرحلة كاملة من المهادة للسلمية . كذلك تغير الوضع الداخلي في البلاد . فان العمل المغمم بالتفاني ونكران الذات الذي قام به العمال والفلاحون بقيادة الحزب البلشفي اعطى ثماره . كان الاقتصاد الوطني ينمو نمواً سريعاً . فخلال السنة الاقتصادية

١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، اقتربت الزراعة من مستوى ما قبل الحرب ، اذ بلغت ٨٧ بالمئة من هذا المستوى . وانتجت الصناعة الكبرى في الاتحاد السوفياتي ، خلال ١٩٢٥ ، ما يعادل ثلاثة ارباع الانتاج الصناعي في فترة ما قبل الحرب . واستطاعت بلاد السوفيات ، في ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، ان توظف في الاعمال الانشائية الكبرى ٣٨٥ مليوناً من الروبلات . وكان برنامج كهربة البلاد يسير بنجاح . واخذت تقوى وتتوطد المواقع القيادية التي تتسمها الاشتراكية في الاقتصاد الوطني . وحرزت نجاحات ذات شأن في النضال ضد الرأسمال الخاص في الصناعة والتجارة .

ونجم عن النهوض الاقتصادي تحسين جديد في حالة العمال والفلاحين . وسار النمو العددي للطبقة العاملة بسرعة كبرى . وازدادت اجور العمال . وارتفعت انتاجية العمل . وتحسنت حالة الفلاحين المادية تحسناً ملحوظاً . واستطاعت دولة العمال والفلاحين ، في ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، تخصيص مبلغ قدره ٢٩٠ مليون روبل لمساعدة الفلاحين الصغار . وعلى اساس التحسن في حالة العمال والفلاحين ، تطور نشاط الجماهير السياسي بقوة ، وتوطدت ديكتاتورية البروليتاريا ورسخت اركانها . وغا نفوذ الحزب البلشفي وتعاظمت هيئته .

كان انهاض الاقتصاد الوطني يشرف على نهايته . غير ان بلاد السوفيات ، البلاد التي تبني الاشتراكية ، ما كانت لتكتفي بانهاض الاقتصاد وحسب ، ما كانت لتكتفي ببلوغ مستوى ما قبل الحرب وحسب . فان مستوى ما قبل الحرب كان مستوى بلد متأخر . كان من الواجب الانطلاق الى امام . وكانت المهام الطويلة التي فازت بها الدولة السوفياتية تؤمن لها امكان متابعة العمل الانشائي .

ولكن هناك كانت تبرز ، بكل قوة ، مسألة آفاق تطورها ، مسألة طابع تطورها وطابع البناء الذي ننشئه ، مسألة مصير الاشتراكية ومقدرانها في الاتحاد السوفياتي . ففي اي اتجاه ينبغي توجيه البناء الاقتصادي في الاتحاد

السوفياتي ؟ في اتجاه الاشتراكية ام في اتجاه آخر من الاتجاهات ؟ هل ينبغي علينا ، وهل في استطاعتنا ، ان نبني الاقتصاد الاشتراكي ، ام كتب علينا تمهيد التربة لاقتصاد آخر ، للاقتصاد الرأسمالي ؟ وهل من الممكن ، بصورة عامة ، بناء الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ؟ واذا كانت الجواب بالايجاب ، فهل من الممكن بناؤه فيما الثورة في البلاد الرأسمالية قد تأخرت ، والرأسمالية قد استقرت ؟ وهل من الممكن بناء الاقتصاد الاشتراكي عن طريق السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي ، مع توطيدها وتوسيعها قسوى الاشتراكية في البلاد بكل ما في المستطاع ، تسجل في الوقت نفسه ، آتياً ، بعض التقدم للرأسمالية ايضاً ؟ وكيف ينبغي بناء الاقتصاد الوطني ، الاشتراكي ، ومن اي طرف نبدأ هذا البناء ؟

كل هذه الاسئلة كانت مطروحة على الحزب في نهاية مرحلة الانهاض ، لا من حيث هي قضايا نظرية ، بل من حيث هي قضايا عملية ، قضايا الانشاء الاقتصادي في كل يوم .

كان من الضروري تقديم اجوبة واضحة وجلية على كل هذه الاسئلة ، لكي يعلم مناخلو حزبنا العاملون في الاقتصاد الوطني والقائون ببناء الصناعة والزراعة ، ولكي يعلم الشعب بأسره ، في اي اتجاه ينبغي السير : نحو الاشتراكية ام نحو الرأسمالية ؟

بدون اجوبة واضحة على هذه الاسئلة ، كان اصبح كل نشاطنا العملي في البناء نشاطا لا آفاق له ، نشاطا على العمياء ، نشاطا فارغا . وقد اجاب الحزب على كل هذه الاسئلة باجوبة واضحة ودقيقة .

قال الحزب : نعم ، يمكن ويجب بناء اقتصاد اشتراكي في بلادنا ، لان لدينا كل ما هو ضروري لاجل بناء الاقتصاد الاشتراكي ، لاجل بناء المجتمع الاشتراكي الكامل . في ١٩١٧ ، انتصرت الطبقة العاملة على الرأسمالية سياسياً ، اذ اقامت ديكتاتوريتها السياسية . ومنذ ذلك الحين اتخذ الحكم السوفياتي كل التدابير لتحطيم القوة الاقتصادية للرأسمالية ، ولخلق الشروط الضرورية لبناء



الاقتصاد الاشتراكي في البلاد . وهذه التدابير هي : تجريد الرأسمالين و كبار اصحاب الاراضي من املاكهم ، تحويل الارض والمصانع والمعامل وطرق المواصلات والبنوك الى ملكية وطنية عامة ، انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، بناء صناعة اشتراكية للدولة ، تطبيق البرنامج التعاوني اللينيني . اما الان ، فالمهمة الاساسية هي العمل في طول البلاد وعرضها على بناء اقتصاد جديد ، اشتراكي ، وبذلك يتم الانتصار على الرأسمالية اقتصادياً ايضاً . فينبغي اخضاع كل شغلنا العملي وكل افعالنا لما يقتضيه تنفيذ هذه المهمة الاساسية . ان الطبقة العاملة قادرة على النهوض بهذا الواجب وستنهض به . وينبغي البدء بتنفيذ هذه المهمة العظيمة عن طريق الشروع في تصنيع البلاد . فالتصنيع الاشتراكي للبلاد هو الحلقة الاساسية التي ينبغي البدء منها للانطلاق والتوسع في بناء الاقتصاد الوطني ، الاشتراكي . ولا يمكن ان يوقف سيرنا الى امام نحو الاشتراكية ، لا تأخر الثورة في الغرب ، ولا الاستقرار الجزئي للرأسمالية في البلدان غير السوفياتية . ولا يمكن للسياسة الاقتصادية الجديدة الا ان تسهل مهمتنا ، مادام الحزب قد وضعها خصيصاً لتسهيل بناء الاسس الاشتراكية لاقتصادنا الوطني .

ذلك كان الجواب الذي اعطاه الحزب على مسألة انتصار البناء الاشتراكي في بلادنا .

بيد ان الحزب كان يعرف جيداً ان قضية انتصار الاشتراكية في بلد واحد لا تقتصر على ذلك فقط . فان بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي يمثل انعطافاً عظيماً في تاريخ الانسانية ، وانتصاراً تاريخياً عالمياً للطبقة العاملة والفلاحين في الاتحاد السوفياتي . الا ان هذا البناء هو عمل داخلي للاتحاد السوفياتي ، ولا يمثل سوى جزء من قضية انتصار الاشتراكية . اما الجزء الآخر من القضية ، فهو ناحيتها الدولية . وحين دعم الرفيق ستالين الرأي القائل بانتصار الاشتراكية في بلد واحد ، اشار كثيراً من المرات الى ان من الواجب التمييز بين جانبيين في هذه القضية : الجانب الداخلي والجانب الدولي . فمما يتصل بالجانب الداخلي

للقضية ، اي العلاقات بين الطبقات في داخل البلاد ، فان الطبقة العاملة والفلاحين في الاتحاد السوفياتي قادرون تماماً على التغلب اقتصادياً على بورجوازيتهم ، وبناء مجتمع اشتراكي كامل . الا ان هناك ايضاً الناحية الدولية من القضية ، اي ميدان العلاقات الخارجية ، ميدان العلاقات بين البلاد السوفياتية والبلدان الرأسمالية ، بين الشعب السوفياتي والبورجوازية العالمية التي تكبره النظام السوفياتي اشد الكره وتتحين فرصة للقيام بتدخل مسلح جديد ضد بلاد السوفيات ، للقيام بمساع جديدة لاعادة الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي . وبما ان الاتحاد السوفياتي هو بعد ، البلد الاشتراكي الوحيد ، فيما البلدان الاخرى لا تزال رأسمالية ، فان التطويق الرأسمالي حول الاتحاد السوفياتي لا يزال مستمراً ، وهو مصدر لخطر تدخل رأسمالي . فمن الواضح انه ما دام التطويق الرأسمالي موجوداً ، يظل خطر التدخل الرأسمالي كذلك ماثلاً . فهل يستطيع الشعب السوفياتي ، بقواه وحدها ، ازالة هذا الخطر الخارجي ، خطر تدخل رأسمالي ضد الاتحاد السوفياتي ؟ كلا ، لا يستطيع . لا يستطيع لانه لا بد ، لمحو خطر التدخل الرأسمالي ، من محو التطويق الرأسمالي ، ومحو التطويق الرأسمالي ممكن فقط بنتيجة ثورة بروتيتارية ظافرة في عدة بلدان على الأقل . وابتج من ذلك ان انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، الذي يتمثل في تصفية النظام الرأسمالي للاقتصاد وفي بناء النظام الاشتراكي للاقتصاد ، لا يمكن مع ذلك اعتباره انتصاراً نهائياً ما دام الخطر من التدخل المسلح الاجنبي ومن المحاولات لاعادة الرأسمالية ، ماثلاً ، وما دامت بلاد الاشتراكية غير مضمونة ضد مثل هذا الخطر . فلاستئصال خطر التدخل الرأسمالي الاجنبي ينبغي استئصال التطويق الرأسمالي .

صحيح ان الشعب السوفياتي وجيشه الاحمر ، نظراً للسياسة الصحيحة التي يسير عليها الحكم السوفياتي ، يستطيعان الرد على اي تدخل رأسمالي اجنبي جديد بما يستحقه ، كما فعلا حيال التدخل الرأسمالي الاول في الاعوام ١٩١٨ — ١٩٢٠ . ولكن ذلك لا يعني بعد ، محو خطر تدخلات رأسمالية جديدة .

فان اندحار التدخل الاول لم يمح خطر تدخل جديد ، ذلك لان مصدر خطر التدخل — وهو التطويق الرأسمالي — لم يزل موجوداً . ولهذا فان اندحار تدخل جديد ، كذلك ، لن يزيل خطر التدخل ، فيما اذا ظل التطويق الرأسمالي موجوداً .

وينتج من هذا ان انتصار الثورة البروليتارية في البلدان الرأسمالية ، فيه مصلحة حيوية لشغيلة الاتحاد السوفياتي .

تلك كانت وجهة نظر الحزب فيما يتعلق بانتصار الاشتراكية في بلادنا . وقد أصرت اللجنة المركزية على مناقشة وجهة النظر هذه في المجلس الوطني الرابع عشر للحزب الذي كان على وشك الانعقاد ، وذلك لكي تحصل الموافقة عليها ويتم تبنيها بوصفها اتجاهاً للحزب ، بوصفها قانوناً للحزب ، اجبارياً لكل اعضاءه .

لقد كان لهذا الاتجاه اثر شديد في المعارضة اذهلها واشاع الاضطراب في صفوفها . وذلك ، بالدرجة الاولى ، لان الحزب اضفى على هذا الاتجاه طابعاً عملياً وماموساً ، وربطه بالبرنامج العملي للتصنيع الاشتراكي في البلاد ، وطلب ان يتخذ شكل قانون حزبي ، شكل قرار صادر عن المجلس الوطني الرابع عشر للحزب ، اي اجباري لجميع اعضاء الحزب .

وقف التروتسكيون ضد اتجاه الحزب ، وعارضوه بنظرية منشفيكية اسمها « نظرية الثورة الدائمة » ، التي لا يمكن تسميتها بنظرية ماركسية الا من قبيل الهزء بالماركسية ، والتي كانت تنكر امكان انتصار البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي .

ولم يجرأ البوخارينيون ان يعارضوا اتجاه الحزب . معارضة صريحة . غير انهم عارضوه مع ذلك ، تحت ستار من الرياء والتفاق بـ « نظريتهم » عن اندماج البورجوازية اندماجاً سلمياً في الاشتراكية ، واكلوها بشعار «جديد» هو : « اغنوا وازيدوا ثروتكم ! » . فقد كان رأي البوخارينيين ان انتصار الاشتراكية لا يعني تصفية البورجوازية ، بل يعني تنشيط تطورها وزيادة

ثروتها وغناها .

اما زينو فييف وكامينيف ، فقد غامرا وقتاً ما ، باعلان ان انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي مستحيل بسبب تأخره الاقتصادي والتكنيكي ، ولكنهما ما لبثا ان اضطرا الى العودة الى وكرهما .

شجب المجلس الرابع عشر للحزب ( المنعقد في نيسان ١٩٢٥ ) كل هذه « النظريات » الاستسلامية ، التي وضعها اعضاء المعارضة ، السافرون منهم والمتسترون ، وصادق في قرار خاص على الاتجاه الذي اعطاه الحزب نحو انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي .

واضطر زينو فييف وكامينيف ، وقد أُخرجوا ولم يجدوا حجة ، الى التصويت على القرار . ولكن الحزب كان يعلم انها اما اجلا نضالها ضده ، وانها قررا « شن المعركة على الحزب » في مؤتمره الرابع عشر . وقد جمعا انصارهما في لينينغراد وشكلا ما سمي بـ « المعارضة الجديدة » .

وفي كانون الاول ١٩٢٥ ، افتتح المؤتمر الرابع عشر للحزب . وقد جرى المؤتمر في وضع من التوتر داخل الحزب . فمذ وجود الحزب ، لم تنشأ فيه مثل هذه الحالة حيث اعتزم وفد كامل عن مركز كبير من مراكز الحزب ، مثل وفد لينينغراد ، ان يقف ضد لجنته المركزية .

حضر المؤتمر ٦٦٥ مندوباً باصوات فعلية و ٦٤١ باصوات استشارية . وكانوا يمثلون ٦٤٣ الف عضو في الحزب و ٤٤٥ الف مرشح ، اي اقل قليلا بما في المؤتمر السابق ، وكان ذلك من نتائج التطهير الجزئي الذي جرى في خلايا المدارس العالية والادارات التي تبين انها مشحونة بعناصر معادية للحزب .

وقد قدم الرفيق ستالين التقرير السياسي للجنة المركزية ، فرسم لوحة رائعة عن تقدم قدرة الاتحاد السوفياتي السياسية والاقتصادية . فالصناعة وكذلك الزراعة ، تمّ انهاضهما في فترة من الزمن قصيرة نسبياً ، بفضل مزايا النظام السوفياتي في الاقتصاد ، وقد اخذتا تقتربان من مستوى ما قبل الحرب . ولكن رغم هذه النجاحات ، دعا الرفيق ستالين الى عدم الركون

الى ذلك وعدم الاستسلام الى الاطمئنان وهدوء البال ، ما دامت هذه النجاحات لم تقض على الواقع التالي ، وهو ان بلادنا ما زالت بلاداً متأخرة ، زراعية . فالزراعة كانت تقدم ثلثي مجموع الانتاج فيما تقدم الصناعة ثلثه فقط . وقد قال الرفيق ستالين بأن مسألة تحويل بلادنا الى بلاد صناعية ، مستقلة اقتصادياً عن البلدان الرأسمالية ، موضوعة بكل اتساعها امام الحزب . وفي الامكان تحقيق ذلك ، ومن الواجب تحقيقه . لقد اصبحت مهمة الحزب المركزية النضال في سبيل تصنيع البلاد تصنيعاً اشتراكياً ، النضال في سبيل انتصار الاشتراكية . وقد اعلن الرفيق ستالين :

« ان تحويل بلادنا من بلاد زراعية الى بلاد صناعية قادرة على ان تنتج بقواها الخاصة التجهيزات والادوات الضرورية ، هو جوهر خطتنا العامة واساسها » .

كان من شأن التصنيع الاشتراكي للبلاد ان يؤمن استقلالها الاقتصادي وان يقوي مقدراتها الدفاعية وان يخلق الشروط الضرورية لانتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي .

وقد ناض الزينوفيفيون خطة الحزب العامة . وعارض الزينوفيفي سوكولنيكوف ، برنامج ستالين عن التصنيع الاشتراكي ، بالبرنامج البورجوازي الذي كان رائجاً بين ذئاب الاستعمار . فكان على الاتحاد السوفياتي حسب هذا البرنامج ، ان يبقى يلاً زراعية ، تنتج بالدرجة الاولى ، مواد اولية ومنتجات زراعية ، وتصدرها الى الخارج ، وتستورد من هناك ، بدلا منها ، الآلات التي لا تصنعها هي ، والتي ينبغي ان لاتصنعها . كان هذا البرنامج ، في ظروف عام ١٩٢٥ ، برنامجاً لاستعباد الاتحاد السوفياتي اقتصادياً من قبل البلدان الاجنبية المتطورة صناعياً ، برنامجاً لادامة تأخر الاتحاد السوفياتي صناعياً ولارضاء ذئاب الاستعمار في البلاد الرأسمالية ارضاء تاماً .

كان قبول هذا البرنامج معناه تحويل بلادنا الى ذيل عاجز ، ذيل زراعي للعالم الرأسمالي ، وتركها عزلاء هزيلة حيال التطويق الرأسمالي ، وبالتالي دفن

قضية الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وقبرها .  
وقد شجب المؤتمر « برنامج » الزينوفييفيين الاقتصادي باعتباره برنامجاً  
لاستعباد الاتحاد السوفياتي .

كذلك فشلت « المعارضة الجديدة » فيما قامت به من مناورات ، كأكيدها  
( رغم لينين ! ) ان صناعة الدولة عندنا ، ليست صناعة اشتراكية ، وكاعلائها  
( كذلك رغم لينين ! ) ان الفلاح المتوسط لا يمكن ان يكون حليف الطبقة  
العامة في قضية البناء الاشتراكي .

وقد شجب المؤتمر هذه المناورات من جانب « المعارضة الجديدة » بوصفها  
مناقضة للينينية .

وفضح الرفيق ستالين الجوهر المشفيكي — التروتسكي لـ « المعارضة الجديدة » ،  
وبيّن ان زينوفييف وكامينيف انما يرددان معزوفات اعداء الحزب ، الذين  
شن عليهم لينين في حينه نضالاً لا هوادة فيه .

كان واضحاً ان الزينوفييفيين ما هم سوى تروتسكيين لم يحسنوا التستر .  
أكد الرفيق ستالين ان اعظم مهام الحزب شأناً هي تأمين التحالف الوطيد  
بين الطبقة العامة وبين الفلاح المتوسط في العمل لبناء الاشتراكية . وأشار الى  
انحرافين كانا موجودين اذ ذاك في الحزب حول القضية الفلاحية ، ويمثلان خطراً  
على قضية هذا التحالف . الانحراف الاول : تقدير خطر الكولاك باقل مما هو ،  
وتصغيره . الانحراف الثاني : الارتباك امام الكولاك والدعر منه ، وتقدير  
دور الفلاح الوسط باقل مما هو . ولكن اي الانحرافين كان اشد خطراً ؟ اجاب  
الرفيق ستالين على هذا السؤال بقوله : « كلاهما ، الانحراف الاول والثاني ،  
اسوأ من الآخر . واذا امتد هذان الانحرافان واتسعا ، فهما قادران على تفسير  
الحزب والسير به نحو هلاكه . ولكن لدينا في الحزب ، لحسن الحظ ، قوى  
في استطاعتها بتر الانحراف الاول والثاني كليهما » .

وفي الواقع ، سحق الحزب وبتر الانحراف « اليساري » والانحراف  
اليميني كليهما .

وعندما اجرى المؤتمر الرابع عشر للحزب رصيد المناقشات التي دارت حول الانشاء الاقتصادي ، رد بالاجماع المناهج الاستسلامية التي صاغتها المعارضة ، وكتب في قراره الشهير :

« في ميدان الانشاء الاقتصادي ، ينطلق المؤتمر من الواقع التالي وهو ان بلادنا ، بلاد ديكتاتورية البروليتاريا ، تملك « كل ما هو ضروري لبناء المجتمع الاشتراكي الكامل » ( لينين ) . ويرى المؤتمر ان النضال من اجل انتصار البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ، هو مهمة حزبنا الاساسية » .

وصدق المؤتمر الرابع عشر النظام الداخلي الجديد للحزب . واعتباراً من المؤتمر الرابع عشر ، اصبح اسم حزبنا : الحزب الشيوعي ( البلشفي ) لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية .

وقد رفض الزينوفييفيون ، الذين هزموا في المؤتمر ، ان يخضعوا للحزب ، وبدأوا النضال ضد مقررات المؤتمر الرابع عشر . وبعد المؤتمر فوراً ، عقد زينوفييف اجتماعاً للجنة الشبيبة الشيوعية في منطقة لينينغراد التي كان زينوفييف وزالوتسكي وباكايف وافدوكيموف وكوكلين وسافاروف وآخرون ايضاً من ذوي الوجهين ، قد ربوا قيادتها بروح الكره للجنة الحزب المركزية اللينينية . وفي هذا الاجتماع اتخذت لجنة الشبيبة الشيوعية في منطقة لينينغراد قراراً ، لم يُسمع بمثله في تاريخ الشبيبة الشيوعية اللينينية في الاتحاد السوفياتي ، برفض الخضوع لمقررات المؤتمر الرابع عشر للحزب .

غير ان القيادة الزينوفييفية للشبيبة الشيوعية في لينينغراد ما كانت تعكس بوجه من الوجوه الحالة الفكرية للجماهير الشبيبة الشيوعية في لينينغراد . ولذلك دُحِرت وهُزمت بسهولة ، وسرعان ما عادت منظمة الشبيبة الشيوعية في لينينغراد الى احتلال المكان اللائق بها في الشبيبة الشيوعية .

وما ان انت اعمال المؤتمر الرابع عشر على نهايتها ، حتى أُرسل الى لينينغراد فريق من المندوبين هم الرفاق مولوتوف ، كيروف ، فوروشيلوف ، كالينين ،

اندرريف ، وآخرون . اذ كان من الواجب تنوير اعضاء المنظمة الحزبية في لينينغراد ، حول الطابع المجرم المعادي للبشرية ، طابع ذلك الموقف الذي اتخذه في المؤتمر وفد لينينغراد الذي لم ينل تفويضه الا بطريق الخداع . وقد جرت الاجتماعات التي عقدت لشرح اعمال المؤتمر في جو عاصف . وعقد مجلس عام استثنائي لمنظمة لينينغراد الحزبية فكان ان ايدت الجماهرة الساحقة من اعضاء منظمة لينينغراد الحزبية ، ( اكثر من ٩٧ بالمئة ) مقررات المؤتمر الرابع عشر للحزب تأييداً تاماً ، واستنكروا « المعارضة الجديدة » الزينوفيفية المعادية للحزب . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه المعارضة تمثل جنرالات بدون جيش !

وظل بلاشفة لينينغراد في الصف الاول من حزب لينين وستالين . وقد استعرض الرفيق ستالين اعمال المؤتمر الرابع عشر للحزب فكتب ما يلي :

« ان الامة التاريخية للمؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، هي في انه عرف ان يعرّي اخطاء المعارضة الجديدة حتى جذورها ، وانه رمى بعيداً عنه عدم ايمانها وتأوهاتها ورسم ، بوضوح ودقة ، الطريق لمتابعة النضال في سبيلن الاشتراكية ، وفتح امام الحزب آفاق الانتصار ، وبالتالي ، سلح البروليتاريا بايمان لا يتزعزع في انتصار البناء الاشتراكي » ( ستالين — مسائل اللينينية الفصل السابع ) .



# خلاصة

ان سنوات الانتقال الى العمل السلمي لبناء الاقتصاد الوطني ، تؤلف مرحلة من اهم المراحل الفاصلة في تاريخ الحزب البلشفي . ففي جو بالغ التوتر ، عرف الحزب ان يقوم بالانعطاف المحفوف بالصعوبات من سياسة شيوعية الحرب الى السياسة الاقتصادية الجديدة ، ووطد الحزب التحالف بين العمال والفلاحين على اساس اقتصادي جديد ، وأنشئ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وبواسطة اساليب السياسة الاقتصادية الجديدة ، تم الحصول على نجاحات حاسمة في انهاء الاقتصاد الوطني واجتازت بلاد السوفيات بنجاح مرحلة الانهاض في تطوير الاقتصاد الوطني ، وأخذت تنتقل الى مرحلة جديدة هي مرحلة تصنيع البلاد .

ان الانتقال من الحرب الاهلية الى البناء الاشتراكي السلمي ، رافقته ، خصوصاً في الايام الاولى ، صعوبات جسيمة . فطوال هذه المرحلة ، شن اعداء البلشفية ، والعناصر المعادية في صفوف الحزب البلشفي بالاتحاد السوفياتي نضالاً ضارياً ضد الحزب اللينيني . وكان تروتسكي يقف على رأس هذه العناصر العدو للحزب . وكان اعوانه في هذا النضال : كامينيف وزينوفيف وبوخارين . وكان في حساب المعارضة ان تفسخ صفوف الحزب البلشفي بعد موت لينين ، وان تقسمه على نفسه ، وان تبث فيه عدم الايمان في قضية انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي . واذا اخذنا بجوهر الامور ، فإن التروتسكيين كانوا يحاولون ان ينشئوا في الاتحاد السوفياتي منظمة سياسية للبورجوازية الجديدة ، ان ينشئوا حزباً آخر ، حزب العمل لاعادة الرأسمالية .

ولكن الحزب رصّ صفوفه تحت راية لينين ، وحول جنته المركزية اللينينية وحول الرفيق ستالين ، وألحق الهزيمة بالتروتسكيين ، كما باصدقائهم الجدد في لينينغراد ، اي معارضة زينوفيف — كامينيف الجديدة . وبعد ان كدس الحزب البلشفي القوى والوسائل ، قاد البلاد الى مرحلة تاريخية جديدة ، مرحلة التصنيع الاشتراكي .

## الفصل العاشر

الحزب البلشفي في النضال لاجل  
تصنيع البلاد تصنعاً اشتراكياً  
( ١٩٢٦ - ١٩٢٩ )

١ - مصاعب مرحلة التصنيع الاشتراكي  
والنضال ضد هذه المصاعب - تكوين  
الكتلة التروتسكية الزينوفييفية للنضال  
ضد الحزب - عمل الكتلة المعادي  
للسوفييات - هزيمة الكتلة

على اثر المؤتمر الرابع عشر ، وسّع الحزب نضاله في سبيل تطبيق الاتجاه  
العام للحكم السوفيياتي نحو التصنيع الاشتراكي للبلاد .  
في مرحلة الانهاض كانت المهمة الاولى هي انعاش الزراعة ، والحصول  
منها على المواد الاولى والمنتجات الزراعية ، ثم تحريك الصناعة وانهاضها ،  
وارجاع المصانع والمعامل الموجودة الى حالتها الطبيعية .  
وقد حقق حكم السوفييات هذه المهمات بسهولة نسبياً . ولكن كانت في  
مرحلة الانهاض ثلاث نقائص خطيرة .  
فاولاً ، كانت المصانع والمعامل الموجودة آنذاك ، مصانع ومعامل تكتنيكها

قديم ومتأخر ، وقد لا يطول الوقت بها حتى تصبح غير صالحة للاستعمال .  
فكان الواجب يتضي باعادة تجهيزها على اساس تكتيكي حديث .

ثانيا ، كانت الصناعة الموجودة في مرحلة الانهاض ، ذات اساس ضيق جداً .  
فإن المصانع والمعامل الموجودة كانت تنقصها عشرات ومئات من معامل  
الانشاءات الميكانيكية التي كانت ضرورية للبلاد ضرورة مطلقة . ولما كانت غير  
موجودة اذ ذاك ، فكان ينبغي انشاؤها ، اذ ان صناعة محرومة من مثل هذه  
المعامل لا يمكن اعتبارها صناعة حقيقية . فكانت المهمة الموضوعة هي انشاء  
هذه المعامل وتزويدها بتكتيك عصري حديث .

ثالثا ، كان الاهتمام ، في مرحلة الانهاض ، منصرفا بوجه خاص الى الصناعة  
الخفيفة ، وقد تطورت آنذاك واخذت في المسير . ولكن لم يلبث تطور الصناعة  
الخفيفة نفسها ان اصطدم بضعف الصناعة الثقيلة ، فضلا عن حاجات البلاد  
الاخري التي لم يكن من الممكن تلبيتها ، الا بوجود صناعة ثقيلة متطورة .  
فكان الواجب يتضي الآن بصرف الجهد الى الصناعة الثقيلة .  
جميع هذه المهام الجديدة ، كان من الواجب ان تحلها سياسة التصنيع  
الاستراتيجي .

كان ينبغي ان تنشأ من جديد ، سلسلة من الصناعات لم تكن موجودة  
في روسيا القيصرية : كان ينبغي بناء معامل جديدة للانشاءات الميكانيكية ،  
وللالات الميكانيكية ، وللسيارات ، وللمنتجات الكيميائية وللتعدين ، وتشديد  
صناعة لنا لبناء المحركات والتجهيزات اللازمة لمراكز توليد الكهرباء ، وزيادة  
استخراج الغازات المعدنية والفحم ، ما دام انتصار الاشتراكية في الاتحاد  
السوفييتي يتطلب كل ذلك .

وكان ينبغي بناء صناعة جديدة للدفاع : بانشاء معامل جديدة للدفع ،  
وللقذائف ، وللطيران ، وللدبابات ، وللرشاشات ، ما دامت مصلحة الدفاع  
عن الاتحاد السوفييتي ، في ظروف التطويق الرأسمالي ، تتطلب ذلك .  
وكان ينبغي تشييد معامل للتراكتورات ، ومعامل للالات الزراعية

العصرية ، ووضع انتاجها في خدمة الزراعة ، وذلك لاعطاء الملايين من الاقتصاديات الفلاحية الفردية الصغيرة امكان الانتقال الى الانتاج الكبير الكولخوزي ( ١ ) ، مادامت مصلحة انتصار الاشتراكية في الريف تقضي بذلك . كل ذلك ، كان من الواجب ان تحققه وتعطيه سياسة التصنيع ، لان ذلك هو ما يعنيه التصنيع الاشتراكي للبلاد .

ومفهوم ان اعمالا ضخمة في مثل هذا الانساع ، كانت تتطلب مليارات من الروبلات . وكان من المستحيل الاعتماد على قروض خارجية ، لان البلاد الرأسمالية رفضت منحنا هذه القروض . فكان ينبغي ان نبنى بالاعتماد على مواردنا ووسائلنا الخاصة دون معونة من الخارج . ولكن بلادنا لم تكن ، في ذلك الوقت ، غنية بعد .

تلك كانت ، اذ ذاك ، احدى الصعوبات الرئيسية .

لقد شادت البلدان الرأسمالية صناعتها الثقيلة ، بصورة عامة ، على حساب موارد مستمدة من الخارج : على حساب نهب المستعمرات ، على حساب فرض الغرامات والضرائب على الشعوب المغلوبة ، على حساب القروض الخارجية ، ولم يكن في امكان بلاد السوفييات ، مبدئياً ، ان تلجأ للحصول على وسائل وموارد للتصنيع ، الى مثل هذه الاساليب القذرة المنكرة كتهب الشعوب المستعمرة أو المغلوبة . اما فيما يتعلق بالقروض الخارجية ، فان هذا المورد كان مقفلاً في وجه الاتحاد السوفياتي نظراً لرفض البلدان الرأسمالية منحه مثل هذه القروض . فكان من الواجب ايجاد الوسائل والموارد في داخل البلاد .

وقد وجدت هذه الموارد والوسائل في الاتحاد السوفياتي . فقد كان الاتحاد السوفياتي يملك منابع لتراكم الثروة لا تعرف مثلها اية دولة من الدول .

---

( ١ ) كوخوز : كلمة روسية مؤلفة من المقطعين الاولين : لكلمة « كولكتيفني » ( ومعناها التعاوني او الجماعي ) ولكلمة « خازايسقو » ( ومعناها اقتصاد ) فكولخوز تعني اذن : اقتصاد تعاوني او جماعي .  
( هيئة التعريب )

الرأسمالية . كان تحت تصرف الدولة السوفياتية جميع العمال والمصانع وجميع الاراضي التي انتزعتها ثورة اوكتوبر الاشتراكية من ايدي الرأسماليين وكبار ملاكي الاراضي ، وكذلك وسائل النقل والبنوك والتجارة الخارجية والتجارة الداخلية . أما الارباح المسحوبة من معامل الدولة ومضاعفها ، ومن النقل والمواصلات ، ومن التجارة ، ومن البنوك فلم تعد تبذلها طبقة الرأسماليين الطفيلية ، بل اصبحت تستخدم لتوسيع الصناعة باستمرار .

وكان الحكم السوفياتي قد ألغى الديون القيصرية التي كانت فوائدها وحدها تكلف الشعب مئات الملايين من الروبلات الذهبية كل عام . وحين ازال الحكم السوفياتي التملك الاقطاعي للارض ، حرر الفلاحين ، بنتيجة ذلك ، من دفع ٥٠٠ مليون روبل ذهبي تقريباً ، كانوا يدفعونها سنوياً لكبار الملاكين مقابل استئجار الاراضي منهم . ولما تحرر الفلاحون من هذا العبء ، صاروا قادرين على مساعدة الدولة في انشاء صناعة جديدة جبارة . فقد كان للفلاحين مصلحة حيوية في الحصول على تراكتورات وآلات زراعية .

جميع هذه المصادر للارادات ، كانت تحت تصرف الدولة السوفياتية . وكانت قادرة على اعطاء مئات الملايين ومليارات الروبلات لاجل انشاء الصناعة الثقيلة . انما كان من اللازم مجابهة القضية كما يجابهها رب البيت الخادق في ادارة ما يملك ، والاقتصاد الصارم في انفاق المال وبناء الانتاج على اساس دقيق معقول ، وتخفيض تكاليف الانتاج ، وتصفية النفقات غير المشروعة وهلمبراً ... وهكذا فعل الحكم السوفياتي .

فبفضل نظام الاقتصاد في النفقات ، تراكت موارد متزايدة من عام الى عام ، لاجل الاعمال الانشائية الكبرى . وتوفرت الامكانيات للشروع في بناء مشاريع جبارة مثل محطة توليد الكهرباء ، على نهر الدينير ، وسكة حديد تركستان — سيبيريا ، ومعمل التراكتورات في ستالينغراد ، ومعامل الآلات الميكانيكية ، ومعمل « آ.م.و » للسيارات المسمى حالياً « زيس » ( معمل ستالين ) .. الخ ...

واذا كان ما وظف في الصناعة ، خلال ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، بلغ زهاء مليار من الروبلات ، فقد أمكن بعد ثلاث سنين من هذا التاريخ توظيف ٥ مليارات من الروبلات تقريباً .

لقد كانت عملية التصنيع تسير الى الامام .

وكانت البلدان الرأسمالية ترى في توطد الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي وفي رسوخه خطراً على وجود النظام الرأسمالي . ولذلك اتخذت الحكومات الاستعمارية كل ما يمكن من التدابير لاحداث ضغط جديد على الاتحاد السوفياتي ، ولايقاعه في الارتباك ، واحباط عملية التصنيع او عرقلتها ، على الاقل .

ففي ايار ١٩٢٧ نظم المحافظون الانكليز ، وكانوا في الحكومة اذ ذاك ، غارة استفزازية على مركز الـ «اركوس» ( الشركة السوفياتية للمتاجرة مع انكلترا ) . وفي ٢٦ ايار ١٩٢٧ ، اعلنت حكومة المحافظين الانكليزية قطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين انكلترا والاتحاد السوفياتي .

وفي ٧ حزيران ١٩٢٧ ، حدث في فرسوفيا اب روسياً من الحرس الابيض ، كان قد تجنس بالجنسية البولونية ، اغتال سفير الاتحاد السوفياتي ، الرفيق فويكوف .

وفي الوقت نفسه ، قام الجواسيس والعملاء الخربون الانكليز ، على الاراضي السوفياتية نفسها ، بالقاء قتابل في نادي الحزب في لينينغراد ، فبحرح ثلاثون شخصاً ، بينهم بضعة اشخاص اصيبوا بجراح خطيرة .

وفي صيف ١٩٢٧ ، وفي وقت واحد تقريباً ، شنت غارات على السفارات ومراكز البعثات التجارية السوفياتية في برلين وبكين وشانغاي وتيان تسين . وقد خلق ذلك مزيداً من المصاعب امام الحكم السوفياتي .

ولكن الاتحاد السوفياتي لم يستسلم للضغط ، ورد بسهولة استفزازات المستعمرين وعمالهم .

ولم تكن اقل شأناً ، تلك الصعوبات التي اثارها التروتسكيون واعضاء

المعارضة الآخرون في وجه الحزب والدولة السوفياتية بعملهم التخريبي التهديمي .  
وليس عبثاً ، قال الرفيق ستالين آنذاك ، إن هناك « شبه جبهة موحدة من  
تشميرلن الى تروتسكي » ، تتكون ضد الحكم السوفياتي . فعلى الرغم من  
قرارات المؤتمر الرابع عشر للحزب ، ومن اعلان المعارضة اخلاصها لهذه  
القرارات ، لم يلق اعضاء المعارضة سلاحهم ، بل على العكس ، ازدادوا ابعاناً  
في تقوية عملهم التهديمي الانقسامي .

وفي صيف ١٩٣٦ ، الف التروتسكيون والزينوفييفيون كتلة نضال ضد  
الحزب ، وجمعوا حولها فلول جميع الفرق المعارضة المدحورة ، ووضعوا اسس  
حزبهم السري المعادي للينينية ، بأشكال صارخ ، قانون الحزب الداخلي  
وقرارات مؤتمراته التي تمنع وجود الفرق الانقسامية . وقد وجهت لجنة الحزب  
المركزية انذاراً مؤثراً : اذا لم تحل هذه الكتلة المعادية للحزب ، التي تشبه  
كتلة آب المنشفيكية المعروفة ، فستكون العاقبة وخيمة على انصارها . ولكن  
انصار الكتلة تمادوا في غيهم .

وفي خريف العام نفسه ، على عتبة المجلس العام الخامس عشر للحزب ،  
قاموا ، في اثناء الاجتماعات الحزبية المنعقدة بمصانع موسكو ولينينغراد ومدن  
أخرى ، بمحاولة كانت غايتهم منها ان يفرضوا على الحزب مناقشة جديدة .  
فقدموا منهمجهم ، وهو نسخة من المنهج المألوف المنشفيكي التروتسكي المعادي  
للينينية . وقد وجه اعضاء الحزب رداً شديداً للمعارضة ، حتى لقد طردوا  
اعضاءها من الاجتماعات طرداً في بعض الامكنة . ووجهت اللجنة المركزية  
انذاراً جديداً الى اشباع هذه الكتلة ، اذ اعلنت ان الحزب لن يتسامح اكثر  
من ذلك ازاء عملهم التهديمي .

فوجهت المعارضة الى اللجنة المركزية تصريحاً وقعه تروتسكي وزينوفييف  
وكامينيف وسو كولنيكوف ، يقبحون فيه عملهم الانقسامي ، ويعدون بان  
يلتزموا في المستقبل موقف امانة وصدق . ولكن الكتلة بقيت قائمة في الواقع ،  
وتابع اشباعها عملهم السري ضد الحزب . لقد تابعوا سعيهم لتجميع حزب

معادٍ للينينية ، وانشأوا مطبعة سرية ، وعينوا استروا كات مالية على اتباع كتلتهم ، واخذوا ينشرون منهمجهم .

امام هذا السلوك من جانب التروتسكيين والزينوفييفيين ، بحث المجلس العام الخامس عشر للحزب ( تشرين الثاني ١٩٢٦ ) ، والمجلس الكامل الموسع للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ( كانون الاول ١٩٢٦ ) ، مسألة الكتلة التروتسكية الزينوفييفية ، وشجبا في قراراتها انصار هذه الكتلة ، الذين وصفوا بانهم انقساميون انزلقوا في منهمجهم نحو المواقف المنشفيكية .

ولكن ذلك ايضاً كان امثولة غير مجدية لانصار هذه الكتلة . وفي سنة ١٩٢٧ ، حين قطع المحافظون الانكليز العلاقات الديبلوماسية والتجارية مع الاتحاد السوفياتي ، شددت الكتلة هجماتها على الحزب . لقد صنعت منهمجاً جديداً معادياً للينينية مسمي « منهمج الـ ٨٣ » ، واخذت تنشره بين اعضاء الحزب ، ونطالب اللجنة المركزية ، في ذات الوقت ، بأن تفتتح مناقشة عامة جديدة .

ولعل هذا المنهج كان اكثر مناهج المعارضة كذباً واشدها رياء .

فالتروتسكيون والزينوفييفيون لم يكونوا ، في الاقوال ، اي في منهمجهم ، ضد تطبيق قرارات الحزب ، بل كانوا يبدون موقف الامانة والصدق . اما في الواقع فكانوا يخرقون قرارات الحزب باشد الاشكال فظاظة ، ويسخرون من كل امانة وصدق نحو الحزب ولجنته المركزية .

في الاقوال ، اي في منهمجهم ، لم يكونوا ضد وحدة الحزب ، بل كانوا يعلنون انهم ضد الانقسام . اما في الواقع ، فكانوا يخرقون وحدة الحزب باشد الاشكال فظاظة ، ويتبعون خطة انقسامية ، وكان لهم ، منذ ذاك ، حزبهم غير الشرعي ، المعادي للينينية ، الذي توافرت فيه جميع الاسباب اللازمة ليصبح حزباً معادياً للسوفيات ومعادياً للثورة .

في اقوالهم ، اي في منهمجهم ، كانوا من انصار سياسة التصنيع ، بل كانوا يتهمون اللجنة المركزية بأنها لا تقود التصنيع بسرعة كافية . اما في الواقع ،



فكانوا ينددون بقرار الحزب عن انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ،  
ويزدرون سياسة التصنيع الاشتراكي ، كما كانوا يطالبون باعطاء سلسلة من  
المصانع والمعامل الى الاجانب بشكل امتيازات ، ويعلقون آمالهم الرئيسية على  
الرأسماليين الاجانب ، اصحاب الامتيازات في الاتحاد السوفياتي .

في الاقوال ، اي في منهجهم ، كانوا مؤيدين لحركة التنظيم التعاوني في الزراعة ،  
بل كانوا يتهمون اللجنة المركزية بانها لا تقود التنظيم التعاوني بسرعة كافية .  
اما في الواقع ، فكانوا يزدرون سياسة ادخال الفلاحين في البناء الاشتراكي  
وينذرون بأنه لا بد ان تنشب « نزاعات لا يمكن حلها » بين الطبقة العاملة  
والفلاحين ، ويعلقون آمالهم على « المزارعين المتمدين » في الريف ، اي على  
اقتصاديات الكولاك .

ان هذا المنهج كان اشد رياء من جميع المناهج المرائية التي وضعتها المعارضة .  
اقد كان يرمي الى خدع الحزب .

وقد رفضت اللجنة المركزية ان تفتح المناقشة على الفور ، واعلنت  
للمعارضة ان هذه المناقشة لا يمكن القيام بها الا ضمن الاجل المنصوص عليه  
في القانون الداخلي للحزب ، اي قبل مؤتمر الحزب بشهرين .

وفي تشرين الاول ١٩٢٧ ، اي قبل المؤتمر الخامس عشر بشهرين ،  
فتحت اللجنة المركزية المناقشة العامة ، فابتدأت المعركة . وكانت نتائج  
المناقشة اكثر من مثيرة للراء بالنسبة للكتلة التروتسكية الزينوفييفية . فقد  
صوت ٧٢٤ الف عضو من اعضاء الحزب بجانب سياسة اللجنة المركزية .  
ونالت كتلة التروتسكيين والزينوفييفيين اربعة آلاف صوت ، اي اقل من  
واحد في المئة . ومنيت كتلة النضال ضد الحزب بهزيمة مزرية . فان الحزب ،  
باكثرية العظمى ، قد رفض ، بقلب واحد ، منهج الكتلة .

تلك كانت ارادة الحزب التي جرى التعبير عنها بكل جلاء ، الحزب الذي  
طلب انصار الكتلة انفسهم الاحتكام الى رأيه .

ولكن ذلك ايضاً كان درساً عديم الجدوى لانصار الكتلة . فبدلاً من ان يذعنوا لارادة الحزب ، صموا على احباطها . فعنى قبل اختتام المناقشة ، لما رأوا ان اخفاقهم الخزي بات محتوماً ، قرروا اللجوء الى اشكال من النضال ضد الحزب والحكومة السوفياتية اشد حدة ، كتنظيم مظاهرة احتجاجية عامة في موسكو و لينينغراد ، وذلك في ٧ تشرين الثاني ، يوم الاحتفال بذكرى ثورة اكتوبر ، يوم يسير كل الشعب الشغيل في الاتحاد السوفياتي في استعراضات ثورية ضخمة . وهكذا ، كان التروتسكيون والزينوفيفيون ينوون تنظيم مظاهرة مقابلة على حدة . ولكن وقع ما كان منتظراً ، فلم يستطع انصار الكتلة ان ينزلوا الى الشارع الا حفنة هزيلة من متعلقهم القلائل جداً . فان مظاهرة الشعب باسره قد صدت هؤلاء المتعلقين ومن على رأسهم من المحرضين ، وكستهم تكنيساً .

ومذ ذاك ، لم يبق مجال للشك في ان التروتسكيين والزينوفيفيين معاً قد انحدروا الى المستنقع المعادي للسوفيات . فاذا كانوا ، خلال المناقشة العامة التي دارت في قلب الحزب ، قد استصرخوا الحزب ضد اللجنة المركزية ، فانهم في مظاهرتهم الهزيلة قد استصرخوا الطبقات المعادية ضد الحزب وضد الدولة السوفياتية . وبما انهم جعلوا هدفهم هدم الحزب البلشفي ، فقد بات من المتحتم عليهم ان ينتهوا الى ارادة الخراب للدولة السوفياتية ، اذ لا سبيل الى الفصل بين الحزب البلشفي وبين الدولة ، في بلاد السوفيات . وهكذا وضع زعماء الكتلة التروتسكية الزينوفيفية انفسهم خارج الحزب ، اذ لم يبق ممكناً ان يتسامح الحزب بوجود اناس في صفوفه انحدروا الى مستنقع العداء للسوفيات .

وفي ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٧ ، انعقد الاجتماع المشترك للجنة المركزية وللجنة المراقبة المركزية ، وطرده تروتسكي وزينوفيف من صفوف الحزب .

٢ — نجاح التصنيع الاشتراكي — تأخر  
الزراعة — المؤتمر الخامس عشر للحزب —  
الاتجاه نحو التنظيم التعاوني في الزراعة — سحق  
الكتلة التروتسكية الزينوفيفية — النفاق السياسي

منذ نهاية ١٩٢٧ ، بدأت سياسة التصنيع الاشتراكي تسجل نجاحات حاسمة . وكان التصنيع قد حقق ، في ظروف النيب ، تقدماً جدياً في فترة قصيرة من الزمن . فانتاج الصناعة والزراعة الاجمالي ، ( بما في ذلك انتاج الغابات ومصائد الاسماك ) لم يقتصر على بلوغ مستوى ما قبل الحرب وحسب ، بل جاوز هذا المستوى . فالصناعة التي كان نصيبها من مجموع الاقتصاد الوطني قد ارتفع الى ٤٢ بالمئة ، بلغت مستوى معادلا لمستوى ما قبل الحرب .

لقد كان القطاع الاشتراكي في الصناعة يتابع اتساعه بسرعة على حساب القطاع الخاص . فبعد ما كان نصيب القطاع الاشتراكي في ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ٨١ في المئة ، ارتفع في ١٩٢٦ — ١٩٢٧ الى ٨٦ في المئة ، في حين هبط نصيب القطاع الخاص ، في ذات المرحلة ، من ١٩ الى ١٤ في المئة .

لقد كان معنى هذه الارقام ان تصنيع الاتحاد السوفياتي اصبح ذا صفة اشتراكية شديدة البروز ، وان صناعة الاتحاد السوفياتي قد سارت في طريق انتصار النظام الاشتراكي في الانتاج ، وان السؤال الموضوع في ميدان الصناعة ، وهو « لمن سيكون النصر ؟ » قد لقي ، بعد الآن ، حلاً له في مصلحة الاشتراكية .

وقد جرت ازاحة التجارة الفردية بمثل هذه السرعة . فقد هبطت حصتها في تجارة المرفق ، من ٤٢ في المئة ، في ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، الى ٣٢ في المئة في ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، اما تجارة الجملة فقد هبطت فيها حصة العنصر الخاص في المرحلة نفسها من ٩ في المئة الى ٥ في المئة .

وكان تطور الصناعة الكبيرة الاشتراكية اسرع ايضاً ، فان انتاجها سجل في سنة ١٩٢٧ ، وهي السنة الاولى بعد مرحلة الانهاض ، زيادة قدرها ١٨ بالمئة بالنسبة للسنة السابقة . وهذا رقم قياسي في الزيادة لاسبيل للصناعة الضخمة الى بلوغه في اكثر البلدان الرأسمالية تقدماً .

اما في الزراعة ، وخصوصاً زراعة الحبوب ، فكانت اللوحة مختلفة تماماً . ومع ان الزراعة بمجموعها قد تجاوزت مستوى ما قبل الحرب ، فالانتاج الاجمالي لفرعها الرئيسي - زراعة الحبوب - لم يبلغ الا ٩١ بالمئة فقط من هذا المستوى . فانتاج القمح التجاري المعد لتموين المدن بلغ ، بالجهد ، ٣٧ بالمئة من مستوى ما قبل الحرب . وفضلاً عن ذلك ، كانت جميع الدلائل تحمل على الظن بان الانتاج التجاري من الحبوب مهدد بهبوط جديد .

كان ذلك برهاناً على ان تجزئة الاقتصاديات الضخمة التي تمون السوق الى اقتصاديات صغيرة ، وتجزئة الاقتصاديات الصغيرة الى اقتصاديات فلاحية شديدة الصغر ، تلك التجزئة التي بدأت عام ١٩١٨ ، كانت لا تزال مستمرة ؛ كان ذلك برهاناً على ان الاقتصاد الفلاحي الصغير والشديد الصغر قد اخذ يصبح اقتصاداً شبه طبيعي ، ليس في وسعه ان يعطي سوى حد ادنى فقط من الحبوب التجارية ؛ كان ذلك برهاناً على ان زراعة الحبوب في مرحلة ١٩٢٧ ، رغم انها كانت تنتج مقداراً لا ينقص عن زراعة ما قبل الحرب الا قليلاً ، لم تكن ، مع ذلك ، قادرة على ان تقدم لتموين المدن الا مقداراً لا يزيد سوى قليل عن ثلث ما كانت زراعة الحبوب تستطيع ان تقدمه للسوق قبل الحرب .

فلم يكن هناك شك في ان جيش الاتحاد السوفياتي ومدن الاتحاد السوفياتي ، ستواجه قطعاً مزمناً ما دامت هذه الحال سائدة في زراعة الحبوب .

وبعد الازمة في زراعة الحبوب كانت ستقع ازمة في تربية المواشي . ولاجل معالجة هذه الحالة كان ينبغي الانتقال الى الانتاج الزراعي

الضخم ، الذي في وسعه ان يستخدم التراكتورات والآلات ، ومن شأنه ان يرفع الانتاج التجاري للحبوب الى حد كبير . وكان امام البلادا مكنيتان : اما الانتقال الى الانتاج الضخم الرأسمالي ، الامر الذي كان من شأنه ان يؤدي الى خراب جماهير الفلاحين ، وانهيار تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، وتقوية الكولاك ، وانهزام الاشتراكية في الريف ، واما اللجوء الى جمع الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة في اقتصاديات اشتراكية كبيرة ، في كوخوزات قادرة على استعمال التراكتورات وسائر الآلات الحديثة الاخرى ، لاجل دفع زراعة الحبوب الى امام واناء انتاجها التجاري .

ومن الواضح طبعاً ان الحزب البلشفي والدولة السوفياتية لم يكونا يستطيعان ان يسلكا الا الطريق الثانية ، طريق تطور الزراعة بواسطة الكوخوزات . وقد استلهم الحزب توجيهات لينين حول ضرورة الانتقال من الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة الى الاقتصاد الزراعي الضخم ، المنظم في اقتصاديات جماعية تعاونية . تقول هذه التوجيهات :

( أ ) « من المستحيل الخلاص من البؤس عن طريق الاقتصاد الصغير » ( لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد ٢٤ ، ص ٥٤٠ الطبعة الروسية ) .

( ب ) « اذا نحن حصرنا انفسنا ، ضمن اقتصاديات صغيرة ، كما في السابق ، فسنظل مهددين بهلاك مؤكد ، ولو كنا مواطنين احراراً في ارض حرة » . ( المجلد ٢٠ ، ص ٤١٧ ، الطبعة الروسية ) .

( ج ) « اذا كان بإمكان الاقتصاد الفلاحي ان يتابع تطوره المقبل ، فمن الضروري ان نؤمن ، بصورة وطيدة ، الانتقال المقبل ايضاً ، اما هذا الانتقال المقبل فهو حتماً ان تتحدد تدريجياً الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة المنعزلة المتأخرة جداً والقليلة الجدوى فننظم الاقتصاد الزراعي الجماعي المشترك الكبير . » ( المجلد ٢٦ ، الصفحة

٢٩٩ ، الطبعة الروسية ) .

(د) « عندما نتجح في ان نبين عملياً للفلاحين افضلية العمل في الارض بصورة مشتركة ، جماعة ، رفاقية ، تعاونية ، عندما نتجح في مساعدة الفلاح عن طريق الاقتصاد الرفاقي التعاوني ، عندئذ فقط يتاح للطبقة العاملة القابضة بيدها على سلطة الدولة ان تبرهن فعلاً للفلاح انها على حق ، وان تجذب فعلاً الى جانبها الملايين الفقيرة من جماهير الفلاحين بشكل وطيء ، بشكل حقيقي » (المجلد ٢٤ ، الصفحة ٥٧٩ ، الطبعة الروسية ) .

هكذا كانت الحال على اعتاب المؤتمر الخامس عشر للحزب .  
افتتح المؤتمر الخامس عشر للحزب في ٢ كانون الاول ١٩٢٧ . وقد ضم ٨٩٨ مندوباً بأصوات فعلية و ٧٧١ مندوباً بأصوات استشارية ؛ لقد كان المندوبون يمثلون ٢٣٣ ٨٨٧ عضواً في الحزب و ٩٥٧ ٣٤٨ عضواً متدرجاً .  
أشار الرفيق ستالين في تقرير اللجنة المركزية الى نجاحات التصنيع والخطوات السريعة التي خطتها الصناعة الاشتراكية الى امام ، ووضع امام الحزب المهمة التالية :

« توسيع وتثبيت مراكزنا القيادية الاشتراكية في جميع ميادين الاقتصاد الوطني ، في المدينة كما في الريف ، وذلك باتجاهنا نحو تصفية العناصر الرأسمالية في الاقتصاد الوطني » .  
ولما قارن الرفيق ستالين بين الزراعة والصناعة ، وبين تأخر الزراعة ، ولا سيما تأخر زراعة الحبوب الناجم عن تقنت الزراعة الذي لم يكن يسمح باستعمال التكنولوجيا الحديث ، اكد ان هذه الحال التي لا يحسد عليها في الزراعة تخلق وضعاً ينطوي على خطر يهدد الاقتصاد الوطني بمرته .

وقد تساءل الرفيق ستالين بقوله : « واذن ، فأين المخرج ؟ ان المخرج هو في الانتقال من الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة المبعثرة الى الاقتصاديات الكبيرة المتركزة المؤسسة على العمل المشترك في الارض ، هو في الانتقال الى

زراعة الارض بالاسلوب التعاوني القائم على تكنيك جديد ، رفيع . المخرج هو في ان تتحد الاقتصاديات الفلاحية الصغيرة والشديدة الصغر بصورة تدريجية ، ولكن ثابتة ، مستمرة ، وليس عن طريق الضغط بل عن طريق البرهان والاقناع ، ان تتحد في اقتصاديات كبيرة قوامها العمل في الارض بصورة مشتركة ، رفاقية ، جماعية ، مع استخدام الآلات الزراعية والتراكتورات ، ومع تطبيق الاساليب العلمية لتنشيط الزراعة . وليس هناك مخرج آخر» .

وتبنى المؤتمر الخامس عشر قراراً حول ضرورة توسيع التنظيم التعاوني في الزراعة الى اقصى حد ممكن . ووضع المؤتمر برنامجاً لتوسيع وتوطيد شبكة الكولخوزات والسوفخوزات (١) ، واعطى توجيهات دقيقة حول اساليب النضال لاجل التنظيم التعاوني في الزراعة .

وفي ذات الوقت ، اعطى المؤتمر توجيه التالي :

«تشديد الهجوم ضد الكولاك واتخاذ سلسلة من التدابير الجديدة التي تحد من تطور الرأسمالية في الريف، وتوجه الاقتصاديات الفلاحية نحو الاشتراكية» . (الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي في قراراته ، الجزء الثاني ، الصفحة ٢٦٠ ، الطبعة الروسية ) .

وبوحي الضرورة القاضية بتقوية دور المنهاج في الاقتصاد الوطني ، وبغية تنظيم هجوم الاشتراكية المنسق ضد العناصر الرأسمالية على مجمل الجبهة

---

(١) سوفخوز : كلمة روسية مؤلفة من المقطعين الاولين لكلمتي « سوفينسكوي » وتعني « السوفياتي » ، و « خازايسفو » وتعني « الاقتصاد » . اي ان سوفخوز تعني « الاقتصاد السوفياتي » ، وهي المزارع التي تملكها الدولة السوفياتية وتديرها مباشرة مثلها مثل المعامل في الصناعة ، خلافاً للكولخوز الذي مر تفسيره والذي يعني « الاقتصاد التعاوني او الجماعي » اي المزارع التي يديرها الفلاحون انفسهم بعد ان ضحوا اراضيهم باختيارهم بعضها الى بعض ، فهي ملكهم بجمعهم ولهم حق التصرف بها الى الابد . ( هيئة التعريب ) .

الاقتصادية ، اعطى المؤتمر اخيراً الى الهيئات المختصة توجيهاً بوضع برنامج السنوات الخمس الاول للاقتصاد في الاتحاد السوفياتي .

وعندما سوى المؤتمر الخامس عشر للحزب قضايا البناء الاشتراكي ، انتقل الى مسألة تصفية الكتلة التروتسكية الزينوفيفية .

وقد تبين للمؤتمر ان : « المعارضة قد قطعت صلتها باللينينية من الناحية الفكرية وانقلبت الى تكتل منشقيكي ، وسلكت سبيل الاستسلام امام قوى البورجوازية الدولية والداخلية ، ونحوت ، موضوعياً ، الى آلة بيد قوة ثالثة موجهة ضد نظام ديكتاتورية البروليتاريا . » (الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي في قراراته ، القسم الثاني ، الصفحة ٢٣٢ ، الطبعة الروسية) .

ورأى المؤتمر ان الخلافات بين الحزب والمعارضة قد اصبحت خلافات على البرنامج ، وان المعارضة التروتسكية قد شرعت في النضال ضد السوفيات . ولذلك اعلن المؤتمر الخامس عشر ان الانتماء الى المعارضة التروتسكية ونشر آرائها أمران لا يتفقان مع الانتماء الى الحزب البلشفي . ووافق المؤتمر على القرار الذي اتخذته الاجتماع المشترك للجنة المركزية ولجنة المراقبة المركزية بطرد تروتسكي وزينوفيف من صفوف الحزب ، وقرر ، في الوقت نفسه ، ان ينزل عقوبة الطرد بجميع العناصر النشطة في الكتلة التروتسكية الزينوفيفية ، مثل راديك ، وبريوبراجنسكي ، وراكوفسكي ، وبياناكوف ، وسيريبياكوف ، وي . سيرونوف ، وكامينيف ، وسركيس ، وسافاروف ، وليفشيتز ، ومديفاني ، وسميلغا ، وكذلك بكل فرقة « المركزية الديمقراطية » ( سارونوف ، ف . سيرونوف ، بوغوسلافسكي ، دروبنيس ، وغيرهم ) .

ان انصار الكتلة التروتسكية الزينوفيفية الذين دُحروا فكرياً ، وهُزموا في ميدان التنظيم ، قد فقدوا آخر ما بقي لهم من نفوذ بين الشعب . وبعد المؤتمر الخامس عشر بقليل ، كتب اعداء اللينينية الذين طردوا من الحزب ، تصريحات اعلنوا فيها قطع صلتهم بالتروتسكية ، وطلبوا



اعادة قبولهم في الحزب . وفي الحقيقة لم يكن الحزب ، في ذلك الحين ،  
يستطيع ان يعلم ان تروتسكي وراكوفسكي وراديك وكريستنسكي  
وسوكولنيكوف والآخرين ، كانوا منذ امد بعيد ، اعداء للشعب وعلماء  
لدوائر الجاسوسية الاجنبية ، وان كامينيف وبياناكوف والآخرين ، كانوا  
ينظمون اتصالات مع اعداء الاتحاد السوفياتي في الاقطار الرأسمالية ، بغية  
« التعاون » معهم ضد الشعب السوفياتي . ولكن كانت التجارب قد علمت  
الحزب ما يكفي ليعرف ان ابشع الدناءات يمكن توقعها من جانب هؤلاء الناس  
الذين طالما وقفوا ، في اخرج الساعات ، ضد لينين ، وضد حزب لينين .  
ولذلك استقبل الحزب بالحذر تصريحات المطرودين . وعلى سبيل امتحان  
اول لاخلاص اصحاب التصريحات ، وضع الحزب عدداً من الشروط لاعادة  
قبولهم فيه . فكان على المطرودين :

أ ) ان يشجبوا التروتسكية جهاراً ، باعتبارها عقيدة معادية  
للبشفية ومعادية للسوفيات .

ب ) ان يعترفوا جهاراً بان سياسة الحزب هي السياسة  
الوحيدة الصحيحة .

ج ) ان يخضعوا دونما تحفظ لقرارات الحزب وقرارات  
هيئاته .

د ) ان يبقوا تحت التجربة مدة من الزمن يمتحن الحزب  
فيها اصحاب التصريح وينظر ، عند انتهائها ، على اساس نتائج  
الامتحان ، في امر اعادة قبول كل من المطرودين بمفرده .

لقد اعتبر الحزب ان اعتراف المطرودين اعترافاً علنياً بجميع هذه  
النقاط لا بد ان تكون له ، في اية حال ، اهمية ايجابية بالنسبة الى الحزب ،  
لان هذا الاعتراف يحطم وحدة صفوف التروتسكيين الزينوفييفيين ، وبلقي  
التفسخ فيما بينهم ، ويدل ، مرة أخرى ، على قوة الحزب وصواب قضيته  
ورسوخها ، كما يتيح للحزب ، في حالة حسن نية اصحاب التصريحات ، ان

يعيد الى صفوفه اعضاءه القدماء ، وان يفضحهم في اعين الجميع ، في حالة سوء النية ، لا بوصفهم بعد الآن اناساً يخطئون ، بل بوصفهم وصولين لا مبدأ لهم ، يريدون ان يغشوا الطبقة العاملة ، بوصفهم محتاتين مفضوحين تماماً .

وقد قبل معظم المطرودين الشروط التي وضعها الحزب لاعادة قبولهم في صفوفه واعلنوا ذلك على صفحات الجرائد .

اما الحزب الذي كان يسلك نحوهم مسلك التسامح ولا يريد ان يمنعهم من ان يصبحوا مجدداً من رجال الحزب والطبقة العاملة ، فقد اعاد اليهم صفة عضويته .

ورغم ذلك ، ظهر مع الزمن ان تصريحات « العناصر النشيطة » في الكلمة التروتسكية الزينوفيفية لم تكن الا كذباً ونفاقاً ، ما خلا بعض الحالات البادرة .

لقد تبين ان هؤلاء السادة كانوا ، حتى قبل ان يصوغوا تصريحاتهم ، قد كفوا عن ان يكونوا تياراً سياسياً مستعداً للدفاع عن مفاهيمه امام الشعب ، واصبحوا زمرة من الوصولين لا افكار لها ، ومستعدة لان تدوس بالاقدام ، امام انظار جميع الناس ، ما بقي من مفاهيمها ، ومستعدة للاستادة ، على رؤوس الاشهاد ، بمفاهيم الحزب التي كانت غريبة عنها ، ومستعدة لتبديل لونها كالحرباء ، وذلك لغاية واحدة هي ان تبقى في الحزب وفي صفوف الطبقة العاملة ، لكي تستطيع الحاق الضرر بالطبقة العاملة وحزبها .

ان « العناصر النشيطة » التروتسكية الزينوفيفية قد كشفت عن محتاتين سياسيين ، عن محتاتين سياسيين .

ان السياسيين ذوي الوجهين يبدأون عادة بالخداع ، فهم يؤدون عملهم المشؤوم عن طريق خداعة الشعب والطبقة العاملة وحزبها . ولكن يجب الا يقتصر النظر الى المحتاتين السياسيين على انهم خداعون وحسب . فهم زمرة من الوصولين السياسيين الذين لا افكار لهم ، وقد فقدوا ثقة الشعب منذ زمن بعيد ويحاولون استرجاعها بالخداع ، والتلون كالحرباء ، والاحتيال ،

وباية وسيلة من الوسائل ، مستهدفين غاية واحدة هي المحافظة على لقب رجال سياسة . ان المخاتلين السياسيين يمثلون زمرة لا مبادئ لها من الوصوليين السياسيين المستعدين للاعتماد على اي كان ، حتى على المجرمين العاديين ، وحثالة المجتمع ، وحتى على الداء الشعب في سبيل العودة الى الظهور على المسرح السياسي في « الوقت المناسب » والتربع على ظهر الشعب بصفة « حكام » . وقد كانت « العناصر النشيطة » التروتسكية الزينوفيفية من هذا النوع من المخاتلين السياسيين .

•

### ٣ - الهجوم على الكولاك — فرقة بوخارين ريكوف للنضال ضد الحزب — اقرار مشروع السنوات الخمس الاول — المباراة الاشتراكية — بدء الحركة الكوغلوزية الجماهيرية .

ان تحريض الكتلة التروتسكية الزينوفيفية ضد سياسة الحزب ، و ضد بناء الاشتراكية والتنظيم التعاوني في الزراعة ، وكذلك تحريض البوخارينيين الذين كانوا يقولون ان عملية الكولخوزات لن يكتب لها النجاح ، وانه يجب عدم مس الكولاك لانهم « سيندجون » في الاشتراكية من تلقاء انفسهم ، وان اثر البورجوازية لا يشكل خطرا على الاشتراكية ، كل هذا التحريض كان له صدى بعيد بين العناصر الرأسمالية في البلاد ، وبالدرجة الاولى بين الكولاك . فقد اصبح هؤلاء يعرفون من رد الفعل في الصحافة ، انهم ليسوا منعزلين ، وان لهم في تروتسكي وزينوفيف وكامينيف وبوخارين وريكوف وغيرهم ، حاة وشفعاء . ومن المفهوم ان هذا الظرف ما كان من شأنه الا ان يشحذ مقاومة الكولاك لسياسة الحكومة السوفياتية . وبالفعل اخذ الكولاك يبدون مقاومة متزايدة يوماً بعد يوم . فكانوا يرفضون ، بصورة جماهيرية ، ان يبيعوا الدولة السوفياتية الفائض من القمح الذي كدسوا منه كميات . واخذوا يقومون باعمال الارهاب ضد الكولخوزيين والمناضلين

الحزبيين ، وضد المؤسسات السوفياتية في الريف ، ويشعلون النار في الكولخوزات وفي مراكز التخزين العمومية .

وادر ك الحزب انه ما لم يتم تحطيم مقاومة الكولاك ، وما لم يُدحرروا في معركة مكشوفة أمام انظار جماهير الفلاحين ، فسيكون على الطبقة العاملة والجيش الاحمر ان يعانقوا القمع ، ولن نستطيع الحركة الكولخوزية ان تتخذ صفة حركة جماهيرية .

وتطبيقاً لتوجيهات المؤتمر الخامس عشر ، باشر الحزب هجوماً حازماً ضد الكولاك تحت شعار : الاستناد القوي الى الفلاحين الفقراء وتعزيز التحالف مع الفلاحين المتوسطين لاجل شن النضال الحاسم ضد الكولاك . وجواباً على رفض الكولاك بيع الدولة الفائض عندهم من القمح بالاسعار المحددة ، اتخذ الحزب والحكومة سلسلة من التدابير الاستثنائية ضدهم ، فطبقا المادة ١٠٧ من قانون الجزاء ، التي تحول السلطة القضائية مصادرة الفائض من القمح عند الكولاك والمحتكرين ، في حال رفض بيع الدولة هذا الفائض بالاسعار المحددة . ومن جهة اخرى ، منح الفلاحون الفقراء امتيازات اصبح في وسعهم ، بمقتضاها ، ان يتصرفوا بمقدار ٢٥ بالمئة من القمح المصادر من عند الكولاك .

حدثت هذه التدابير الاستثنائية اثرها : فانضم الفلاحون الفقراء والمتوسطون الى النضال الحاسم ضد الكولاك . فبات هؤلاء معزولين . وتم تحطيم مقاومة الكولاك والمحتكرين . ومنذ اواخر ١٩٢٨ ، اصبح تحت تصرف الدولة السوفياتية مخزونات احتياطية كافية من القمح ، وتقدمت الحركة التعاونية الى امام بخطى اكثر ثباتاً .

وفي ذلك العام نفسه ، اكتشفت منظمة مخربين خطيرة بين الاختصاصيين البورجوازيين في شاختي ، في حوض الدونيتز . وكان المخربون على اتصال وثيق باصحاب المؤسسات القدماء — الرأسماليين الروس والاجانب — وبمصالح التجسس العسكرية الاجنبية . وكان هدفهم احباط تطور الصناعة الاشتراكية ، وتسهيل اعادة الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي . فكان المخربون

يقودون استثمار المناجم بشكل غير طبيعي ، باذلين جهدهم لانقاص  
المستخرج من الفحم . وكانوا يتلفون المعدات واجهزة التهوية ، وينظمون  
الانهارات وانفجارات ، ويحرقون المناجم والمصانع والمراكز الكهربائية .  
وكانوا يعرفون قهراً تحسين احوال العمال المادية ، ويحرقون القوانين  
السوفياتية لحماية العمل .

وقد احيل الخربون الى القضاء ، ونالوا الجزاء الذي يستحقونه .

ودعت لجنة الحزب المركزية جميع منظمات الحزب الى استخلاص الدروس  
اللازمة من قضية شاختي . وأشار الرفيق ستالين الى ان البلاشفة الذين يديرون  
المشاريع يجب عليهم ان يستوعبوا هم انفسهم تكتيك الانتاج ، حتى لا  
يستطيع الخربون الموجودون في صفوف الخبراء البورجوازيين القدماء ان  
يخدعهم بعد الآن ، والى ان من الواجب التعجيل في تكوين ملاكات  
فنية جديدة ، يُنتقى افرادها من صميم الطبقة العاملة .

وبناء على قرار من اللجنة المركزية ، ادخلت تحسينات لتكوين الخبراء  
الشباب ، ووفقاً لقرار من اللجنة المركزية ، ادخل تحسين كبير على العمل  
في المدارس العالية للتعليم التكنيكي . وُجد من اجل الدراسة الوف من  
اعضاء الحزب والشبيبة الشيوعية ومن اللاحزبيين المخلصين لقضية الطبقة  
العاملة .

وقبل انتقال الحزب الى الهجوم على الكولاك ، وطيلة المدة التي كان  
الحزب منهمكاً فيها بتصفية الكتلة التروتسكية الزينوفييفية ، سلكت  
فرقة بوخارين ريكوف مسلكاً هادئاً نوعاً ما ، وبقيت بمثابة احتياطي للقوى  
المعادية للحزب ، فلم تقدم على مساندة التروتسكيين مساندة علنية ، بل وقفت  
حتى في بعض الاحيان الى جانب الحزب ضد التروتسكيين . ولكن ما ان انتقل  
الحزب الى الهجوم على الكولاك ، وشرع في اتخاذ التدابير الاستثنائية  
ضدهم ، حتى رمت فرقة بوخارين ريكوف القناع عن وجهها ، وراحت تهاجم  
سياسة الحزب بصورة علنية مكشوفة . ذلك لان الروح الكولاكية

لفرقة بوخارين-ريكوف لم تحمل الكبت ، فأخذ انصار هذه الفرقة ، يدافعون صراحة عن الكولاك . وكانوا يطالبون بالغاء التدابير الاستثنائية ، والا فمن الممكن — كما كانوا يزعمون لاختافة البسطاء والسذج — ان يبدأ « الانحطاط » في الزراعة ، بل كانوا يؤكدون ان « الانحطاط » قد بدأ فعلاً . ذلك لانهم لم يكونوا يلحظون صعود الكولخوزات والسوفخوزات ، هذه الاشكال العليا للزراعة ، فكانوا حين يشاهدون انهيار الاقتصاد الكولاي ، يصورون انحطاطه على انه انحطاط للزراعة . ولكي يدعموا انفسهم نظرياً ، نسجوا نظرية مضحكة أسموها « نظرية انطفاء النضال الطبقي » . وكانوا يؤكدون ، على اساس هذه النظرية ، ان الاشتراكية كلما احرزت نجاحات اكبر في نضالها ضد العناصر الرأسمالية ، خفت حدة النضال الطبقي . ولئن يلبث النضال الطبقي ان ينطفئ تماماً عما قريب ، فيسلم العدو الطبقي كل مواقعه دون مقاومة ، فلا فائدة ، بالتالي ، من القيام بهجوم على الكولاك . وهكذا كانوا يبعثون من جديد نظريتهم البورجوازية ، البالية ، عن اندماج الكولاك سلبياً في الاشتراكية ويدوسون بالاقدام الموضوعة اللينينية الشهيرة القائلة بان مقاومة العدو الطبقي تستخدم وتتخذ اشكالا شديدة ، كلما ازداد العدو شعوراً بان الارض تميد تحت قدميه ، وكلما احرزت الاشتراكية مزيداً من النجاحات ، وان النضال الطبقي لا يمكن ان « ينطفئ » الا بعد ابادته العدو الطبقي .

لم يكن من العسير على الحزب ان يفهم ان فرقة بوخارين-ريكوف كانت فرقة انتهازية يمينية لا تختلف عن الكتلة التروتسكية الزينوفييفية الا من حيث الشكل ، الا من حيث ان التروتسكيين والزينوفييفيين كان في امكانهم ، نوعاً ما ، تغطية جوهرهم الانهزامي بعبارات يسارية ، عبارات ثورية مزيفة صاخبة عن « الثورة الدائمة » ، في حين ان فرقة بوخارين-ريكوف التي وقفت ضد الحزب عندما انتقل الى الهجوم على الكولاك ، لم تعد تستطيع تغطية وجهها الاستسلامي ، واضطرت الى الدفاع عن

القوى الرجعية في بلادنا ، وخصوصاً عن الكولاك ، دفاعاً مكشوفاً دوناً  
طلاء ولا قناع .

وادرك الحزب ان لا بد لفرقة بوخارين ريكوف من ان تمتد يدها ،  
عاجلاً ام آجلاً ، الى فلول الكتلة التروتسكية الزينوفيفية ، للقيام بنضال  
مشترك ضد الحزب .

كانت فرقة بوخارين ريكوف ، الى جانب نشاطها السياسي ، تقوم  
بـ « عمل » تنظيمي لجمع انصارها . فأخذت بواسطة بوخارين ، تجمع الشبيبة  
البورجوازية من طراز سليبكوف ، مارينسكي ، الخنفالد ، غولدنبرغ  
وغيرهم ، وبواسطة تومسكي ، القواد النقابيين الذين طغت عليهم الميول  
البيروقراطية ( امثال ملنيتشانسكي ودوغاروف ، واخرين ) ، وبواسطة  
ريكوف ، الرؤساء المتفسخين في بعض الادارات السوفياتية ( امثال  
آ. سميرنوف ، وايسمنت ، وف. شيمت ، وغيرهم ) . وكانت تنضم الى  
هذه الفرقة بطيبة خاطر ، جميع العناصر المتفسخة سياسياً التي لم تكن تحفي  
روحها الانهزامية .

وفي هذه الفترة تلقت فرقة بوخارين ريكوف تأييداً من قة منظمة الحزب  
في موسكو ( اوغلانوف ، كوتوف ، اوخانوف ، ريوتين ، ياغودا ، بولونسكي ،  
واخرين ) . وفي الوقت نفسه بقي قسم من الجناح اليميني مستتراً ، فلم يناهض  
خطة الحزب المناهضة صريحة ، وظهرت في صحافة الحزب والاجتماعات الحزبية في  
موسكو ، دعوة تنادي بضرورة التنازل للكولاك وتقول بان من غير الملائم  
فرض ضرائب على الكولاك ، وان التصنيع عبء ثقیل على عاتق الشعب وان  
الوقت لم يحن لانشاء الصناعة الثقيلة . وعارض اوغلانوف في انشاء محطة التوليد  
الكهربائي على الدينير وطالب بتحويل الاموال المخصصة للصناعة الثقيلة الى  
الصناعة الخفيفة . وكان اوغلانوف والاستسلاميون اليمينيون الآخرون  
يؤكدون ان موسكو كانت وستبقى مدينة المنسوجات القطنية ، فلا موجب  
لبناء معامل للانشاءات الميكانيكية فيها .

الا ان المنظمة الحزبية في موسكو فضعت او غلانونف وانصاره ووجهت اليهم انذارا اخيراً، وازدادت التفافاً حول لجنة الحزب المركزية . وفي عام ١٩٢٨، في الاجتماع الكامل للجنة الحزب الشيوعي في موسكو، اكّد الرفيق ستالين ضرورة النضال على جبهتين، مع تركيز النار على الانحراف اليميني. وبثّن الرفيق ستالين ان اليمينيين هم عملاء الكولاك في الحزب وقال:

«ان انتصار الانحراف اليميني في حزبنا من شأنه ان يطلق قوى الرأسمالية وان يزعزع المواقع الثورية للبروليتاريا ، وان يجعل للرأسمالية حظاً اكبر في العودة الى بلادنا .» ( ستالين — مسائل اللينينية ) .

وفي مستهل عام ١٩٢٩ ، علم ان بوخارين، بتكليف من فرقة الاستسلاميين اليمينيين ، اتصل بالتروتسكيين عن طريق كامينيف واخذ في وضع صيغة للتفاهم معهم على النضال المشترك ضد الحزب. ففضعت اللجنة المركزية هذا النشاط الاجرامي الذي يقوم به الاستسلاميون اليمينيون منذرة بان هذه القضية قد تؤدي ببوخارين وريكوف وتومسكي والآخرين الى نهاية خاسرة كئيبة. غير ان الاستسلاميين اليمينيين لم يرفعوا ، فتقدموا في اللجنة المركزية بتصريح برنامجي جديد موجه ضد الحزب، فشجبت اللجنة المركزية واندثرت من جديد وذكرتهم بمصير الكتلة التروتسكية الزينوفييفية. ورغم ذلك تابعت فرقة بوخارين وريكوف نشاطها المعادي للحزب وقدم ريكوف وتومسكي وبوخارين استقالتهم الى اللجنة المركزية معتقدين انهم يخيفون الحزب بذلك. فاستنكرت اللجنة المركزية سياسة الاستقالات هذه، سياسة العرقلة والتخريب. واخيراً اعلنت اللجنة المركزية في اجتماعها الكامل المنعقد في تشرين الثاني ١٩٢٨ ان الدعوة لاراء الانتهازيين اليمينيين لا تتلاءم مع الانتماء للحزب واقترحت طرد بوخارين محرك فرقة الاستسلاميين اليمينيين وقائدها من المكتب السياسي للجنة المركزية، مع توجيه انذار جدي الى ريكوف وتومسكي واعضاء المعارضة اليمينية الآخرين.

ولما رأى متزعمو الاستسلاميين اليمينيين ان القضية تتحول تحولاً مزعجاً،



اعطوا تصريحاً مكتوباً يعترفون فيه باخطائهم وبصحة خطة الحزب السياسية .  
هكذا قرر الاستسلاميون التراجع مؤقتاً لانقاذ ملاكاتهم من السحق  
والنحطيم .

وبهذا انتهت المرحلة الاولى من نضال الحزب ضد الاستسلاميين اليمينيين .  
ان الخلافات الجديدة في الحزب لم تبقى خافية على اعداء الاتحاد السوفياتي  
في الخارج . ولهذا ، اعتقاداً منهم بان «الانقسامات الجديدة» في الحزب هي من  
علامت ضعف الحزب ، قاموا بمحاولة جديدة لجر الاتحاد السوفياتي الى الحرب  
واحباط قضية تصنيع البلاد التي لم يقيض لها بعد ان توطد اركانها . ففي صيف  
١٩٢٩ ، نظم الاستعماريون النزاع بين الصين والاتحاد السوفياتي ودفَعوا  
العسكريين الصينيين الى الاستيلاء على سكة الحديد الصينية الشرقية التي كان  
يملكها الاتحاد السوفياتي ، كما دفعوا الجيوش الصينية البيضاء الى العدوان على  
حدود وطننا في الشرق الاقصى . الا ان غارة العسكريين الصينيين رُدت  
وُصفت في فترة وجيزة ، وتراجع العسكريون بعد ما دحرهم الجيش الاحمر  
وانتهى النزاع باتفاق سلمي مع السلطات المنشورية .

وهكذا انتصرت سياسة الاتحاد السوفياتي السلمية مرة اخرى ، رغم كل  
شيء ، رغم مساعي الاعداء الخارجيين ورغم «الانقسامات» في داخل الحزب .  
ولم تلبث ان اقيمت من جديد العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الاتحاد  
السوفياتي وانكلترا التي كان المحافظون الانكليز قطعوها في حينه .

وفيما كان الحزب يرد هجمات الاعداء الخارجيين والداخليين بنجاح ، قام  
في الوقت نفسه بعمل كبير لتوسيع بناء الصناعة الثقيلة وتنظيم المباراة  
الاستراكية وانشاء السوفخوزات والكونخوزات وتهيئة الشروط اللازمة  
لاقرار وتنفيذ برنامج السنوات الخمس الاول للاقتصاد الوطني .

وفي نيسان ١٩٢٩ ، انعقد المجلس الوطني العام السادس عشر للحزب . وكان  
برنامج السنوات الخمس الاول هو المسألة الرئيسية في المجلس . وقد رد المجلس  
صيغة «الحد الأدنى» التي دافع عنها الاستسلاميون اليمينيون وارادوها اساساً

لبرنامج للسنوات الخمس ، وافر صيغة «الحد الاعلى» بوصفها الزامية في جميع الظروف .

وهكذا اقر الحزب برنامج السنوات الخمس الاول الشهير لبناء الاشتراكية .

ووفقاً لهذا البرنامج ، كانت الاعتمادات المخصصة للاممال الكبرى في الاقتصاد الوطني من ١٩٣٨ الى ١٩٣٣ ، تبلغ ٦٤٠٦ مليار روبل ، منها ١٩٠٥ مليار روبل للصناعة والكهرباء و ١٠ مليارات روبل للتقليات و ٢٣٠٢ مليار روبل للزراعة .

لقد كان برنامجاً عظيماً لتزويد الصناعة والزراعة في الاتحاد السوفياتي بالتكنيك الحديث العصري .

وقد قال الرفيق ستالين :

« ان المهمة الاساسية لبرنامج السنوات الخمس هي ان نبني في بلادنا صناعة قادرة على ان تجهز من جديد وان تنظم من جديد ، على اساس الاشتراكية ، لا الصناعة باسرها فحسب ، بل كذلك التقليات ، والزراعة ايضاً . » ( ستالين — مسائل اللينينية : رصيد برنامج السنوات الخمس الاول ) .

على ان هذا البرنامج ، رغم كل ضخامته ، لم يكن فيه شيء غير متروك او شيء يدير الرأس بالنسبة للبلاشفة . فقد هيا له مجموع سير التطور في التصنيع وفي بناء الاقتصاد التعاوني الزراعي ، وهياً له ايضاً ذلك الاندفاع في العمل الذي شمل العمال والفلاحين والذي تجلى في المباراة الاشتراكية .

وقد اقر المجلس الوطني العام السادس عشر للحزب نداء الى جميع الشغيلة لتطور حركة المباراة الاشتراكية .

لقد اعطت المباراة الاشتراكية نماذج رائعة للعمل والوقوف الجديد من العمل . فان العمال والكونخوزيين في كثير من المؤسسات الصناعية وفي الكونخوزات والسوفخوزات وضعوا برامج مقابلة . فابدوا امثلة من العمل البطولي ، ولم يكتفوا بانجاز برامج البناء الاشتراكي التي اقرها الحزب والحكومة

بل تجاوزوها. لقد اخذت نظرة الناس الى العمل تنغير . فان العمل الذي كان في ظل الرأسمالية سخرة شاقة ومذلة ، اخذ يتحول الى «قضية شرف» ، قضية مجد ، قضية بسالة وبطولة» (ستالين).

كان يجري في طول البلاد وعرضها بناء صناعي جبار . فالعمل لانشاء محطة توليد الكهرباء على الدينير قائم على قدم وساق. وفي الدونباس بدأ بناء معامل كراماتورسك وغورلوفكا . وفي لوغانسك بوشر باعادة بناء معمل القاطرات ، واخذت تبرز مناجم جديدة وأفران عالية جديدة. وفي الاورال كان يبنى معمل للانشاءات الميكانيكية وكذلك مجموعة المعامل الكيماوية في بريزنسكي وسوليكامسك. وشرع في بناء معمل ماغنيتوغورسك للتعدين. واتسع العمل في بناء معامل السيارات الكبرى في موسكو وغوريكي. وكانت تبنى معامل جبارة للتراكورات والحاصدات الدارات ومعمل عظيم للالات الزراعية في روستوف على الدون ، واتسعت قاعدة كوزباس (حوض نهر الكوزنتسك) وهي القاعدة الفحمية الثانية في الاتحاد السوفياتي. وخلال ١١ شهراً ، ظهر وسط السهوب القاحلة قرب ستالينغراد ، معمل عظيم للتراكورات . وكان العمال في ورشات المحطة الكهربائية على الدينير وورشات معمل التراكورات في ستالينغراد يضربون المقاييس العالمية في انتاجية العمل.

ان التاريخ لم يعرف بعد ، انشاءاً صناعياً على مثل هذا النطاق الواسع الجبار ، ولم يعرف مثل هذه الحماسة في البناء الجديد ، ولا مثل هذه البطولة في العمل تبديها الملايين من جماهير الطبقة العاملة . كان ذلك من الطبقة العاملة نهوضاً واندفاعاً حقيقياً الى العمل ، يتسعدون انقطاع على اساس المباراة الاشتراكية .

ولم يتأخر الفلاحون هذه المرة عن العمال . ففي القرية ايضاً بدأ الاندفاع الى العمل بين جماهير الفلاحين العاملين على بناء الكولخوزات . ان جماهير الفلاحين اخذوا ينعطفون انعطافاً واضحاً نحو الكولخوزات . ولعبت هنا السوفخوزات ومحطات الآلات والتراكورات ، المجهزة احسن

تجهيز ، دوراً كبيراً . فكان الفلاحون يأتون جماعات جماعات الى السوفخوزات  
والى محطات الآلات والتراكتورات ، ويراقبون باهتمام عمل التراكتورات  
والالات الزراعية ، ويبدون حماسهم ويقررون حالا ، وهم واقفون هناك ،  
« الذهاب الى الكولخوز » . ان الفلاحين الذين كانوا مبعثرين في اقتصاديات  
فردية صغيرة واصغر من صغيرة ، ومحرومين من اتقن الادوات الاساسية ومن  
كل قوة للجر معها تكن بسيطة ، ومحرومين من امكان احياء الاراضي  
العذراء الواسعة وحرارتها ، ومحرومين من كل امل في تحسين اقتصادهم ،  
ومتروكين لانفسهم تسحتهم وطأة الحاجة والعزلة ، وجدوا اخيراً المخرج  
والطريق نحو حياة جديدة ، وجدوه في جمع الاقتصاديات الصغيرة وتوحيدها  
في جمعيات ، في كولخوزات ، وجدوه في التراكتورات القادرة على حراثة  
اية « ارض صلبة » ، واية ارض جرداء ، وجدوه في مساعدة الدولة لهم  
بالآلات والمال والرجال والارشادات ، وجدوه في امكان التحرر من  
نير الكولاك الذين تغلبت عليهم الحكومة السوفياتية منذ فترة وجيزة  
واحنت رقابهم الى الارض بين مظاهر الفرح والاستبشار التي غمرت الملايين  
من جواهر الفلاحين .

على هذا الاساس ، بدأت ثم اتسعت فيما بعد ، الحركة الكولخوزية  
الجمهورية التي اشتدت بوجه خاص في اواخر عام ١٩٢٩ ، وسجلت سرعة  
لا مثيل لها في تزايد الكولخوزات ، سرعة لم تعرفها حتى صناعتنا الاشتراكية .  
وفي عام ١٩٢٨ ، بلغت مساحة الاراضي المزروعة في الكولخوزات  
مليوناً و ٣٩٠ الف هكتار ، وفي عام ١٩٢٩ بلغت اربعة ملايين و ٣٦٢  
الف هكتار ، اما في عام ١٩٣٠ ، فقد اصبح في امكان الكولخوزات ان  
تضع برنامجاً بزراعة ١٥ مليون هكتار .

وقد تكلم الرفيق ستالين عن سرعة تزايد الكولخوزات في مقاله « عام  
الانعطاف الكبير » ( عام ١٩٢٩ ) ، فقال :

« ينبغي الاعتراف بأن مثل هذه السرعة العاصفة في التطور غير معروفة حتى في صناعتنا الاشتراكية الضخمة التي تتميز سرعة تطورها ، مع ذلك ، بأنها ، عموماً ، واسعة النطاق عظيمة المدى » .

هكذا كان الانعطاف في تطور الحركة الكونخوزية .

هكذا كانت بداية الحركة الكونخوزية الجماهيرية .

قال الرفيق ستالين في مقاله : « عام الانعطاف الكبير » متسائلاً : « ما هو الجديد في الحركة الكونخوزية الحالية » ؟ ثم اجاب : « أن الجديد والحاسم في الحركة الكونخوزية الحالية هو ان الفلاحين لا يذهبون الى الكونخوزات جماعات منعزلة ، كما جرى قبلاً ، بل يذهبون اليها قري كاملة ، ونواحي كاملة ، ومناطق كاملة بل واقاليم كاملة . فما معنى ذلك ؟ معناه ان الفلاح المتوسط اخذ طريقه الى الكونخوزات . ذلك هو اساس الانعطاف الجذري الذي تم في تطور الزراعة ، والذي يؤلف واحداً من اهم منجزات الحكم السوفياتي ... »

وكان معنى ذلك ان مهمة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، على اساس تعميم الشكل التعاوني الجماعي في الزراعة تعميماً تاماً كاملاً ، قد شارفت النضج او نضجت تماماً .

## الخلاصة

خلال النضال في سبيل التصنيع الاشتراكي للبلاد، تغلب الحزب، بين ١٩٢٦ و ١٩٢٩، على صعوبات جسيمة، داخلية ودولية. وقد أدت جهود الحزب والطبقة العاملة الى انتصار سياسة التصنيع الاشتراكي.

وُحلت من حيث الاساس مهمة من اصعب المهمات في التصنيع وهي مهمة تكديس الوسائل والموارد لبناء الصناعة الثقيلة. وقد تم وضع الاسس لصناعة ثقيلة قادرة على تجهيز الاقتصاد الوطني بأسره تجهيزاً جديداً.

وتم اقرار برنامج السنوات الخمس الاول للبناء الاشتراكي. وبوشر بعمل ضخم لتطوير بناء معامل وسوفخوزات وكولخوزات جديدة على نطاق واسع.

وكان هذا التقدم الى الامام في طريق الاشتراكية، يرافقه احتدام النضال الطبقي في داخل البلاد واشتداد النضال الداخلي في الحزب. وكانت اهم نتيجة لهذا النضال : سحق مقاومة الكولاك وفضح الكتلة الاستسلامية التروتسكية الزينو فييفية من حيث هي كتلة معادية للسوفييات ، وفضح الاستسلاميين اليمينيين من حيث هم وكلاء للكولاك، وطرد التروتسكيين من الحزب والاعتراف بان آراء التروتسكيين والانتهازيين اليمينيين لا تتفق والانتماء الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفياتي.

ان التروتسكيين، بعدما دحزهم الحزب البلشفي فكراً، وبعدما فقدوا كل

قاعدة وسند في الطبقة العاملة ، انقطعوا عن كونهم تياراً سياسياً وتحولوا الى زمرة لا مبدأ لها، زمرة وصولية من المحتالين السياسيين وعصابة من السياسيين المنافقين ذوي الوجهين.

وبعدما وضع الحزب اسس الصناعة الثقيلة ، اخذ يعبىء الطبقة العاملة والفلاحين لانجاز برنامج السنوات الخمس الاول لتنظيم الاتحاد السوفياتي تنظيماً اشتراكياً جديداً. وانتشرت في طول البلاد وعرضها المباراة الاشتراكية بين ملايين الشغيلة ، ونشأ اندفاع عظيم نحو العمل ، واخذ يتكون موقف جديد من العمل ونظام جديد للعمل .

وتنتهي هذه المرحلة بعام الانعطاف الكبير الذي سجل نجاحات كبرى للاشتراكية في الصناعة والنجاحات الجدية الاولى في الزراعة، كما سجل انعطاف الفلاح المتوسط نحو الكولخوزات وبداية الحركة الكولخوزية الجماهيرية.

## الفصل الحادى عشر

•  
الحزب البلشفي في النضال لتعميم  
الاقتصاد التعاوني في الزراعة  
( ١٩٣٠ - ١٩٣٤ )

•  
١ - الوضع الدولي في ١٩٣٠ - ١٩٣٤ - الازمة  
الاقتصادية في البلدان الرأسمالية - استيلاء  
اليابان على منشوريا - وصول الفاشست  
الى الحكم في المانيا - بؤرتان للحرب .

فما كان الاتحاد السوفياتي يحقق نجاحات هامة في التصنيع الاشتراكي للبلاد،  
ويطور صناعته بسرعة متزايدة، نشبت في بلدان الرأسمالية ، في اواخر عام  
١٩٢٩، وتفاقمت خلال السنوات الثلاث التالية، ازمة اقتصادية عالمية لم يسبق  
لها مثيل من حيث قوتها التهدية . وتشابكت الازمة في الصناعة بأزمة في  
الزراعة فازدادت اوضاع البلدان الرأسمالية سوءاً على سوء.

وفيما كانت الصناعة في الاتحاد السوفياتي قد غت ، خلال سنوات الازمة  
الثلاث ( ١٩٣٠ - ١٩٣٣ )، الى الضعفين فبلغت عام ١٩٣٣، ما يوازي ٢٠١  
في المئة، بالنسبة لمستوى ١٩٢٩، كانت صناعة الولايات المتحدة الاميركية



تهبط، في اواخر عام ١٩٣٣، الى ٦٠ في المئة بالنسبة لمستوى عام ١٩٢٩ ،  
 وصناعة انكلترا الى ٨٦ في المئة ، وصناعة المانيا الى ٦٦ في المئة ، وصناعة  
فرنسا الى ٧٧ في المئة .

وهكذا تبين مرة اخرى تفوق النظام الاشتراكي في الاقتصاد على النظام  
الرأسمالي . هكذا ثبت ان بلاد الاشتراكية هي البلاد الوحيدة في العالم،  
المتحررة من الازمات الاقتصادية.

وبنتيجة الازمة الاقتصادية العالمية، اصبح ٣٤ مليون عاطل عن العمل،  
فريسة للجوع والبؤس والعذاب. واصابت ويلات الازمة الزراعية عشرات  
الملايين من الفلاحين.

وادت الازمة الاقتصادية العالمية الى احتدام التناقضات ايضاً وايضاً بين  
الدول الاستعمارية نفسها وبين البلدان الغالبة والبلدان المغلوبة، وبين الدول  
الاستعمارية والبلدان المستعمرة والتابعة، وبين العمال والرأسماليين ، وبين  
الفلاحين وكبار ملاكي الاراضي.

وقد بين الزفيق ستالين في تقرير اللجنة المركزية في المؤتمر السادس عشر  
للحزب ، ان البورجوازية ستبحث عن مخرج من الازمة الاقتصادية عن  
طريقين ، من جهة عن طريق اضطهاد الطبقة العاملة باقامة الديكتاتورية  
الفاشية، اي ديكتاتورية اشد عناصر الرأسمالية اغراقاً في الرجعية والشوفينية  
واشدّها امعاناً في الروح الاستعمارية ، ومن جهة اخرى عن طريق شن الحرب  
في سبيل توزيع المستعمرات ومناطق النفوذ توزيعاً جديداً على حساب مصالح  
البلدان الضعيفة الدفاع .  
وهو ما وقع فعلاً .

ففي عام ١٩٣٢، اشدت خطر الحرب من جانب اليابان. فقد رأى  
الاستعماريون اليابانيون ان دول اوروبا والولايات المتحدة الاميركية منهمكة  
انها كاتاماً في شؤونها الداخلية بسبب الازمة الاقتصادية ، فقرروا الاستفادة  
من الفرصة لمحاولة الضغط على الصين الضعيفة الدفاع لكي يخضعوها لهم ويصبحوا  
سادة الوضع فيها. وقد بادر الاستعماريون اليابانيون كذباً ونفاقاً الى استغلال

بعض «الحوادث المحلية» التي اثاروها هم انفسهم ، فانزلوا قواتهم في منشوريا  
خلصة كاللصوص وبدون اعلان الحرب على الصين. وقد استولت القوات اليابانية  
على منشوريا بتمامها وهيأت لنفسها مواقع ملائمة للاستيلاء على شمالي الصين  
ولشن عدوان على الاتحاد السوفياتي. ولكي تطلق اليابان يدها تماماً، انسحبت  
من عصبة الامم واخذت تسليح بقوة.

واهابت هذه الحالة بالولايات المتحدة الاميركية وانكلترا وفرنسا الى  
تقوية تسليحها الحربي والبحري في الشرق الاقصى . لقد كان هدف اليابان  
واضحاً وهو اخضاع الصين لسلطانها واخراج الدول الاستعمارية الاوروبية  
والاميركية منها. فاجاب هؤلاء على ذلك بتقوية تسليحهم.

غير ان اليابان كانت ترمي الى هدف آخر ايضاً هو الاستيلاء على الشرق  
لاقصى السوفياتي. ومن المفهوم ان الاتحاد السوفياتي لم يكن يستطيع  
تجاهل مثل هذا الخطر، فاخذ في توطيد القدرة الدفاعية عن اراضي الشرق  
الاقصى السوفياتي .

وهكذا، بفضل الاستعماريين اليابانيين الذين كانوا يتحولون الى الفاشستية،  
تكونت في الشرق الاقصى اول بؤرة للحرب.

ان الازمة الاقتصادية لم تؤد الى احتدام تناقضات الرأسمالية في الشرق  
الاقصى فقط، بل ادت الى احتدامها في اوروبا ايضاً. فان الازمة التي استطلت  
في الصناعة وفي الزراعة، والبطالة التي اتسعت وتعاظمت جداً، واوضاع الحرمان  
التي تفاقمت في الطبقات غير المالكة، كل ذلك زاد في استياء العمال والفلاحين  
واخذ هذا الاستياء يتحول الى نقمة ثورية في الطبقة العاملة. واشتدت النقمة  
خصوصاً في المانيا، البلد الذي نهكته من الناحية الاقتصادية الحرب ،  
والغرامات المدفوعة الى الغالبين الانكليز والفرنسيين ، والازمة الاقتصادية ؛  
البلد الذي كانت فيه الطبقة العاملة تثن تحت نير بورجوازيته والبورجوازية  
الاجنبية ، الانكليزية الفرنسية. وهو ما شهدت به الملايين الستة من الاصوات  
التي نالها الحزب الشيوعي الالماني خلال انتخابات الريخستاغ التي سبقت

وصول الفاشست الى الحكم . لقد رأَت البورجوازية الالمانية ان الحريات الديمقراطية البورجوازية الباقية في المانيا يمكن ان تتقلب عليها وان تلعب معها لعبة خطيرة ، وان الطبقة العاملة يمكن ان تستفيد من هذه الحريات لتطوير الحركة الثورية وتوسيعها ، ولذلك قررت بان ليس هناك ، لصوت حكم البورجوازية في المانيا ، سوى وسيلة واحدة هي نحو الحريات البورجوازية وجعل البرلمان ( الرئخستاغ ) صغراً على الشمال واقامة ديكتاتورية ارهابية بورجوازية قومية ، ديكتاتورية قادرة على سحق الطبقة العاملة وعلى ايجاد سند وقاعدة لنفسها بين جماهير البورجوازية الصغيرة المشربة بروح الشار والانتقام . فاستدعت البورجوازية الالمانية الى الحكم الحزب الفاشستي الذي سمي نفسه ، لخدع الشعب ، حزب القوميين الاشتراكيين: اذ كانت تعلم جيداً ان الحزب الفاشستي هو اولا ، ذلك القسم من البورجوازية الاستعمارية الذي يتميز بأشد انواع الرجعية وبأشد انواع العداء للطبقة العاملة ، وهو ثانياً ، الحزب الذي يتميز بأفظع روح ثأرية انتقامية ، ففي استطاعته ان يجر وراءه الملايين من جماهير البورجوازية الصغيرة المعركة في القومية . وقد حظيت البورجوازية في ذلك بعمونة خونة الطبقة العاملة ، زعماء الاشتراكية الديمقراطية الالمانية الذين عبدوا الطريق للفاشية بسياساتهم التفاهية .

تلك هي الظروف التي احاطت بوصول الفاشست الالمان الى الحكم في عام ١٩٣٣ .

وقد حلل الرفيق ستالين حوادث المانيا في تقرير اللجنة المركزية امام المؤتمر السابع عشر للحزب ، فقال :

« لا ينبغي ان ننظر الى انتصار الفاشستية في المانيا فقط من حيث هو دليل على ضعف الطبقة العاملة ، ومن حيث هو نتيجة للخيانة التي ارتكبتها ضد الطبقة العاملة ، الاشتراكية الديمقراطية التي عبتدت الطريق للفاشية . بل ينبغي النظر اليه ايضاً من حيث هو دليل على ضعف البورجوازية ، من حيث

هو دليل على ان البورجوازية لم تعد قادرة على الحكم بالاساليب القديمة ، اساليب البرلمانية والديمقراطية البورجوازية ، فتجد نفسها مضطرة الى اللجوء ، في السياسة الداخلية ، الى اساليب الحكم الارهابية . « ستالين : مسائل اللينينية » .

لقد دشنت الفاشست الالمان سياستهم الداخلية بحرق الريخستاغ ، واضطهاد الطبقة العاملة اضطهاداً وحشياً ، وتحطيم منظمات العمال ، ومحو الحريات الديمقراطية البورجوازية ، ودشنوا سياستهم الخارجية بالخروج من عصبة الامم والتهية السافرة للحرب في سبيل تعديل حدود الدول الاوروبية بالقوة في صالح المانيا .

وهكذا بفضل الفاشست الالمان ، تكوَّنت ، في قلب اوروبا ، بؤرة ثانية للحرب .

ومن المفهوم ان الاتحاد السوفياتي لم يكن ليستطيع ان يتجاهل واقعاً خطيراً كهذا . فأخذ يراقب مجرى الحوادث في الغرب بيقظة ، عاملاً على تقوية قدرة البلاد الدفاعية على حدودها الغربية .

٢ - من سياسة التضييق على العناصر الكولاكية ، الى سياسة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة - النضال ضد تشويه سياسة الحزب في الحركة الكونغوزية - الهجوم على العناصر الرأسمالية على طول خط الجبهة - المؤتمر السادس عشر للحزب .

كان انضمام الفلاحين بصورة جماهيرية الى الكونغوزات عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، نتيجة لكل النشاط السابق الذي قام به الحزب والحكومة . فان غو الصناعة الاشتراكية التي شرعت في صنع التراكتورات والآلات للزراعة على مقياس واسع ، والنضال الحاسم ضد الكولاك خلال حملات تخزين القمح في عام ١٩٢٨ وعام ١٩٢٩ ، وتقدم التعاون الزراعي الذي عود الفلاح تدريجياً على الاقتصاد الجماعي ، والتجربة الطيبة لاولى الكونغوزات

والسوفخوزات — كل ذلك هياً للانتقال الى تعميم الشكل التعاوني الجماعي  
تعميماً كاملاً ، هياً لانضمام الفلاحين الى الكونخوزات بقرى عن بكرتها ،  
وفي مناطق واقالم باسرها .

ان الانتقال الى تعميم الاقتصاد الجماعي التعاوني تعميماً كاملاً ، لم يكن  
يجري بشكل بسيط سلمي اي بأن تنضم جماهير الفلاحين الاساسية الى  
الكونخوزات ببساطة وبصورة سلمية ، بل كان يجري خلال نضال جماهيري  
يقوم به الفلاحون ضد الكولاك . فقد كان التعميم الكامل للاقتصاد الجماعي  
التعاوني يعني انتقال جميع اراضي القرية الى الكونخوز ، غير ان قسماً هاماً  
من هذه الاراضي كان في ايدي الكولاك ، لذلك كان الفلاحون يطردون  
الكولاك من الارض ، وينتزعون منهم ملكيتهم ، ويأخذون الماشية  
والآلات ويطلبون من الحكم السوفياني اعتقال الكولاك وإجلاءهم .

هكذا كان تعميم الاقتصاد الجماعي تعميماً كاملاً يعني تصفية الكولاك .  
تلك كانت سياسة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة على اساس التعميم  
الكامل للاقتصاد الجماعي .

وفي ذلك العهد ، كان قد تألف في الاتحاد السوفياني الاساس المادي  
الكافي للانتباء من الكولاك ، وتخطيط مقاومتهم وتصفيتهم من حيث هم طبقة  
والاستعاضة عن انتاجهم بانتاج الكونخوزات والسوفخوزات .

في عام ١٩٢٧ كان الكولاك لا يزالون ينتجون اكثر من ٦٠٠ مليون  
بود من القمح ( البود الواحد = ١٦٠٣٨ كيلو غرام ) ، منها ١٣٠ مليون  
بود من القمح التجاري . في حين ان الكونخوزات والسوفخوزات لم تكن  
تعطي في عام ١٩٢٧ سوى ٣٥ مليون بود من القمح التجاري . اما في عام  
١٩٢٩ ، فبفضل اتجاه الحزب البلشفي اتجهاً حازماً نحو تطوير السوفخوزات  
والكونخوزات ، وبفضل نجاحات الصناعة الاشتراكية التي كانت تزود القرية  
بالتراكتورات والآلات الزراعية ، تطورت الكونخوزات والسوفخوزات  
واصبحت قوة ذات شأن . ففي هذا العام لم يكن انتاج الكونخوزات

والسوفخوزات يقل عن ٤٠٠ مليون بود من القمح، منها ١٣٠ مليون بود من القمح التجاري اي اكثر بما اعطى الكولاك في عام ١٩٢٧ . اما في عام ١٩٣٠ فكان على الكولخوزات والسوفخوزات ان تعطي ، وقد اعطت فعلا ، اكثر من ٤٠٠ مليون بود من القمح التجاري ، اي اكثر بكثير بما اعطى الكولاك عام ١٩٢٧ .

وهكذا فان الترتيب الجديد للقوى الطبقية في اقتصاد البلاد ووجود الاساس المادي اللازم للاستعاضة عن الانتاج الكولاكي للقمح بانتاج الكولخوزات والسوفخوزات ، اعطيا الحزب البلشفي امكان الانتقال من سياسة التضيق على الكولاك ، الى سياسة جديدة ، سياسة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، على اساس تعميم الاقتصاد الجماعي تعميماً كاملاً .

لقد طبق الحكم السوفياتي حتى عام ١٩٢٩ ، سياسة التضيق على الكولاك . ففرض على الكولاكي ضريبة مرتفعة ، وطلب منه بيع القمح الى الدولة باسعار ثابتة ، وحدد مساحة الارض التي يتصرف بها الكولاكي في نطاق معين بوضع قانون عن كيفية استئجار الاراضي ، وفرض حدوداً للاقتصاد الكولاكي بوضع قانون عن كيفية استخدام اليد العاملة بالاجرة في الاقتصاد الفلاحي الفردي . غير ان الحكم السوفياتي لم يكن يطبق بعد ، سياسة تصفية الكولاك . فان القوانين عن استئجار الاراضي وعن استخدام اليد العاملة كانت تسمح بوجود الكولاك ، كما انه حظر انتزاع ملكيتهم ، وهو ما كان ساري المفعول اذ ذاك ، كان يعطيهم بعض الضمانات في هذا الصدد . وقد ادت هذه السياسة الى عرقلة تطور الكولاك واعاقه غوهم ، الى ازالة وخراب بعض فئاتهم التي لم تستطع الصمود لتدابير التضيق هذه . غير ان هذه السياسة لم تكن تزيل الاسس الاقتصادية للكولاك من حيث هم طبقة ، لم تكن تؤدي الى تصفية الكولاك . لقد كانت هذه السياسة سياسة تضيق على الكولاك ، لا سياسة تصفية الكولاك . وكانت ضرورية خلال مدة معينة ما دامت الكولخوزات والسوفخوزات ضعيفة بعد ، وغير قادرة على الاستعاضة عن الانتاج الكولاكي للقمح بانتاجها هي نفسها .

وفي عام ١٩٢٩ ، نظراً لنمو الكونخوزات والسوفخوزات ، تحول الحكم السوفياتي عن مثل هذه السياسة واجرئ انعطافاً قوياً ، وانتقل الى سياسة تصفية الكولاك ، الى سياسة محو الكولاك من حيث هم طبقة ، فالنئ قانون استئجار الارض وقانون استخدام اليد العاملة ، وبذلك حرم الكولاك من الارض ومن الشغيلة العاملين بالاجرة ، كذلك النئ الحظر عن انتزاع ملكية الكولاك وسمح للفلاحين بمصادرة ما لدى الكولاك من ماشية وآلات وغيرها من ادوات لمصلحة الكونخوزات . وهكذا صودرت املاك الكولاك مثلاً صودرت ، عام ١٩١٨ ، املاك الرأسمالين في ميدان الصناعة ، مع هذا الفرق وهو ان وسائل الانتاج التي كانت لدى الكولاك لم تنتقل هذه المرة الى ايدي الدولة بل الى ايدي الفلاحين المتحدين المتشاركين ، اي الى الكونخوزات .

كان ذلك انقلاباً ثورياً من اعماق الانقلابات ، كان قفزة من حالة المجتمع الكيفية السابقة الى حالة كيفية جديدة ، بما يوازي ، من حيث عواقبه ، الانقلاب الثوري في اكتوبر عام ١٩١٧ .

والصفة الفريدة التي تميزت بها هذه الثورة ، هي انها جرت من فوق ، بمبادرة من سلطة الدولة ، مع تأييد مباشر من تحت ، من ملايين الفلاحين المناضلين ضد نير الكولاك في سبيل الحياة الكونخوزية الحرة .

وقد حسنت هذه الثورة ، بضربة واحدة ، ثلاث قضايا اساسية في بناء الاشتراكية ، فهي :

( أ ) قضت نهائياً على اكبر طبقة مستثمرة في بلادنا من حيث العدد ، طبقة الكولاك ، التي كانت حصناً لبعث الرأسمالية ورجوعها .

( ب ) ادت الى انتقال اكبر طبقات الكادحين عدداً في بلادنا ، طبقة الفلاحين ، من طريق الاقتصاد الفردي الذي يولد الرأسمالية ، الى طريق الاقتصاد الجماعي ، الكونخوزي ، الاشتراكي .

( ج ) اعطت الحكم السوفياتي اساساً اشتراكياً في اوسع ميدان من

مبادئ الاقتصاد الوطني ، واشدها لزوماً للحياة ، واكثرها مع ذلك تأخراً :  
اي في الزراعة .

وبذلك تم القضاء في داخل البلاد على المصادر الاخيرة لرجوع الرأسمالية ،  
وفي الوقت نفسه أنشئت الظروف الجديدة ، الظروف الحاسمة ، التي لا بد منها  
لبناء الاقتصاد الوطني ، الاشتراكي .

وقد شرح الرفيق ستالين في عام ١٩٢٩ مقومات سياسة تصفية الكولاك  
من حيث هم طبقة ، وأشار الى حركة الفلاحين الجماهيرية الرامية الى تحويل  
الزراعة بكاملها الى زراعة تعاونية ، فكتب ما يلي :

« ها نحن نشهد كيف ينهار ويتحول الى غبار ، « المبدأ  
المقدس ، مبدأ الملكية الخاصة » ، الذي كان آخر أمل  
للرأسماليين في جميع البلدان ، الحالمين باعادة الرأسمالية الى  
الاتحاد السوفياتي . فالفلاحون الذين يعتبرهم هؤلاء الرأسماليون  
سماذاً يبيء تربة خصبة للرأسمالية ، ينخلون بجواهرهم عن علم  
« الملكية الخاصة » الذي طالما كان موضع المديح والتمجيد ،  
وينتقلون الى طريق التعاون ، طريق الاشتراكية ... ان  
الامل الاخير بعودة الرأسمالية ، يتداعي وينهار ! » ( ستالين :  
« عام الانعطاف الكبير » ، راجع مسائل اللينينية ) .

ان سياسة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، قد تم تثبيتها في القرار  
التاريخي الذي اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ،  
في ٥ كانون الثاني ١٩٣٠ ، « حول درجات السرعة في تعميم الاقتصاد الجماعي  
التعاوني ، وتدابير الدولة للمساعدة على تشييد الكولхозات » . وهذا القرار  
يأخذ بعين الاعتبار بشكل تام ، تباين الظروف في مختلف مناطق الاتحاد  
السوفياتي ، والتفاوت في درجة الاستعداد للاقتصاد التعاوني في شتى بقاع  
الاتحاد السوفياتي .

وقد وُضعت درجات مختلفة فيما يتعلق بالسرعة في تنفيذ التعاون . فقسمت



اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي ، مناطق الاتحاد السوفياتي الى ثلاث مجموعات ، من حيث السرعة الواجب اتباعها في تنفيذ التعاون .

كانت المجموعة الاولى تشمل اهم المناطق المنتجة للحبوب ، وهي احسن المناطق استعداداً للتعاون ، وفيها عدد اكبر من التراكتورات ومن السوفخوزات ، ولديها تجربة اوفى في النضال ضد الكولاك ايام حملات تحزين القمح السابقة . وهذه المناطق هي : القفقاس الشمالي ( الكوبان والدون والثيريك ) والفولغا الوسطى ، والفولغا السفلى . وقد اقترحت اللجنة المركزية ، بشأن هذه المجموعة من المناطق المنتجة للحبوب ، ان يتم تنفيذ التعاون فيها ، بخطوطه الكبرى الاساسية ، في ربيع سنة ١٩٣١ .

اما المجموعة الثانية من المناطق المنتجة للحبوب ، وتضم اوكرانيا ، ومنطقة الاراضي السوداء الوسطى ، وسيبيريا ، والاورال ، وقازاكستان ، والمناطق الاخرى المنتجة للحبوب ، فكانت تستطيع انجاز التعاون ، بخطوطه الكبرى الرئيسية ، في ربيع ١٩٣٢ .

اما المناطق والاراضي والجمهوريات الاخرى ( منطقة موسكو ، وعبر القفقاس ، وجمهوريات آسيا الوسطى ، وغيرها ) فكان في وسعها تمديد فترات تنفيذ التعاون حتى نهاية برنامج السنوات الخمس ، اي حتى العام ١٩٣٣ . ورأت لجنة الحزب المركزية من الضروري ، ازاء تصاعد سرعة الحركة التعاونية ، ان تزيد ايضاً وايضاً في سرعة بناء المعامل المنتجة للتراكتورات والآلات الحاصدة الدارسة ، وسائر الآلات التي تجرها التراكتورات ... الخ ... وفي الوقت نفسه ، طلبت اللجنة المركزية الرديشكيل حاسم على الميول الرامية الى استصدار دور التحليل في الجرح خلال هذه المرحلة من الحركة الكونخوزية ، هذه الميول المؤدية الى بيع الخيول والمتاجرة بها . ووضعت الاعتمادات المخصصة للكونخوزات في موسم ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ( فبلغت ٥٠٠ مليون روبل ) .

وقدم اقتراح بان تجري اعمال تحديد وتحرير الاراضي في الكونخوزات على

وكان القرار يحتوي على توجيه هام جداً ، مفاده ان الشكل الرئيسي للحركة الكولخوزية في هذه المرحلة ، هو « الآرتل » الزراعي ، حيث تصبح وسائل الانتاج الرئيسية فقط ، دون غيرها ، مشتركة ، جماعية .

وخذّرت اللجنة المركزية منظمات الحزب بشكل صارم وجدي جداً « من الميل بآي شكل كان الى اجراء الحركة الكولخوزية من فوق » ، « عن طريق المراسيم » ، اذ يمكن ان ينشأ عن ذلك خطر داهم ، هو ان يصبح تعميم التعاون لعبة ، عوضاً عن تحقيق مباراة اشتراكية حقيقية في تنظيم الكولخوزات . » ( الحزب الشيوعي البلشفي في قراراته ، الجزء الثاني ، ص ٦٦٢ ، الطبعة الروسية ) .

ان قرار اللجنة المركزية هذا ، اسبغ الوضوح التام على تطبيق سياسة الحزب الجديدة في الارياض .

وعلى اساس سياسة تصفية الكولاك والتعميم الكامل للاقتصاد الجماعي التعاوني ، تطورت وغت حركة كولخوزية قوية . فكان الفلاحون يدخلون الى الكولخوزات بصورة واسعة تشمل قرى ومناطق بأسرها ، وهم يكنسون الكولاك من طريقهم ، ويتحررون من نيرهم .

ولكن الى جانب النجاحات العظيمة التي احرزتها الحركة التعاونية ، لم تلبث ان ظهرت نواقص وثرعات في النشاط العالي للمناضلين الحزبيين ، وتشويحات لسياسة الحزب في انشاء الكولخوزات . فرغم تحذير اللجنة المركزية ، ضد المبالغة في التهور امام انتصارات الحركة التعاونية ، اخذ كثير من المناضلين الحزبيين يعمنون في تعميم التعاون بصورة مصطنعة ، دون ان يراعوا ظروف المكان والزمان ، ولا درجة استعداد الفلاحين للالتقاء الى الكولخوزات .

وتبين ان مبدأ حرية الاختيار في انشاء الكولخوزات ، قد خرق وانتهك . ففي عدد من المناطق استعويض عن مبدأ حرية الاختيار ، بأسلوب اجبار

الفلاحين على الانتباه الى الكوئلوزات ، عن طريق تهديدهم « بمصادرة املاكهم » كما لو كانوا من الكولاك ، وبجرمانهم من حقوقهم الانتخابية .. الخ ...

وفي عدد من المناطق ، عوضاً عن العمل التحضيري الضروري ، وعوضاً عن شرح اسس سياسة الحزب في ميدان تعميم التعاون ، كان يستعاض عن ذلك كله بتضخيم النسبة المئوية لما تحقق من تعميم التعاون تضخيماً مصطنعاً ، وبإصدار مراسيم من فوق ، بشكل بيروقراطي ، تحوي احصاءات منفوخة نفخاً عن الكوئلوزات المزعوم تنظيمها .

ورغم تعليمات اللجنة المركزية بان الحلقة الاساسية في الحركة الكوئلوزية هي الآرتل الزراعي حيث تصبغ وسائل الانتاج الاساسية فقط مشتركة ، جماعية ، ففي عدد من الامكنة ، قفزوا بشكل طائش ، من فوق الآرتيل ، الى المشاعة ( الكومونة ) رأساً ، وجعلوا كل شيء مشتركاً ، جماعياً ، حتى مباني السكن ، والماشية الحلوب او الصغيرة غير المعدة للسوق ، والدواجن البينية ... الخ ...

وكان قادة بعض المناطق الذين هموسوا للانتصارات الاولى في تعميم الاقتصاد الجماعي التعاوني ، يخالفون تعليمات اللجنة المركزية الصريحة فيما يتعلق بدرجات السرعة في تعميم الاقتصاد التعاوني ، وبالمهل الممنوحة لتحقيقه . فان منطقة موسكو في ركضها وراء الاحصاءات المضخمة ، اخذت تدفع مناخليها الى انجاز تعميم التعاون في ربيع سنة ١٩٣٠ ، رغم انه كان لديها مهلة ثلاث سنوات على الاقل ( حتى نهاية ١٩٣٢ ) . وقد ارتكبت مخالفات اشد خطورة ايضاً في مناطق عبر القوقاس وآسيا الوسطى .

وقد استغل الكولاك واتباعهم هذه المبالغات لاغراض استفزازية ، فكانوا يقترحون تنظيم المشاعات بدلا من الآرتلات الزراعية ، والشروع فوراً في جعل المساكن والماشية الصغيرة والدواجن ، مشتركة ، جماعية . وكان الكولاك في الوقت نفسه يحرضون الفلاحين على ذبح مواشيهم قبل الدخول الى الكوئلوز ، ويقنعونهم بان ماشيتهم « ستؤخذ منهم على كل حال »

عند اتهامهم للكونخوزات . لقد كان العدو الطبقي يأمل ان تؤدي المبالغات والاختطاء التي ترتكبها المنظمات المحلية خلال تعميم الاقتصاد التعاوني ، الى اغضاب جماهير الفلاحين والى اثاره حركات عصيان ضد الحكم السوفياتي .

ان الاختطاء التي ارتكبتها المنظمات الحزبية ، والاعمال الاستفزازية المباشرة التي قام بها العدو الطبقي ، كانت لها نتائجها . ففي النصف الثاني من شهر شباط ١٩٣٠ ، وفيما كانت حركة تعميم التعاون تسجل نجاحات عامة اكيدة ، ظهرت في عدد من المناطق علائم خطرة تدل على وجود استياء جدي بين جماهير الفلاحين . حتى لقد نجح الكولاك وعلاؤهم ، هنا وهنا ، في اثاره الفلاحين الى القيام باعمال مباشرة ضد الحكم السوفياتي .

وعندما تلقت اللجنة المركزية عدداً من العلائم المقلقة عن تشويه خطة الحزب تشويهاً يهدد حركة تعميم التعاون بخطر داهم ، عمدت فوراً الى معالجة الحالة ، واخذت توجه ملاكات الحزب الى طريق العمل السريع لاصلاح الاختطاء المرتكبة . وفي ٢ اذار ١٩٣٠ ، صدر ، بقرار من اللجنة المركزية ، مقال الرفيقي ستالين : « نشوة النجاح » . وقد وجه هذا المقال تحذيراً الى جميع الذين اخذتهم النشوة ودارت رؤوسهم امام النجاحات في تعميم الحركة التعاونية ، فوقعوا في اخطاء فاحشة ، وانحرفوا عن خطة الحزب ، الى جميع الذين كانوا يحاولون دفع الفلاحين في طريق الكونخوزات بواسطة تدابير الضغط الاداري . وكان المقال يصر اصراراً شديداً على مبدأ حرية الاختيار في انشاء الكونخوزات ، ويؤكد ضرورة الانتباه الى تنوع الظروف في مختلف مناطق الاتحاد السوفياتي عند تعيين معدلات سرعة التعاون واساليبه . وكان الرفيقي ستالين يذكر في مقاله هذا بان الحلقة الاساسية في الحركة الكونخوزية هي الآرتل الزراعي حيث تصبح جماعة « مشتركة » ، وسائل الانتاج الرئيسية فقط — وخصوصاً في زراعة الحبوب — اما قطعة الارض التابعة للبيت ، ومباني السكن ، وكذلك قسم من الماشية الحلوب ، ثم الماشية الصغيرة ، والدواجن ، ... الخ .. ، فلا يشملها ذلك ، اي لا تصبح مشتركة جماعة .

كان لمقال الرفيق ستالين شأن سياسي عظيم . فقد ساعد منظمات الحزب على اصلاح اخطائهما ، وانزل ضربة قاصمة باعداء الحكم السوفياني ، الذين كانوا يأملون ان تتيح لهم المبالغات التي وقعت ، اثاره الفلاحين على الحكم السوفياني . واقتنعت جماهير الفلاحين الواسعة بان خطة الحزب البلشفي لا علاقة لها بالمبالغات « اليسارية » الحمقاء التي ارتكبت في بعض الاماكن . واعاد المقال السكينة والاطمئنان الى جماهير الفلاحين .

ولكي تنجز اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياني اصلاح المبالغات والاطمئنان ، فتكمل ما بدأه الرفيق ستالين في مقاله ، قررت توجيه ضربة اخرى لهذه الاخطاء ، فنشرت في ١٥ آذار ١٩٣٠ قرارها : « حول النضال ضد تشويه خطة الحزب في الحركة الكونخوزية » .

كان هذا القرار يحلل بالتفصيل ما وقع من اخطاء نتيجة الانحراف عن خطة الحزب اللينينية الستالينية ، نتيجة الاقدام على انتهاك تعليمات الحزب انتهاكا مباشرا .

وبينت اللجنة المركزية ان الوقوع في المبالغات « اليسارية » هو مساعدة مباشرة للعدو الطبقي .

ودعت اللجنة المركزية الى « عزل المناضلين ، الذين لا يعرفون او لا يريدون القيام بنضال حازم ضد تشويه خطة الحزب ، من مراكزهم ، والاستعاضة عنهم بغيرهم » ( الحزب الشيوعي البلشفي في قراراته ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٣ ، الطبعة الروسية ) . وعزلت اللجنة المركزية قيادات بعض المنظمات الحزبية في المناطق والمقاطعات ( منطقة موسكو ، وعبر القفاس ) التي ارتكبت اخطاء سياسية ولم تستطع اصلاحها .

وفي ٣ نيسان ١٩٣٠ ، صدر مقال الرفيق ستالين : « جواب الى الرفاق الكونخوزيين » . وكان هذا المقال يبين منشأ الاخطاء في مسألة الفلاحين ، كما يكشف الاخطاء الرئيسية في الحركة الكونخوزية : اتخاذ موقف خاطيء من الفلاح المتوسط ، انتهاك المبدأ اللينيني عن حرية الاختيار في انشاء

الكولخوزات ، خرق المبدأ اللينيني بضرورة الانتباه الى تنوع الظروف واختلافها في مختلف مناطق الاتحاد السوفياتي ، القفز من فوق الآرتل الى المشاعة .

وقد تمكن الحزب ، بفضل جميع هذه التدابير ، من القضاء على المبالغات التي ارتكبها المناضلون المحليون في عدد من المناطق .

كان على اللجنة المركزية ان تظهر اعلى درجات الحزم ، وان تبين قدرتها على السير ضد التيار ، لكي تعيد الى جادة الضواب ، في الوقت المناسب ، قسماً هاماً من ملاكات الحزب ، اسكره الظفر ، فأخذ ، من جراء ذلك ، ينحدر بسرعة الى الهاوية ، منحرفاً عن خطة الحزب .

لقد تمكن الحزب من تصفية التشويشات التي دخلت على خطة الحزب في الحركة الكولخوزية .

وعلى هذا الاساس ، وُطدت نجاحات الحركة الكولخوزية .

وعلى هذا الاساس خلقت التربة الصالحة لنهوض الحركة الكولخوزية نهوضاً جديداً قوياً .

قبل ان ينتقل الحزب الى سياسة تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، كان الهجوم الجدي الكبير على العناصر الرأسمالية ، الرامي الى تصفية هذه العناصر ، يجري بصورة رئيسية في المدن ، في ميدان الصناعة . اما الزراعة ، اما القرية فقد تأخرت من هذه الناحية عن الصناعة ، عن المدينة . ولذلك كان هذا الهجوم وحيد الطرف ، غير كامل وغير شامل . اما الآن ، حين اخذ تأخر القرية يسير الى الزوال ، واخذ نضال جماهير الفلاحين في سبيل تصفية الكولاك يتخذ شكلاً واضحاً جديداً ، وانتقل الحزب الى سياسة تصفية الكولاك ، حينئذ اتخذ الهجوم ضد العناصر الرأسمالية طابعاً شاملاً عاماً ، وتحول من هجوم وحيد الطرف الى هجوم على مجموع الجبهة . وعندما دعي المؤتمر السادس عشر للحزب الى الانعقاد ، كانت الهجوم العام على العناصر الرأسمالية يسير ويتسع على طول الخط .

في ٢٦ حزيران ١٩٣٠ ، انعقد المؤتمر السادس عشر للحزب . وقد اشترك فيه ١٢٦٨ مندوباً بأصوات فعلية ، ٨٩١١ مندوباً بأصوات استشارية . وكان المندوبون يمثلون ٨٧٤ و ١٠٢٦٠ عضواً في الحزب ، و ٧١١ و ٦٠٩ مرشحين . لقد دخل المؤتمر السادس عشر في تاريخ الحزب من حيث هو « مؤتمر هجوم الاشتراكية هجوماً واسعاً على مجموع الجبهة » ، مؤتمر تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، وتطبيق الاقتصاد التعاوني الجماعي بشكل كامل » ( ستالين ) . وقد بين الرفيق ستالين ، في التقرير السياسي المقدم باسم اللجنة المركزية ، الانتصارات العظيمة التي احرزها الحزب البلشفي ، بتوسيعه الهجوم الاشتراكي . ففي مجال التصنيع الاشتراكي ، تم الوصول الى رجحان قسط الصناعة على قسط الزراعة في مجموع انتاج الاقتصاد الوطني . فخلال السنة الاقتصادية ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، بلغت حصة الصناعة من مجموع انتاج الاقتصاد الوطني ٥٣ في المئة على الاقل ، اما حصة الزراعة فقد بلغت تقريباً ٤٧ بالمئة . في عهد المؤتمر الخامس عشر ، اي في ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، كان مجموع الانتاج في كل الصناعة قد بلغ ١٠٢ ، ٥ بالمئة بالنسبة لمستوى ما قبل الحرب ، اما عند انعقاد المؤتمر السادس عشر ، اي في ١٩٢٩ — ١٩٣٠ فكان مجموع انتاج الصناعة يوازي ١٨٠ بالمئة تقريباً بالنسبة لمستوى ما قبل الحرب . وكانت الصناعة الثقيلة — اي انتاج وسائل الانتاج ، وانشاء الآلات — تتقدم دوغا انقطاع .

وقد اعلن الرفيق ستالين بين تصفيق المؤتمر كله : « اتنا على اعتاب التحول من بلد زراعي الى بلد صناعي » .

وقد اوضح الرفيق ستالين ان علينا مع ذلك ، ان لا نخلط بين السوعة العالية في تطور الصناعة وبين مستوى تطور الصناعة . فرغم تطور الصناعة الاشتراكية بسرعة لم يسبق لها مثيل ، ما زلنا متأخرين جداً عن البلدان الرأسمالية المتقدمة من حيث مستوى التطور الصناعي . فقد كان الوضع كذلك فيما يتعلق بانتاج القوة الكهربائية ، رغم النجاحات الهائلة في كهربة الاقتصاد

السوفياتي . وكذلك كان الوضع فيما يتعلق بانتاج المعادن. وقد كان من المقرر ان يبلغ انتاج الحديد الصب في الاتحاد السوفياتي ٥٥ مليون طن في نهاية ١٩٣٩ — ١٩٣٠ في حين ان انتاج الحديد الصب في المانيا ، في ١٩٣٩ ، بلغ ١٣,٤ مليون طن، وفي فرنسا ١٠,٤ مليون طن. فلنكي نضع حداً لتأخرنا الصناعي — التكنيكي في وقت قصير ، كان من الضروري ان نزيد ايضاً وايضاً في سرعة تطور صناعتنا ، وان نقوم بتضال حازم لا هراة فيه ضد الانتهازين الذين كانوا يسعون الى تخفيض سرعة تطور الصناعة الاشتراكية . وقد قال الرفيق ستالين في هذا الصدد :

« ... ان الاشخاص الذين يثرون حول ضرورة تخفيض السرعة في تطور صناعتنا ، هم اعداء للاشتراكية ، هم عملاء لاعدائنا الطبقيين » (ستالين — مسائل اللينينية) .

وعندما تبين ان برنامج السنة الاولى من برنامج السنوات الخمس ، قد تم انجازه وتجاوزه ، برز بين الجماهير شعار : « انجاز مشروع السنوات الخمس في اربع سنوات » . وكانت تنفيذ البرنامج في بعض فروع الصناعة المتقدمة ( كالبتروال والفحم والانشاءات الميكانيكية العامة والآلات الزراعية والصناعة الكهربائية التكنيكية ) قد سار بنجاح كبير ، حتى اصبح من الممكن تحقيق برنامج الخمس سنوات فيها خلال سنتين ونصف السنة او ثلاث سنوات . وبذلك قام الدليل القاطع على ان شعار « تنفيذ برنامج السنوات الخمس في اربع سنوات » ، هو شعار واقعي ، عملي ، وانفضحت انتهازية ذوي الشكوك فاقيدي الايمان ، الذين كانوا يرتابون في امكان تحقيق هذا الشعار .

وفوض المؤتمر السادس عشر لجنة الحزب المركزية بان تؤمن في المستقبل ايضاً مسوعات بلشفية كفاحية في بناء الاشتراكية ، وان تحقق بصورة فعلية انجاز مشروع السنوات الخمس في اربع سنوات » .

عند انعقاد المؤتمر السادس عشر ، كان الحزب قد حقق انعطافاً عظيماً في تطور الزراعة في الاتحاد السوفياتي . فجمهير الفلاحين الواسعة كانت قد تحولت



نحو الاشتراكية. وفي اول ايار ١٩٣٠ كانت الحركة التعاونية الجماعية في المناطق الرئيسية المنتجة للحبوب قد شملت ٤٠ الى ٥٠ بالمئة من اقتصاديات الفلاحين (عوضاً عن ٢ او ٣ بالمئة في ربيع عام ١٩٢٨) وبلغت المساحات المزروعة في الكولخوزات ٣٦ مليون هكتار.

وهكذا تم تجاوز البرنامج الذي نص عليه قرار اللجنة المركزية بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٣٠ ، (وهو برنامج مرفوع كان ينص على زراعة ٣٠ مليون هكتار). اما برنامج السنوات الخمس المتعلق بإنشاء الكولخوزات ، فخلال سنتين فقط ، تم تجاوزه بنسبة ١٥٠ في المئة .

وازداد الانتاج التجاري في الكولخوزات اكثر من اربعين مرة في مدى ثلاث سنوات . وابتداء من ١٩٣٠ ، كانت الدولة تتلقى من الكولخوزات اكثر من نصف مجموع الانتاج الوطني من الحبوب التجارية ، هذا عدا انتاج السوفخوزات .

وكانت هذه الارقام تدل على ان مصير الزراعة لن تقرره ، بعد الان ، الاقتصاديات الفلاحية الفردية ، بل تقرره الكولخوزات والسوفخوزات . واذا كان الحكم السوفياني ، قبل انضمام الفلاحين جماهيرياً الى الكولخوزات ، يعتمد في الدرجة الاولى على الصناعة الاشتراكية ، فقد اخذ بعد الآن يعتمد ايضاً على القطاع الاشتراكي في الزراعة ، الذي كان ينمو بسرعة ، اي على الكولخوزات والسوفخوزات .

لقد اصبحت جماهير الفلاحين الكولخوزيين ، كما ورد في احد قرارات المؤتمر السادس عشر للحزب ، « السند الحقيقي الوطيد للحكم السوفياني » .

٣ - اتجاه الحزب نحو إعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطني - دور التكنيك - نهوض جديد في الحركة الكوغلوزية - الفروع السياسية في محطات التراكتورات والآلات - النتيجة الاجمالية لتنفيذ برنامج السنوات الخمس في اربع سنوات - انتصار الاشتراكية على مجموع الجبهة - المؤتمر السابع عشر للحزب .

بعد ما تبين ان الصناعة الثقيلة ، وخصوصاً الانشاءات الميكانيكية ، لا يقتصر الامر فيها على انها قد بُليت ووطدت ، بل أخذت كذلك تتطور وتنمو باستمرار وعلى وتيرة سريعة ، برزت امام الحزب مهمة عاجلة ، هي إعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطني على اساس التكنيك الجديد الحديث . وكان ذلك يعني تزويد صناعة المحروقات وصناعة التعدين والصناعة الخفيفة وصناعة الاغذية وصناعة الغابات ، والصناعة الحربية ، والنقلات ، والزراعة ، بأساس تكتيكي حديث ، وبآلات جديدة لصنع الآلات ، وبادوات جديدة . وامام الاقبال الهائل على طلب المنتجات الزراعية والمواد المصنوعة ، اصبح من الضروري زيادة الانتاج في جميع فروع الاقتصاد الوطني ، الى الضعفين بل الى ثلاثة اضعاف . ولكن كان من المتعذر تحقيق ذلك دون تزويد المعامل والمصانع والكوغلوزات والسوفخوزات بكميات كافية من التجهيزات الحديثة ، ذلك لان التجهيز القديم لم يكن قادراً على تحقيق مثل هذا النمو في الانتاج .

فبدون إعادة بناء الفروع الرئيسية للاقتصاد الوطني ، كان من المستحيل تلبية الحاجات الجديدة ، المتعاظمة كل يوم ، التي كانت تتطلبها البلاد وتطلبها الاقتصاد الوطني .

وبدون إعادة البناء ، لم يكن من الممكن متابعة الهجوم الاشتراكي على

طول خط الجبهة ، الى النهاية ، اذ كان من الواجب قهر العناصر الرأسمالية في المدينة والقرية والاجهاز عليها ، لا بواسطة تنظيم العمل والملكية تنظيمًا جديدًا فقط ، بل كذلك بواسطة تكتيك جديد ومتفوق .

وبدون اعادة البناء ، كان من المستحيل اللحاق بالبلدان الرأسمالية المتقدمة وسبقها من الناحية التكتيكية والاقتصادية ، ذلك لان الاتحاد السوفياتي ، وان كان متفوقاً على البلدان الرأسمالية من حيث سرعة نمو الصناعة فيه ، فقد كان لا يزال متأخراً تأخراً جديداً عنها من حيث مستوى التطور الصناعي ، ومن حيث كمية المنتجات المصنوعة .

فلأجل تصفية هذا التأخر ، كان من الواجب تزويد مجموع اقتصادنا الوطني بتكتيك جديد ، وكان من الواجب اعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطني على اساس التكتيك الجديد ، الحديث . وهكذا اصبح للتكتيك اهمية حاسمة .

ولم تكن العقبة التي يجب التغلب عليها ، ناشئة عن نقص الآلات الجديدة والآلات الجديدة الصانعة للالات — فصناعة الانشاءات الميكانيكية كانت تستطيع تقديم هذه التجهيزات الجديدة — بمقدار ما كانت ناشئة عن الموقف الخاطئ الذي يقفه قادة اقتصادنا من التكتيك ، موقف الازدراء للتكتيك ، واستصغار دور التكتيك في مرحلة اعادة البناء . كان المسؤولون في اقتصادنا يعتبرون ان التكتيك قضية نهم «الاختصاصيين» ، قضية من الدرجة الثانية ، موكول امرها الى «الاختصاصيين البورجوازيين» ، وان المسؤولين الشيوعيين في الاقتصاد ، ليس من واجهم ان يتدخلوا في تكتيك الانتاج ، فليست مهمتهم ان يهتموا بالتكتيك ، بل بشؤون ذات اهمية اكبر ، وهي شؤون القيادة «العامة» للانتاج .

واذن ، كانت مهمة تسيير الانتاج متروكة «للاختصاصيين» البورجوازيين ، اما قادة الاقتصاد الشيوعيون فقد تركوا لانفسهم القيادة «العامة» ، اي التوقيع على الاوراق .

ولا حاجة للتدليل على ان القيادة « العامة » كانت ، بنتيجة هذا الموقف ، تتحول الى ثثرة عن القيادة « بصورة عامة » ، وتقتصر على توقيع الاوراق لا غير ، وعلى الفرق في المعاملات الورقية .

ومفهوم اننا، مع مثل هذا الموقف، وقف الاحتقار من التكنيك ، يقفه قادة الصناعة الشيوعيون ، ما كان بوسعنا ابدأ ان نسبق البلدان الرأسمالية المتقدمة ، بل ما كان بوسعنا حتى اللحاق بها وادراكها . ان مثل هذا الموقف من التكنيك ، خصوصاً في عهد اعادة البناء ، كان يقضي على بلادنا بالتأخر ، وعلى سرعات تطورها بالهبوط . ان مثل هذا الموقف من التكنيك كان ، من حيث الجوهر ، يستر ويغطي رغبة خفية لدى قسم من المسؤولين الاقتصاديين الشيوعيين ، في ابطاء سرعة نمو الصناعة وتخفيضها ، وخلق « جو من الهدوء » لانفسهم ، والقاء مسؤولية الانتاج على عاتق « الاختصاصيين » . فكان من الضروري توجيه انظار المسؤولين الشيوعيين في الصناعة نحو التكنيك ، ودفعهم الى تذوقه ، واقناعهم بان استيعاب التكنيك الجديد هو امر حيوي للكادر القيادي البلشفي في الصناعة ، واننا بدون استيعاب التكنيك الجديد ، نغامر بابقاء وطننا في حالة من التأخر والتدني عن غيره . تلك كانت مهنة ، لم يكن من الممكن ابدأ ، بدون حلها ، التقدم الى امام .

وقد ساهم الرفيق ستالين في هذا العمل مساهمة بارزة بالخطاب الذي القاه في شباط ١٩٣١ ، امام اول مجلس عام للمسؤولين في الصناعة . وقد جاء فيه : « يتساءلون احياناً : اليس من الممكن التخفيف من سرعتنا نوعاً ما ، وكبح الحركة قليلاً ! . كلا ، ذلك غير ممكن ايها الرفاق ! لا يمكن تخفيض السرعة ! ان كبح السرعة معناه التأخر ، والمتأخرون محكوم عليهم بالهزيمة . اما نحن ، فلانريد ان نهزم ، كلا لا نريد ذلك ! »

« ان من جملة الامور التي تكون منها تاريخ روسيا القديمة ،

انها كانت تلقى الهزائم باستمرار نتيجة لتأخرها . فقد هزمها  
خانات المغول ، وهزمها البكوات الاتراك ، وهزمها الاقطاعيون  
السويديون ، وهزمها النبلاء البولونيون - الليتوانيون ،  
وهزمها الرأسماليون الانكليز والفرنسيون ، وهزمها البارونات  
اليابانيون ، الجميع هزموها ... لانها كانت متأخرة .

لقد تأخرنا عن البلدان المتقدمة من ٥٠ الى ١٠٠ عام !  
وعلى ان نجتاز هذه المسافة في مدى عشر سنوات . فاما ان  
نفعل ذلك ، واما ان يطحنونا طحناً ...

« خلال عشر سنوات على ابعد تقدير ، علينا ان نجتاز المسافة  
التي تأخرنا عنها عن البلدان الرأسمالية المتقدمة . ولدينا جميع  
الامكانيات « الموضوعية » لاجل ذلك ، ولا ينقصنا سوى ان  
نعرف كيف نستفيد لكي نستفيد من هذه الامكانيات فائدة  
حقيقية وهو شيء يتوقف علينا ، وعلينا فقط . لقد آن لنا ان  
نتعلم الافادة من هذه الامكانيات . لقد آن لنا ان نتخلص من  
هذا الاتجاه الضار البالي ، الاتجاه الى عدم التدخل في الانتاج .  
لقد آن لنا ان نتخذ موقفاً غير موقفنا السابق ، موقفاً جديداً  
ومطابقاً للمرحلة الحاضرة ، الموقف الذي يتلخص في وجوب  
التدخل في كل شيء . فاذا كنت مديراً لمعمل ، فعليك ان تتدخل  
في جميع القضايا ، وعليك ان تفوض الى بواطن جميع الاشياء ،  
واياك ان تتغافل عن اي امر . تعلم وتعلم ايضاً وايضاً . يجب  
على البلاشفة ان يستوعبوا التكنيك وان يصبحوا اسياده .  
لقد حان الوقت لكي يصبح البلاشفة هم انفسهم اختصاصيين . ان  
التكنيك هو الذي يقرر كل شيء ، في عهد اعادة البناء »  
( ستالين - مسائل اللينيينية ) .

كان لخطاب الرفيق ستالين اهمية تاريخية كبرى . فهو قد وضع حداً

لموقف الازدراء من التكنيك الذي كان يقفه المسؤولون الاقتصاديون الشيوعيون ، ووجه هؤلاء الى الاهتمام بالتكنيك ، وافتتح عهداً جديداً في النضال لكي يعمل البلاشفة انفسهم على استيعاب التكنيك ، وبذلك سهل التقدم والتطور في اعادة بناء الاقتصاد الوطني .

ومنذ ذلك الحين ، تحول التكنيك من شيء يحكره «الاختصاصيون» البورجوازيون ، الى قضية حيوية بالنسبة للبلاشفة المسؤولين عن الاقتصاد ، وتحولت كلمة «اختصاصي» من لقب يستدعي الازدراء والاستخفاف ، الى لقب شرف للبشفي الذي استوعب التكنيك .

ومنذ ذلك الحين ، كان لا بد ان تبرز - وقد برزت فعلاً - فصائل كاملة قوامها الالوف وعشرات الالوف من الاختصاصيين الحمر الذين اصبحوا اسباب التكنيك وصاروا اهلاً لقيادة الانتاج .

اولئك هم المثقفون الجدد ، المثقفون السوفيياتيون ، اسباب التكنيك والانتاج ، الذين انبثقوا من قلب الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين ، والذين يؤلفون اليوم القوة الاساسية في قيادتنا الصناعية .

كل ذلك كان لا بد ان يهد السبيل - وقد مهده فعلاً - للنهوض العظيم في اعادة بناء الاقتصاد الوطني .

ولم يقتصر هذا التقدم الكبير في اعادة البناء على ميداني الصناعة والنقل ، بل امتد الى الزراعة ايضاً ، وبقوة اكبر . وذلك امر مفهوم . فالزراعة التي كانت اقل تجهيزاً بالآلات من فروع الاقتصاد الاخرى ، كانت بطبيعة الحال اكثر حاجة للالات الحديثة من سائر الفروع . وعلاوة على ذلك فان تجهيز الزراعة بالآلات الحديثة تجهيزاً كثيفاً ، كان امراً ضرورياً ، خصوصاً في هذا الحين إذ يسجل كل شهر بل كل اسبوع ، تقدماً جديداً في انشاء الكونخوزات ، ويسجل ، بالتالي ، طلبات جديدة على الوف والوف من التراكتورات والآلات الزراعية .

وقد سجلت سنة ١٩٣١ تقدماً جديداً في الحركة الكونخوزية . ففي المناطق

الرئيسية المنتجة للحبوب ، كانت الكونخوزات قد شملت أكثر من ٨٠ في المئة من مجموع اقتصاديات الفلاحين . فكان تعميم الاقتصاد التعاوني الجماعي ، في هذه المناطق ، قد تم من حيث الأساس . أما في المناطق التي هي أقل شأنًا من حيث إنتاج الحبوب ، وكذلك المناطق المنتجة للزروعات الصناعية ، فقد شملت الكونخوزات أكثر من ٥٠ في المئة من مجموع الاقتصاديات الفلاحية . وكذلك فكانت ٢٠٠,٠٠٠ من الكونخوزات و ٤٠٠٠ من السوفخوزات تزرع ثلثي الأراضي القابلة للزراعة ، في حين أن الفلاحين الفرديين كانوا يزرعون الثلث فقط . لقد كان ذلك ، انتصاراً عظيماً للاستراكية في القرية !

غير أن بناء الكونخوزات لم يكن يتطور من حيث العمق ، بل من حيث الاتساع ، فلم يكن يتطور في اتجاه تحسين عمل الكونخوزات وملاكاتها من حيث الكمية والنوع ، بل في اتجاه زيادة الكونخوزات من حيث الكمية ، ومن حيث شمول الكونخوزات مناطق جديدة أيضاً و أيضاً . ويعود السبب في ذلك إلى أن عدد الكونخوزيين المناضلين ، أي الكادر الكونخوزي ، لم يكن يتقدم بصورة تتناسب مع النمو العددي للكونخوزات نفسها . ولذلك كان العمل في الكونخوزات الجديدة لا يسير دائماً بصورة مرضية ، وكانت الكونخوزات نفسها ما تزال ضعيفة وواهية . وكان مما يعرقل توطيد الكونخوزات أيضاً ، ما تعانيه القرية من النقص في الناس المتعلمين الذين تحتاج إليهم الكونخوزات (مثل المحاسبين ، وقادة الاقتصاد ، والسكرتارية) وفقدان التجارب لدى الفلاحين فيما يتعلق بإدارة شؤون الإنتاج الكبير ، الكونخوزي . لقد كانت الكونخوزات تضم فلاحين كانوا حتى الأمس القريب فلاحين فرديين . وكانت لديهم تجارب في إدارة الاقتصاد على قطع صغيرة من الأرض ولكن لم تكن لديهم بعد ، تجربة في إدارة اقتصاد كبير ، كونخوزي . وكان لا بد من مرور بعض الوقت لاكتساب مثل هذه التجربة .

لكل هذه الأسباب ، ظهرت نوافص خطيرة في عمل الكونخوزات في أوائل عهدها . فقد تبين أن العمل في الكونخوزات ما زال سيئاً لتنظيم ، وأن

التقيد بنظام العمل ما زال ضعيفاً. وفي كثير من الكونخوزات كانت المحاصيل لا توزع حسب ايام العمل المبذولة ، بل تبعاً لعدد الافواه التي ينبغي اطعامها. وكان يحدث غالباً ان ينال احد الكسالى كمية من التمتع تفوق الكمية التي ينالها كونخوزي شريف ذووب على العمل . وكانت هذه النقائص في ادارة الكونخوزات تقلل من اهتمام اعضائها بالعمل ، فتكثر حوادث التغيب عن العمل حتى في اشد ايام الموسم ، ويتأخر حصاد قسم من المزروعات الى حين بدء هبوط الثلج ، والحصاد نفسه يجري بشكل رديء ، فتضيع كميات كبيرة من الجبوب . وكان فقدان المسؤولية الشخصية عن الالات وعن الخيول ، والقيام بالعمل بصورة عامة دون تحديد مسؤوليات فردية، يؤديان الى اضعاف الكونخوزات وتخفيض ايراداتها .

وكانت الحالة سيئة خصوصاً في المناطق التي استطاع فيها الكولاك القدماء واتباعهم التسرب الى الكونخوزات وممارسة بعض الوظائف فيها . فكثيراً ما كان الكولاك الذين انتزعت منهم املاكهم ، ينتقلون من منطقتهم الى منطقة اخرى لا يعرفهم احد فيها ، وهناك يتسربون الى الكونخوزات لكي يلحقوا بها اكثر مما يمكن من الاذى . واحياناً كان الكولاك ، نظراً لفقدان اليقظة لدى المناضلين في الحزب . وفي الادارات السوفيانية ، يتغلغلون في كونخوزات منطقتهم نفسها . وكان مما يسهل تسلل الكولاك القدماء الى الكونخوزات ، انهم غيروا خطتهم تغييراً تاماً في نضالهم ضد الكونخوزات . فقبلاً ، كان الكولاك ينتصبون علناً ضد الكونخوزات ، ويقومون بنضال وحشي ضد المناضلين الكونخوزيين وضد الكونخوزيين المتقدمين ، ويقتلونهم غدراً ، ويحرقون بيوتهم واهراءاتهم ، الخ . وكان هدفهم من ذلك ، ارهاق جمهور الفلاحين واخلقهم لمنعهم من الانتماء الى الكونخوزات . اما الان ، وقد فشل النضال المكشوف ضد الكونخوزات ، فقد غيروا خطتهم ، وكفوا عن اطلاق الرصاص من بنادقهم العتيقة ذات الفوهات المقطوعة ، بل اخذوا يتظاهرون بانهم اناس مسالمون ، هادئون ، طيعون ، مخلصون ، تماماً للحكم



السوفياتي . وبعد ان ينتموا الى الكونخوزات ، يقومون فيها باعمال تخريبية خفية سوداء . وكانوا ، في كل مكان ، يبذلون جهدهم لتفسيخ الكونخوزات من الداخل ، ويدفعون الى عدم التقيد بنظام العمل ، ويعملون لاشاعة البليلة والفوضى في احصاء الحاصلات وفي حساب ايام العمل . وكانوا يتعمدون ابادة قطعان الخيل في الكونخوزات ، وقد تمكنوا من اهلاك عدد كبير منها ، فكانوا يحملون الى الخيول عدوى الرعاس (١) والجرب والامراض الاخرى ، ويتروكونها دون اية عناية . وكان الكولاك يعطون كذلك التراكتورات والآلات . واذا كان الكولاك ينجحون اذ ذاك في خداع الكونخوزيين وفي القيام باعمال التخريب دون ان تنالهم يد العقاب ، فذلك لأن الكونخوزات كانت بعدئذ ضعيفة وغير مجربة ، ولأن الكادر الكونخوزي لم يكن قد مضى عليه بعد ، ما يلزم من الوقت لاكتساب الصلابة اللازمة .

فلوضع حد لاعمال الكولاك التخريبية ، والتعجيل في توطيد الكونخوزات ، كان من الضروري مدها بمساعدة سريعة وجدية بالرجال والنصائح والقادة . والحزب البلشفي هو الذي قدم هذه المساعدة للكونخوزيين .

ففي كانون الثاني ١٩٣٣ قررت اللجنة المركزية تنظيم فروع سياسية ، في محطات الآلات والتراكتورات التي كانت مؤسسة لخدمة الكونخوزات . فأرسل في سبيل مساعدة الكونخوزات ، سبعة عشر ألف مناضل من الحزب للعمل في الفروع السياسية .

فكانت مساعدة ثمينة .

وفي مدى سنتين - ١٩٣٣ و ١٩٣٤ - تمكنت الفروع السياسية في محطات التراكتورات والآلات ، من القيام بعمل كبير في سبيل تلافي النواقص في العمل في الكونخوزات ، وفي سبيل تكوين ملاكات من الكونخوزيين المناضلين ، وفي سبيل توطيد دعائم الكونخوزات ، وتطهيرها من العناصر المعادية ،

---

(١) مرض يعيب الخيول في انوفها ويضطر اصحابها الى ذبحها وهو يصيب البشر بمعدواه . ( هيئة التعريب )

والكولائية والخربة .

لقد أدت الفروع السياسية المهمة الملقاة على عاتقها بشرف ، فقد وطدت الكونخوزات فيما يتعلق بإدارة شؤونها الاقتصادية والتنظيمية ، وثقت كادراً جديداً من الكونخوزيين ، وادخلت الدقة والتنظيم في القيادة الاقتصادية للكونخوزات . ورفعت المستوى السياسي للجماهير الكونخوزية .

ان المؤتمر الاول للكونخوزيين المتفوقين في الاتحاد السوفياتي ( شباط ١٩٣٣ ) ، والخطاب الذي القاه الرفيق ستالين في هذا المؤتمر ، كان لهما شأن عظيم في رفع نشاط الجماهير الكونخوزية في النضال لاجل تقوية الكونخوزات وتوطيد اركانها .

وقد قارن الرفيق ستالين في خطابه بين النظام القديم حين كان الريف لا يعرف الكونخوز ، وبين النظام الجديد اي نظام الكونخوزات ، فقال :

« في ظل النظام القديم كان الفلاحون يعملون منفردين ، ويشغلون حسب طرق الاجداد القديمة وبادوات العمل العتيقة ، ويكدحون لاجل كبار ملاكي الاراضي والرأسماليين ، ولأجل الكولاك والمحتكرين ، فكانوا يتعبون ويعانون آلام الجوع ، لكي يجلبوا الثروة والغنى للآخرين . اما في ظل النظام الجديد ، نظام الكونخوزات فان الفلاحين يعملون بصورة مشتركة ، مجتمعين في الآرتيلات ، حيث يستعملون الادوات الحديثة ، التراكتورات والآلات الزراعية . انهم يعملون لانفسهم وكونخوزاتهم ، ويعيشون بدون رأسماليين وملاكين كبار ، وبدون كولاك ومحتكرين . انهم يعملون لكي يحسنوا حالتهم المادية والثقافية يوماً بعد يوم » . ( ستالين : مسائل اللينينية ) .

واظهر الرفيق ستالين في خطابه ما نالته جماهير الفلاحين فعلياً بسلوكها طريق الكونخوزات . فقد ساعد الحزب البلشفي ملايين الفلاحين الفقراء على الالتئام للكونخوزات والتحرر من نير الكولاك . ان ملايين من الفلاحين الفقراء

ما كانوا يحصلون من قبل على ما يسدون به الرمي. فعندما دخلوا الكونخوزات ، حيث أصبح تحت تصرفهم احسن الاراضي واحسن ادوات الانتاج ، ارتفع مستواهم الان الى مستوى الفلاحين المتوسطين ، واصبحوا اناسا مطمئنين الى غدهم . تلك كانت الخطوة الاولى ، اي اول انتصار في طريق انشاء الكونخوزات . اما الخطوة الثانية ، فقد قال الرفيق ستالين انها ترمي الى رفع مستوى الكونخوزيين ايضاً وايضاً — سواء منهم الذين كانوا سابقاً فلاحين فقراء او الذين كانوا فلاحين متوسطين — وجعل جميع الكونخوزيين اناساً ميسورين ، وجعل جميع الكونخوزات بلشفية . وقال الرفيق ستالين :

« لكي يصبح الكونخوزيون ميسورين ، يتطاب ذلك في الوقت الحاضر شيئاً واحداً فقط هو : ان يعملوا في الكونخوز باستقامة ، وان يستعملوا التراكتورات والالات استعمالاً صحيحاً ، وان يستخدموا الحيوانات المخصصة للعمل استخداماً صحيحاً ، وان يعملوا في الارض ويزرعوها بشكل صحيح ، وان يصنوا املاك الكونخوز ويحافظوا عليها » ( ستالين ، المرجع السابق ) . وقد نفذ خطاب الرفيق ستالين الى اعماق ادراك الملايين من الكونخوزيين ، واصبح منهاج عمل ومنهاج كفاح للكونخوزيين .

وفي اواخر ١٩٣٤ ، اصبحت الكونخوزات قوة وطيدة الاركان ، لا تقهر . وكان ما تشمله الكونخوزات اذ ذاك يبلغ تقريباً ثلاثة ارباع مجموع اقتصاديات الفلاحين في كل الاتحاد السوفياتي ، وبلغ زهاء ٩٠ في المئة من مجموع الاراضي المزروعة .

وفي سنة ١٩٣٤ ، بلغ عدد ما تستعمل زراعة الاتحاد السوفياتي من التراكتورات ٢٨١،٠٠٠ ومن الحاصدات الدراسات ٣٢،٠٠٠ . وانتهت اعمال البذار الربيعي لعام ١٩٣٤ بمدة تقل من ٥ الى ٢٠ يوماً عن عام ١٩٣٣ ، ومن ٣٠ الى ٤٠ يوماً عن عام ١٩٣٢ ، وتم تنفيذ البرنامج المقرر لجمع الحبوب

وخزنها في مدة تقل ثلاثة اشهر عن عام ١٩٣٢ .  
 وهكذا توّطد كيمان الكونخوزات في مدى سنتين ، بفضل المساعدة  
 العظيمة التي نالتها من الحزب ومن دولة العمال والفلاحين .  
 وبفضل الانتصار الوطيد الذي احرزه نظام الكونخوزات ، وما نتج عنه  
 من نهوض في الزراعة ، تمكن الحكم السوفيياتي من الغاء نظام البطاقات في  
 شراء الخبز والمنتجات الاخرى ، واطلاق الحرية في شراء المواد الغذائية .  
 ولما كانت الفروع السياسية الملحقه بمحطات التراكتورات ، التي شكلت  
 من حيث هي هيئات سياسية موقته قد أنجرت مهمتها ، قررت اللجنة  
 المركزية اعادة تنظيمها وجعلها هيئات حزبية عادية ، فدعجتها في لجان الحزب  
 المحلية الموجودة .  
 ان جميع هذه النجاحات ، سواء في الميدان الزراعي ام في الميدان  
 الصناعي ، انما تحققت بفضل انجاز برنامج السنوات الخمس انجازاً موفقاً .  
 فمئذ اوائل عام ١٩٣٣ ، تبين بوضوح ان برنامج السنوات الخمس الاول  
 قد تم انجازه ، وانه انجز قبل موعده ، اي خلال أربع سنوات وثلاثة اشهر  
 بدلا من خمس سنوات .  
 وكان هذا انتصاراً عظيماً للطبقة العاملة ولجماهير الفلاحين في الاتحاد  
 السوفيياتي ، انتصاراً عالمياً بعيد الاثر في تاريخ الانسانية بأسرها .  
 وقد عرض الرفيق ستالين ، في التقرير الذي قدمه في الاجتماع العام للجنة  
 المركزية للحزب وللجنة المراقبة المركزية المنعقد في كانون الثاني ١٩٣٣ ،  
 رصيد برنامج السنوات الخمس الاول .  
 وقد اتضح من هذا التقرير ان الحزب والحكم السوفيياتي حصلا ، خلال  
 المرحلة المنقضية ، اي خلال المرحلة التي تم فيها انجاز برنامج السنوات  
 الخمس الاول ، على النتائج التالية :  
 أ — تحول الاتحاد السوفيياتي من بلد زراعي الى بلد صناعي ، وذلك لان  
 حجم الانتاج الصناعي بلغ ٧٠ في المئة من المجموع العام لانتاج الاقتصاد  
 الوطني .

ب — تمكن النظام الاشتراكي في الاقتصاد من تصفية العناصر الرأسمالية في الميدان الصناعي واصبح النظام الاقتصادي الوحيد في الصناعة .

ج — تمكن النظام الاشتراكي في الاقتصاد من تصفية الكولاك ، من حيث هم طبقة ، في الميدان الزراعي ، واصبح القوة السائدة في الزراعة .

د — ازال النظام الكولخوزي البؤس والفقر في القرية ، وارتفع عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء الى مستوى اناس مطمئنين الى غدهم .

هـ — قضى النظام الاشتراكي في الصناعة على البطالة ، فهو إذ حافظ على يوم الثماني ساعات في عدد من فروع الانتاج ، انتقل الى ٧ ساعات في اليوم في الاكثورية العظمى من المعامل ، كما جعل يوم العمل ٦ ساعات في الاعمال المؤدية للصحة .

و — ادى انتصار الاشتراكية في جميع ميادين الاقتصاد الوطني ، الى نحو استثمار الانسان للانسان .

أب أهمية هذه المنجزات التي حققها برنامج السنوات الخمس الاول تبينت ، قبل كل شيء ، في كونها حررت العمال والفلاحين نهائياً من نير الاستعمار ، « وفتحت امام جميع شغيلة الاتحاد السوفياتي الطريق نحو حياة رفاهية وثقافة . في كانون الثاني ١٩٣٤ ، انعقد المؤتمر السابع عشر للحزب وقد حضره ١٢٢٥ مندوباً بأصوات فعلية ، و ٧٣٦ مندوباً بأصوات استشارية ، وكان هؤلاء المندوبون يمثلون ٤٨٨ ١٨٧٤ عضواً في الحزب ، و ٩٣٥ ٢٩٨ مرشحاً .

استعرض المؤتمر نتائج عمل الحزب خلال المرحلة المنقضية ، وسجل الانجازات الحاسمة التي احرزها الاشتراكية في جميع فروع الاقتصاد والثقافة ، ومقرران خطة الحزب العامة قد انتصرت على طول الخط .

ان المؤتمر السابع عشر للحزب دخل في التاريخ من حيث هو « مؤتمر المنتصرين » .

وقد اشار الرفيق ستالين في تقريره الى التحولات الاساسية والتغيرات

الجذرية التي حدثت في الاتحاد السوفياتي خلال المرحلة المعينة ، فقال :  
« خلال هذه المرحلة تغير الاتحاد السوفياتي تغيراً أساسياً ،  
فالقي عن كاهله رداء التأخر الموروث عن القرون الوسطى .  
فبعدما كان بلداً زراعياً أصبح بلداً صناعياً . وبعدما كان بلد  
الزراعة الصغيرة الفردية ، صار بلاد الزراعة الكبيرة الجماعية  
التعاونية القائمة على الآلة . وبعدما كان بلد الظلام والامية  
وانعدام الثقافة ، أصبح — او على الاصح اخذ يصبح — بلداً  
متعلماً مثقفاً تغطيه شبكة عظيمة من المدارس العالية والمتوسطة  
والابتدائية ، حيث يجري التعليم بلغات مختلف القوميات التي  
تعيش في الاتحاد السوفياتي . » ( ستالين : مسائل اللينينية ) .  
في ذلك الحين كانت الصناعة الاشتراكية تؤلف ٩٩ ٪ من مجموع صناعة  
البلاد . اما الزراعة الاشتراكية ، اي الكولخوزات والسوفخوزات ،  
فكانت تؤلف ٩٠ ٪ تقريباً من مجموع الاراضي المزروعة في البلاد . اما فيما  
يتعلق بتداول البضائع ، فان العناصر الرأسمالية ازيحت بشكل تام كامل  
من التجارة .

لقد قال لينين ، عندما جرى تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة ، ان في  
بلادنا عناصر لحمة اشكال اجتماعية اقتصادية . اما الشكل الاول فهو الاقتصاد  
العائلي المغلق ، وهو بمعظمه اقتصاد طبيعي ، اي انه لا يمارس تقريباً اية تجارة .  
والشكل الثاني هو الانتاج البضاعي الصغير ، وهو يشمل من جهة ، معظم  
الاقتصاديات الفلاحية التي تمارس بيع المنتجات الزراعية ، ومن جهة اخرى ،  
الحرفيين . وكان هذا الشكل الاقتصادي يشمل ، خلال السنوات الاولى من  
عهد « النيب » ، اكثريية السكان . والشكل الثالث هو الرأسمالية الخاصة التي  
انتعشت في بداية عهد « النيب » . والشكل الرابع هو رأسمالية الدولة  
وهي تشمل بشكل رئيسي الامتيازات الممنوحة للرأسمال الاجنبي وهي لم  
لم تحرز نصيباً ولو ضئيلاً من التطور . والشكل الخامس هو الاشتراكية ،

اي الصناعة الاشتراكية السني كانت ما تزال ضعيفة اذ ذاك ، وكذلك  
السوفخوزات والكونخوزات التي كانت تحتل ، في بداية عهد « النيب » ،  
مكاناً لا يؤبه له في الاقتصاد الوطني ، ثم تجارة الدولة والمؤسسات التعاونية  
التي كانت هي كذلك في بداية عهد « النيب » ، ضعيفة .

وقد اوضح لينين ان الشكل الاشتراكي هو الذي ينبغي ان تكون له  
الغلبة من بين جميع هذه الاشكال الاقتصادية .

وكانت السياسة الاقتصادية الجديدة قد وُضعت على اساس تأمين الانتصار  
الكامل للاشكال الاشتراكية في الاقتصاد .

ف عندما انعقد المؤتمر السابع عشر للحزب ، كان هذا الهدف قد تحقق .  
وقد قال الرفيق ستالين في هذا الصدد ما يلي :

« يمكننا ان نقول الان ان الشكل الاول والثالث والرابع  
من الاشكال الاجتماعية الاقتصادية ، لم يعد لها وجود . اما  
الشكل الاجتماعي الاقتصادي الثاني فقد تم رده الى الوراء ،  
فاصبحت مواقعه في الدرجة الثانية ، اما الشكل الاجتماعي  
الاقتصادي الخامس ، اي الشكل الاشتراكي ، فهو القوة  
البائدة دون منازع ، القوة القائدة الوحيدة في مجموع الاقتصاد  
الوطني » ( ستالين : المرجع نفسه ) .

وكانت القضايا المتعلقة بالقيادة السياسية والفكرية تحتل مكاناً هاماً في  
تقرير الرفيق ستالين . فهو قد نبه الحزب الى ان اعداء الحزب — اي  
الانتهازيين من كل شائكة ، واصحاب الانحرافات القومية من كل لون —  
وإن كانوا قد هُزموا ودُحروا ، فان بقايا عقليتهم ، ما زالت حية في رؤوس  
بعض اعضاء الحزب وكثيراً ما تُشعرُ بوجودها . وان بقايا الرأسمالية في  
الاقتصاد وخاصة في ادراك الناس ، تؤلف تربة ملائمة لبعث الحياة في عقلية  
الجماعات المناوئة للينينية ، التي دُحرت وهُزمت . ان ادراك الناس ، في  
تطوره ، يتأخر عن وضعهم الاقتصادي . ولذلك فان بقايا المفاهيم

البورجوازية في رؤوس الناس ، باقية وستبقى مدة اخرى ، حتى وان  
ُصِفَت الرأسمالية في الاقتصاد . وعلاوة على ذلك ينبغي ان يؤخذ بعين  
الاعتبار ان التطويق الرأسمالي ، الذي يجب ان نحفظ البارود دائماً جافاً ضده ،  
يسعى جهده لانعاش هذه البقايا ودعمها .

ومن جملة القضايا التي وقف عندها الرفيق ستالين ، قضية بقايا الرأسمالية  
في ادراك الناس في ميدان المسألة القومية ، حيث تكون هذه البقايا كثيرة  
الحيوية بوجه خاص . وقد ناضل الحزب البلشفي على جبهتين : ضد الانحراف  
نحو الشوفينية الروسية ، وضد الانحراف نحو القومية المحلية . ولكن منظمات  
الحزب في بعض الجمهوريات ( اوكرانيا ، بيلوروسيا .. الخ .. ) اضعفت  
نضالها ضد القومية المحلية ، وافسحت لها مجال النمو الى درجة انها اندمجت  
مع القوى العدوة ، قوى المتدخلين الاجانب ، فاصبحت خطراً على الدولة .  
وجواباً على السؤال التالي : اي انحراف في القضية القومية يمثل الخطر  
الرئيسي ؟ . اجاب الرفيق ستالين قائلاً :

« ان الخطر الرئيسي يتمثل في الانحراف الذي انقطعوا  
عن مكافحته فافسحواله بذلك ، مجال النمو حتى اصبح خطراً  
على الدولة » ( ستالين : المرجع السابق نفسه ) .

ودعا الرفيق ستالين الحزب الى تقوية العمل الفكري والسياسي ، وإلى  
العمل باستمرار على فضح عقلية — وبقايا عقلية — الطبقات العدوة والتيارات  
المعادية للينينية .

وبيّن الرفيق ستالين بعد ذلك ، في تقريره ، ان اتخاذ القرارات الصحيحة  
لا يضمن بذاته نجاح العمل . فلتأمين نجاح العمل ، من الضروري ان يوضع  
في مواضعهم ، بشكل صحيح ، الاشخاص القادرون على تطبيق قرارات  
الهيئات القيادية ، وان تُنظَّم المراقبة على تنفيذ هذه القرارات ، وبدون هذه  
التدابير التنظيمية تتعرض القرارات لخطر البقاء حبراً على ورق ، منعزلة عن  
الحياة . وهنا استشهد الرفيق ستالين بموضوعة لينين الشهيرة القائلة بان



الشيء الرئيسي في العمل التنظيمي هو : اختيار الاشخاص ومراقبة التنفيذ .

وعلاوة على ذلك ، اكد الرفيق ستالين ان القطيعة بين القرارات المتخذة وبين العمل التنظيمي الذي يستهدف تنفيذ هذه القرارات ومراقبة تنفيذها ، هي العلة الاساسية في نشاطنا العملي .

ولتحسين المراقبة على تنفيذ قرارات الحزب والحكومة ، انشأ المؤتمر السابع عشر للحزب ، هيئة المراقبة الحزبية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ( البلشفي ) في الاتحاد السوفياتي ، كما انشأ هيئة المراقبة السوفياتية لدى مجلس مفوضي الشعب للاتحاد السوفياتي ، وقد حلت هاتان الهيئتان محل هيئة المراقبة المركزية وهيئة التفتيش العالمي والفلاحي ، اللتين قامتا بمهمتهما على احسن وجه منذ عهد المؤتمر الثاني عشر .

اما مهمات الحزب التنظيمية خلال المرحلة الجديدة ، فقد صاغها الرفيق ستالين كما يلي :

١ ) رفع عملنا التنظيمي الى المستوى الذي تتطلبه حاجات الخطة السياسية للحزب .

٢ ) : رفع القيادة التنظيمية الى مستوى القيادة السياسية .

٣ ) : التوصل الى ان تؤمن القيادة ، من الناحية التنظيمية

بتطبيق شعارات الحزب السياسية وقراراته تأمينا تاما .

وفي ختام تقريره ، نبه الرفيق ستالين الى ان نجاحات الاستراكية ، وان تكن عظيمة وتبعث عاطفة اعتزاز مشروع ، فمع ذلك لا ينبغي الاستغراق في نشوة النجاح ، لا ينبغي الوقوع في الزهو والغرور ولا الاستسلام لهدهدة الاطمئنان والرضا .

قال ستالين :

« ... لا ينبغي هدهدة الحزب ، بل اغناء اليقظة فيه ، لا

ينبغي ارقاده وتوهمه ، بل جعله دائما في حالة استعداد كفاحي ،

لا ينبغي نزع سلاحه ، بل تسليحه ، لا ينبغي تسريح قواه ، بل جعله دائماً في حالة تعبئة لتحقيق برنامج السنوات الخمس الثاني»  
( سنالين : مسائل اللينينية ) .

واستمع المؤتمر السابع عشر الى تقريرى الرفيقين مولوتوف وكويبيشيف عن برنامج السنوات الخمس الثاني لتطوير الاقتصاد الوطنى . وكانت مهمات البرنامج الثانى اعظم واضخم من مهمات برنامج السنوات الخمس الاول . ففي موعد انجاز البرنامج الثانى ، اى فى عام ١٩٣٧ ، كان من الواجب ان يزداد الانتاج الصناعى ثمانى مرات تقريباً بالنسبة لمستوى ما قبل الحرب . وكان حجم الاعمال الكبرى فى مجموع الاقتصاد الوطنى يُقدَّر ، وفقاً لبرنامج السنوات الخمس الثانى ، بمبلغ ١٣٣ مليار روبل مقابل ٦٤ مليار روبل ونيف فى برنامج السنوات الخمس الاول .

وكان مثل هذا النطاق الواسع للضخم للاعمال الكبرى ، يؤمن تجهيز جميع فروع الاقتصاد الوطنى تجهيزاً تكنولوجياً جديداً كاملاً .  
خلال برنامج السنوات الخمس الثانى ، كان ينبغي ان يتم ، من حيث الاساس ، تعميم الآلة فى الزراعة . فكان من الواجب ان ترتفع قدرة حظيرة التراكتورات من مليونين وربع مليون حصان بخارى فى عام ١٩٣٢ ، الى اكثر من ثمانية ملايين حصان بخارى فى عام ١٩٣٧ . وكان من المقرر تطبيق التدابير الزراعية الفنية على نطاق واسع ( نهضة الارض بشكل صحيح ، استعمال بذار نظيف منتقى ، الحراثة الخريفية .. الخ .. )  
وتقرر اجراء اعمال ضخمة لتحسين الثقليات والمواصلات من ناحية التكنولوجيا .

ووضع برنامج واسع للاستمرار فى رفع المستوى المادى والثقافى للعمال والفلاحين .

واهتم المؤتمر السابع عشر اهتماماً كبيراً بمسائل التنظيم ، فاتخذ ، على اساس تقرير الرفيق كاغانوفيتش ، قرارات خاصة فيما يتعلق بقضايا البناء

الحزبي والسوفيياتي . ان اهمية المسألة التنظيمية ازدادت ازدياداً كبيراً بعد ما انتصرت خطة الحزب العامة ، وبعد ما برهنت الحياة نفسها ، بتجربة ملايين العمال والفلاحين ، صحة سياسة الحزب . وكانت المهات الجديدة المعقدة التي يصفها برنامج السنوات الخمس الثاني ، تتطلب رفع المستوى الكيفي للعمل في جميع الفروع .

« ان المهات الاساسية لبرنامج السنوات الخمس الثاني وهي : تصفية العناصر الرأسمالية تصفية نهائية ، التغلب على بقايا الرأسمالية في الاقتصاد وفي ادراك الناس ، تجاوز تجديد البناء في مجموع الاقتصاد الوطني على احدث اساس تكتيكي ، امتلاك ناصية التكنيك الجديد والمشاريع الجديدة ، تعميم الآلة في الزراعة ورفع الانتاجية فيها — جميع هذه المهات تضع بشكل حاد مسألة رفع المستوى الكيفي للعمل في جميع الفروع ، وبالدرجة الاولى ، المستوى الكيفي لقيادة التنظيمية العملية .» هذا ما جاء في قرارات المؤتمر حول مسائل التنظيم (انظر : الحزب الشيوعي البلشفي في قراراته ، الجزء الثاني ، الصفحة ٥٩١ ، الطبعة الروسية ) .

واقر المؤتمر السابع عشر نظاماً داخلياً جديداً للحزب ، وهو يتميز عن القديم ، قبل كل شيء ، بالمقدمة التي اضيفت اليه . وتحوي هذه المقدمة على تعريف موجز للحزب الشيوعي واهميته في نضال البروليتاريا ، ومكانه في مجموع هيئات ديكتاتورية البروليتاريا . ويعدد النظام الداخلي الجديد ، بشكل مفصل ، واجبات عضو الحزب . كما أدخلت فيه قواعد اشد صرامة لقبول الاعضاء في الحزب ، وأضيفت اليه كذلك فقرة تتعلق بفرق المحبذين . ويعالج النظام الداخلي الجديد بشكل اكثر تفصيلاً مسألة البناء التنظيمي للحزب ، كما صيغت من جديد الفقرات المتعلقة بجلاليا الحزب التي صارت تسمى ، منذ المؤتمر السابع عشر ، المنظمات الاولى . كذلك الفقرات المتعلقة بالديموقراطية الداخلية في الحزب وبنظام الطاعة الحزبية ، صيغت صيغة جديدة

٤ - انحطاط البوخارينيين الى ساسة ذوي وجهين - انحطاط التروتسكيين ذوي الوجهين الى عصابة من الحرس الابيض ، عصابة من القتل والجواسيس - اغتيال س. م. كيروف بغدر وجبن - تدابير الحزب لتقوية اليقظة البلشفية

ان انتصارات الاشتراكية في بلادنا لم تبعث السرور والابتهاج في نفوس العمال والكونخوزيين فصعب ، بل كانت كذلك مبعث سرور وابتهاج لدى جميع مثقفينا السوفيائيين ، لدى جميع المواطنين الشرفاء في الاتحاد السوفيائي .

ولكنها لم تبعث السرور لدى بقايا الطبقات المغلوبة ، بل زادت غيظاً على غيظ .

كما انها اثارت الحنق والكلب لدى اتباع الطبقات المغلوبة : فلول البوخارينيين والتروتسكيين الحقيرة .

كان هؤلاء السادة لا ينظرون الى منجزات العمال والكونخوزيين من ناحية مصالح الشعب الذي كان يحبي كل نجاح من هذا النوع ، بل ينظرون اليها من وجهة نظر مصالح فريقهم الانقسامى النفس ، المعزول عن الحياة ، والذي دب فيه التفسخ والتنحى حتى نخاع العظم . ولما كانت نجاحات الاشتراكية في بلادنا تعني انتصار سياسة الحزب كما تعني افلاس سياسة هؤلاء السادة افلاساً نهائياً ، فانهم ، عوضاً عن الاعتراف بالوقائع الساطعة الجليلة والمساهمة في العمل المشترك العام ، عمدوا الى الانتقام من الحزب والشعب لما حصده من فشل وما اصابهم من افلاس . فأخذوا يعملون للاحاق كل ما يمكن من اذى وضرر بعمل العمال والكونخوزيين ، فينسفون المناجم ، ويجرقون

المعامل ، ويقومون بأعمال التخريب في الكونخوزات والسوفخوزات ، للقضاء على منجزات العمال والكونخوزيين ، وإثارة الاستياء في الشعب ضد الحكم السوفيياتي . غير أنهم ، لكي يحولوا دون اقتضاح فرقهم الحقة ودون سحقها ، كانوا يسبلون على وجوههم قناع ائاس مخلصين للحزب ، فيكثرون من الانحاء امام الحزب ، ويمجدونه ، ويزحفون على بطونهم امامه ، فيما يتابعون في الواقع نشاطهم التخريبي الخفي ضد العمال والفلاحين .

في المؤتمر السابع عشر للحزب ، أعلن بوخارين وريكوف وتومسكي توبتهم وندمهم ، وكالوا المديح للحزب ، وأشادوا بمنجزاته ورفعوها الى السماء . غير ان المؤتمر شعر بان خطبهم مطبوعة بطابع الرياء والنفاق وعدم الاخلاص ، ذلك لان ما يطلبه الحزب من اعضائه ليس الاشادة بمنجزاته وتمجيدها ، بل العمل باستقامة على جبهة الاشتراكية وهو ما لم يلسه الحزب من البوخارينيين منذ زمن طويل . لقد رأى الحزب ان هؤلاء السادة ، عندما كانوا يلقون خطبهم المنافقة ، كانوا يتوجهون الى انصارهم خارج المؤتمر ، ويلقون عليهم دروساً في الرياء والنفاق ويدعونهم الى عدم لقاء سلاحهم .

وتكلم في المؤتمر السابع عشر ايضاً التروتسكيان زينوفيف وكامنيف ، فانها لا على اغلاطهما بالتقريع ، بغير حساب ، كما مجداً منجزات الحزب تمجيداً لاحد له . ولكن كان من غير الممكن ان لا ينتبه الحزب الى ان هذا التقريع للنفس ، هذا الجلد الذاتي ، المشير للاشمئزاز ، وهذا التكلف في تمجيد الحزب ، انما كانا صورة معكوسة لضمير هذين السيدين المثقل بالاضطراب والقلق . بيد ان الحزب لم يكن يعلم بعد ، او يشك بان هذين السيدين اللذين يلقيان خطباً معسولة في المؤتمر ، كانا ، في ذات الوقت ، بيهتان ، بجهن ونذالة ، اغتيال الرفيق س . كيروف .

ففي اول كانون الاول ١٩٣٤ ، اغتيل غدرأ ونذالة ، س . كيروف بطلقة مسدس ، في سمولني ، بليينغراد . وقد قبض على القاتل في مكان وقوع الجريمة ، فتبين انه ينتمي الى فرقة سرية معادية للثورة ، مؤلفة من اعضاء في

فرقة زينوفيف المعادية للسوفييات ، في لينينغراد .

ان اغتيال س. كيروف ، الذي يحبه الحزب والطبقة العاملة حباً عظيماً ، قد اثار غضباً شديداً جداً والماء عميقاً في نفوس الشغيلة في بلادنا . لقد اثبت التحقيق انه قد انشئت في لينينغراد ، في ١٩٣٣ — ١٩٣٤ ، فرقة ارهابية سرية معادية للثورة ، مؤلفة من الاعضاء القداماء في المعارضة الزينوفيفية ، وعلى رأس هذه الفرقة ما كان يُسمى بـ «مركز لينينغراد» . كان الهدف الذي وضعته هذه الفرقة نصب عينها قتل قواد الحزب الشيوعي . وقد اختير كيروف ليكون الضحية الاولى . وبينت افادات اعضاء هذه الفرقة المعادية للثورة انهم كانوا متصلين بممثلي الدول الرأسمالية الاجنبية الذين كانوا يمدونهم بالمال .

وقد حكم المجلس العسكرى في المحكمة العليا للاتحاد السوفياتي بالاعدام رمياً بالرصاص على اعضاء هذه المنظمة الذين افترض امرهم . وبعد ذلك بقليل ، تبين انه هناك مركزاً سرياً آخر معادياً للثورة ، هو «مركز موسكو» . وقد اظهر التحقيق والمحاكمة ، بصورة جلية ، الدور الدنيء الذي قام به زينوفيف وكامينيف وافدو كيوف وسائر قواد هذه المنظمة ، الذين كانوا ييشون الروح الارهابية في اتباعهم ، ويهيئون اغتيال اعضاء اللجنة المركزية والحكومة السوفياتية .

لقد بلغ الرياء والنذالة هؤلاء الاشخاص الى حد ان زينوفيف ، الذي كان احد منظمي اغتيال س. كيروف واحد الموجهين به ، زينوفيف الذي كان يضغط على القاتل لتنفيذ الجريمة باسرع ما يمكن ، كتب تأبيناً يمدح فيه كيروف مدحاً عظيماً ، والحق بطلب نشره .

وحتى في الساعة التي تظاهر فيها الزينوفيفيون بالندم امام المحكمة ، كانوا ، في الواقع ، يتابعون نفاقهم . فقد كتبوا علاقاتهم بتروتسكي ، وكتبوا انهم قد باعوا انفسهم مع التروتسكيين لدوائر التجسس الفاشيستية ، واخفوا عنهم كجواسيس ومخربين . واخفى الزينوفيفيون عن المحكمة علاقاتهم

بالبوخارينيين ، وكنتموا وجود عصابة من المرتزقة المأجورين للفاشست تضم التروتسكيين والبوخارينيين معاً .

فان اغتيال الرفيق كيروف ، كما عرف فيما بعد ، كان من صنع هذه العصابة من التروتسكيين والبوخارينيين مجتمعين .

لقد ظهر بوضوح ، منذ عام ١٩٣٥ ، ان الفرقة الزينوفييفية هي منظمة مستترة معادية للثورة ، وان اعضاءها يستحقون تماماً ان يوصفوا بانهم من الحرس الابيض .

وبعد ذلك بسنة ، ثبت ان منظمي اغتيال كيروف المباشرين الاصليين الحقيقيين ، ومنظمي الاستعدادات لاغتيال اعضاء آخرين من اللجنة المركزية ، هم تروتسكي وزينوفييف وكامينيف وشركاؤهم . وقد احيل الى المحكمة زينوفييف وكامينيف وباكايف وافدو كيموف وبيكيل وي . سيرنوف ومراتشكوفسكي وتيرفاغانيان ورينغولد وغيرهم ، واضطر هؤلاء المجرمون ، الذين قبض عليهم بالجرم المشهود ، الى الاعتراف جهاراً امام المحكمة بانهم لم ينظموا قتل كيروف وحسب ، بل كانوا يبيتون ايضاً اغتيال جميع القواد الآخرين في الحزب وفي الحكومة . واثبت التحقيق ، بعد ذلك ، ان هؤلاء الاشرار كانوا يقومون باعمال التخريب والتجسس . لقد اظهرت محاكمة موسكو عام ١٩٣٦ ما كان ينطوي عليه هؤلاء الاشخاص من الانحطاط السياسي والمعنوي بابشع صوره ، ومن الجبانة واسفل ضروب الخيانة ، المستترة جميعاً وراء ادعاء الاخلاص والامانة للحزب رياء ونفاقاً .

ان الموحى الاساسي والمنظم الرئيسي لكل هذه العصابة ممن القتلة والجواسيس كان يهوذا تروتسكي . وكان زينوفييف وكامينيف واعوانهما التروتسكيون ، هم مساعديه ومنفذي تعليماته المعادية للثورة . لقد كان هؤلاء الناس يبيتون هزيمة الاتحاد السوفياتي في حالة مهاجمة المستعمرين له ؛ لقد اصبحوا يريدون هزيمة دولة العمال والفلاحين ؛ لقد اصبحوا خدماً للفاشست الالمان — اليابانيين وعملاء حقيرين لهم .

ان الدرس الاساسي الذي كان على منظمات الحزب ان تستخلصه من المحاكمات المتصلة باغتيال س. كيروف على تلك الصورة الغادرة هو ان تضع حداً لقصر نظرها السياسي ، ان تخلص من تهاونها السياسي وترفع يقيظتها ويقيظة جميع اعضاء الحزب .

ففي الرسالة التي وجهتها اللجنة المركزية الى منظمات الحزب على اثر الاغتيال الغادر الذي ذهب ضحيته س. كيروف ، جاء ما يلي :

(أ) « ينبغي وضع حد لهدوء البال الانتهازي الناشئ عن ذلك الافتراض الخطيء القائل بأنه كلما ازدادت قوانا ، يصبح العدو اليقافاً وغير مؤذٍ . ان هذا الافتراض باطل من جذوره . وان فيه لرائحة من عفونة الانحراف اليميني الذي كان يؤكد تأكيداً مطلقاً ان الاعداء سيندبحون في الاشتراكية بكل حدوده وسيصبحون في النهاية استراكيين حقيقيين . فليس من شأن البلاشفة ان يناموا على اكاليل الغار ويستسلموا الى الغفلة . ان ما يلزم لنا ليس الهدوء بل اليقظة ، اليقظة الثورية البلشفية الحقيقية . وينبغي ان لا ننسى انه كلما اصبحت حال الاعداء اكثر يأساً ازدادوا تشبهاً « بالوسائل القصوى » من حيث هي الملجأ الاوحد للناس الذين كتب لهم الخسران في نضالهم ضد الحكم السوفياتي . ينبغي ان لا ننسى ذلك ابداً وان نكون يقظين » .

(ب) . « ينبغي ان نرفع الى المستوى اللازم تعليم تاريخ الحزب لاعضاء الحزب ، ودراسة جميع انواع الكتل المعادية للحزب التي وجدت خلال تاريخه ، ودراسة اساليبها في النضال ضد خطة الحزب ، ودراسة تكتيكها ، وبالأحرى ، دراسة تكتيك حزبنا واساليبه في النضال ضد الكتل التي كانت معادية له ، ودراسة التكتيك والوسائل التي مكنت حزبنا من التغلب على جميع هذه الكتل وسحقها . ينبغي على اعضاء حزبنا ان لا



يعلموا فقط كيف كافح الحزب ودحر الكاديت والاشتراكيين  
الثوريين والمشفيك والفوضيين ، بل ان يعلموا ايضاً كيف  
كافح ودحر التروتسكيين واشياع « المركزية الديمقراطية »  
و « المعارضة العمالية » والزينوفيفيين ، ومثيوي الانحرافات  
اليمنية ، والمسوخ اليساريين الخ . وينبغي عدم النسيان ان  
معرفة تاريخ حزبنا وفهمه هما وسيلة من اهم الوسائل الضرورية  
لضمان اليقظة الثورية ، بصورة كافية ، عند اعضاء الحزب . »

وفي هذه المرحلة ، كان تطهير الحزب من الدخلاء والعناصر الغريبة امراً  
على جانب عظيم من الاهمية — وقد بدأ هذا التطهير في سنة ١٩٣٣ — وكان  
من الاهمية بمكان عظيم التحقيق الدقيق في صحة الوثائق الشخصية لكل عضو في  
الحزب ، وتجديد بطاقات المنتسبين ، الذي بوشر به اثر الاغتيال العادر  
الذي ذهب ضحيته س . كيروف .

فقبل هذا التحقيق ، كانت هناك منظمات حزبية كثيرة يسيطر فيها ،  
على استعمال البطاقات الحزبية ، الاسلوب الكيفي والتهاون . وفي منظمات  
محلية كثيرة ، ظهرت فوضى في احصاء الشيوعيين لا يمكن القبول بها  
اطلاقاً . وقد استغل الاعداء هذه الحالة لماآرهم السافلة ؛ فكانوا يستخدمون  
بطاقة الحزب قناعاً يستترون وراءه للقيام بالتجسس والتخريب ، الخ . وقد  
لقى كثير من قواد المنظمات الحزبية عن عاتقهم مهمة العناية بقبول الاعضاء  
في الحزب وتسليم البطاقات الحزبية ، وعهدوا بذلك الى آخرين من الدرجة  
الثالثة ، بل عهدوا في بعض الاحيان ، الى اعضاء في الحزب لم تختبر  
جدارتهم بعد .

وقد وجهت اللجنة المركزية ، في ١٣ ايار ١٩٣٥ ، رسالة خاصة الى جميع  
المنظمات حول احصاء بطاقات المنتسبين ، وتسليمها والاحتفاظ بها ،  
فدعت الى اللجوء ، في جميع المنظمات ، للقيام بتحقيق دقيق في صحة بطاقات  
الحزب و « لجعل النظام البلشفي يسود في بيت حزبنا » .  
لقد كان لهذا التحقيق في صحة الوثائق الحزبية اهمية سياسية كبرى .

فقد جاء في القرار الذي اتخذته الاجتماع الكامل للجنة المركزية المنعقد في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٥ ، حول نتائج التحقيق في صحة الوثائق الحزبية ، ان هذا التحقيق كانت له من الناحية السياسية ومن الناحية التنظيمية اهمية عظيمة في توطيد صفوف الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي .

ولما انتهى التحقيق وتجديد البطاقات ، استؤنف قبول الاعضاء الجدد في الحزب . وفي هذا الصدد ، طلبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ان لا يجري ادخال الاعضاء الجدد في الحزب بالجملة ، بل ان يجري ذلك بصورة فردية صارمة عن طريق قبول « خيرة الناس في بلادنا ، الناس المتقدمين فعلاً ، والمخلصين فعلاً لقضية الطبقة العاملة ، وان يجري اختيارهم ، قبل كل شيء ، من بين العمال ، وكذلك من بين الفلاحين والمتقنين من دنيا العمل الذين جربوا في مختلف قطاعات النضال في سبيل الاشتراكية » .

وعند استئناف قبول الاعضاء الجدد في الحزب ، اشارت اللجنة المركزية الى ان من واجب منظمات الحزب ان لا تنسى ابدأ ان العناصر المعادية ستحاول في المستقبل ايضاً ان تنسرب الى صفوف الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وبالتالي :

« فهمة كل منظمة حزبية قوامها ، مع تشديد اليقظة البلشفية الى اقصى حد ممكن ، ان ترفع عالياً علم حزب لينين ، وان تحمي صفوف الحزب من ان تتغلغل فيها العناصر الغريبة والمعادية والتي تأتي بها الصدف » . ( قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، بتاريخ ٢٩ ايلول ١٩٣٦ ، البرافدا ، العدد ٢٧٠ ، ١٩٣٦ ) .

اتى الحزب البلشفي ، بتطهيره صفوفه وتوطيدها وبسحقه اعداء الحزب وبنضاله بدون رحمة ضد تشويحات خطئه العامة ، قد ازداد النفاذاً حول لجنته المركزية التي تحت قيادتها ، انتقل الحزب وبلاد السوفيات الى المرحلة الجديدة ، الى انجاز بناء المجتمع الاشتراكي الخالي من الطبقات .

## الخلاصة

في سنة ١٩٣٠ - ١٩٣٤ ، انجز الحزب البلشفي المهمة التاريخية التي كانت أصعب مهمات الثورة البروليتارية ، بعد الاستيلاء على الحكم ، الا وهي اجتذاب ملايين الفلاحين الملاكين الصغار الى سلوك طريق الكولخوزات ، طريق الاشتراكية . ان تصفية الكولاك ، وهم اكثر طبقات المستثمرين عدداً ، وانتقال جماهير الفلاحين الاساسية الى طريق الكولخوزات ، قد اديا الى استئصال آخر جذور الرأسمالية في البلاد ، والى انجاز انتصار الاشتراكية في الزراعة ، وتوطيد حكم السوفيات نهائياً في الريف .

وبعدما تغلبت الكولخوزات على سلسلة من المصاعب التنظيمية ، توطدت اركانها نهائياً ، وسارت على طريق حياة رغيدة .

ان تنفيذ برنامج السنوات الخمس الاول ، كانت نتيجته بناء اسس راسخة لا تتزعزع للاقتصاد الاشتراكي في بلادنا : صناعة ثقيلة اشتراكية من الدرجة الاولى ، وزراعة جماعية آلية ؛ لقد مُحيت البطالة ، وُحِيَ استثمار الانسان للانسان ، وُخلقت الشروط المطلوبة لتحسين وضع الشغيلة المادي والثقافي في بلادنا تحسناً مستمراً .

لقد احرزت الطبقة العاملة والكولخوزيون وجميع الشغيلة في بلادنا هذه

النجاحات العظيمة ، بفضل السياسة الجريئة والثورية والواضحة التي انتهجها  
الحزب والحكومة .

ان الدول الرأسمالية التي تحيط بنا ، تسعى الى اضعاف قدرة الاتحاد  
السوفييتي واتلافها ، ولذلك تشدد « عملها » بغية تنظيم عصابات من القتلة  
والخربين والجواسيس في داخل البلاد . ويشتد عدا هذه الدول الرأسمالية نحو  
الاتحاد السوفييتي خصوصاً مع وصول الفاشيست الى الحكم في المانيا واليابان .  
وقد وجدت الفاشستية في التروتسكيين والزينوفيفيين خدماً أمناء . فهم  
يتولون القيام بالتجسس وممارسة التخريب والارهاب وارتكاب اعمال  
الالهاء ، انهم يريدون هزيمة الاتحاد السوفييتي ليستطيعوا اعادة الرأسمالية .  
ان الحكم السوفييتي يعاقب حثالات الجنس البشري هؤلاء ، عقاباً  
ضارماً ويضربهم بيد من حديد ، بوصفهم اعداء للشعب وخونة للوطن .

## الفصل الثاني عشر

الحزب البلشفي في النضال لانجاز بناء المجتمع  
الاشتراكي — تطبيق الدستور الجديد  
( ١٩٣٥ — ١٩٣٧ )

- ١ - الوضع الدولي في ١٩٣٥ — ١٩٣٧ .
- الازمة الاقتصادية تحف وطأتها موقتاً —
- بدء ازمة اقتصادية جديدة - استيلاء ايطاليا
- على الحبشة - التدخل الالماني الايطالي في اسبانيا -
- الغزو الياباني في الصين الوسطى -
- بدء الحروب الاستعمارية الثانية .

ان الازمة الاقتصادية التي نشبت في الاقطار الرأسمالية في النصف الثاني من سنة ١٩٢٩ ، قد دامت حتى نهاية سنة ١٩٣٣ . وابتداءً من هذه الفترة ، توقف هبوط الصناعة ، وتطورت الازمة الى ركود ، وعرفت الصناعة شيئاً من الانتعاش ، شيئاً من النهوض . ولكن هذا لم يكن هو النهوض الذي يدشن ازدهار الصناعة على اساس جديد ، اكثر ارتفاعاً . فالصناعة الرأسمالية العالمية لم تستطع ان ترتفع حتى الى مستوى ١٩٢٩ ، فهي لم تبلغ ، في اواسط سنة ١٩٣٧ ، سوى ٩٥ الى ٩٦ بالمائة من هذا المستوى . وما ان اقبل النصف الثاني من سنة ١٩٣٧ ، حتى اطلت ازمة اقتصادية جديدة اخذت ، قبل كل

شيء ، بمخناق الولايات المتحدة . ففي نهاية سنة ١٩٣٧ ، ارتفع عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة الى ١٠ ملايين شخص ، كما ازداد بسرعة في انكلترا .

وهكذا ، ما كادت الاقطار الرأسمالية تتأثر الى الشفاء من ضربات الازمة الاقتصادية السابقة ، حتى وجدت نفسها امام ازمة جديدة . وكانت النتيجة ان ازدادت التناقضات احتداماً بين الاقطار الاستعمارية ، كما بين البورجوازية والبروليتاريا . ولذلك اخذت الدول المعتدية تضاعف محاولاتها بغية تعويض خسائرها الداخلية الناجمة عن الازمة الاقتصادية ، على حساب الاقطار الاخرى التي كانت وسائلها الدفاعية ضعيفة . وجدير بالذكر ان الدولتين المعتديتين المعروفتين ، المانيا واليابان ، قد انضمت اليهما ، هذه المرة ، دولة ثالثة ، هي ايطاليا .

ففي سنة ١٩٣٥ ، هاجمت ايطاليا الفاشيستية الحبشة واخضعتها . وقد فعلت ذلك دون اي سبب او باعث من بواعث « الحق الدولي » . وقد جرى الهجوم بدون اعلان حرب ، جرى خلصة على طريقة اللصوص ، كما هو شائع عند الفاشيست اليوم . ولم تصب الضربة الحبشة وحدها . فقد كانت مواجهة ايضاً ضد انكلترا ، ضد مواصلاتها البحرية بين اوروبا والهند ، وفي آسيا . ولم تنجح المحاولات التي بذلتها انكلترا لمنع ايطاليا من تثبيت اقدامها في الحبشة . فان ايطاليا لم تلبث ان انسحبت من جامعة الامم لكي تصبح مطلقة اليدين ، تماماً . واخذت تتسلح بسرعة ونشاط .

وهكذا ظهرت بؤرة جديدة للحرب على اقصر طريق بين اوروبا وآسيا . وعمدت المانيا الفاشيستية ، من جهتها ، الى نقض معاهدة فرساي ، بقرار وحيد الجانب ، ورسمت برنامجها لاجل فرض اعادة النظر في حدود الدول الاوروبية . ولم يكن الفاشيست الالمان يخفون ما ينوونه من اخضاع الدول المجاورة لسيطرتهم ، او الاستيلاء ، في اقل تقدير ، على المناطق التي يقطنها الالمان من اراضي هذه الدول . لقد كان برنامجهم ينطوي على

النقاط التالية : احتلال النمسا أولا ، وبعد ذلك ، توجيه ضربة الى تشيكوسلوفاكيا ، ثم الى بولونيا ، على الأرجح ، حيث توجد ايضاً منطقة بأسرها يقطنها الالمان ومحاذية لالمانيا ، وبعد ذلك ... بعد ذلك...«سنرى».

وفي صيف ١٩٣٦ ، تدخلت المانيا وايطاليا عسكرياً ضد الجمهورية الاسبانية . وبمجة مساندة الفاشيست الاسبان ، حصلت ايطاليا و المانيا على امكانية ادخال جيوشها خلسة الى الاراضي الاسبانية ، على مؤخرة فرنسا ، كما ادخلنا اسطولهما البحري الى مياه اسبانيا ، في نواحي جزر الباليار وجبل طارق في الجنوب ، والى منطقة المحيط الاطلسي في الغرب ، ومنطقة خليج بسكاي في الشمال . وفي مطلع سنة ١٩٣٨ ، احتل الفاشيست الالمان النمسا ، وبذلك توغلوا في منطقة الدانوب الاوسط ، وبلغوا جنوبي اوروبا ، واصبحوا اكثر قرباً من بحر الادرياتيک .

وبينما كان الفاشيست الالمان والطيان ماضين في توسيع تدخلهم ضد اسبانيا ، كانوا يحاولون ان يقتعوا العالم بانهم يناضلون ضد « المحر » ، وليس لهم اي غرض آخر في تلك البلاد . ولكن لم يكن ذلك سوى تمويه فظ وغير بارع ، يرمي الى خدع السذج من الناس . ففي الحقيقة ، كانت ضربتهم تستهدف انكثرا وفرنسا ، ماداموا قد اصبحوا يسدون طرق المواصلات البحرية بين هذين البلدين وتملكاتها الاستعمارية الواسعة في افريقيا وآسيا .

اما فيما يتصل بالاستيلاء على النمسا ، فكان من غير الممكن ، بتاتا ، الادعاء بان هذا العمل يدخل في نطاق النضال ضد معاهدة فرساي ، في نطاق حماية المصالح « الوطنية » لالمانيا الساعية الى استرجاع الاراضي التي فقدتهم في الحرب الاستعمارية الاولى : ان النمسا لم تشكل جزءاً من المانيا لا قبل الحرب ولا بعدها . فضم النمسا الى المانيا بالعنف هو الحاق استعماري غاشم لاراضي الغير ، هو عمل يكشف الستر ، بصورة لا تدع مجالاً للشك ، عن رغبة المانيا الفاشيستية في السيطرة على غربي القارة الاوروبية بمجموعه .

فهو في الدرجة الاولى ، ضربة موجبة لمصالح فرنسا وانكلترا .

وهكذا ، ظهرت في اوروبا بؤرتان جديدتان للحرب ، احدهما في منطقة النمسا والادرياتيكي ، والاخرى في طرف اوروبا الغربي ، في نواحي اسبانيا والمياه التي تغسل شواطئها .

وفي سنة ١٩٣٧ ، استولى الفاشيست العسكريون في اليابان على بيكين واجتاحوا الصين الوسطى واحتلوا شانغاي . وقد جرت عملية ادخال القوات اليابانية الى الصين الوسطى كما جرت عملية غزو منشوريا قبل بضع سنوات على الطريقة اليابانية ، اي خلسة ومغافلة ، تحت ستار التذرع الكاذب بـ «حوادث محلية» اثارها اليابانيون انفسهم ، وخرقاً لجميع «القواعد الدولية» ، والعهود ، والاتفاقات ، الخ . وباحتلال تيانتسين وشنغاي ، استولت اليابان على مفتاح العلاقات التجارية مع الصين وعلى السوق الصيني العظيم . حتى لقد اصبح في وسع اليابان ، ما دامت واحة يدها على شانغاي وتيانتسين ، ان تطرد انكلترا والولايات المتحدة من الصين الوسطى التي وظفتها فيها رساميل ضخمة . ولكن من الواضح ان النضال البطولي الذي يخوضه الشعب الصيني وجيشه ضد الغزاة اليابانيين ، ونهضة الشعور الوطني الجبارة في الصين ، واحتياطيات البلاد العظيمة من الرجال والاراضي ، واخيراً ، الارادة التي تتحلل بها الحكومة الوطنية الصينية في قيادة النضال لتحرير الصين حتى يطرد الغزاة طرداً تاماً من البلاد ، جميع هذه العناصر تثبت ، بدون اقل شك ، ان المستعمرين اليابانيين ليس لهم ولا يمكن ان يكون لهم اي مستقبل في الصين .

على انه من الثابت ، مع ذلك ، ان اليابان تقبض بيدها مؤقتاً على مفتاح العلاقات التجارية مع الصين ، وان الحرب التي تقوم بها ضد هذه البلاد ، تشكل ، في الاساس ، ضربة شديدة تمس مصالح انكلترا والولايات المتحدة . وهكذا ، ظهرت في المحيط الهادي ، في نواحي الصين ، بؤرة اخرى للحرب .

من كل ذلك يتبين ان الحرب الاستعمارية الثانية قد بدأت فعلاً . لقد



بدأت خلسة، دون اعلان حرب. فالدول والشعوب قد انزلت بشكل من الاشكال، ودون ان تشعر، الى هاوية حرب استعمارية ثانية. وهذه الحرب قد بدأتها في نقاط مختلفة من الكرة ، ثلاث دول معتدية : لقد بدأتها الاوساط الحاكمة الفاشستية في المانيا وايطاليا واليابان. وهي تجري في بقاع شاسعة ممتدة من جبل طارق الى شانغهاي. وقد جرّت الى مدارها اكثر من نصف مليار من البشر. انها تجري، في آخر تحليل، ضد المصالح الرأسمالية لانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة، لانها تهدف الى اعادة تقسيم العالم ومناطق النفوذ وفقاً لمصلحة البلدان المعتدية، وعلى حساب هذه الدول التي تسمى عادة بالدول الديمقراطية .

ان ما يميز الحرب الاستعمارية الثانية، في الفترة الحالية، هو ان الدول المعتدية هي التي تقوم بها وتوسعها، في حين ان الدول الاخرى ، الدول «الديموقراطية» الموجهة ضدها هذه الحرب ، بصورة كلية، تتظاهر بالاعتقاد بان هذه الحرب لاتعنيها وتبتأ منها وتراجع، وتسبح بحبها للسلام، وتعي باللائمة على المعتدين الفاشيست و... تسلم مواقعها الى المعتدين شيئاً بعد شيء ، وتزعم، في الوقت نفسه ، انها تستعد للرد عليهم.

وهذه الحرب ، كما هو ظاهر للعيان ، انما هي حرب فريدة في بابها ، حرب باتجاه واحد . ولكن ذلك لا يقلل من كونها حرباً وحشية ، حرباً توسعية غاشمة تجري ، كما هي الحال ، على حساب شعوب الحبشة واسبانيا والصين ، ذات الوسائل الدفاعية الرديئة .

ومن الخطأ ان تُعزى هذه الصفة الوحيدة الجانب التي تتميز بها الحرب الى ضعف الدول « الديمقراطية » العسكري او الاقتصادي . فهذه الدول « الديمقراطية » هي ، بدون ادنى شك ، اقوى من الدول الفاشستية . فالصفة الوحيدة الجانب للحرب العالمية الآخذة في المسير ، تعود الى عدم وجود جبهة موحدة من الدول « الديمقراطية » ضد الدول الفاشيستية . صحيح ، ان الدول المسماة « ديموقراطية » لا تقر الدول الفاشيستية في ما تقدم عليه . من

« شطط و غلو » ، وهي تخشى ازدياد قوة هذه الدول . ولكنها تخاف من حركة العمال في أوروبا وحركة التحرر الوطني في آسيا أكثر من خوفها من الدول الفاشيستية ، وهي تعتبر ان الفاشيستية « ترياق صالح » للوقاية من جميع هذه الحركات « الخطرة » . ذلك هو السبب في ان الاوساط الحاكمة في الدول « الديموقراطية » ، ولا سيما الاوساط الانكليزية المحافظة ، تلتزم سياسة هدفها اقناع الطغاة الفاشيست المتفلتين من عقالمهم « بان لا يذهبوا في الامور الى حد الشطط » ، وتوحي لهم ، في ذات الوقت ، بانها « تفهم تماماً » بل تحبذ ، على الجملة ، سياستهم الرجعية والبوليسية ضد حركة العمال وحركة التحرر الوطني . ومن هذه الناحية ، تتبع الاوساط الحاكمة في انكلترا تقريباً تلك السياسة التي كان البورجوازيون الليبراليون والملكيون يتبعونها في عهد القيصرية في روسيا ، فكانوا ، مع خوفهم من « شطط » السياسة القيصريّة ، يخشون الشعب أكثر ، وقد اتبعوا ، بالنتيجة ، سياسة اقناع نحو القيصر ، اي سياسة تواطؤ مع القيصر ضد الشعب . ومن المعلوم ان البورجوازية الليبرالية الملكية في روسيا قد دفعت غالباً عن هذه السياسة ذات الوجهين . وهناك كل ما يحمل على الاعتقاد بان الاوساط الحاكمة في انكلترا واصدقاءها في فرنسا والولايات المتحدة ستؤدي ايضاً جزيتها الى التاريخ .

ومن المفهوم ان الاتحاد السوفياتي الذي يشهد الاتجاه الذي تتخذه الشؤون الدولية ، لم يكن بوسعهم ان يتجاهل هذه الحوادث الجلي بالاطار . فكل حرب يشعلها المعتدون ، حتى ولو كانت ضيقة النطاق ، تشكل خطراً على البلدان المحبة للسلم . والحرب الاستعمارية الثانية التي جاءت ، شيئاً فشيئاً وبصورة « غير ملحوظة » ، ففاجأت الشعوب وجرت في تيارها ، حتى الآن ، أكثر من نصف مليار من البشر ، هي ، حتماً ، وبموجة أولى ، خطر جسيم على جميع الشعوب ، وفي الدرجة الاولى ، على الاتحاد السوفياتي . وهذا ما يشتهه ، بصورة بليغة ، انشاء « كتلة معادية للشيوعية » مؤلفة ، من المانيا وايطاليا واليابان . ولهذا ، فان بلادنا ، مع متابعة سياستها السلمية ، اخذت

تعمل ، بغير انقطاع ، على المزيد من تعزيز قدرة الدفاع عن حدودنا ، ومن قوة جيشنا الاحمر واسطولنا الاحمر العسكرية . وفي اواخر سنة ١٩٣٤ ، دخل الاتحاد السوفياتي جامعة الامم ، معتبراً ان هذه المؤسسة ، رغم ضعفها ، يمكنها ، في كل حال ، ان تكون مجالاً لفضح المعتدين ، واداة سلمية ، الى حد ما ، تساعد ، على اعاقا اشغال الحرب ، رغم ما هي عليه من وهن لا ريب فيه . لقد ارتأى الاتحاد السوفياتي انه ينبغي ، في وقت كهذا ، عدم احتقار منظمة دولية حتى ولو كانت ضعيفة كجامعة الامم . وفي ايار ١٩٣٥ ، عُقد بين فرنسا والاتحاد السوفياتي ميثاق مساعدة متبادلة ضد هجوم المعتدين المحتمل وقوعه . وفي ذات الوقت ، عُقد ميثاق آخر مع تشيكوسلوفاكيا . وفي آذار ١٩٣٦ ، عقد الاتحاد السوفياتي ميثاق مساعدة متبادلة مع جمهورية مونغوليا الشعبية . وفي آب ١٩٣٧ ، عُقد ميثاق عدم اعتداء بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين .

- ٢ - نهوض الصناعة والزراعة يستمر في الاتحاد السوفياتي -
- تنفيذ برنامج السنوات الخمس الثاني قبل موعده - اعادة
- بناء الزراعة وانجاز تنظيم الزراعة الجماعي - اهمية
- الكادر - الحركة الساخاوفية - ارتفاع الرفاهية الوطنية -
- نهوض الثقافة الوطنية - القوة العظيمة لثورة السوفياتية -

بينما طرأت على البلدان الرأسمالية ازمة اقتصادية جديدة ، بعد مضي ثلاث سنوات فقط على ازمة ١٩٣٠ - ١٩٣٢ ، كان نهوض الصناعة في الاتحاد السوفياتي ، طيلة هذه المرحلة ، مستمراً بشكل جارف لا يُقاوم . وبينما الصناعة الرأسمالية في العالم بمجموعه ، لم تكند تبلغ ، في اواسط ١٩٣٧ سوى ٩٥ الى ٩٦ ٪ من مستوى ١٩٢٩ ، ثم اصيبت منذ النصف الثاني من عام ١٩٣٧ بازمة اقتصادية جديدة ، كانت الصناعة السوفياتية عند نهاية ١٩٣٧ ، قد بلغت

خلال سيرها الجبار الى امام، مقدار ٤٢٨ بالمئة من مستوى ١٩٢٩ وازدادت اكثر من ٧ مرات بالقياس الى مستوى ما قبل الحرب .

لقد كانت هذه النجاحات هي النتيجة المباشرة لسياسة اعادة البناء التي ينفجها الحزب والحكومة بمثابة تامة مطلقة .

وكانت النتيجة التي ادت اليها هذه النجاحات ان برنامج السنوات الخمس الثاني في الصناعة تم تنفيذه قبل مواعده، وذلك بتاريخ اول نيسان ١٩٣٧ ،اي في فترة ٤ سنوات و٣ اشهر .

لقد كان ذلك انتصاراً رائعاً للاشتراكية .

وسجلت الزراعة مثل هذا النهوض تقريباً . فقد ارتفعت المساحة المزروعة، بجميع انواع الزراعات ، من ١٠٥ ملايين هكتار في سنة ١٩١٣ (مرحلة ما قبل الحرب) الى ١٣٥ مليون هكتار في سنة ١٩٣٧ . وازداد انتاج الحبوب من ٤ مليارات ٨٠٠ مليون بود في سنة ١٩١٣ الى ٦ مليارات ٨٠٠ مليون بود في سنة ١٩٣٧ ، وارتفع انتاج القطن الخام من ٤٤ مليون بود الى ١٥٤ مليوناً، وانتاج الكتان (الالياف) من ١٩ مليون بود الى ٣١ مليوناً، وانتاج الشمندر من ٦٥٤ مليون بود الى مليار و ٣١١ مليوناً، وانتاج النباتات الزيتية من ١٢٩ مليون بود الى ٣٠٦ ملايين .

وجدير بالذكر ان الكونخوزات وحدها ، ( بدون السوفخوزات ) قد اعطت البلاد في سنة ١٩٣٧ اكثر من مليار و ٧٠٠ مليون بود من القمح التجاري ، اي ٤٠٠ مليون ، على الاقل ، زيادة عما اعطاه في ١٩١٣ ، كبار ملاكي الارض والكونلاك والفلاحون مجتمعين .

وكان هناك فرع واحد من فروع الزراعة ، هو تربية الماشية ، لا يزال متأخراً عن مستوى ما قبل الحرب ، ويسير ببطء شديد جداً .

اما فيما يتعلق بتنظيم الزراعة التعاونية ، فقد اصبح في الامكان ، اعتبار ذلك بعد الآن، امرأتم الحجاز . فقد ضمت الكونخوزات في سنة ١٩٣٧ ، ١٨ مليون ٥٠٠ الف عائلة ، اي ما يعادل ٩٣ بالمئة من مجموع الفلاحين . اما

الحقول الكونخوزية التي زُرعت حبوباً فقد مثلت ٩٩ بالمئة من جميع اراضي  
الفلاحين المزروعة حبوباً.

ان اعادة بناء الزراعة وتزويدها الكثيف بالتراكتورات والآلات  
الزراعية قد اعطيا نتائج واضحة للعيان .

وهكذا، ادى انجاز اعادة البناء الصناعي والزراعي الى فسخ المجال لتجهيز  
الاقتصاد الوطني تجهيزاً وافراً بمعدات تكنيكية من الطراز الاول. فقد زوّدت  
الصناعة والزراعة ووسائل النقل والجيش بمقدار عظيم من المعدات التكنيكية  
الحديثة : آلات جديدة ، وآلات ادوات وتراكتورات، وآلات زراعية  
وقاطرات ، ومراكب بخارية، ومدفعية ودبابات، وطائرات وبواخر حربية.  
واصبح الواجب يقتضي ايجاد عشرات ومئات الالوف من الكادر المتخصص  
القادر على امتلاك ناصية هذا التكنيك والحصول منه على اقصى ما يمكن ان  
يعطي. فبدون بلوغ ذلك، بدون عدد كاف من الاختصاصيين المالكين زمام  
التكنيك ، كان هذا التكنيك مهدداً بان يتحول الى اكداس من  
المعدن الذي لا حراك فيه ولا يمكن استعماله . لقد كانت ذلك  
خطراً جدياً ، لان تكوين الملاكات القادرة على امتلاك ناصية التكنيك  
لم يكن يجاري تطور التكنيك ، بل كان متأخراً عنه . والامر الذي كان  
يزيد الطين بلة ان قسماً هاماً من مناضلينا لم يدركوا هذا الخطر وكانوا  
يعتقدون بان التكنيك « يمكن ان يقوم وحده » بمهمته . واذا كانوا سابقاً  
قد استصغروا شأن التكنيك واتخذوا منه موقف الازدراء ، فقد اصبحوا  
اليوم يقدرونه اكثر مما هو ، لقد اصبحوا يؤلهونه . فلم يكونوا يفهمون ان  
التكنيك ، بدون اناس يمتلكين ناصيته ، هو شيء ميت . ولم يدركوا ان  
التكنيك لا يمكن ان يعطي انتاجاً رفيعاً الا حين يكون هناك اناس امتلكوا  
ناصيته .

لذلك اصبحت مسألة الكادر التكنيكي على جانب رئيسي من الاهمية .  
فكان من الضروري جداً ان يتخطى مناضلونا عن ولعهم المفرط بالتكنيك

وعن استصغارهم لدور الكادر ، ليستوعبوا التكنيك وتملكوا ناصيته ، ويعملوا ، بأقصى حدود الامكان ، على تقوية تكوين الكادر القادر على السيطرة عليه والحصول منه على أقصى ما يمكن ان يعطي .

قديماً ، في اوائل مرحلة اعادة البناء ، لما كانت البلاد مقترة للتكنيك اقتقاراً شديداً ،لقى الحزب الشعار القائل : « ان التكنيك ، في مرحلة اعادة البناء ، يقرر كل شيء » ؛ اما الان بعدما اصبحنا مجزين تجهيزاً وافراً بالوسائل التكنيكية ، منذ انجاز مرحلة اعادة البناء ، بخطوطها الكبرى ، وبعدها اخذت البلاد تعافى قلة الكادر ، فقد كان على الحزب ان يلقي شعاراً جديداً لتوجيه الانتباه لا الى التكنيك هذه المرة ، بل الى الناس ، الى الكادر القادر على استخدامه استخداماً تاماً .

وقد كان لخطاب الرفيق ستالين في الاحتفال بتخرج تلامذة المدارس العليا للجيش الاحمر ، في ايار ١٩٣٥ ، اهمية كبرى من هذه الناحية . لقد قال الرفيق ستالين :

« قديماً ، كنا نقول « ان التكنيك يُقرر كل شيء » . وقد ساعدنا هذا الشعار بمعنى اننا ازلنا النقص في التكنيك وخلقنا اوسع اساس تكنيكي في جميع فروع النشاط لنسلح رجالنا بتكنيك من الطراز الاول . وهذا حسن جداً . ولكنه ليس كافياً ، بل بعيداً جداً عن الكفاية . فلأجل تسيير التكنيك واستخدامه استخداماً تاماً ، يلزم لنا اناس امتلكوا ناصية التكنيك ، يلزم لنا كادر قادر على استيعاب هذا التكنيك واستخدامه وفقاً لجميع قواعد الفن . ان التكنيك بدون الناس الذين امتلكوا ناصيته ، شيء ميت . اما التكنيك الذي يتولى قيادته اناس امتلكوا ناصيته ، فيستطيع وينبغي ان يفعل المعجزات . ولو كان في مصانعنا ومعاملنا من الدرجة الاولى ، وفي سوفخوزاتنا وكولخوزاتنا ، وفي مصالح النقل وفي جيشنا الاحمر عدد كاف من الكادر القادر على السيطرة

على هذا التكنيك ، حصلت بلادنا على انتاج ارفع من الآن بثلاث مرات او اربع . لذلك ينبغي ان تتجه معظم جهودنا الآن الى الناس ، الى الكادر ، الى الشغيلة الممتلكين ناصية التكنيك . ولهذا فان الشعار القديم « **التكنيك يقرر كل شيء** » ، ذلك الشعار الذي هو انعكاس لمرحلة مضت كان التقص في ميدان التكنيك سائداً خلالها عندنا ، ينبغي تبديله الآن بشعار جديد : « **الملاكات تقرر كل شيء** » . هذا هو الشيء الجوهرى اليوم ...

وقد آن ان ندرك ان الناس ، ان الكادر هم اثنان رأسمال ، هم الرأسمال ذو القول الفصل من بين جميع الراساميل الموجودة في العالم . وينبغي ان ندرك ان « **الكادر يقرر كل شيء** » ، في الاحوال الراهنة عندنا . فاذا كان عندنا كادر جيد وكثير العدد في الصناعة والزراعة ومصالح النقل والجيش ، فان بلادنا لا يمكن ان تغلب . واذا لم يكن عندنا كادر من هذا النوع فاننا سنخرج من رجلينا الاثنين » .

وهكذا ، فان تكوين الكادر التكنيكي ، العاجل ، وامتلاك ناصية التكنيك الجديد بسرعة بغية تأمين نهوض انتاجية العمل بصورة دائمة ثابتة ، قد اصبحا المهمة الرئيسية .

وقد كانت الحركة الستاخانوفية هي التي دلت بمنتهى الوضوح على تطور هذا الكادر وعلى استيعاب رجالنا للتكنيك الجديد وعلى نهوض انتاجية العمل نهوضاً مستمراً لا انقطاع له . لقد ولدت هذه الحركة وتوحدت في حوض الدونيتز ، في الصناعة الفعمية ، وامتدت الى صناعات اخرى وإلى وسائل النقل ثم شملت الزراعة . وقد دعيت بالحركة الستاخانوفية ، نسبة الى اسم صاحب المبادرة الاولى فيها ، العامل في قلع الفحم ، اليكسي ستاخانوف ، من بشر «تسنترالنايا ارمينو» (حوض الدونيتز) وقبل ستاخانوف ، كان نيكييتا ايزونوف قد ضرب ارقاماً قياسية في استخراج الفحم لم يسبق لها مثيل . ان

مثال ستاخانوف الذي قلع في مركز واحد ، بتاريخ ٣١ آب ١٩٣٥ ، ١٠٢ طن من الفحم ، اي ما يزيد باربعة عشرة مرة عن المعدل المألوف ، قد سجل بدء حركة جماهيرية للعمال والكوخوزيين في سبيل رفع معدلات الانتاج واحداث نهوض جديد في انتاجية العمل . بوسينين في صناعة السيارات ، وسميتانين في صناعة الاحذية ، وكريفونوس في مصالح النقل ، وموسينسكي في الصناعة الغابية ، وافدوكيا وماريا فينوغرادوفا في صناعة النسيج ، وماريا دمنتشكو ، ومارينا غناتكو ، وب . انجيلينا ، وبولا غوتين ، وكوليسوف ، وكوفارداك ، وبورين في الزراعة ، تلك هي اسماء رواد الحركة الستاخانوفية الاولون .

وقد اقتفى اثرهم اخرون ، ونسجت على منوالهم فضائل باسرها من الرواد الذين رفعوا انتاجية العمل الى اعلى مما رفعها سابقوهم .

وقد كان لمؤتمر الستاخانوفيين الاول في الاتحاد السوفياتي الذي عقد في تشرين الثاني ١٩٣٥ في الكرملين ولخطاب الرفيق ستالين في هذا المؤتمر ، اهمية عظمى في تطور الحركة الستاخانوفية . لقد قال الرفيق ستالين :

« ان الحركة الستاخانوفية تعبر عن نهوض جديد في المباراة الاشتراكية ، عن مرحلة جديدة ، عليا في المباراة الاشتراكية ... في السابق ، قبل حوالي ثلاث سنوات ، خلال المرحلة الاولى من المباراة الاشتراكية ، لم تكن هذه المباراة مرتبطة ، وجوبا ، بالتكنيك الجديد . على انه لم يكن عندنا تقريباً في تلك الفترة تكنيك جديد ، بمعنى الكلمة الحقيقي . اما في المرحلة الحاضرة من المباراة الاشتراكية ، فالحركة الستاخانوفية على العكس ، مرتبطة وجوباً بالتكنيك الحديث . فالحركة الستاخانوفية ما كان يمكن تصورها بدون التكنيك الجديد الرفيع . ان امامكم اناساً كالرفاق ستاخانوف ، وبوسينين ، وسميتانين ، وكريفونوس ، وبرونين ، والرفيقتين فينوغرادوفا وغيرهم كثيرين آخرين ، اناساً جديداً ، عمالا وعاملات ، امتلكوا تماماً ناصية التكنيك في



مهمتهم وروضوه ودفعوه الى امام . فقبل حوالي ثلاث سنوات لم يكن عندنا ، بنائاً ، او تقريباً ، اناس من هذا النوع ... ان اهمية الحركة الستاخانوفية هي ان هذه الحركة تقلب رأساً على عقب المعدلات التكنيكية القديمة بوصفها غير كافية ، وتتجاوز ، في مناسبات عديدة ، انتاجية العمل في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، وتتيح ، بهذه الصورة ، الامكانية العملية لتوطيد الاشتراكية في بلادنا توطيداً مستمراً لا انقطاع له ، ولجعل بلادنا اكثر البلدان يسراً ورخاء .

وحدد الرفيق ستالين اساليب عمل الستاخانوفيين وحلل الدور الهائل لهذه الحركة في مستقبل بلادنا ، فقال :

« انظروا عن كثب الى الرفاق الستاخانوفيين . فمن هم هؤلاء الناس ؟ انهم ، بوجه خاص ، عمال وعاملات شباب او متوسطو السن ، اناس متطورون راسخو القدم في التكنيك ، يضربون المثل في الدقة والانتباه في العمل ، يعرفون ان يقدروا قيمة عامل الوقت في العمل ، وقد تعلموا ان يحسبوا الوقت لا بالدقائق فقط بل بالثواني . ان معظمهم قد « اجتازوا ما يسمى بالحد الأدنى من التكنيك (١) . وما زالوا يتابعون اكمال تحصيلهم التكنيكي ، وهم خلوا من روح المحافظة والجمود الروتيني الذين يتصف بهما بعض المهندسين والفنيين وبعض قادة المؤسسات ، وهم يسرون بجرة الى امام ويقلبون المعدلات التكنيكية الشائعة ، ويخلقون معدلات جديدة ارفع ، ويدخلون تصحيحات على الطاقات الانتاجية المقررة ، وعلى البرامج الاقتصادية التي يضعها قادة صناعتنا ، ويقومون دائماً باكمال نواقص المهندسين والفنيين واصلاح مايقعون فيه من خطأ ، وكثيراً ما يعلمونهم ويدفعونهم الى امام ، لان

(١) يقصد بالحد الأدنى من التكنيك مستوى معيناً من المعارف التكنيكية للعمال في المؤسسات الصناعية الاشتراكية .  
(هيئة التريب)

الستاخوفيين اناس اصبحوا يمتلكون امتلاكاً تاماً ناصية تكتيك  
مهنهم ويعرفون ان يحصلوا من التكتيك على اقصى ما يمكن  
ان يعطي .

« ان الستاخوفيين لا يزالون اليوم قليلي العدد ، ولكن من  
يستطيع ان يشك بان عددهم سيتضاعف غداً عشرات المرات ؟  
ليس واضحاً ان الستاخوفيين هم مجددون في صناعتنا ، وان  
الحركة الستاخوفية تمثل مستقبل صناعتنا ، وانها تتطوي على بذور  
النهوض التكنيكي والثقافي المقبل للطبقة العاملة ، وانها تفتح امامنا  
الطريق الذي سيمكننا وحده من الحصول على معدلات ارفع  
لاتاجية العمل ، هذه المعدلات الضرورية للانتقال من الاشتراكية  
الى الشيوعية ولحو التعارض بين العمل الفكري والعمل اليدوي ؟ »  
ان الحركة الستاخوفية التي انتشرت انتشاراً واسعاً ، وتنفذ برنامج  
السنوات الخمس الثاني قبل موعده ، قد اوجدت الشروط الضرورية لنهوض جديد  
في رفاهية الشغيلة ، وتطورهم الثقافي .

فخلال مرحلة برنامج السنوات الخمس الثاني ، زادت اجرة العمال والمستخدمين  
الحقيقية عن ضعفي ما كانت عليه . وارتفعت مخصصات الاجور من ٣٤ مليار  
روبل في سنة ١٩٣٣ الى ٨١ ملياراً في ١٩٣٧ . وارتفعت مخصصات الدولة  
للضمانات الاجتماعية من ٤ مليارات و ٦٠٠ مليون روبل في ١٩٣٣ الى ٥  
مليارات و ٦٠٠ مليون في ١٩٣٧ . وفي سنة ١٩٣٧ وحدها أنفقت ١٠  
مليارات روبل تقريباً على سبيل ضمانات من الدولة للعمال والمستخدمين ، ولأجل  
تحسين شروط الحياة ، ولأجل الشؤون الثقافية والمصحات ، ومراكز الاستجمام  
ودور الراحة والخدمات الطبية .

وتوطد النظام الكونخوزي نهائياً في الريف . وقد ساهم في ذلك مساهمة  
قوية عاملان اثنان هما : النظام الداخلي للارتييل الزراعي ، الذي اقره  
المؤتمر الثاني للكونخوزيين الصداميين في شباط ١٩٣٥ ، واقرار تسليم

الكولخوزات جميع الاراضي التي تزرعها هذه الكولخوزات للتمتع بها الى الابد . وبفضل توطيد النظام الكولخوزي ، زال الفقر في الريف وقضي على عدم الاطمئنان للغد . واذا كان الكولخوزي ، قبل حوالي ثلاث سنوات ، ينال كيلو غراماً او كيلو غرامين من الحبوب لقاء يوم العمل ، فان معظم الكولخوزيين في المناطق المنتجة للحبوب اخذوا ينالون الان ، لقاء يوم العمل ، من ٥ الى ١٢ كيلو غراماً من الحبوب ، وكثيرون منهم ينالون حتى ٢٠ كيلو غراماً ، ما عدا المنتجات الاخرى والدخل النقدي . وهناك ملايين من العائلات الكولخوزية التي نالت في مناطق الحبوب من ٥٠٠ الى ١٥٠٠ بود من الحبوب في سنة واحدة ، وعشرات الالاف من الروبلات في السنة في المناطق المنتجة للقطن والشمندر والكتان ، او المخصصة لتربية المواشي ولزراعة الكرمة وشجر الليمون والاشجار المثمرة والخضر . لقد استقر الرخاء في الكولخوزات . وقد اصبح بناء المستودعات الجديدة للغلال والزرائب الجديدة الشغل الاساسي للعائلة الكولخوزية ، نظراً لان المستودعات القديمة المعدة لمؤن سنوية زهيدة لم تبقى كافية حتى لعشر واحد من حاجات الكولخوزيين الجديدة . وقد اخذت الحكومة بعين الاعتبار رفاه الجماهير الشعبية النامي ، فسمت في سنة ١٩٣٦ قانوناً يمنع الاجهاض . وفي ذات الوقت وُضع برنامج واسع لبناء دور التوليد ودور الحضانة ومراكز لتوزيع الحليب ورياض الاطفال . وقد خصص في تلك السنة لهذه الشؤون الاجتماعية ملياران و١٧٤ مليون روبل مقابل ٨٧٥ مليوناً في ١٩٣٥ . ووضع قانون خاص ينص على منع العائلات الكثيرة العدد تعويضات كبرى . وبموجب احكام هذا القانون ، دفع في سنة ١٩٣٧ اكثر من مليار روبل .

وبنتيجة تطبيق التعليم الالزامي العام وبناء المدارس الجديدة ، سجلت ثقافة الجماهير الشعبية نهوضاً جباراً . ففي طول الاتحاد السوفياتي وعرضه قام عمل هائل لتطوير التعليم ، وارتفع عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية والثانوية من ٨ ملايين في ١٩١٤ الى ٢٨ مليوناً في ١٩٣٦ — ١٩٣٧ . وارتفع عدد

الطلاب في مؤسسات التعليم العالي من ١١٢ ألف طالب في عام ١٩١٤ الى ٥٤٢ ألفاً في ١٩٣٦ — ١٩٣٧ . تلك كانت الثورة الثقافية .

وفي هذا النهوض الذي بلغه رخاء الجماهير الشعبية المادي وتطورها الثقافي ، تجلت قوة ثورتنا السوفياتية وجبروتها ومنعتها . ان الثورات ، في الماضي ، كانت تتلاشى لانها ، بعد ان تعطي الشعب الحرية ، لم تكن تملك ، في ذات الوقت ، امكان ادخال تحسين جدي على وضعه المادي والثقافي . وهنا كان الضعف الرئيسي لتلك الثورات . اما ثورتنا فتمتيز عن جميع الثورات الاخرى في انها لم تحرر الشعب من القيصرية والرأسمالية وحسب ، بل حسنت ايضاً وضعه المادي والثقافي من الاساس . وهذا هو مصدر قوتها ، هذا ما يجعلها منيعة لا تغلب .

في الخطاب الذي القاه الرفيق ستالين في المؤتمر الاول للستاخانوفيين في الاتحاد السوفياتي ، قال :

« ان ثورتنا البروليتارية هي الثورة الوحيدة في العالم ، التي لم يعط لها فقط ان تبين للشعب نتائجها السياسية ، بل ان تبين ايضاً نتائجها المادية . ولسنا نعرف ، من بين جميع الثورات العالمية ، سوى ثورة واحدة توصلت ، بشكل من الاشكال ، الى الحكم ، وهي كومونة باريس . ولكنها لم تعيش طويلاً . صحيح انها حاولت ان تحطم سلاسل الرأسمالية ولكن لم يتسع لها الوقت للقيام بذلك ، وبالاخرى ، لم يتسع لها الوقت لتبين للشعب الحسنات المادية للثورة . فثورتنا هي الثورة الوحيدة التي لم تقتصر فقط على تحطيم سلاسل الرأسمالية واعطاء الشعب الحرية ، بل استطاعت ، فضلاً عن ذلك ، ان تعطي الشروط المادية لحياة رغيدة . هذا هو مصدر قوة ثورتنا ، هذا ما يجعلها منيعة لا تغلب » .

### ٣ - المؤتمر الثامن لمجالس السوفيات - اقرار الدستور الجديد للاتحاد السوفياتي .

في شباط ١٩٣٥ ، قرر المؤتمر السابع لمجالس السوفيات في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، ادخال تعديل على دستور الاتحاد السوفياتي الموضوع عام ١٩٣٤ . وكانت ضرورة التعديل ناجمة عن التغييرات العظيمة التي طرأت على حياة الاتحاد السوفياتي منذ ١٩٢٤ ، اي منذ وضع الدستور الاول للبلاد السوفياتية الى ايامنا هذه . ففي هذه السنين المنصرمة ، تغيرت العلاقة بين القوى الطبقة في الاتحاد السوفياتي تغيراً كلياً : فقد أنشئت صناعة جديدة هي الصناعة الاشتراكية ، وتم سحق الكولاك ، وانتصر نظام الكونخوزات ، وتوطدت الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج في مجموع الاقتصاد الوطني ، من حيث هي اساس المجتمع السوفياتي . وكان انتصار الاشتراكية يسمح بمواصلة السير نحو جعل النظام الانتخابي ديمقراطياً اكثر فاكثراً ، ونحو تطبيق حق التصويت العام المتساوي والمباشر ، على اساس الاقتراع السري .

وقد قامت لجنة دستورية خاصة يرأسها الرفيق ستالين بوضع دستور جديد لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وقد طرح هذا المشروع لمناقشة شعبية دامت خمسة اشهر ونصف الشهر ، ثم عرض على المؤتمر الاستثنائي الثامن لمجالس السوفيات .

وفي تشرين الثاني ١٩٣٦ ، انعقد المؤتمر الثامن لمجالس السوفيات ، الذي كان عليه ان يقر او يرفض مشروع الدستور الجديد للاتحاد السوفياتي . وقد استعرض الرفيق ستالين ، في التقرير الذي قدمه الى المؤتمر الثامن عن مشروع الدستور الجديد ، التغييرات الاساسية التي طرأت على البلاد السوفياتية منذ اقرار دستور ١٩٢٤ .

كان دستور ١٩٢٤ ، قد وضع في الفترة الاولى من عهد السياسة الاقتصادية الجديدة ( عهد النيب ) ، ايام كان الحكم السوفياتي مازال

يتسامح بتطور الرأسمالية الى جانب تطور الاشتراكية . في ذلك الحين ، كان الحكم السوفياتي يستهدف ، خلال المباراة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي ، تنظيم وتأمين انتصار الاشتراكية على الرأسمالية في الميدان الاقتصادي . في ذلك الحين كان السؤال : « لمن ستكون الغلبة ؟ » ما زال بدون جواب . فالصناعة التي كانت متركزة على تكنيك عتيق وفقير لم تكن قد بلغت مستوى ما قبل الحرب . اما الزراعة فكانت آنذاك اسوأ حالا من الصناعة . فالكونخوزات والسوفخوزات لم تكن تؤلف سوى جزر صغيرة في بحر خضم من اقتصاديات الفلاحين الفردية . ولم يكن السعي اذ ذاك متجهاً نحو تصفية الكولاك ، بل نحو حصرهم والتضييق عليهم فقط . وفي ميدان التجارة كان القطاع الاشتراكي لا يشمل الا ما يقارب ٥٠ بالمئة منها .

اما في العام ١٩٣٦ ، فكان الاتحاد السوفياتي يمثل صورة اخرى مختلفة تماماً . كان الاقتصاد الوطني قد تغير تغيراً تاماً في هذا الوقت ، فالعناصر الرأسمالية تمت تصفيتها بصورة كاملة ، وانتصر النظام الاشتراكي في جميع ميادين الاقتصاد الوطني . واصبحت الصناعة الاشتراكية الجبارة تنتج سبعة اضعاف ما كانت تنتجه صناعة ما قبل الحرب ، كما انها ازاحت الصناعة الخاصة تماماً . اما في الزراعة ، فقد انتصر الانتاج الاشتراكي ، اكبر انتاج في العالم قائم على الميكانيك ومجهز بالتكنيك الحديث ، وهو الانتاج المتمثل في نظام الكونخوزات والسوفخوزات . وحوالي ١٩٣٦ كانت قد تمت تصفية الكولاك من حيث هم طبقة ، اما قطاع الفلاحين الفرديين فلم يعد له اي دور ذي شأن في اقتصاديات البلاد . كذلك التجارة اصبحت بكاملها متركزة في ايدي الدولة والتعاونيات . وأزيل الى الابد استثمار الانسان للانسان . وكانت الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، اي الملكية الاشتراكية ، قد رسخت جذورها من حيث هي الاساس الذي لا يتزعزع للنظام الجديد . النظام الاشتراكي - في جميع فروع الاقتصاد الوطني . وزالت الى الابد ، في المجتمع الجديد ، الازمات والبؤس والبطالة والخراب ، ونشأت الشروط اللازمة لكي يعيش

جميع اعضاء المجتمع السوفياني حياة الرفاه والثقافة .

وكان من نتيجة ذلك ، كما صرّح الرفيق ستالين في تقريره ، ان تغير البناء الطبقي لسكان الاتحاد السوفياني . فطبقة كبار ملاكي الاراضي ، وكذلك البورجوازية الاستعمارية الكبيرة القديمة ، كان قد تم القضاء عليها منذ ايام الحرب الاهلية . وخلال سنوات البناء الاشتراكي تمت تصفية جميع العناصر المستثمرة ، من الرأسماليين وتجار الجملة والكولاك والمحتكرين . ولم يبق من الطبقات المستثمرة ، التي تمت تصفيتها ، سوى بقايا لا يؤبه لها ، وكان المستقبل القريب كفيلاً بتصفيتها تماماً .

وتغير شغيلة الاتحاد السوفياني ، العمال والفلاحون والمثقفون ، تغييراً عميقاً خلال سنوات البناء الاشتراكي .

فالطبقة العاملة لم تعد طبقة مُستثمرة ، محرومة من وسائل الانتاج ، كما هي الحال في النظام الرأسمالي . فهي قد ازال الت الرأسمالية ، وانتزعت من الرأسماليين وسائل الانتاج وحوّلتها الى ملكية اجتماعية . فالطبقة العاملة لم تعد طبقة بروتيتاريا بالمعنى الخاص القديم للكلمة . فالبروليتاريا في الاتحاد السوفياني ، القابضة بيديها على سيطرة الدولة ، تحولت الى طبقة جديدة كل الجودة . لقد تحولت الى طبقة عاملة متحررة من الاستثمار ، محقت النظام الرأسمالي في الاقتصاد ، واقامت نظام الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، اي انها تحولت الى طبقة عاملة لم يعرف مثلها تاريخ الانسانية قبل اليوم .

ولم تكن التغيرات التي طرأت على حالة فلاحي الاتحاد السوفياني أقل عمقا من التي حصلت في حالة العمال . ففي الايام الغابرة ، كان اكثر من عشرين مليوناً من اقتصاديات الفلاحين المنعزلة المبعثرة ، من صغيرة ومتوسطة ، تكسح متفرقة على حصتها من الارض ، ولم تكن تملك آنذاك سوى تكتيك متأخر ، كما كانت تعاني استثمار كبار ملاكي الاراضي ، والكولاك ، والتجار ، والمحتكرين ، والمرابين ، وغيرهم . أما الآن ، فقد سبّت وترعرت في الاتحاد السوفياني طبقة فلاحين جديدة كل الجودة . فلم يعد هناك ملاكون كبار ولا

كولاك ، ولا تجار ولا موابون يمكنهم ان يستثمروا جماهير الفلاحين . وانضمت الاكثرية الساحقة من اقتصاديات الفلاحين الى الكونلوزات التي لا تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، بل تقوم على الملكية الجماعية التعاونية ، الناشئة على اساس العمل الجماعي التعاوني . وكان هؤلاء الفلاحون نموذجاً جديداً من الفلاحين المتحررين من كل استثمار . وهم ايضاً ، لم يعرف تاريخ الانسانية مثلهم من قبل .

كذلك المثقفون في الاتحاد السوفياتي تغيروا . فهم ، من حيث جماهيرهم الكبرى ، أصبحوا مثقفين من نوع جديد ، فقد برزوا ، باكثريتهم ، من اوساط العمال والفلاحين . وهم لا يخدمون الرأسمالية كما كانت حال المثقفين القدماء ، وانما يخدمون الاشتراكية . لقد أصبحوا اعضاء في المجتمع الاشتراكي لهم حقوق مساوية لحقوق غيرهم . ان هؤلاء المثقفين يبنون بالتعاون مع العمال والفلاحين مجتمعاً جديداً هو المجتمع الاشتراكي . فهم مثقفون من نوع جديد ، عاملون في خدمة الشعب ، ومتحررون من كل استثمار . ان تاريخ الانسانية لم يعرف ، من قبل ، مثل هؤلاء المثقفين .

هكذا تمحى الحدود الطبقة بين شغيلة الاتحاد السوفياتي ، ويزول التمييز الطبقي القديم ، وتنتهار وتتدثر التناقضات الاقتصادية والسياسية بين العمال والفلاحين والمثقفين ، لقد نشأ الاساس اللازم لوحدة المجتمع المعنوية والسياسية . ان هذه التغيرات العميقة في حياة الاتحاد السوفياتي ، وهذه الانتصارات الحاسمة التي احرزتها الاشتراكية ، وجدت التعبير الصادق عنها في الدستور السوفياتي الجديد .

وفقاً لهذا الدستور ، يتألف المجتمع السوفياتي من طبقتين صديقتين ، العمال والفلاحين ، اللتين لا تزال بينهما فروق طبقية . واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو دولة اشتراكية للعمال والفلاحين .

ويتألف الاساس السياسي للاتحاد السوفياتي من مجالس ( اي سوفيات ) نواب الشغيلة ، التي غت وتوطدت على اثر هدم سلطان كبار ملاكي الاراضي



والرأسماليين ، والفوز بديكتاتورية البروليتاريا .

كل الحكم في الاتحاد السوفياتي هو في يد شغيلة المدينة والريف ، الذين تمثلهم المجالس السوفياتية لنواب الشغيلة .

الهيئة العليا لسلطة الدولة في الاتحاد السوفياتي ، هي مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي .

مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، الذي يتألف من مجلسين متساويين في الحقوق ، مجلس الاتحاد ومجلس القوميات ، يجري انتخابه من قبل مواطني الاتحاد السوفياتي لمدة اربع سنوات ، على اساس التصويت العام المباشر ، والمتساوي ، وبطريقة الاقتراع السري .

ان انتخابات مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، شأنها شأن انتخابات جميع مجالس السوفيات لنواب الشغيلة ، تجري بطريق التصويت العام ، اي ان جميع مواطني الاتحاد السوفياتي ، البالغين الثامنة عشرة من العمر ، مهما كانت عرقهم او قوميتهم او دينهم او درجة تعليمهم او مدة اقامتهم او اصلهم الاجتماعي او حالتهم المادية او نشاطهم الماضي ، لهم حق الاشتراك في انتخاب النواب ، ولهم الحق في ان يكونوا نواباً ، وذلك باستثناء المجانين والاشخاص المحكومين بعقوبة قضائية تحرمهم من الحقوق الانتخابية .

وتجري انتخابات النواب على طريقة التصويت المتساوي ، اي ان لكل مواطن صوتاً واحداً ، وان جميع المواطنين يشتركون في الانتخابات على اسس متساوية .

وتجري انتخابات النواب على طريقة التصويت المباشر ، اي ان انتخاب جميع مجالس السوفيات لنواب الشغيلة ، ابتداء من مجالس السوفيات لنواب الشغيلة في المراكز الريفية وفي المدن ، الى مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، يجري من قبل المواطنين دون وسيط ، بالتصويت المباشر . وينتخب السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، في اجتماع مشترك يضم

مجلسيه الاثنين ، مكتب رئاسته ومجلس مفوضي (١) الشعب الاتحاد السوفياتي .  
ان الاساس الاقتصادي للاتحاد السوفياتي يقوم على النظام الاشتراكي في  
الاقتصاد وعلى الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج . ويطبق في الاتحاد  
السوفياتي مبدأ الاشتراكية القائل : « من كل واحد حسب قدرته ، ولكل  
واحد حسب عمله ! » .

يضمن ويؤمن لجميع مواطني الاتحاد السوفياتي حق العمل ، وحق الراحة ،  
وحق التعلم ، وحق التأمين المادي في حالة الشيخوخة وكذلك في حالة المرض  
وفي حالة فقدان القدرة على العمل .

المرأة تتمتع بحقوق مساوية لحقوق الرجل في جميع ميادين العمل والنشاط .  
التساوي في الحقوق بين مواطني الاتحاد السوفياتي ، دون تمييز في القومية وفي  
العرق ، هو قانون غير قابل الابطال او الفسخ .

يُعترف لجميع المواطنين بحرية العقيدة الدينية وحرية الدعاية اللادينية .  
يضمن الدستور — لاجل توطيد المجتمع الاشتراكي — حرية الكلام  
والصحافة والاجتماع والاجتماعات العامة ، وحق التكتل في منظمات اجتماعية ،  
وحرمة الفرد وحرمة المسكن وسرية المراسلات ، وحق الالتجاء للمواطنين  
الاجانب المضطهدين بسبب دفاعهم عن مصالح السكادحين ، او بسبب نشاطهم  
العلمي ، او لنضالهم في سبيل التحرر الوطني .

وفي الوقت نفسه ، يفرض الدستور واجبات جدية على جميع مواطني  
الاتحاد السوفياتي ، وهي : تنفيذ القوانين ، والتقيّد بنظام العمل ، والقيام  
بشرف بالواجب الاجتماعي ، واحترام قواعد الحياة في المجتمع الاشتراكي ،  
وصيانة الملكية الاجتماعية الاشتراكية وتوطيدها ، والدفاع عن الوطن  
الاشتراكي . وقد جاء في الدستور :

« الدفاع عن الوطن واجب مقدس على كل مواطن في  
الاتحاد السوفياتي » .

---

(١) اي مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي ، كما يسمى الان . ( هيئة التعريب )

ونص الدستور في احدى مواده ، بضد حق المواطنين في التكتل ضمن مختلف الجمعيات ، على ما يلي :

« ... ان انشط المواطنين ، واكثرهم ادراكاً في صفوف الطبقة العاملة وسائر فئات الشغيلة ، يتحدون ضمن الحزب الشيوعي ( البلشفي ) في الاتحاد السوفياتي ، الحزب الذي هو طليعة للشغيلة في نضالهم من اجل توطيد النظام الاشتراكي وتطويره ، والذي هو النواة القائدة لجميع منظمات الشغيلة ، سواء منها المنظمات الاجتماعية او منظمات الدولة » .

وقد وافق مؤتمر السوفيات الثامن على الدستور الجديد للاتحاد السوفياتي وافره بالاجماع .

هكذا اصبح للبلاد السوفياتية دستور جديد ، هو دستور انتصار الاشتراكية والديموقراطية العمالية والفلاحية .  
بذلك سجل الدستور حادثاً عالمياً عظيماً في تاريخ الانسانية ، هو دخول الاتحاد السوفياتي في مرحلة جديدة من تطوره : مرحلة انجاز بناء المجتمع الاشتراكي والانتقال تدريجياً الى المجتمع الشيوعي ، حيث ينبغي ان يكون المبدأ السائد القائد في الحياة الاجتماعية ، هو المبدأ الشيوعي القائل : « من كل واحد حسب قدرته ، ولكل واحد حسب حاجته » .

٤ - تصفية بقايا الجواسيس والمخربين ، وخونة الوطن ، البوخارينيين والتروتسكيين - النهيئة لانتخابات مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي - اتجاه الحزب نحو ديموقراطية داخلية واسعة - انتخابات مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي

حفلت سنة ١٩٣٧ باكتشاف وقائع جديدة عن وحوش العصاة البوخارينية والتروتسكية ، فان محكمة بياناكوف وراديك وزملائها ،

ومحاكمة توخاشيفسكي وباكير وغيرهما، واخيراً محاكمة بوخارين وريكوف وكريستنسكي وروزنغولتز وغيرهم ، كل هذه المحاكمات اظهرت ان البوخارينيين والتروتسكيين قد الفوا ، منذ مدة طويلة ، عصاة واجدة من اعداء الشعب تحت اسم « كتلة اليمينيين والتروتسكيين » .

وبرهنت المحاكمات ان هذه الحثالات البشرية كانت منذ الايام الاولى لثورة اكتوبر الاشتراكية قد هيأت ، مع اعداء الشعب ، تروتسكي وزينوفيف وكامينيف ، مؤامرة ضد لينين وضد الحزب وضد الدولة السوفياتية . فالمحاولات الاستغزازية التي قامت بها لاجباط صلح برست — ليتوفسك في اول عام ١٩١٨ ، والمؤامرات ضد لينين ، والاتفاق ، مع الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » على اعتقال لينين وستالين وسفردلوف وقتلهم في ربيع سنة ١٩١٨ ، واطلاق الرصاص بغدر ونذالة على لينين واصابته بجراح في صيف ١٩١٨ ، وفتنه الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » في صيف ١٩١٨ ، وتعمد العمل لاحتدام الخلافات في الحزب عام ١٩٢١ لزعزعة قيادة لينين واسقاطها من الداخل ، والقيام بمحاولات لاسقاط قيادة الحزب في اثناء مرض لينين وبعد موته ، وخيانة اسرار الدولة وتزويد دوائر التجسس الاجنبية بالمعلومات ، واغتيال كيروف بغدر ودناءة ، والقيام باعمال التخريب والنسف والالهاء ، والاقدام بجبن ونذالة على قتل منجنيسكي وكوييلشيف وغوركي : جميع هذه الجرائم وامثالها قد ارتكبت خلال عشرين سنة ، كما تبين فيما بعد ، اما باشتراك تروتسكي وزينوفيف وكامينيف وبوخارين وريكوف واعوانهم ، واما بقيادتهم ، تنفيذاً لاوامر دوائر التجسس البورجوازية الاجنبية .

لقد اظهرت المحاكمات ان هؤلاء الوحوش التروتسكيين والبوخارينيين كانوا ، تنفيذاً لاوامر اسياهم في دوائر التجسس البورجوازية ، قد وضعوا نصب اعينهم هدم الحزب والدولة السوفياتية ، وذلك قوة البلاد الدفاعية ، وتسهيل التدخل العسكري الاجنبي ، ونهضة انكسار الجيش الاحمر ، وتمزيق الاتحاد السوفياتي ، وتسليم المقاطعة البحرية السوفياتية في الشرق الاقصى الى

اليابان ، وبيلاروسيا السوفياتية الى البولونيين ، وتسليم اوكرانيا السوفياتية الى الالمان ، والقضاء على انتصارات العمال والكولخوزيين ، واعادة العبودية الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي .

ويسدو ان هؤلاء الاقزام من الحرس الابيض ، الذين لا يصح تشبيه قوتهم الا بقوة ذبابة صغيرة حقيرة ، كانوا يعتبرون انفسهم — ويا للسخرية — اسياداً للبلاد ، فخيّل اليهم انهم يستطيعون حقيقة ان يوزعوا على الاجانب ويبيعوهم اوكرانيا وروسيا البيضاء والمقاطعة البحرية .

لقد نسيت هذه الحشرات من الحرس الابيض ان سيد البلاد السوفياتية هو الشعب السوفياتي ، في حين ان السادة ريكوف وبوخارين وزينوفييف وكامينيف ما هم سوى خدم موقتين للدولة . تستطيع ان تطردهم في كل لحظة من دواثرها كما ترمي فضلات عتيقة . لا نفع منها .

لقد نسي هؤلاء الخدام التعساء للفاشية ، انه يكفي ان يحرك الشعب السوفياتي اصبعه لكي لا يبقى لهم اثر .

حكمت المحكمة السوفياتية على الوحوش البوخارينيين والتروتسكيين بالاعدام رمياً بالرصاص .

ونفذت مفوضية الشعب للشؤون الداخلية قرار المحكمة .

وايد الشعب السوفياتي سحق العصابة البوخارينية والتروتسكية ، وانتقل الى اعماله الجارية .

وكانت الاعمال الجارية ، اذ ذاك ، تهيئة الانتخابات لمجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، والقيام بها بشكل منظم . وقد اطلق الحزب العمل التحضيري للانتخابات ووسعه بقوة ، اذ كان يعتبر ان تطبيق الدستور الجديد للاتحاد السوفياتي سيكون بمثابة انعطاف في حياة البلاد السياسية . وكان يعتبر ان قوام هذا الانعطاف هو تطبيق الديمقراطية الكاملة في النظام الانتخابي ، والانتقال من التصويت المحدود الى التصويت العام ، ومن التصويت غير المتساوي تماماً الى التصويت المتساوي ، ومن الانتخابات على عدة درجات

الى الانتخابات المباشرة ، ومن الاقتراع العلني الى الاقتراع السري .  
ففيما كان حق الانتخاب قبل اقرار الدستور الجديد ، لا يشمل رجال الدين وجماعة الحرس الابيض القدماء ، والكولاك القدماء ، والاشخاص الذين لا يقومون بعمل ذي منفعة عامة ، الفى الدستور الجديد كل قيد يقيد حق هذه الفئات من المواطنين في الانتخاب ، اذ جعل انتخاب النواب على طريقة التصويت العام .

وفيما كان انتخاب النواب في السابق لا يجري بالتصويت المتساوي ، اذ كانت هنالك قواعد انتخابية مختلفة لسكان المدن ولسكان الارباف ، زالت في الوقت الحاضر ضرورة تقييد المساواة في التصويت واصبح لجميع المواطنين حق الاشتراك في الانتخابات على قدم المساواة .

وفيما كان انتخاب هيئات الحكم السوفياتي الوسطى والعليا يجري سابقاً على درجات متعددة ، اصبح من الواجب الآن ، بموجب الدستور الجديد ، اجراء انتخابات المجالس السوفياتية جميعها ، ابتداء من مجالس السوفيات في القرية وفي المدينة حتى مجالس السوفيات الاعلى ، باشتراك جميع المواطنين مباشرة في الاقتراع ، اي بالتصويت المباشر .

وفيما كان انتخاب النواب لمجالس السوفيات يجري سابقاً بالتصويت العلني وعلى اساس القوائم ، اصبح التصويت الآن سرياً ، واصبح الناخب لا يصوت لقائمة من المرشحين ، بل يصوت لمرشحين منفردين يجري ترشيحهم على اساس الدائرة الانتخابية .

كان ذلك انعطافاً لا ينكر في حياة البلاد السياسية .  
وكان مقدراً لنظام الانتخابات الجديد ان يؤدي — وقد ادى فعلاً — الى تعاظم نشاط الجماهير السياسي ، واشتداد مراقبة الجماهير على هيئات الحكم السوفياتي ، وازدياد مسؤولية هذه الهيئات امام الشعب .  
ولكي يستطيع الحزب مجابهة هذا الانعطاف بكل قواه ، كان عليه ان يترأس الاتجاه الجديد ، وان يؤمن تماماً دوره القيادي في الانتخابات القريبة .

ولكن لأجل ذلك ، كان من الواجب ان تكون منظمات الحزب نفسها ديموقراطية الى النهاية في نشاطها العملي ، وان تطبق في حياتها الحزبية الداخلية مبادئ المركزية الديموقراطية تطبيقاً تاماً كما ينص النظام الداخلي للحزب، وان تتألف جميع هيئات الحزب بطريق الانتخاب ، وان يتطور الانتقاد والانتقاد الذاتي في الحزب تطوراً تاماً ، وان تكون مسؤولية منظمات الحزب امام جمهور الاعضاء مسؤولية كاملة ، وان ينشط جمهور الاعضاء أنفسهم نشاطاً عارماً . وقد تبين من التقرير الذي قدمه الرفيق جدانوف الى الاجتماع العام للجنة المركزية المنعقد في آخر شباط ١٩٣٧ ، حول نهضة المنظمات الحزبية لانتخابات مجلس السوفييات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، ان بعض منظمات الحزب لم تكن تتورع ، في نشاطها العملي ، عن مخالفة نظام الحزب الداخلي ومبادئ المركزية الديموقراطية ، فتستعمل طريقة التعيين بدلاً من طريقة الانتخاب ، وتلجأ الى طريقة الانتخاب على اساس القوائم بدلاً من انتخاب المرشحين كل لوحده ، والى التصويت العلني بدلاً من السري ، الى آخر ما هنالك . ومن المفهوم ان منظمات من هذا النوع ، تقوم باعمال من هذا القبيل ، لم تكن لتستطيع القيام بمهامها في انتخابات مجلس السوفييات الاعلى . فكان من الواجب ، قبل كل شيء ، وضع حد لهذه التصرفات التي تخالف الديموقراطية في منظمات الحزب ، واعادة تنظيم عملها على اساس من الديموقراطية الواسعة .

ولهذه الغاية ، اتخذ الاجتماع للعام للجنة المركزية ، بعد سماع تقرير الرفيق جدانوف ، القرارات التالية :

« أ ) اعادة تنظيم عمل الحزب ، على اساس تطبيق مبادئ الديموقراطية ، الحزبية الداخلية المنصوص عليها في النظام الداخلي تطبيقاً كاملاً ودون اي تحفظ .

ب ) الانتهاء من طريقة تعيين الاعضاء في اللجان الحزبية ، والعودة الى تأليف الهيئات القيادية للمنظمات الحزبية بطريقة الانتخاب وفقاً للنظام الداخلي للحزب .

ج) منع التصويت على اساس القائمة في انتخاب الهيئات الحزبية ، واجراء التصويت لكل مرشح لوحده ، على ان يضمن لجميع الاعضاء حق غير محدود في رفض المرشحين وفي انتقادهم .  
د) استخدام الاقتراع السري في انتخاب المرشحين للهيئات الحزبية .

هـ) اجراء انتخابات في جميع المنظمات الحزبية لتجديد الهيئات القيادية ، ابتداء من لجان المنظمات الاولى حتى لجان المقاطعة والمنطقة فاللجان المركزية للأحزاب الشيوعية في الجمهوريات القومية ، على ان لا تتأخر هذه الانتخابات عن ٢٠ ايار .

و) الزام جميع المنظمات الحزبية بان تراعي بصرامة المهلات المعينة في النظام الداخلي لتجديد انتخاب هيئاتها الحزبية ، وهي : مرة كل سنة في المنظمات الاولى ، ومرة كل سنة في منظمات الفرع والمدينة ، ومرة كل سنة ونصف في المنظمات المنطقية ومنظمات المقاطعات والجمهوريات .

ز) يجب ان يؤمن ، في منظمات الحزب الاولى ، التقيد التام بالقاعدة القائمة على انتخاب لجان الحزب في الاجتماعات العامة لمنظمات المعامل ، وان لا يُسمح بالاستعاضة عن هذه الاجتماعات العامة بمجالس المندوبين .

ح) القضاء نهائياً على الاسلوب السائد لدى بعض منظمات الحزب الاولى ، التي تعتمد في الواقع الى الغاء الاجتماعات العامة لمنظمة المعمل ، وتستعويض عنها بالاجتماعات العامة على اساس الورشة ، او بمجالس المندوبين .

هكذا بدأت تهيئة الحزب للانتخابات القريبة .  
وكان لهذا القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية اهمية سياسية عظيمة . فلم تقتصر اهميته على انه كان فاتحة حملة الحزب لانتخابات مجلس السوفييات



الاعلى للاتحاد السوفياتي ، انما كانت اهميته تتجلى ، قبل كل شيء ، في انه ساعد منظمات الحزب على اعادة بنائها وعلى التوجه نحو الديموقراطية الداخلية ، وعلى مواجهة الانتخابات لمجلس السوفيات الاعلى وهي مهياة على احسن وجه ، ومستعدة اكمل استعداد .

ولدى المباشرة في حملته الانتخابية الواسعة ، قرر الحزب ان يجعل حجر الزاوية في سياسته الانتخابية ، فكرة تأليف كتلة انتخابية من الشيوعيين ومن غير الحزبيين . فقرر تقديم ترشيحات مشتركة مسع الاحزبيين في الدوائر الانتخابية ، وهكذا دخل الحزب الانتخابات في كتلة مع الاحزبيين ، في تحالف معهم . وكان ذلك حدثاً لم يسبق له مثيل ، بل يستحيل حدوثه اطلاقاً في الحملات الانتخابية في البلدان البورجوازية . اما في بلادنا ، التي لم يبق فيها طبقات متعادلة ، وحيث اصبحت الوحدة المعنوية والسياسية بين كل فئات الشعب واقعاً لا جدال فيه ، فقد تبين ان كتلة الشيوعيين والاحزبيين هي حادث طبيعي تماماً .

وفي ٧ كانون الاول ١٩٣٧ ، وجهت لجنة الحزب المركزية رسالة الى جميع الناخبين جاء فيها :

« في اليوم الثاني عشر من كانون الاول ١٩٣٧ ، سينتخب شغيلة الاتحاد السوفياتي ، على اساس دستورنا الاشتراكي ، نوابهم في مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي . ويتقدم الحزب البلشفي الى الانتخابات في تكتل ، في تحالف ، مع غير الحزبيين من عمال وفلاحين ومستخدمين ومثقفين . ان الحزب البلشفي لا يضع حاجزاً بينه وبين الاحزبيين ، بل على العكس ، يتقدم الى الانتخابات متكتلاً ومتحالفاً معهم . انه يتقدم الى الانتخابات في كتلة واحدة مع نقابات العمال والمستخدمين ، ومع الشبيبة الشيوعية ، ومع غيرها من منظمات الاحزبيين وجمعياتهم . وعلى ذلك ، سيكون للشيوعيين ولغير الحزبيين مرشحت

مشتري كوز للثيابة ، فكل نائب غير حزبي سيكون نائباً عن  
الشيوعيين ايضاً ، كما ان كل نائب شيوعي سيكون كذلك نائباً  
عن غير الحزبيين . »

وكانت رسالة اللجنة المركزية تنتهي بالنداء التالي الى الناخبين :  
« ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد  
السوفيياتي تدعو جميع الشيوعيين والمجذبين الى التصويت للمرشحين  
غير الحزبيين ، بذات الاجماع الذي سيصوتون به للمرشحين  
الشيوعيين .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد  
السوفيياتي ، تدعو جميع الناخبين غير الحزبيين الى التصويت  
للمرشحين الشيوعيين بذات الاجماع الذي سيصوتون به للمرشحين  
غير الحزبيين .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد  
السوفيياتي تدعو جميع الناخبين الى التقدم ، كرجل واحد ، الى  
صناديق الاقتراع في اليوم الثاني عشر من كانون الاول ١٩٣٧ ،  
لا انتخاب النواب لمجلس الاتحاد ، وللمجلس القومي .  
ينبغي ان لا يتخلى ناخب واحد عن شرف ممارسة حقه في  
انتخاب نواب الهيئة العليا للدولة السوفياتية .

ان كل مواطن نشيط ينبغي ان يعتبر ان من واجبه المدني  
المساعدة على اشراك جميع الناخبين دون استثناء في انتخابات  
مجلس السوفييات الاعلى .

ان اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول ١٩٣٧ يجب ان  
يصبح يوم العيد الاكبر ، عيد التفاف شغلة جميع الشعوب في  
الاتحاد السوفيياتي حول العلم الظافر ، علم لينين وستالين .  
وفي ١١ كانون الاول ١٩٣٧ ، على اعتبار الانتخابات ، تكلم الرفيق

ستالين امام الناخبين في دائرته الانتخابية ، فبين كيف يجب ان يكون نواب الشعب ، نواب السوفيات الاعلى في الاتحاد السوفياتي ، فقال :

« يجب على الناخبين ، يجب على الشعب ، ان يطلبوا من نوابهم ان يكونوا في مستوى المهام المفروضة عليهم ؛ وان لا ينزلوا في عملهم الى مستوى صفار البورجوازيين ذوي الافكار المحدودة والآفاق الضيقة ، وان يبقوا في مراكزهم كرجال سياسيين من الطراز اللينيني ؛ ان يكونوا مناضلين سياسيين ذوي تفكير واضح ثير وعزيمة وتصميم كما كان لينين ، وان يكونوا شجعانا جسورين في الكفاح ، واشداء لا يعرفون الهوادة تجاه اعداء الشعب كما كان لينين ، وان يكونوا متحررين من كل ذعر وارتيباك ، ومن كل اثر للذعر والارتباك ، عندما تبدأ الامور تتعقد ، وعندما يلوح في الافق خطر من الاخطار ، ان يكونوا منزهين عن كل اثر للذعر والارتباك مثلكم كان لينين ؛ وان يكونوا ، مثل لينين ، حكما وبعيدين عن كل تسرع في حل القضايا العويصة المعقدة حيث ينبغي التحلي بسعة الافق والاحاطة بجميع العوامل ، وحساب جميع الزوائد والنواقص ، وان يكونوا مستقيمين وشرفاء مثلكم كان لينين ، وان يحبوا شعبهم كما احبه لينين ! » .

وفي ١٢ كانون الاول جرت انتخابات مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، وقد جرت وسط اندفاع عظيم . انها لم تكن انتخابات عادية بسيطة ، انما كانت عيداً في منتهى العظمة ، كانت مهرجاناً لاتصار الشعب السوفياتي ، مظاهرة للصدقة العظيمة التي تربط بين شعوب الاتحاد السوفياتي . فمن أصل ٩٤ مليوناً من الناخبين ، اشترك في الاقتراع اكثر من ٩١ مليوناً اي كانت نسبة المقتريين ٩٦ ، ٨ في المئة . وقد صوت منهم لكلمة الشيوعيين واللاحيين ٨٩ مليوناً و ٨٤٤ ألف ناخب ، اي ٩٨ ، ٦ في المئة . ولم يصوت ضد مرشحي كلمة الشيوعيين واللاحيين سوى ٦٣٢ ألف شخص ، اي

أقل من ١ في المئة . ونجح في الانتخاب جميع مرشحي كتلة الشيوعيين واللاحيبيين ، دون استثناء .

وهكذا أكد . ٩ مليون شخص بتصويتهم الإجماعي ، انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي .

لقد كان ذلك نجاحاً رائعاً لكتلة الشيوعيين واللاحيبيين .

لقد كان هذا الانتصار هو انتصار الحزب البلشفي .

لقد كان ذلك تأكيداً ساطعاً وتكريساً رائعاً لوحدة الشعب السوفياتي المعنوية والسياسية ، التي تكلم عنها الرفيق مولوتوف في خطابه التاريخي في الذكرى العشرين لثورة أكتوبر .

# الخلاصة

ما هي التعاليم الاساسية التي ينبغي ان نستمدّها من العمل التاريخي الذي نهض به الحزب البلشفي ؟

ما الذي تعلمنا اياه تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفياتي ؟

١ — تعلمنا تاريخ الحزب ، قبل كل شيء ، ان ظفر الثورة البروليتارية ، ظفر ديكتاتورية البروليتاريا ، امر مستحيل بدون حزب ثوري للبروليتاريا ، خال من الانتهازية ، لا يلدن ولا يتساهل مع دعاة التفاهم والاستسلام ، ثوري ازاء البورجوازية وازاء سلطة دولتها .

ويعلمنا تاريخ الحزب ان ترك البروليتاريا بدون حزب كهذا ، هو بمثابة تركها بدون قيادة ثورية ، وتركها بدون قيادة ثورية معناه تخريب وتهديم قضية الثورة البروليتارية .

ويعلمنا تاريخ الحزب ان هذا الحزب لا يمكن ان يكون حزباً اشتراكياً ديمقراطياً عادياً من طراز احزاب اوربا الغربية ، التي تلقنت تكوينها وثقيفها في ظروف السلام الاهلي ، والتي تسير في ذيل الانتهازيين ، وتحلم « بالاصلاحات الاجتماعية » ، وتخشى الثورة الاجتماعية .

ويعلمنا تاريخ الحزب ان هذا الحزب لا يمكن ان يكون الا حزباً من طراز جديد ، حزباً ماركسياً لينينياً ، حزب الثورة الاجتماعية ، حزباً قادراً على تهيتة البروليتاريا للمعارك الحاسمة ضد البورجوازية ، وعلى تنظيم ظفر الثورة البروليتارية .

هذا الحزب ، في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، هو الحزب البلشفي .

وقد قال الرفيق ستالين :

« في العهد السابق للعهد الثوري ، في العهد الذي كان فيه التطور سلبياً نوعاً ما ، أيام كانت أحزاب الاممية الثانية هي القوة السائدة في حركة العمال ، وكانت أشكال البرلمانية تُعتبر أشكال النضال الرئيسية — في تلك الظروف ، لم تكن للحزب ، ولا كان من الممكن ان تكون له ، الاهمية الجدوية والفاصلة الحاسمة التي اكتسبها فيما بعد ، في ظروف المعارك الثورية السافرة . يقول كAUTOSKI ، في دفاعه عن الاممية الثانية ضد الهجمات التي استهدفت لها ، ان أحزاب الاممية الثانية هي اداة سلم ، لا اداة حرب ، وأنها لهذا السبب بالذات ، لم تستطع القيام بأي شيء جدي خلال الحرب ، في مرحلة المعارك الثورية للبروليتاريا . وهذا صحيح تماماً . ولكن ما معنى هذا ؟ معناه ان احزاب الاممية الثانية ليست صالحة لنضال البروليتاريا الثوري ، ولا هي احزاب كفاح للبروليتاريا ، تقود العمال الى الاستيلاء على الحكم ، بل هي جهاز انتخابي مكيف بشكل يلائم الانتخابات البرلمانية والنضال البرلماني . وهذا ما يفسر تماماً الواقع التالي ، وهو ان المنظمة الاساسية للبروليتاريا ، في المرحلة التي ساد فيها انتهازيو الاممية الثانية ، لم تكن الحزب بل الكتلة البرلمانية . ومن المعروف ان الحزب ، في ذلك العهد ، كان ، في الواقع ، ذيلاً للكتلة البرلمانية وعنصراً معدّاً لخدمتها . وغني عن البيان ، في احوال كهذه ، ان مجرد البحث في مهينة البروليتاريا للثورة ، لم يكن له مجال ، مع وجود مثل هذا الحزب على رأسها .

غير ان الوضع تغير من اساسه ، مع قدوم المرحلة الجديدة . فالمرحلة الجديدة هي مرحلة الاصطدامات السافرة بين الطبقات ، مرحلة الحركات الثورية للبروليتاريا ، مرحلة الثورة البروليتارية .

مرحلة اعداد القوى بصورة مباشرة للقضاء على الاستعمار، والاستيلاء  
البروليتاريا على الحكم . وتضع هذه المرحلة مهمات جديدة امام  
البروليتاريا ، هي : اعادة تنظيم كل عمل الحزب وفق اسلوب  
جديد ، ثوري ، وثقيف العمال بروح النضال الثوري في سبيل  
الحكم ، واعداد القوى الاحتياطية وحشدها، والتحالف مع عمال  
الاقطار المجاورة ، واقامة روابط متينة مع حركة التحرر في  
المستعمرات والبلدان التابعة ، الخ ... فالاعتقاد بان هذه المهمات  
الجديدة يمكن تجاوزها بقوى الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية  
التقدمية التي تربت في الظروف السلمية للحياة البرلمانية ، معناه  
الاستسلام الى يأس لا قرار له ، والاخلاق لهزيمة محتومة . والبقاء ،  
بمثل هذه المهمات على الاكتاف ، تحت قيادة الاحزاب التقدمية ،  
معناه البقاء في حالة تجرد تام من كل سلاح . ولا حاجة الى القول  
ان البروليتاريا لم تكن لتستطيع القبول بمثل هذه الحالة .

ومن هنا كانت الضرورة لايحاد حزب جديد ، حزب مكافح ،  
حزب ثوري ، لديه الشجاعة الكافية لقيادة البروليتاريين الى النضال  
في سبيل الحكم ، ولديه التجارب الكافية للاهتمام الى طريقه ووسط  
اوضاع ثورية كثيرة التعقيد ، ولديه المرونة الكافية لاجتياز  
مختلف العقبات والعثرات القائمة في طريقه الى هدفه .

بدون حزب كهذا ، لا يمكن حتى التفكير في القضاء على  
الاستعمار ، والاستيلاء على ديكتاتورية البروليتاريا .

ان هذا الحزب الجديد ، هو « حزب اللينينية . » ( ستالين :

اسس اللينينية ) .

٢ — ويعلمنا تاريخ الحزب كذلك ، ان حزب الطبقة العاملة لا يستطيع  
ان ينهض بدور القائد لطبقته ، ولا يستطيع ان يقوم بدور منظم وقائد للثورة  
البروليتارية ، اذا هو لم يستوعب ولم يهضم النظرية الطليعية للطبقة العاملة ، اذا

لم يستوعب ولم يهضم النظرية الماركسية اللينينية .

السّر في قوة الماركسية اللينينية ، هو أنها تسمح للحزب بأن يحدد اتجاهه في وضع معين ، وأن يفهم الصلة الداخلية العميقة بين الحوادث المحيطة به ، وأن يتنبأ بسير الحوادث ، وأن يبصر بشكل جلي لا كيف وإلى أين تتطور في الوقت الحاضر وحسب ، بل كذلك كيف وإلى أين ينبغي أن تتطور في المستقبل . أن حزباً أحسن استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وهضمها هو وحده القادر على أن يتقدم إلى امام بثقة وبقدم ثابتة ، وأن يقود الطبقة العاملة إلى امام . وعلى العكس فإن حزباً لم يحسن استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وهضمها يضطر إلى أن يخطط خطط عشوائية ويفقد كل يقين أثناء عمله ، ولا يكون قادراً على قيادة الطبقة العاملة إلى امام .

وقد يبدو أن استيعاب وهضم النظرية الماركسية اللينينية يعني أن يحفظ المرء بدقة . وعن ظهر القلب بعض استنتاجاتها وأرائها الموجودة في مؤلفات ماركس وأنجلس ولينين ، وأن يتعلم الاستشهاد بها في الوقت المناسب ، ثم يقف مطمئناً عند هذا الحد ، آملاً أن تكون هذه الاستنتاجات والآراء المحفوظة عن ظهر القلب موافقة لجميع الاحوال وجميع ظروف الحياة . ولكن مثل هذا الموقف من النظرية الماركسية اللينينية هو موقف خاطيء تماماً . فالنظرية الماركسية اللينينية لا يمكن النظر إليها كمجموعة من العقائد الجامدة ، ككتاب مقدس ، أو كقانون الايمان . والماركسيون لا يمكن النظر إليهم كأدعياء للعلم محشورين بالنصوص . فالنظرية الماركسية اللينينية هي علم تطور المجتمع ، علم حركة العمال ، علم الثورة البروليتارية ، علم بناء المجتمع الشيوعي . وهي ، بوصفها علماً ، لا تبقى ولا يمكن أن تبقى جامدة واقفة في مكانها ، بل تتطور وتزداد كمالاً . ومفهوم تماماً أنها ، خلال تطورها ، لا يمكن إلا أن تغني بالتجربة الجديدة وبالمعارف المستجدة ، ولا بد أن يتغير مع الزمن هذا أو ذاك من أرائها واستنتاجاتها ولا بد أن تحل محلها آراء واستنتاجات جديدة تتفق والظروف التاريخية الجديدة .



ان استيعاب النظرية الماركسية اللينينية لا يعني ابدأ حفظ جميع صيغها وجميع استنتاجاتها عن ظهر القلب ، والتشبث بكل حرف من هذه الصيغ والاستنتاجات . فلأجل استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وهضمها ، ينبغي قبل كل شيء ان يتعلم المرء التمييز بين لفظها وبين كنهها وجوهرها . ان استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وهضمها ، معناه ان تملك جوهر هذه النظرية ، وان تعلم الاستفادة منها عند حل القضايا العملية في الحركة الثورية ، في شتى ظروف نضال البروليتاريا الطبقي .

ان استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وهضمها ، معناه ان نعرف كيف نفهم هذه النظرية بالتجربة الجديدة التي تكتسبها الحركة الثورية ، هو ان نعرف كيف نفهمها باراء واستنتاجات جديدة ، هو ان نعرف كيف نظورها ونحوكمها الى امام ، وان نعلم دون تردد — مستلهمين في ذلك جوهر النظرية — الى ابدال بعض ارائها واستنتاجاتها التي تكون قد هربت ، باراء واستنتاجات جديدة تطابق الوضع التاريخي الجديد .

النظرية الماركسية اللينينية ليست عقيدة جامدة ، بل مرشد في العمل . قبل الثورة الروسية الثانية ( ثورة شباط ١٩١٧ ) كان الماركسيون في جميع البلاد يعتقدون وجهة النظر القائلة بان الجمهورية الديمقراطية البرلمانية هي اكثر الاشكال ملائمة لتنظيم المجتمع سياسياً في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . صحيح ان ماركس كان قد اشار ، في السنوات ١٨٧٠ ، الى ان اكثر الاشكال ملائمة لديكتاتورية البروليتاريا ليس الجمهورية البرلمانية ، بل التنظيم السياسي الذي هو من نوع كومونة باريس ، ولكن ماركس ، لسوء الحظ ، لم يتوسع في بحث هذا التوجيه في مؤلفاته التالية ، مما ادى الى ضياع هذا التوجيه في زوايا النسيان . وعدا ذلك ، كان المجلس قد صرح عام ١٨٩١ ، في نقده لمشروع برنامج ارفورت بان «الجمهورية الديمقراطية... هي.. الشكل الملائم بصورة خاصة لديكتاتورية البروليتاريا» . ولم يكن هذا التصريح الصادر عن مثل المجلس ليترك مجالاً لاي شك في ان الماركسيين ما

زالوا يعتبرون الجمهورية الديمقراطية شكلاً سياسياً لديكتاتورية البروليتاريا. واصبح رأي المجلس هذا ، فيما بعد ، المبدأ الموجه لجميع الماركسيين وبينهم لينين نفسه . غير ان الثورة الروسية عام ١٩٠٥ ، وبصورة خاصة الثورة الروسية في شباط ١٩١٧ ، قدمت شكلاً جديداً من التنظيم السياسي للمجتمع ، هو مجالس (سوفيات) نواب العمال والفلاحين . فعلى اساس درس تجارب هاتين الثورتين الروسيتين دراسة عميقة توصل لينين ، مستوحياً نظرية الماركسية ، الى الاستنتاج بان احسن شكل سياسي لديكتاتورية البروليتاريا ليس الجمهورية الديمقراطية البرلمانية ، بل جمهورية السوفيات . وعلى هذا الاساس ، قدم لينين في نيسان ١٩١٧ ، خلال مرحلة الانتقال من الثورة البورجوازية الى الثورة الاشتراكية ، شعار تنظيم جمهورية المجالس السوفياتية ، من حيث هي احسن شكل سياسي لديكتاتورية البروليتاريا . وسرعان ما هب الانتهازيون في جميع البلدان يتشبهون بالجمهورية البرلمانية ، ويتهمون لينين بالانحراف عن الماركسية وهدم الديمقراطية . ولكن من الواضح ان لينين ، لا الانتهازيين ، هو الماركسي الحقيقي الذي استوعب نظرية الماركسية ، فان لينين قدم النظرية الماركسية الى الامام واغناها بالتجربة الجديدة ، في حين كان الانتهازيون يؤخرونها الى وراء ، ويحولون رأياً من ارائها الى عقيدة جامدة .

اي مصير كان مصير الحزب ، وثورتنا ، والماركسية ، لو ان لينين اخنى امام لفظ الماركسية ، ولم يحزم امره على استبدال رأيه من آراء الماركسية القديمة ، صاغه المجلس ، بالرأي الجديد القائل بجمهورية السوفيات ، المطابق للوضع التاريخي الجديد ؟ لو حدث ذلك ، لهام الحزب على وجهه في الظلمات ، وانفردت عقد مجالس السوفيات ، وفقدنا الحكم السوفياتي ، ولأصيبت النظرية الماركسية باذى بليغ . لو حدث ذلك لكانت البروليتاريا هي الخاسرة ، وكان اعداؤها هم الرأبحين .

وحين درس المجلس وماركس الرأسمالية في عهدها السابق لعهد الاستعمار ،

توصلا الى الاستنتاج بان الثورة الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر في قطر واحد مأخوذ على حدة ، وانما لن تنتصر الا اذا انفجرت الثورة في وقت واحد في جميع الاقطار ، او في معظم الاقطار المتمدنة . وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر . وقد اصبح هذا الاستنتاج فيما بعد ، المبدأ الموجه لجميع الماركسيين . ولكن في مطلع القرن العشرين ، تحولت الرأسمالية السابقة للاستعمار الى رأسمالية استعمارية ، وانقلبت الرأسمالية الصاعدة الى رأسمالية تختصر . وبعد درس عميق للرأسمالية الاستعمارية ، توصل لينين ، مستوحياً النظرية الماركسية ، الى الاستنتاج بان صيغة المجلس وماركس القديمة لم تعد تطابق الوضع التاريخي الجديد ، وان من الممكن ان تنتصر الثورة الاشتراكية في قطر واحد على حدة . وسرعان ما هب الانتهازيون في جميع البلدان يتشبثون بصيغة المجلس وماركس القديمة ، ويتهمون لينين بالانحراف عن الماركسية . ولكن لينين ، لا الانتهازيين ، كان الماركسي الحقيقي الذي استوعب نظرية الماركسية ، وهضمها ، فان لينين قدم النظرية الماركسية الى امام ، واغناها بالتجربة الجديدة ، فيما كان الانتهازيون يشدونها الى وراء ويجولونها الى مومياء .

ماذا كان اصاب الحزب ، وثورتنا ، والماركسية ، لو ان لينين الخني امام لفظ الماركسية ، ولم يتسلح بالشجاعة النظرية التي جعلته يستبعد استنتاجاً من الاستنتاجات القديمة في الماركسية ، ليستبدل به استنتاجاً جديداً يقول : بإمكان انتصار الاشتراكية في بلد واحد على حدة ، ذلك الاستنتاج المطابق للوضع التاريخي الجديد ؟ لو حدث ذلك لهام الحزب على وجهه في الظلمات ، وبقيت الثورة البروليتارية بدون قيادة ، ولأخذت النظرية الماركسية نذوي وتضمحل . لو حدث ذلك لكنت البروليتاريا هي الخاسرة ، وكان اعداؤها هم الراجين .

ان الانتهازية لا تعني دائماً انكاراً صريحاً للنظرية الماركسية او لبعض آرائها واستنتاجاتها . فقد تعجلى الانتهازية احياناً في محاولات التثبت

بموضوعات من الماركسية عتقت وهرمت ، وتحويلها الى عقائد جامدة وبذلك يعرقل الانتهازيون تطور الماركسية .اللاحق ، وبالتالي يعرقلون ايضا تطور الحركة الثورية البروليتارية .

لقد اصبحت في وسعنا ، بعد موت النجس ، ان نقول دون اية مبالغة ، ان لينين ، اكبر المتضلعين بالنظرية على الاطلاق ، ومن بعده ستالين وتلاميذ لينين الآخرين ، هم الماركسيون الوحيدون الذين خطوا بالنظرية الماركسية الى امام ، واغنوها بالتجربة الجديدة المكتسبة في الظروف الجديدة لنضال البروليتاريا الطبقي .

وبما ان لينين وانصار لينين هم الذين خطوا بالنظرية الماركسية ، الى امام فاللينية هي التطور اللاحق للماركسية ، هي الماركسية في الظروف الجديدة لنضال البروليتاريا الطبقي ، هي ماركسية عصر الاستعمار والثورات البروليتارية ، هي ماركسية عهد انتصار الاشتراكية على سدس الكرة الارضية . لم يكن الحزب البلشفي ليستطيع الفوز في اكتوبر ١٩١٧ ، لو ان كادره الطبيعي لم يكن قد استوعب نظرية الماركسية وهضما ، ولو انه لم يتعلم ان ينظر الى هذه النظرية من حيث هي مرشد في العمل ، و لو انه لم يتعلم ان يخطو بالنظرية الماركسية الى امام ، فيغنيها بالتجربة الجديدة المكتسبة في نضال البروليتاريا الطبقي .

لقد كتب النجس ينتقد الماركسيين الالمان في اميركا ، الذين اخذوا على عاتقهم مهمة قيادة الحركة العمالية الاميركية ، فقال :

« ان الالمان لم يوفقوا الى جعل نظريتهم تلك الرافعة التي يمكن ان تحرك الجماهير الاميركية . بل هم انفسهم ، في اغلب الاحيان ، لا يفهمون هذه النظرية ، بل يقفون منها موقفاً مذهيباً جامداً ، حاسبين ان من الواجب حفظها عن ظهر القلب ، وان ذلك يكفي لمجابهة جميع ظروف الحياة واحواها . فهي بالنسبة اليهم مجموعة عقائد جامدة ، لا مرشد في العمل » ( كلارك ماركس وفريدريك

انجلس ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٦٠٦ ، الطبعة الروسية ) .

وحين انتقد لينين كامنيف وبعض البلاشفة القداماء الآخرين ، الذين تشبثوا ، في نيسان ١٩١٧ ، بالصيغة القديمة عن ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ، في حين كانت الحركة الثورية قد سارت الى امام واصبحت تقضي بالانتقال الى الثورة الاشتراكية ، كتب ما يلي :

« ليس مذهبنا عقيدة جامدة ، ولكنه مرشد للعمل : هذا ما قاله ماركس وانجلس دائماً ، هازئين بحق ، « بالصيغ » المحفوظة عن ظهر القلب والمكررة كما هي ، هذه الصيغ التي تستطيع ، في احسن الحالات ، ان تدل فقط على المهيات العامة ، التي لا بد ان يغيرها ، بالضرورة ، الوضع الاقتصادي والسياسي الملموس ، في كل فترة خاصة من فترات السير التاريخي . ينبغي ان نهضم هذه الحقيقة التي لا جدال فيها ، وهي ان من واجب الماركسي ان يدخل في حسابه الحياة الحية ، وحوادث الواقع الدقيقة ، لا ان يثابر على التثبت بنظرية الامس » . ( لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٠ ، ص ١٠٠ — ١٠١ ، الطبعة الروسية ) .

٣ — وعلما تاريخ الحزب ايضاً ، ان انتصار الثورة البروليتارية مستحيل بدون سحق الاحزاب البورجوازية الصغيرة التي تعمل في صفوف الطبقة العاملة وتدفع بفئات العمال المتأخرة بين اذرع البورجوازية ، وتهدم ، على هذا الشكل ، وحدة الطبقة العاملة .

ان تاريخ حزبنا هو تاريخ النضال وسحق الاحزاب البورجوازية الصغيرة : الاشتراكيين الثوريين ، والمنشفيك ، والفوضيين ، والقوميين . ولو لم تنتصر على هذه الاحزاب ، ولو لم نظردها من صفوف الطبقة العاملة ، لما كان من الممكن تحقيق وحدة الطبقة العاملة . ولو لا وحدة الطبقة العاملة ، لما كان من

الممكن تحقيق ظفر الثورة البروليتارية .

لولا سحق هذه الاحزاب - التي كانت اول الامر من انصار بقاء  
لرأسمالية ، واصبحت بعد ثورة اوكتوبر من انصار رجوع الرأسمالية - لما  
كان من الممكن صيانة ديكتاتورية البروليتاريا ، وقهر التدخل العسكري  
الاجنبي ، وبناء الاشتراكية .

وليس من قبيل المصادفة ، ان جميع الاحزاب البورجوازية الصغيرة ، التي  
تسمي نفسها « ثورية » و « اشتراكية » لكي تخدع الشعب - كالاشتراكيين  
الثوريين والمنشفيك والقوضيين والقوميين - اصحبت احزاباً معادية للثورة  
حتى قبل ثورة اوكتوبر الاشتراكية ، ثم انقلبت بعد الثورة الى عميلة لمصالح  
الاستخبارات التابعة للبورجوازية الاحادية ، الى عصاة من الجواسيس  
والخربين والمفسدين والقتلة وخونة الوطن . يقول لينين :

« ان وحدة البروليتاريا ، في عهد الثورة الاجتماعية ،  
لا يمكن ان يحققها الا الحزب الثوري الى اقصى حد ، حزب  
الماركسية ، والا النضال بلا هوادة ضد جميع الاحزاب  
الآخري » ( لينين - المؤلفات الكاملة - مجلد ٢٦ ص ٥٠  
الطبعة الروسية ) .

٤ - — ويعلمنا تاريخ الحزب ايضاً ، ان حزب الطبقة العاملة ، اذا لم يشهر  
على الانتهازيين في صفوفه نفسها نضالاً لا هوادة فيه ولا لين ، واذا لم يسحق  
الانهزاميين في اوساطه نفسها ، لا يستطيع ان يصون الوحدة ونظام الطاعة في  
صفوفه ، ولا ان يقوم بدوره من حيث هو منظم الثورة البروليتارية وقائدها ،  
ولا ان يقوم بدوره من حيث هو باني المجتمع الاشتراكي الجديد .

ان تاريخ تطور حياة حزبنا الداخلة هو تاريخ الكفاح وسحق الفئات  
الانتهازية داخل الحزب : « الاقتصاديين » والمنشفيك والتروتسكيين  
والبوخارينيين ودعاة الانحرافات القومية .

ويعلمنا تاريخ الحزب ان كل هذه الفئات الاستسلامية كانت في حقيقتها

عملية المنشقة في داخل حزبنا ، وذيلها وامتدادها . فهي على غرار المنشقة ، كانت واسطة لنقل النفوذ البورجوازي الى الطبقة العاملة وإلى الحزب . ولذلك كان النضال لتصفية هذه الجماعات في الحزب امتداداً للنضال في سبيل تصفية المنشقة .

ولو أننا لم نهزم « الاقتصاديين » والمنشقيك لما استطعنا ان نبي الحزب وان نقود الطبقة العاملة الى الثورة البروليتارية .

ولو أننا لم نهزم التروتسكيين والبوخارينيين لما استطعنا ان نهيء الشروط الضرورية لبناء الاشتراكية .

ولو أننا لم نهزم دعاة الانحرافات القومية من كل لوث وشاكلة ، لما استطعنا تثقيف الشعب بروح الاممية ، ولما استطعنا الحفاظ على علم الصداقة العظيمة بين شعوب الاتحاد السوفياتي ، ولما استطعنا بناء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية .

وقد يحجل لبعضهم ان البلاشفة قد انفقوا وقتاً كثيراً في النضال ضد العناصر الانتهازية في الحزب ، وانهم استعظموا شأنها وقدروا اهميتها فوق ما هي . الا ان ذلك غير صحيح اطلاقاً . فكما انه لا يمكن التسامح بوجود قرحة في جسم سليم ، فكذلك لا يمكن ان يتسامح احد بوجود الانتهازية لديه . الحزب هو القليلة القائمة للطبقة العاملة ، هو حصنها الامامي ، هو هيئة اركانها الكفاحية . فلا يمكن القبول بان يكون في هيئة الاركان التي تقود الطبقة العاملة متشككون ، وفاقدو الثقة ، وانتهازيون واستسلاميون وخونة . ان الذي يخوض ضد البورجوازية نضالاً حتى الموت ، وفي هيئة اركانها نفسها ، في حصنه نفسه ، استسلاميون وخونة ، يقع في وضع المحصور بين نارين : نار من الجبهة ، ونار من المؤخرة . وليس من الصعب ان نفهم ان النضال في مثل هذه الحال لا يمكن ان ينتهي إلا الى الهزيمة . فان الحصون تؤخذ من الداخل اهل ما تؤخذ . فللحصول على النصر ، من الواجب ، قبل كل شيء ، تطهير حزب الطبقة العاملة اي هيئة اركانها القائمة وحصنها المتقدم

من دعاة الاستسلام والانحزاميين والادنياء الماكرين والخونة !  
وليس من قبيل المصادفة ، ان الثروتسكيين والبوخارينيين ودعاة  
الانحرافات القومية ، انتهوا ، في نضالهم ضد لينين وضد الحزب ، الى حيث  
انتهى قبلهم حزبا المنشفيك والاشتراكيين الثوريين : فاصبحوا عملاء لمصالح  
الاستخبارات الفاشستية ، وجواسيس ، ومخربين ، وقتلة ، ومفسدين ،  
وخونة للوطن . يقول لينين :

« اذا كان في صفوفنا اصلاحيون ومنشفيك ، فلا يمكن  
الانتصار في الثورة البروليتارية ، ولا يمكن الحفاظ عليها .  
هذا مبدأ بدوي . وقد اكدته مجلاء تجربة روسيا وهنغاريا ...  
ففي روسيا نشأت مواراً حالات صعبة ، كان من شأنها ان  
تؤدي بكل تأكيد ، الى قلب النظام السوفيتي ، لو ان  
المنشفيك والاصلاحيين والديمقراطيين البورجوازيين الصغار ،  
بقوا في داخل حزبنا ... ( لينين المؤلفات الكاملة — المجلد ٢٥  
ص ٤٦٢ و ٤٦٣ الطبعة الروسية ) .

وقال الرفيقي ستالين : « اذا كان حزبنا قد نجح في تكوين وحدته  
الداخلية ، وتكوين التماسك الذي يصود صفوفه بصورة لم يسبق  
لها مثيل ، فذلك يعود قبل كل شيء الى انه استطاع ان يطهر  
نفسه ، في الوقت المناسب ، من دنس الانتهازية ، واستطاع ان  
يطرد من صفوفه دعاة التصفية والمنشفيك . ان طريق تطوير  
الاحزاب البروليتارية وتقويتها هي الطريق التي تمر عبر  
تطهير هذه الاحزاب من الانتهازيين والاصلاحيين ، ومن  
الاشتراكيين الاستعماريين والاشتراكيين الشوفيين ، ومن  
الاشتراكيين الوطنيين والاشتراكيين الساميين . ان الحزب  
يقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية . » ( ستالين — اسس  
اللينينية ) .



٥ — ويعلمنا تاريخ الحزب أيضاً ان الحزب لا يستطيع ان ينهض بدوره كقائد للطبقة العاملة ، اذا ما اخذته النشوة بانتصاراته ، فساقته الى الوقوع في الغرور ، واذا كف عن رؤية النقائص في عمله ، واذا خشي الاعتراف باخطائه ، وخاف من اصلاحها في الوقت المناسب بصراحة واستقامة .  
يظل الحزب منيعاً لا يقهر ما دام لا يخشى الانتقاد والانتقاد الذاتي ، وما دام لا يطمس الاخطاء والنقائص في عمله ، وما دام يثق ملاكاته ويربها بشرح الاخطاء المرتكبة في العمل الحزبي ، وما دام يعرف كيف يصحح هذه الاخطاء في الوقت المناسب .

ويهلك الحزب اذا اخفى اخطائه ، وغطى القضايا المؤلة ، وستر نقائصه تحت مظاهر الصحة الجادة ، واذا تبرم بالانتقاد والانتقاد الذاتي ، واذا قفلت فيه روح الاكتفاء ، وجعل همه تمجيد ذاته ، ونام على أكاليل غارده .

يقول لينين : « ان موقف حزب سياسي من اخطائه هو من أهم وأضن المقاييس التي تسمح لنا بالحكم على هذا الحزب فيما اذا كان جدياً أم لا ، وفيما اذا كان يقوم فعلاً بواجباته نحو طبقته ونحو الجماهير الكادحة . ان اعتراف الحزب صراحة بخطئه ، واكتشافه اسباب الخطأ ، وتحليله الوضع الذي اولده ، وتمحيصه بعناية وسائل اصلاح هذا الخطأ ، ذلك هو الدليل على انه حزب جدي ، ذلك معناه ان الحزب يقوم بواجباته ، ذلك معناه انه يثق ويعلم الطبقة ، ومن ثم الجماهير » ( لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، ص ٢٠٠ ، الطبعة الروسية ) .

ويقول أيضاً : ان جميع الاحزاب الثورية التي هلكت حتى الآن ، انما هلكت لانها انساق الى الغرور ، ولم ترمضد قوتها ، وخشيت ان تتكلم عن نواحي ضعفها . اما نحن فلن نهلك ، لاننا لا نخشى الكلام عن نواحي ضعفنا ، ولاننا نستعمل كيف تغلب عليها . » ( لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد

٢٧ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ الطبعة الروسية ) .

٦ — واخيراً ، يعلمنا تاريخ الحزب ان حزب الطبقة العاملة اذا لم تكن له صلات واسعة بال جماهير ، واذا هو لم يوطد هذه الصلات بصورة مستمرة ، واذا لم يعرف ان يصغي الى صوت الجماهير ويفهم حاجاتها الملحة ، واذا لم يكن مستعداً لا لتعليم الجماهير فقط بل للتعلم منها ايضاً ، فهو لا يستطيع ان يكون حزباً جماهيرياً حقاً ، قادراً على ان يجتذب وراءه ملايين الطبقة العاملة وجميع الشغيلة .

« ان الحزب منيع ولا سبيل الى قهره ، اذا عرف — كما يقول لينين — ان يرتبط باوسع جماهير الشغيلة : بالجماهير البروليتارية قبل غيرها ، وكذلك بجمهور الشغيلة غير البروليتاريين ايضاً ، اذا عرف ان يتصل بها ، وان يقترب منها ، بل اذا شتم ، وان يندمج بها ايضاً ، الى حد ما » ( لينين ، المؤلفات الكاملة المجلد ٢٥ ، الصفحة ٧١٤ ) .

ان الحزب يهلك اذا قبع في صدفته الحزبية الضيقة ، وانفصل عن الجماهير ، وغطى نفسه بطلاء من البيروقراطية .

يقول الرفيق ستالين : « نستطيع القول ، كقاعدة عامة ، ان البلاشفة ما داموا يحتفظون بصلاتهم مع جماهير الشعب الواسعة فهم منيعون لا يقهرون . وعلى العكس ، يكفي ان ينفصل البلاشفة عن الجماهير وان يفقدوا صلاتهم بها ، ويكفي ان يظلمهم الصدا البيروقراطي ، حتى يفقدوا كل قوة ويتحولوا الى كمية مهمله .

في اساطير اليونان القدماء ، بطل شهير هو ( آنته ) ، وكان كما تزعم هذه الاساطير ابن ( بوريدون ) رب البحر ، و ( جه ) ربة الارض : وكان آنته شديد التعلق بأمه التي ولدته واطعمته وربته . ولم يكن ثمة بطل الا استطاع آنته ان يقهره .

فطارت شهرته كبطل لا يغلب . فإين كان مصدر قوته ؟ كان مصدر قوته انه كلما حارب خصماً فاستشعر ضيقاً ، لمس الأرض ، أمه التي ولدته وغذته ، فعادت اليه قواه . ولكن كانت به مع ذلك نقطة ضعف ، هي خطر فصله عن الأرض بشكل من الاشكال . وكان خصومه يعلمون منه نقطة الضعف هذه ويتربصون به . وقد وجد خصم استثمر هذا الضعف وتغلب على آنته . وهذا الخصم هو هرقل . فكيف نجح في قهره ؟ لقد انتزعه عن الأرض ، وشاله في الهواء ، فحال بينه وبين ان يمس الأرض ، وخنقه هكذا ، في الهواء .

واعتقد ان البلاشفة يدكرونا بآنته ، بطل الاساطير الاغريقية . فهم مثله ، اقوياء لانهم متصلون بأمهم ، بالجاهير التي ولدتهم وغذتهم وقمعتهم بالتربية . وما داموا مرتبطين بأمهم ، بالشعب ، فلدتهم كل الامكانيات لكي يظلوا بمنع لا يقهرون !

ذلك هو السر في ان القيادة البلشفية لا تغلب . (ستالين : حول نقائص عمل الحزب ، الطبعة الروسية ) .

تلك هي الدروس الاساسية للعمل التاريخي الذي نهض به الحزب البلشفي .



# فهرس

الصفحة

توطئة . . . . . ٥

## الفصل الاول

### النضال لانشاء حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا

- ١ - الغاء نظام النقابة وتقدم الرأسمالية الصناعية في روسيا . نشوء البروليتاربا الحديثة . حركة العمال وخطواتها الاولى . . . . . ٨
- ٢ - الشعبية والماركسية في روسيا . بليخانوف وفرقته « تحرير العمل » . نضال بليخانوف ضد الشعبية . انتشار الماركسية في روسيا . . . . . ١٦
- ٣ - دلائع نشاط لينين . « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة في بطرسبرج » ٢٦
- ٤ - نضال لينين ضد الشعبية و« الماركسية المشروعة » . رأي لينين في تحالف الطبقة العاملة والفلاحين . المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ٣٠
- ٥ - نضال لينين ضد « الاقتصادية » . لينين يؤسس جريدة « ايسكرا » ٣٥
- خلاصة . . . . . ٣٨

## الفصل الثاني

### تأليف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا وظهور

#### فريقي البلشفيك والمنشفيك داخل الحزب ( ١٩٠١ - ١٩٠٤ )

- ١ - نهوض الحركة الثورية في روسيا ( ١٩٠١ - ١٩٠٥ ) . . . . . ٤١
- ٢ - برنامج لينين لبناء حزب ماركسي . انتهازي « الاقتصاديين » . نضال « ايسكرا » في سبيل برنامج لينين . كتاب لينين « ما العمل ؟ » . الاسس الفكرية للحزب الماركسي . . . . . ٤٧
- ٣ - المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . اقرار البرنامج والنظام الداخلي . تأليف حزب موحد . الخلافات في المؤتمر وظهور تيارين في الحزب : البلشفيك والمنشفيك . . . . . ٦٠

- ٤ - اعمال زعماء المنشفيك الانقسامية واحتدام النضال في داخل الحزب بعد المؤتمر الثاني . انتهازية المنشفيك . مؤلف لينين « خطوة الى الامام خطوات الى الوراء » . مبادئ الحزب الماركسي في شؤون التنظيم . . . . . ٦٨
- خلاصة . . . . . ٨٠

## الفصل الثالث

### المنشفيك والبالاشفة خلال الحرب الروسية اليابانية

#### والثورة الروسية الاولى ( ١٩٠٤ - ١٩٠٧ )

- ١ - الحرب الروسية اليابانية . استمرار نهوض الحركة الثورية في روسيا . اضطرابات بطرسبرج . مظاهرة العمال امام القصر الشتوي في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ . اطلاق الرصاص على المظاهرة . ابتداء الثورة . . . . . ٨١
- ٢ - الاضرابات السياسية ومظاهرات العمال . اندفاع حركة الفلاحين الثورية . تمرد الدارعة « بونمكين » . . . . . ٨٨
- ٣ - الخلافات الخططية « التاكتيكية » بين البالاشفة والمنشفيك . المؤتمر الثالث للحزب . مؤلف لينين « خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » . المبادئ الخططية للحزب الماركسي . . . . . ٩٣
- ٤ - استمرار النهوض الثوري . الاضراب السياسي العام في تشرين اول ١٩٠٥ . تراجع القيصرية . بيان القصر تأليف مجالس السوفيئات لنواب العمال . . . . . ١١٣
- ٥ - الثورة المسلحة في كانون الاول . اندحار الثورة المسلحة . الثورة . . . . . ١١٧
- ٦ - حل دوما الدولة الاولى . دعوة دوما الدولة الثانية . مؤتمر الحزب الخامس . حل دوما الدولة الثانية . اسباب اندحار الثورة الروسية الاولى . . . . . ١٢٧
- خلاصة . . . . . ١٣٦

## الفصل الرابع

### المنشفيك والبالاشفة في دور الرجعية الستوليينية . البالاشفة

#### يؤلفون حزباً ماركسياً مستقلاً ( ١٩٠٨ - ١٩١٢ )

- ١ - الرجعية الستوليينية . التفتخ في الاوساط المثقفة المعارضة . الانحطاط المعنوي . انتقال عدد من مثقفي الحزب الى معسكر اعداء الماركسية وظهور محاولات لتحريف النظرية الماركسية . رد لينين على المحرفين في مؤلفه « المادية

- والمذهب النقدي التجريبي « والدفاع عن المبادئ النظرية للحزب الماركسي ١٤٠
- ٢ - المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية . . . . . ١٥٢
- ٣ - البلاشفة والمنشفيك في سنوات الرجعية الستولينية ، نضال البلاشفة ضد  
انصار النصفية وضد الاوتزوفين . . . . . ١٩١
- ٤ - نضال البلاشفة ضد التروتسكية . تأليف كتلة آب ضد الحزب . . . . . ١٩٦
- ٥ - المجلس العام للحزب في براغ عام ١٩١٢ . البلاشفة يجتمعون في حزب  
ماركسي مستقل . . . . . ٢٠٠
- خلاصة . . . . . ٢٠٧

## الفصل الخامس

### الحزب البلشفي في سني نهوض حركة العمال على اعتاب

#### الحرب الاستعمارية الاولى ( ١٩١٢ - ١٩١٤ )

- ١ - نهوض الحركة الثورية من ١٩١٢ - ١٩١٤ . . . . . ٢٠٩
- ٢ - الجريدة البلشفية برافدا . الكتلة البلشفية في دوما الدولة . . . . . ٢١٤
- ٣ - انتصار البلاشفة في المنظمات المشروعة . وتقدم جديد في الحركة الثورية .  
على اعتاب الحرب الاستعمارية . . . . . ٢٢٤
- خلاصة . . . . . ٢٢٩

## الفصل السادس

### الحزب البلشفي خلال الحرب الاستعمارية

#### الثورة الروسية الثانية ( ١٩١٤ الى آذار ١٩١٧ )

- ١ - منشأ الحرب الاستعمارية واسبابها . . . . . ٢٣٠
- ٢ - احزاب الاممية الثانية تقف في جانب حكوماتها الاستعمارية . الاممية  
الثانية تنفس وتتحول الى احزاب اشتراكية شوفينية لا رابطة بينها . . . . . ٢٣٦
- ٣ - نظرية الحزب البلشفي وخطته في قضايا الحرب والسلام والثورة . . . . . ٢٤٠
- ٤ - اندحار الجيش القيصري في الجبهة . الحراب الاقتصادي . ازمة القيصرية  
٥ - ثورة شباط : سقوط القيصرية . انشاء المجالس السوفياتية لنواب العمال  
والجنود . تأليف الحكومة المؤقتة . الازدواج في السلطات . . . . . ٢٥٠
- خلاصة . . . . . ٢٥٨

## الفصل السابع

### حزب البلاشفة في مرحلة التهيئة لثورة أكتوبر الاشتراكية وانجازها (نيسان ١٩١٧ - ١٩١٨)

- ١ - الحالة في البلاد بعد ثورة شباط . خروج الحزب من الوضع الضعيف وانتقاله الى العمل السياسي العلني . وصول لينين الى بتروغراد . موضوعات لينين في نيسان . . . . . ٢٦٥
- ٢ - بدء ازمة الحكومة المؤقتة . انعقاد المجلس العام للحزب البلشفي في نيسان ٢٦٨
- ٣ - نجاح الحزب البلشفي في العاصمة . فشل هجوم جيش الحكومة المؤقتة على الجبهة . قمع مظاهرة العمال والجنود في عموز . . . . . ٢٧٤
- ٤ - اتجاه الحزب البلشفي نحو تحضير الثورة المسلحة . المؤتمر السادس للحزب ٢٧٩
- ٥ - مؤامرة الجنرال كورنيلوف على الثورة . سحق المؤامرة . انتقال سوفيات بتروغراد وسوفييات موسكو الى جانب البلاشفة . . . . . ٢٨٤
- ٦ - ثورة أكتوبر المسلحة في بتروغراد واعتقال الحكومة المؤقتة . مؤتمر السوفييات الثاني . مراسيم مؤتمر السوفييات الثاني عن السلام والارض . انتصار الثورة الاشتراكية . اسباب انتصار الثورة الاشتراكية . . . . . ٢٩١
- ٧ - نضال الحزب البلشفي في سبيل توطيد الحكم السوفياتي . صلح برست ليتوفسك . المؤتمر السابع للحزب . . . . . ٣٠٤
- ٨ - برنامج لينين لمباشرة البناء الاشتراكي . لجان الفلاحين الفقراء وتطويع الكولواك . تمرد الاشتراكيين الثوريين « اليساريين » وسحقه . مؤتمر السوفييات الخامس وقرار دستور الجمهورية السوفياتية الاتحادية الاشتراكية الروسية ٣١٢
- خلاصة . . . . . ٣١٧

## الفصل الثامن

### حزب البلاشفة في مرحلة التدخل العسكري الاجنبي والحرب الاهلية (١٩١٨ - ١٩٢٠)

- ١ - بدء التدخل العسكري الاجنبي . المرحلة الاولى من الحرب الاهلية ٣١٩
- ٢ - اندحار المانيا عسكرياً . الثورة في المانيا . تأليف الاممية الثالثة . . . . . ٣٢٦
- ٣ - اشتداد التدخل . الحصار على بلاد السوفييات . حملة كولتشاك وسحق . . . . . ٣٢٦



٣٣٤	كولتاشاك . حملة دينيكين وسحق دينيكين . هـدنة الاشهر الثلاثة . المؤتمر التاسع للحزب . . . . .
٣٤١	٤ - عدوان الاقطاعيين البولونيين على بلاد السوفيات . مغامرة الجنرال فراجل . تداعي الحطة البولونية . سحق فراجل . نهاية التدخل . . . . .
٣٤٥	٥ - كيف ولماذا انتصرت بلاد السوفيات على القوى المتساندة المتألفة عليها . قوى التدخل الانكليزي الفرنسي الياباني البولوني ، وقوى اعداء الثورة البورجوازيين وكبار ملاكي الاراضي والحرس الابيض في روسيا ؟ . . . . .
٣٥٠	خلاصة . . . . .

## الفصل التاسع

### الحزب البلشفي في مرحلة الانتقال الى العمل السلمي

#### لاحياء الاقتصاد الوطني ( ١٩٢١ - ١٩٢٥ )

٣٥٢	١ - بلاد السوفيات بعد تصفية التدخل والحرب الاهلية . مصاعب مرحلة الاحياء
	٢ - المناقشة في الحزب حول النقابات . المؤتمر العاشر للحزب . انهماك المعارضة . السياسة الاقتصادية الجديدة ( نيب ) . . . . .
٣٥٦	٣ - النتائج الاولى للنيب . المؤتمر الحادي عشر للحزب . تشكيل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . مرض لينين . منهاج لينين التعاوني . المؤتمر الثاني عشر للحزب
٣٦٧	٤ - النضال ضد المصاعب في احياء الاقتصاد الوطني . نشاط التروتسكيين بمناسبة مرض لينين . مناقشة جديدة في الحزب . هزيمة التروتسكيين . وفاة لينين . فوج لينين . المؤتمر الثالث عشر للحزب . . . . .
٣٧٥	٥ - الاتحاد السوفياتي في نهاية مرحلة العمل لاحياء الاقتصاد الوطني . مسألة الانشاء الاشتراكي وانتصار الاشتراكية في بلادنا . معارضة زينوفيف وكاهينيف المسماة « المعارضة الجديدة » . المؤتمر الرابع عشر للحزب . النوجه نحو التصنيع الاشتراكي للبلاد . . . . .
٣٨٤	خلاصة . . . . .
٣٩٦	

## الفصل العاشر

### الحزب البلشفي في النضال لاجل تصنيع البلاد

#### تصنيعاً اشتراكياً ( ١٩٢٦ - ١٩٢٩ )

١ - مصاعب مرحلة التصنيع الاشتراكي والنضال ضد هذه المصاعب . تكوين
--

الكتلة التروتسكية الزينوفيفية للنضال ضد الحزب . عمل الكتلة المعادي للسوفيات .	
هزيمة الكتلة . . . . .	٣٩٧
٢ - نجاح التصنيع الاشتراكي . تأخر الزراعة . المؤتمر الخامس عشر للحزب .	
الاتجاه نحو التنظيم التعاوني في الزراعة . سحق الكتلة التروتسكية الزينوفيفية .	
النفاق السياسي . . . . .	٤٠٦
٣ - الهجوم على الكولاك . فرقة بوخارين ريكوف للنضال ضد الحزب .	
اقرار مشروع السنوات الخمس الاول . المساواة الاشتراكية . بدء الحركة	
الكولخوزية الجماهيرية . . . . .	٤١٤
خلاصة . . . . .	٤٢٥

## الفصل الحادي عشر

### الحزب البلشفي في النضال لتعميم الاقتصاد التعاوني في الزراعة ( ١٩٣٠ - ١٩٣٤ )

١ - الوضع الدولي في ١٩٣٠ - ١٩٣٤ . الازمة الاقتصادية في البلدان الرأسمالية .	
استيلاء اليابان على منشوريا . وصول الفاشست الى الحكم في المانيا . بؤرتان للحرب	٤٢٧
٢ - من سياسة التضيق على العناصر الكولاكية ، الى سياسة تصفية الكولاك من	
حيث هم طبقة . النضال ضد تشويه سياسة الحزب في الحركة الكولخوزية . الهجوم على	
العناصر الرأسمالية على طول خط الجبهة . المؤتمر السادس عشر للحزب .	٤٣١
٣ - اتجاه الحزب نحو اعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطني . دور التكنيك . نهوض	
جديد في الحركة الكولخوزية . الفروع السياسية في محطات التراكتورات والالات .	
النتيجة الاجمالية لتنفيذ برنامج السنوات الخمس في اربع سنوات . انتصار الاشتراكية على	
مجموع الجبهة . المؤتمر السابع عشر للحزب . . . . .	٤٤٥
٤ - انحطاط البوخارينيين الى ساسة ذوي وجهين . انحطاط التروتسكيين ذوي	
الوجهين الى عصابة من الحرس الابيض ، عصابة من القتل والجوايسس . اغتيال س . م .	
كيروف بغدر وجين . تدابير الحزب لتقوية اليقظة البلشفية . . . . .	٤٦٣
خلاصة . . . . .	٤٧٠

## الفصل الثاني عشر

### الحزب البلشفي في النضال لانجاز بناء المجتمع الاشتراكي . تطبيق الدستور الجديد ( ١٩٣٥ - ١٩٣٧ )

١ - الوضع الدولي في ١٩٣٥ - ١٩٣٧ . الازمة الاقتصادية تخف وطأتها مؤقتاً .	
---	--

بدء أزمة اقتصادية جديدة . استيلاء إيطاليا على الحبشة . التدخل الألماني الإيطالي في	
إسبانيا . الغزو الياباني في الصين الوسطى . بدء الحرب الاستعمارية الثانية . . . . .	٤٧٢
٢ — نهوض الصناعة والزراعة يستمر في الاتحاد السوفياتي . تنفيذ برنامج السنوات	
الخمس الثاني قبل موعده . إعادة بناء الزراعة وإنجاز تنظيم الزراعة الجماعي . أهمية .	
الكادر الحزبي الستاخانوفية . ارتفاع الوفاة الوطنية . نهوض الثقافة الوطنية . القوة	
الغضبية للثورة السوفياتية . . . . .	٤٧٨
الخلاصة . . . . .	٥٠٤



تم طبع هذا الكتاب  
على مطبعة النجاح  
بيروت في ايلول  
سنة ١٩٥٤

